

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا).

(الكهف / ١ ، ٢)

(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا).

(الاسراء / ١٠٥ ، ١٠٦)

(لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَجْعَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتٍ).

(القيامة / ١٦ - ١٩)

(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ).

(الحاقة / ٤٠ - ٤٧)

(وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بَقْرَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ).

(يونس / ١٥ - ١٧)

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا).

(النساء / ٨٢)

مقدمة الطبعة الأولى:

في مؤلفاتي أبهضني كتابا ((خمسون ومائة صحابي مخلوق)) (١) و((القرآن الكريم وروايات المدرستين)).

أما الأول فلا تبه كي أطمئن أن أولئك الصحابة من مخلوقات سيف كان علي أن أراجع في جميع مصادر الدراسات الإسلامية، الروايات والأخبار التي ورد في سندها أو متنها ذكر صحابة الرسول (ص)، وبعد التأكد من عدم ورود تلك الأسماء فيها يثبت عندي أن ذكرها وما روي من أخبارها منحصران بروايات سيف فهي إذا من مخلقاته.

و - أيضا - كي لا يجابهني بعد نشر بحثي عنهم باحث ينقد برواية واحدة أو خبر واحد، جاء ذكر أحدهم فيه عن غير طريق سيف، ودونكم أسماء ثلاثة وتسعين منهم أوردت تراجمهم من روايات سيف بمجلدي ((خمسون ومائة صحابي مخلوق)).

فهل يجد باحث اسم أحدهم في غير روايات سيف؟

وأما الثاني منهما فكان خبره أي قبل أكثر من عشر سنوات عقدت العزم على دراسة ما جاء في كتاب ((الشيعة والقرآن)) لاحسان إلهي ظهير، واستنادا إلى مطالعاتي السابقة حول الموضوع قدرت أن أجري البحوث في مقدمة وبابين في قرابة ثلاثمائة صفحة، ولما بدأت بدراسة الروايات وجدت في بعضها كما ذكرت في مقدمة المجلد الأول مصطلحات قرآنية تغيرت معانيها تدريجيا بعد عصر الصحابة مثل القراءة والاقراء والآية مما سبب عدم فهم مغزى الروايات، وقد أخذ مني معرفة معانيها وقتا طويلا سبق وسجلت نتيجة

دراستي حولها في المجلد الأول من هذا الكتاب.

ووجدت روايات كثيرة منها وُسِمَتْ بالصِّحة في حين أنَّها أُفترِي بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله والائمة من أهل بيته، وسببت تلك المفتريات القول بنسخ بعض الآيات أو إنسانتها واختلق بسببها آلاف القراءات وبناء على ذلك كان يناسب أن نسمي مجموعها (آلاف المختلفات حول القرآن الكريم) في مقابل خمسون ومائة صحابي مختلق.

وينبغي لنا في دراسة تلك المفتريات أن نقدّم في ما يأتي موجزا ممّا بيناه في المجلد الأول:

أ - خصائص المجتمعات التي تتحدّث الروايات عن شأن من شؤون القرآن فيها بدءا بالمجتمع الجاهلي الذي نزل القرآن فيه وانتهاء بالمجتمع الاسلامي في أول عهد العباسيين.

ب - ما وصل إلينا من تاريخ القرآن في كلّ عصر تتحدّث الروايات المفتريات عن شأن من شؤون القرآن فيه.

ج - أن ندرس سيرة كثير ممّن روي عنه أمر من شؤون القرآن في تلك العصور وتلك المجتمعات.

وكان يحز في نفسي ويؤلمني تسجيل كثير ممّا جرى في تلك المجتمعات وما جاء في سيرة بعض من درسنا سيرته لاسيما وأنّ في المسلمين من يرى أنّ القرن الاسلامي الأول من بعد الرسول (ص) خير القرون، ولست أدري كيف يكون خير القرون وقد قتل في المدينة ثلاثا وهدمت الكعبة بالمنجنيق وأحرقت، ومهما يكن من أمر فإن دراسة تلك الروايات وإثبات سلامة النصّ القرآني عن كل تحريف وتبديل يتوقفان على دراسة خصائص تلك المجتمعات وسيرة من روي عنه شأن من شؤون القرآن (والله على ما نقول وكيل).

د - أن ندرس كل ما انتهى إلينا ممّا نحتاج إلى دراسته من روايات كل من مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت على حدة.

وبناء على ذلك خصصت المجلد الثاني هذا لدراسة الروايات التي رويت في مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم، ولدراسة الروايات التي رويت في مدرسة أهل البيت المجلد الثالث منه والتي أراد أن يستوعبها إحسان إلهي ظهير في كتابه ((الشريعة والقرآن)) وذلك لأنه أراد أن يستوعب كما ذكرت كل شاردة وواردة جاءت حول القرآن الكريم في مدرسة أهل البيت ليجعلها نبزا لهم.

وقد أساء بفعله من حيث لا يريد إلى القرآن الكريم. وبما أنّه نقل كل ما أورده في كتابه من كتاب ((فصل الخطاب))، نبداً أوّلاً بدراسة كتاب الشيخ النوري وبيان هدفه، ونستعين الله ونقول:

ألّف المحدّث الشيخ ميرزا حسين النوري ؛ (ت: ١٢٣٠هـ) كتاب: ((فصل الخطاب في تحريف كتاب ربّ الارباب)) وينبغي أوّلاً البحث عن اسم الكتاب: (التسمية بالتحريف) وعمّا استهدفه. وبعد ذلك ندرس أدلته في أبواب الكتاب.

١ بلغ عدد من وجدتهم من مختلفات سيف من الصحابة نيف وستون ومائة صحابي مختلق أسأل الله أن يوفّقني إلى طبع المجلد الثالث من الكتاب ليرد فيه تراجم ما ناف على ثلاثة وتسعين المترجمين في المجلد الأول والثاني من الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِي الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا).

(الكهف / ١ ، ٢)

(وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَرَأَيْنَا فَرقَنَاهُ لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا).

(الاسراء / ١٠٥ ، ١٠٦)

(لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ).

(القيامة / ١٦ - ١٩)

(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَا خَازِنًا مِّنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ).

(الحاقة / ٤٠ - ٤٧)

(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِبِهْ يَا مُرْتَدِّدٍ لَّنَا بَدَلُ اللَّهِ أَوْ بَدَلُ اللَّهِ لِي أُنزِلَ عَلَيْنَا لَوْ أَشَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ).

(يونس / ١٥ - ١٧)

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا).

(النساء / ٨٢)

مقدمة الطبعة الأولى:

في مؤلفاتي أبهضني كتابا ((خمسون ومائة صحابي مخلوق)) (١) و((القرآن الكريم وروايات المدرستين)).

أما الأول فلأنه كي أطمئن أن أولئك الصحابة من مختلفات سيف كان علي أن أراجع في جميع مصادر الدراسات الإسلامية، الروايات والأخبار التي ورد في سندها أو متنها ذكر صحابة الرسول (ص)، وبعد التأكد من عدم ورود تلك الأسماء فيها يثبت عندي أن ذكرها وما روي من أخبارها منحصران بروايات سيف فهي إذا من مختلفاته.

و - أيضا - كي لا يجابهني بعد نشر بحوثي عنهم باحث ينقد برواية واحدة أو خبر واحد، جاء ذكر أحدهم فيه عن غير طريق سيف، ودونكم أسماء ثلاثة وتسعين منهم أوردت تراجمهم من روايات سيف بمجلدي ((خمسون ومائة صحابي مخلوق)).

فهل يجد باحث اسم أحدهم في غير روايات سيف؟

وأما الثاني منهما فكان خبره أني قبل أكثر من عشر سنوات عقدت العزم على دراسة ما جاء في كتاب ((الشيعة والقرآن)) للاحسان إلهي ظهير، واستنادا إلى مطالعاتي السابقة حول الموضوع قدرت أن أجري البحوث في مقدمة وبابين في قرابة ثلاثمائة صفحة، ولما بدأت بدراسة الروايات وجدت في بعضها كما ذكرت في مقدمة المجلد الأول مصطلحات قرآنية تغيرت معانيها تدريجيا بعد عصر الصحابة مثل القراءة والاقراء والآية مما سبب عدم فهم مغزى الروايات، وقد أخذ مني معرفة معانيها وقتنا طويلا سبق وسجلت نتيجة دراستي حولها في المجلد الأول من هذا الكتاب.

ووجدت روايات كثيرة منها وُسِمَتْ بالصحة في حين أنها أفترى بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله والأئمة من أهل بيته، وسببت تلك المفتريات القول بنسخ بعض الآيات أو إنسائها واختلق بسببها آلاف القراءات وبناء على ذلك كان يناسب أن نسمي مجموعها (آلاف المختلقات حول القرآن الكريم) في مقابل خمسون ومائة صحابي مخلوق.

وينبغي لنا في دراسة تلك المفتريات أن نقدّم في ما يأتي موجزا مما بيناه في المجلد الأول:

أ - خصائص المجتمعات التي تتحدث الروايات عن شأن من شؤون القرآن فيها بدءا بالمجتمع الجاهلي الذي نزل القرآن فيه وانتهاء بالمجتمع الإسلامي في أول عهد العباسيين.

ب - ما وصل إلينا من تاريخ القرآن في كلِّ عصر تتحدث الروايات المفتريات عن شأن من شؤون القرآن فيه.

ج - أن ندرس سيرة كثير ممَّن روي عنه أمر من شؤون القرآن في تلك العصور وتلك المجتمعات.

وكان يحز في نفسي ويؤلمني تسجيل كثير ممَّا جرى في تلك المجتمعات وما جاء في سيرة بعض من درسنا سيرته لاسيما وأن في المسلمين من يرى أن القرن الاسلامي الأوَّل من بعد الرسول (ص) خير القرون، ولست أدري كيف يكون خير القرون وقد قتل فيه الخليفة عثمان وسيد أهل بيت النبي (ص) الامام علي في المحراب وسائر ذرِّيَّة الرسول (ص) بكربلاء وسبيت فيه بناته وأحلت فيه المدينة ثلاثا وهدمت الكعبة بالمنجنيق وأحرقت، ومهما يكن من أمر فإن دراسة تلك الروايات وإثبات سلامة النصِّ القرآني عن كل تحريف وتبديل يتوقفان على دراسة خصائص تلك المجتمعات وسيرة من روي عنه شأن من شؤون القرآن (والله على ما نقول وكيل).

د - أن ندرس كل ما انتهى إلينا ممَّا نحتاج إلى دراسته من روايات كل من مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت على حدة.

وبناء على ذلك خصصت المجلد الثاني هذا لدراسة الروايات التي رويت في مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم، ولدراسة الروايات التي رويت في مدرسة أهل البيت المجلد الثالث منه والتي أراد أن يستوعبها إحسان إلهي ظهير في كتابه ((الشريعة والقرآن)) وذلك لأنه أراد أن يستوعب كما ذكرت كل شاردة وواردة جاءت حول القرآن الكريم في مدرسة أهل البيت ليجعلها نبزا لهم.

وقد أساء بفعله من حيث لا يريد إلى القرآن الكريم. وبما أنه نقل كل ما أورده في كتابه من كتاب ((فصل الخطاب))، نبدأ أولاً بدراسة كتاب الشيخ النوري وبيان هدفه، ونستعين الله ونقول:

آف المحدِّث الشيخ ميرزا حسين النوري ؛ (ت: ٥١٣٢٠هـ) كتاب: ((فصل الخطاب في تحريف كتاب ربِّ الأرباب)) وينبغي أولاً البحث عن اسم الكتاب: (التسمية بالتحريف) وعمما استهدفه. وبعد ذلك ندرس أدلته في أبواب الكتاب.

١ بلغ عدد من وجدتهم من مختلفات سيف من الصحابة نيف وستون ومائة صحابي مختلق أسأل الله أن يوقني إلى طبع المجلد الثالث من الكتاب ليرد فيه تراجم ما ناف على ثلاثة وتسعين المترجمين في المجلد الأوَّل والثاني من الكتاب.

أ - التسمية بالتحريف:

جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم:

(حرَّف الكلام تحريفاً: بدَّله أو صرفه عن معناه (... يحرفون الكلم عن مواضعه) النساء / ٤٦، أي يصرفونه عن معناه، و) يسمعون كلام الله ثمَّ يحرفونه من بعد ما عقلوه (البقرة / ٧٥، أي يصرفونه عن معناه) (٢).

وفي البحوث القرآنية يقصد من التحريف أحيانا نقصان شيء من القرآن الكريم أو تبديله بغيره - معاذ الله - فماذا قصد مؤلف فصل الخطاب من التحريف في التسمية؟

ندرس ذلك بعد إيراد قصة طريفة تناسب المقام:

قصتي مع المبشر المسيحي في بغداد

كانت صبيحة يوم جمعة من أيام شبابي أياُن الحرب العالمية الثانية حين اقتحمت ناديا للتبشير المسيحي بشارع المتنبي في بغداد، وجلست إلى جنب منصَّة المبشر، ولما اكتنَّ النادي بالشباب المسلم الذي كان يرتاد النادي لقراءة الصحف اليومية المعدة هناك للمطالعة، أو بالأحرى لاصطياد الشباب المسلم بتلك الوسيلة.

بدأ المبشر عند ذلك بقراءة شيء من التوراة واستشهد به على ما راهه من التبشير، فأخذت منه زمام المبادرة وبدأت بسردياً كنت أحفظ من أساطير التوراة المحرّفة، مثل أسطورة خلق آدم وحواء وكيف خدعهم الله - معاذ الله - وكشف الحيّة لهم عن الخدعة وبصرتهم.

وأسطورة مصارعة الله ليعقوب، إلى الصباح، وأتته لما ظهرت الغلبة ليعقوب - معاذ الله - منحه الله لقب إسرائيل، فكف عنه يعقوب.

وكيف زنى لوط بابنتيه وداود بزوجة أوريا - معاذ الله -.

إلى أمثالها من أساطير أخرى مع تعليقي على كل منها بما يثير الضحك للحاضرين والاسى والغضب للمبشر. وحاول المبشر أكثر من مرة أن ينهي الجلسة قبل أوانها وكنت أمتنع عليه ويساعدني على ذلك الحاضرون. وأخيراً أردت أن أختتم الجلسة بأخذ اعتراف من المبشر على تحريف العهدين: التوراة والانجيل، فوجهت إليه الاسئلة الآتية:

على من نزلت التوراة على حدّ زعمك؟

فإن قلت: نزلت على موسى بن عمران (ع) قلت لك: إنّ في التوراة حكاية وفاته ودفنه وما جرى على بني إسرائيل من بعده.

وإن قلت نزلت على داود أو سليمان أو أي نبي آخر من أنبياء بني إسرائيل، قلت لك: في التوراة حكاية وفاته ودفنه وما جرى على بني إسرائيل من بعده.

فقال: في التوراة كلام الله وكلام الكهنة.

فقلت له: هذا هو معنى التحريف لكتاب الله!

وأنتى لنا التمييز بين كلام الله وكلام الكهنة؟

فانبرى يقول لي بحماس: وإنّ في علمائكم من كتب كتاباً في تحريف القرآن.

فقلت في ما قلت له: أنا احتججت عليك بنفس التوراة ولا أستند إلى تقولات المتقولين على التوراة والانجيل. وإذا استندنا في هذا الشأن إلى القرآن وحده وجدناه يقول:

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ). (البقرة/ ٢٣)

ويقول: (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

ويقول: (وَلَنْ تَفْعَلُوا).

ويقول: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا). (الاسراء / ٨٨)

ولو كان في القرآن كلام غير الله إذا، فإنّ غير الله قادر على أن يأتي بمثل القرآن. فأتوا يا خصوم الاسلام بسورة واحدة مثل سورة (التوحيد)، أو (والعصر) ممّا لا يزيد على سطر واحد. وبعد ذلك يخضع لقولكم جميع المسلمين.

وأدليت بحجج أخرى فلم يجر جواباً. وانتهت الجلسة بانتصار الخط الاسلامي والحمد لله.

وجرى لي بعد ذلك محاوره مع تلميذ الشيخ النوري كالاتي:

أ - التسمية بالتحريف:

جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم:

(حَرَّفَ الكلام تحريفاً: بَدَّلَهُ أو صَيَّرَهُ عن معناه) (... يَحَرِّفُونَ الكلم عن مواضعه) التيساء / ٤٦، أي يصرفونه عن معناه، و(يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) البقرة / ٧٥، أي يصرفونه عن معناه(٢).

وفي البحوث إقرآنية يقصد من التحريف أحيانا نقصان شيء من القرآن الكريم أو تبديله بغيره - معاذ الله - فمأذا قصد مؤلف فصل الخطاب من التحريف في التسمية؟

ندرس ذلك بعد إيراد قصة طريفة تناسب المقام:

قَصِّي مع المبشر المسيحي في بغداد

كانت صبيحة يوم جمعة من أيام شبابي أتان الحرب العالمية الثانية حين اقتحمت ناديا للتبشير المسيحي بشارع المتنبّي في بغداد، وجلست إلى جنب منصّة المبشر، ولما اكتضّ النادي بالشباب المسلم الذي كان يرتاد النادي لقراءة الصحف اليومية المعدة هناك للمطالعة، أو بالاحرى لاصطياد الشباب المسلم بتلك الوسيلة.

بدأ المبشر عند ذلك بقراءة شيء من التوراة واستشهد به على ما راهمه من التبشير، فأخذت منه زمام المبادرة وبدأت بسردي ما كنت أحفظ من أساطير التوراة المحرّفة، مثل أسطورة خلق آدم وحواء وكيف خدعهم الله - معاذ الله - وكشف الحيّة لهم عن الخدعة وبصرتهم.

وأسطورة مصارعة الله ليعقوب، إلى الصباح، وأتّه لما ظهرت الغلبة ليعقوب - معاذ الله - منحه الله لقب إسرائيل، فكفّ عنه يعقوب.

وكيف زنى لوط بابنتيه وداود بزوجة أوريا - معاذ الله -

إلى أمثالها من أساطير أخرى مع تعليقي على كل منها بما يثير الضحك للحاضرين والاسى والغضب للمبشر. وحاول المبشر أكثر من مرّة أن ينهي الجلسة قبل أوانها وكنت أمتنع عليه ويساعدني على ذلك الحاضرون. وأخيرا أردت أن أختتم الجلسة بأخذ اعتراف من المبشر على تحريف العهدين: التوراة والانجيل، فوجهت إليه الاسئلة الآتية:

على من نزلت التوراة على حدّ زعمك؟

فإن قلت: نزلت على موسى بن عمران (ع) قلت لك: إنّ في التوراة حكاية وفاته ودفنه وما جرى على بني إسرائيل من بعده.

وإن قلت نزلت على داود أو سليمان أو أي نبي آخر من أنبياء بني إسرائيل، قلت لك: في التوراة حكاية وفاته ودفنه وما جرى على بني إسرائيل من بعده.

فقال: في التوراة كلام الله وكلام الكهنة.

فقلت له: هذا هو معنى التحريف لكتاب الله!

وأنتى لنا التمييز بين كلام الله وكلام الكهنة؟

فانبرى يقول لي بحماس: وإنّ في علمائكم من كتب كتابا في تحريف القرآن.

فقلت في ما قلت له: أنا احتججت عليك بنفس التوراة ولا أستند إلى تقولات المتقولين على التوراة والانجيل. وإذا استندنا في هذا الشأن إلى القرآن وحده وجدناه يقول:

(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ). (البقرة/٢٣)

ويقول: (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

ويقول: (وَلَنْ تَفْعَلُوا).

ويقول: (قُلْ لَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا). (الاسراء / ٨٨)

ولو كان في القرآن كلامٌ غير الله إذا، فإنَّ غير الله قادر على أن يأتي بمثل القرآن. فأتوا يا خصوم الاسلام بسورة واحدة مثل سورة (التوحيد)، أو (والعصر) ممَّا لا يزيد على سطر واحد. وبعد ذلك يخضع لقولكم جميع المسلمين.

وأدليت بحجج أخرى فلم يحرج جوابا. وانتهت الجلسة بانتصار الخط الاسلامي والحمد لله.

وجرى لي بعد ذلك محاوره مع تلميذ الشيخ النوري كالآتي:

٢ معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة (حرف) ١ / ٣٦٠.

تلميذ الشيخ النوري يتحدث عن مقصد استاذه من التحريف:

جمعتني جلسة مع الشيخ آغا بزرگ مؤلف ((كتاب الذريعة)) وهو أحد مشايخي في رواية الحديث، فسألته عن قصد استاذه الشيخ النوري في تأليفه كتاب فصل الخطاب، فأجابني بأن الشيخ النوري لم يقصد إثبات تحريف القرآن، وإنما الخطأ في التسمية.

وقد كتب ؛ في مادة فصل الخطاب من الذريعة ما موجزه:

(إنَّ الشيخ النوري كتب رسالة بعد نشر كتابه فصل الخطاب قال فيها: لم أقصد من التحريف: التغيير والتبديل، بل قصدت خصوص الاسقاط لبعض المحفوظ المنزل عند أهله وإنَّ القرآن الموجود اليوم هو الذي كتبه عثمان لم يزد عليه ولم ينقص منه، وقد وقع الخطأ في التسمية وكان ينبغي أن يسمى الكتاب فصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب)(٣).

هذا ما نقله صاحب الذريعة عن استاذه الشيخ النوري.

أمَّا الشيخ النوري فقد قال في مقدمته الأولى من كتابه:

المقدِّمة الأولى:

في ذكر الاخبار التي جاءت في جمع القرآن وجامعه وسبب جمعه وكونه في معرض النقص بالنظر إلى كيفية الجمع وإنَّ تأليفه يخالف تأليف المؤلفين.

المقدِّمة الثانية:

في بيان أقسام التغيير الممكن حصوله في القرآن والممتنع دخوله فيه كما ذكرناه.

المقدِّمة الثالثة:

في ذكر أقوال علمائنا في تغيير القرآن وعدمه.

وقال في: الباب الأوّل:

في ذكر ما استدلّوا به على وقوع التغيير والنقصان في القرآن.

الدليل الأوّل:

مركب من أمور:

أ - وقوع التحريف في التوراة والانجيل بطرز حسن لطيف.

ب - في أنّ كلّ ما وقع في الأمم السالفة يقع في هذه الأمة.

ج - في ذكر موارد شبه فيها بعض هذه الأمة بنظيره في الأمم السابقة مدحا أو قدحا.

د - في أخبار خاصّة تدلّ على كون القرآن كالتوراة والانجيل في وقوع التغيير فيه.

الدليل الثاني:

إنّ كيفية جمع القرآن مستلزمة عادة لوقوع التغيير والتحريف فيه.

وفيه إجمال حال كُتّاب الوحي.

الدليل الثالث:

في إبطال وجود منسوخ التلاوة وأنّ ما ذكره مثلا له لا بدّ وأن يكون ممّا نقص من القرآن.

الدليل الرابع:

في أنّه كان لامير المؤمنين (ع) قرآنٌ خاصٌّ يخالف الموجود في الترتيب وفيه زيادة ليست من الاحاديث القدسية ولا من التفسير والتأويل.

الدليل الخامس:

إنّه كان لعبد الله بن مسعود مصحف معتبر فيه ما ليس في القرآن الموجود.

الدليل السادس:

إنّ الموجود غير مشتمل لتمام ما في مصحف أبي المعتبر عندنا.

الدليل السابع:

إنّ ابن عقّان لما جمع القرآن ثانيا أسقط بعض الكلمات والابيات.

وفيه كيفية جمعه وبعض ما أسقطه واختلاف مصاحفه وما أخطأ فيه الكُتّاب.

الدليل الثامن:

في أخبار كثيرة دالة صريحا على وقوع النقصان زيادة على ما رواها المخالفون.

الدليل التاسع:

إنّه تعالى ذكر أسامي أوصيائه وشمائلمهم في كتبه المباركة السالفة فلا بدّ أن يذكرها في كتابه المهيمن عليها.

وفيه ما وصل إلينا من ذكرهم (ع) في الصحف الأولى ممّا لم يجمع في كتاب.

الدليل العاشر:

اثبات اختلاف القراء في الحروف والكلمات وغيرها وإبطال نزوله على غير وجه واحد.

وفيه شرح أحوال القرّاء وإثبات التدليس في أسانيدهم.

الدليل الحادي عشر:

في أخبار كثيرة صريحة الدلالة على وقوع النقصان في القرآن عموماً.

الدليل الثاني عشر:

في أخبار خاصة كذلك رتبناها على ترتيب سور القرآن.

وفيه ذكر الجواب عن شبهات أوردها على الاستدلال بها.

وقال في: الباب الثاني:

ذكر أدلة القائلين بعدم تطرق التغيير مطلقاً من الآيات والأخبار والاعتبار والجواب عنها مفصلاً وفيه ذكر -
وقوع التحريف في التوراة ثانياً في عهد الرسول (ص).

هكذا بوّب الشيخ النوري كتابه وسوف ندرسه بإذنه تعالى وفق المنهج الآتي:

الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تعريف كتاب: فصل الخطاب ١٦ / ٣٢١ 3

منهج البحث:

أولاً - لما كان المؤلف يكرّر ذكر الموضوع الواحد في أماكن مختلفة من كتابه قمنا في مقام دراستها
بجمع ما نقلها في موضوع واحد في أماكن متعددة تحت عنوان جديد نختاره للبحث كالآتي:

لما جاء في الدليل الأول من الباب الأول وما جاء في آخر الباب الثاني من أنّ القرآن جرى عليه ما جرى
على التوراة والإنجيل من التحريف فإننا ندرسهما في أول هذا المجلد تحت عنوان الدليل المشترك.

ثمّ ندرس من الباب الأول ما جاء في المقدمة الأولى وفي الدليل الثاني والسابع من الباب الأول حول
جمع القرآن في بحث جمع القرآن ونورد بعده بحث البسملة لصلته ببحث جمع القرآن وندرس ما جاء في
الدليل الخامس والسابع والثامن من الباب الأول حول اختلاف المصاحف وروايات الزيادة والنقصان في
القرآن في بحث روايات زيادة القرآن ونقصانه - معاذ الله - من هذا المجلد.

وندرس ما جاء في الدليل الثالث من الباب الأول حول النسخ في بحوث النسخ من هذا المجلد.

وندرس ما جاء في الدليل العاشر من الباب الأول حول القرآن في بحث القراءات منه.

وندرس ما جاء في المقدمة الثالثة والدليل الرابع من الباب الأول والذي يخصّ مدرسة أهل البيت في
المجلد الثالث من هذا الكتاب ضمن دراستنا لكتاب الشيعة والقرآن لاحسان إلهي ظهير لآله - أيضاً -
استدل بها في كتابه.

كما ندرس في المجلد الثالث ما عده الشيخ النوري الدليل الحادي عشر من الباب الأول وأورده احسان
في أول الباب الرابع من كتابه مع دراسة معنى التحريف في أحاديث أهل البيت (ع) .

ثانياً - في دراسة أدلة الشيخ النوري نرجع إلى مصادره ونستخرج الرواية منها وإذا وجدنا رواية من نوع
أدلته أقوى ممّا أوردها الشيخ النوري تأتي بها تأييداً لمدعاه ثمّ ندرسها جميعاً.

ثالثاً - نحذف المكرّرات من أدلته وخاصة في المجلد الثالث من هذا الكتاب الذي ندرس فيه أدلته ضمن
دراسة كتاب الشيعة والقرآن لاحسان إلهي ظهير.

رابعاً - لما كان تذكّار البحوث السابقة ضرورياً في بعض البحوث اضطررنا إلى تكرار موجز البحوث وخلصاتها مرّة بعد أخرى. وتتسلسل البحوث في هذا المجلد بإذنه تعالى وفق المخطط الآتي:

مخطط البحوث للمجلد الثاني

- أ - الدليل المشترك بين المدرستين.
- ب - روايات البسملة وتناقضها ومنشأها.
- ج - روايات جمع القرآن وتناقضها.
- د - روايات اختلاف المصاحف وروايات الزيادة والنقصان.
- هـ - روايات نزول القرآن على سبعة أحرف وأربعون اجتهادا خاطئاً في تأويلها.
- و - القراءات والقرّاء.
- ز - بحوث النسخ والانساء.

ح - دراسة الروايات السابقة واجتهاداتهم الخاطئة.

خصائص المجتمع الإسلامي وأخبار القرآن:

- ١ - في عصر الخلفاء الصحابييين الثلاثة.
 - ٢ - في عصر الامام علي.
 - ٣ - في عصر بني أمية.
 - ٤ - في عصر بني العباس.
- دراسات مقارنة بين الروايات السابقة ونتائج البحوث الانفة.
- ط - المستشرقون والقرآن الكريم.

البحث الأول

الدليل المشترك بين المدرستين

على وقوع التحريف في شرائع الأنبياء

برهن الشيخ النوري أولاً في (ص ٢٥ - ٥٣) على وقوع التحريف في التوراة والانجيل وقال في آخر ص ٥٣ ما موجزه:

(إنّ كل ما وقع في الأمم السابقة خاصّة ببني إسرائيل يقع في هذه الأمة المرحومة وأنها تتبع سنن السابقين وسيرة من كان قبلهم في كل أحوالهم وجميع أطوارهم خصوصاً في ما يتعلق بأمر الدين).

ثمّ أُيد ما ادّعاه في (ص ٥٤ - ٦٩) بأنّ هذه الأمة شابهت في بعض أعمالها الأمم السابقة وأكّد ثانية ما ادّعاه هنا في آخر الدليل الثاني عشر ص ٣٦٦ - ٣٧٧.

هذا ما ادعاه الشيخ النوري وأقام عليه الأدلّة تلو الأدلّة، وهذا البحث من أقوى أدلّته على مدّعاه في تحريف القرآن - معاذ الله - وخنس إحسان إلهي ظهير في هذا المقام خنوسا شديدا. ولم يشر إلى ما أورده الشيخ النوري في خمس وأربعين صفحة من كتابه، ونستعين الله ونقول:

لقد برهنا في كتبنا على وقوع التحريف في الأمم السابقة، مثل ما ذكرناه في باب الدين والاسلام من كتابنا عقائد الاسلام من القرآن الكريم وفي البحث التمهيدي الخامس من المجلد الثاني من (خمسون ومائة صحابي مختلق) ونورد هنا بعض تلك البحوث:

أوّلا - مثال واحد ممّا وقع من التحريف في التوراة:

نورد في ما يلي صورا للاعداد من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية عن طبعات مختلفة للتوراة لنرى التحريف فيهن عيانا.

أ- تصوير النسخة التي ترجمها الفسيس رابنسن من الاصل العبراني إلى الفارسية وطبعت بمطبعة رجارد واطسن بلندن سنة ١٨٣٩م:

باب سي و سيوم

١ واينست دعاي خيركه موسى مرد خدا قبل از مردن بربني
اسرائيل خواند

٢ وگفت كه خداوند از سيناي برآمد و از سعير نمودار گشت و از
كوه فاران نور افشان شد و با ده هزار مقربان ورود نمود و از دست
راستش شريعتي آتشين براي ايشان رسيد

٣ بلكه تباثل را دوست داشت و همگي مقدساتش در قبضه تو
هستند و مقربان پاي تو بوده تعليم ترا خواهند پذيرفت

٤ موسى مارا بشريعتي امر كرد كه ميراث جماعت بني يعقوب باشد

ب - النسخة المطبوعة (٤) بجامعة اكسفورد بلندن، دون تاريخ ص ١٨٤:

CHAPTER 33

AND this is the blessing, wherewith
Moses the man of God blessed
the children of Israel before his
death.

2 And he said, The LORD came from
Sinai, and rose up from Seir unto them;
he shined forth 'from mount Paran,
and 'he came with ten thousands of
saints: from his right hand went 'a
fiery law for them.

3 Yea, 'he loved the people; all his
saints are in thy hand: and they 'sat
down at thy feet; every one shall 're-
ceive of thy words.

4 'Moses commanded us a law, 'even
the inheritance of the congregation of
Jacob.

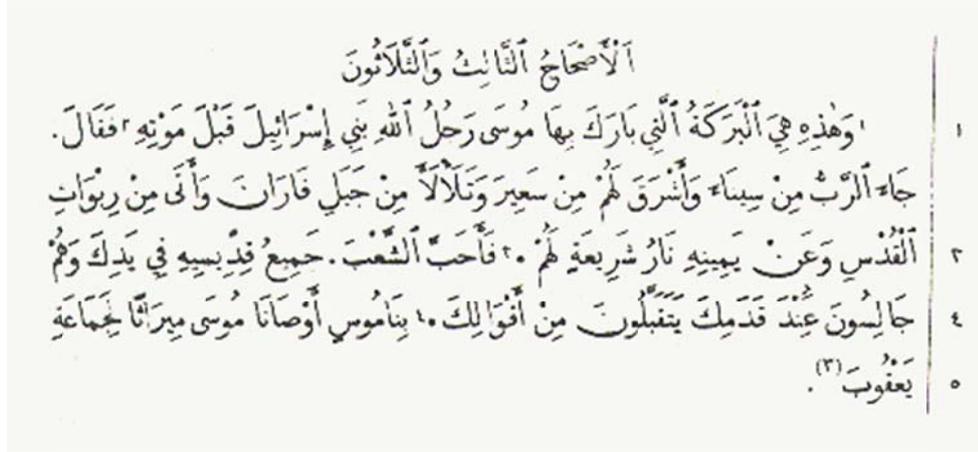
ج - تصوير النسخة المطبوعة بمطبعة رجارد واطسن بلندن سنة ١٨٣١م عن النسخة المطبوعة في
رومية العظمى سنة ١٦٧١

لمنفعة الكنائس الشرقية:

الاصحاح الثالث والثلاثون

١ فهذه البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته
٢ *وقال جاء الرب من سيناء واشرق لنا من ساعير استعلن من جبل
٣ فاران ومعه الوف الاطهار في يمينه ستة من نار *احب الشعوب
جميع الاطهار بيده وانذين يقتربون من رجليه يقبلون من تعليمه
٥ *موسي امرنا بستة : ميراثا لجماعة يعقوب^(٣).

د - تصوير النسخة المطبوعة بالمطبعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٠٧:



المحرف في هذا الاصحاح وسببه:

إِنَّ الأعداد (١ - ٤) من هذا الاصحاح تخبر أنّ موسى بن عمران تكلم قبل موته عن ثلاثة أماكن أظهر الله فيهن أمره وأنزل شرائعه، وهي:

أ - سيناء وهو المكان الذي أنزل الله فيه شريعة التوراة على موسى (ع) ووصف تلك الشريعة في العدد الرابع منه بأنها ميراث لجماعة يعقوب وهم بنو إسرائيل. إذا فهي شريعة خاصة ببني إسرائيل.

ب - ساعير أو ساعير - وهي الاراضي التي فيها الجبال المحيطة بالقدس كما في مادة ((ساعير)) من قاموس الكتاب المقدس ومادة ((ساعير)) من معجم البلدان. وهو المكان الذي نزلت فيه شريعة الانجيل على عيسى بن مريم (ع) ولم يرد حوله شرح في كلام موسى (ع) هنا.

ج - جبل فاران - وفاران كما جاء في الاصحاح ٢١ من سفر التكوين من التوراة مكان كان قد سكنته هاجر وإسماعيل بعد أن صرفهما إبراهيم من منزله بطلب من سارة، وجاء في العدد ٢١ منه خاصة في إسماعيل ما يلي:

((وسكن في بركة فاران وأخذت أمه له امرأة من مصر)).

هذا ومن المجمع عليه أن إسماعيل وهاجر بعد مغادرتهم من منزل إبراهيم سكنوا مكة وعاشا بها حتى توفيا بها، ومدفنهما مشهور إلى اليوم بحجر إسماعيل، وعلى هذا لا بد أن يكون جبل فاران من جبال مكة كما صرح بذلك - أيضا - في مادة ((فاران)) كل من ياقوت في معجم البلدان وابن منظور في لسان العرب، والفيروز أبادي في القاموس والزبيدي في تاج العروس.

وقد جاء شرح صفات الشريعة التي نزلت بجبل فاران وكيفية ظهور أمر الله فيه بنسخة القس رابنسن والنص الانكليزي ما ترجمته كما يلي:

((وأشرق من جبل فاران، وورد مع عشرة آلاف من المقربين وأتاهم بيمينه شريعة نارية، يحب القبائل، وجميع مقدساته في يدك، ومقربين إلى رجلك، يأخذون تعاليمك)).

وجاء في المطبوعة عن النسخة الرومية ما يلي:

((استعلن من جبل فاران، ومعه أوف الاطهار، في يمينه سنة من نار، أحب الشعوب، جميع الاطهار بيده، يقتربون من رجله، يقبلون من تعليمه)).

ولما كان الاشراق من جبل فاران يصدق على نزول شريعة القرآن على خاتم الانبياء محمد (ص) بغار حراء في جبل فاران حول مكة وهو الذي جاء بعد ذلك إلى مكة - أراضي فاران - مع عشرة آلاف وفتح مكة (ع) وهو الذي كان في يمينه شريعة نارية أو (سنة نارية) أي شريعة الحرب وهو الذي (أحب القبائل) أو (يحب الشعوب) كما أعلن القرآن عنه بقوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الانبياء / ١٠٧)، وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (سبأ / ٢٨).

لما كان هذا الاشراق يصدق على بعثة خاتم الانبياء ولا يصدق على غيره فإن موسى الذي جاء مع أخيه وعيسى الذي كان مع نفر من الحواريين لا يصدق على أحدهما أنه جاء (مع عشرة آلاف من المقربين).

وكذلك لا يصدق على عيسى أنه (في يمينه شريعة نارية).

ولا يصدق على موسى الذي جاء بناموس يخص جماعة يعقوب أن أحب الشعوب أو يحب القبائل (؟).

لهذا كلّه وقع التحريف في هذه النسخ كما يلي:

ج - الجملة الثالثة	ب - الجملة الثانية	ا - الجملة الاولى	ترجمة نسخة رابنسن والانجليزية
يحب القبائل	واتاهم بيمينه شريعة نارية	ورد مع عشرة الاف من المقربين	
احب الشعوب	في يمينه سنة من النار	ومعه الوف الاطهار	النسخة الرومية
فاحب الشعب	وعن يمينه نار شريعة لهم	واتى من ربوات القدس	الطبعة الامريكية

في الفقرة (أ) حرّفت (وورد مع عشرة آلاف من المقربين) إلى (ومعه أوف الاطهار) ثم رفعت الجملة نهائياً أخيراً ووضع مكانها (واتى من ربوات القدس) ليصدق هذا التحريف الأخير على ظهور عيسى ابن مريم (ع)!!!

وفي الفقرة (ب) حرّفت (شريعة نارية) أو سنة نارية إلى (نار شريعة) لثلاثد على شريعة الحرب فتصدق على شريعة خاتم الانبياء خاصة.

وفي الفقرة (ج) حرّفت (القبائل) أو (الشعوب) التي جاءت بلفظ الجمع إلى (الشعب) بلفظ المفرد ليصدق على غير خاتم الانبياء.

EDITION LETTER RED. امتازت بطبع اللون الاحمر مع الاسود للكلمات - في العهد الجديد فقط - وسميت بـ 4

روى ابن هشام في سيرته (٤ / ١٧) والطبري في تاريخه (١ / ١٦٢٨) عن ابن إسحاق قال: كان مع رسول الله 5 (عشرة آلاف من المسلمين)) (ص) في فتح مكة.

ثانيا - ما جاء في الاحاديث المروية عن الرسول (ص)

جاء في الاحاديث المروية عن رسول الله (ص) متابعة هذه الأمة للأمم السابقة في كل ما فعلوا حذو القذة بالقذة، شبرا بشبر، وذراعا بذراع في ما رواه كل من:

أ - الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة عن جعفر بن محمد الصادق (ع)، عن آبائه (ع) ، قال: قال رسول الله (ص):

((كل ما كان في الأمم السالفة فآته يكون في هذه الأمة مثله، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة)) (٦).

وروى الصدوق - أيضا - في كمال الدين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله (ص):

((والذي بعثني بالحق نبيا وبشيرا لتركبن أمتي سنن من كان قبلها حذو النعل بالنعل حتى لو أنّ حيّة من بني إسرائيل دخلت في جحر لدخلت في هذه الأمة حيّة مثلها)) (٧).

ب - قال ابن حجر في فتح الباري:

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح:

((لتركبن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها)) (٨).

ج - أحمد في مسنده ومسلم والبخاري في صحيحهما واللفظ للاخير، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (ص) قال:

((لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم).

قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟

قال: ((فمن؟)).

وفي رواية أخرى بمسند أحمد:

((لتتبعن سنن بني إسرائيل حتى لو دخل رجل من بني إسرائيل جحر ضبّ لتبعتموه)) (٩).

د - البخاري في صحيحه وابن ماجه في سننه وأحمد في مسنده والمتقي في كنز العمال واللفظ للاول، عن أبي هريرة، عن النبي (ص) قال:

((لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر، وذراعا بذراع)).

فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم!؟

فقال: ((ومن الناس إلا أولئك)).

ولفظ أحمد في مسنده:

((والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وباعا فباعا حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه)).

قالوا: ومن هم يا رسول الله! أهل الكتاب؟

قال: ((فمن؟)) (١٠).

هـ الترمذي في صحيحه، والطيالسي وأحمد في مسنديهما والمتقي في كنز العمال واللفظ للاول:

في حديث أبي واقد الليثي، عن النبيّ (ص) قال:

((والَّذي نفسي بيده لتركبن سنّة من كان قبلكم)).

ولفظ أحمد في مسنده:

((لتركبن سنن من قبلكم سنّة سنّة)) (١١).

و - الترمذي في صحيحه والحاكم في مستدرکه حسب ما رواه السيوطي في تفسيره واللفظ للؤل، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله (ص):

((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل؛ حذو النعل بالنعل حتى إن كان في بني إسرائيل من أتى أمه علانية لكان في أمتي من

فعل ذلك)) (١٢).

ز - البزار في مسنده - كما في مجمع الزوائد - والحاكم في مستدرکه كما في كنز العمال، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص):

((لتركبن سنن من كان قبلكم شيئا بشيرا وذرعا بذراع، وباعا بباع، حتّى لو أنّ أحدهم دخل جحر ضبّ لدخلتم حتّى لو أنّ أحدهم جامع أمه لفعلتم)) (١٣).

ح - أحمد في مسنده ومجمع الزوائد عن سهل بن سعد الانصاري عن النبيّ (ص) قال:

((والَّذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم مثلا بمثل)).

وزاد الطبراني كما في مجمع الزوائد: ((حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعتموه)).

قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟

قال: فمن إلّا اليهود والنصارى؟ (١٤).

ط - الطبراني كما في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص):

((أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو القذة بالقذة حتّى لا يكون فيهم شيء إلّا فيكم مثله...)) (١٥).

ي - الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد وكنز العمال عن المستورد بن شداد أنّ رسول الله (ص) قال:

((لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الاولين حتّى تأتيه)) (١٦).

ك - أحمد في مسنده والطبراني كما في مجمع الزوائد عن شداد بن أوس عن حديث رسول الله (ص):

((ليجملنّ شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة)) وبترجمته في أسد الغابة (خلوا من قبلكم) (١٧).

* * *

وجدنا في ما سبق أنّ الله سبحانه أخبر عن وقوع التحريف في الأمم السابقة وأخبر رسوله عن متابعة هذه الأمة للأمم السابقة في كل ما فعلوه.

وإذا قارنا بين ما وقع من التحريف في هذه الأمة وما وقع منه في الأمم السابقة وجدنا أنّ التحريف قد وقع في الأمم السابقة في الكتب السماوية كما أخبر الله سبحانه بذلك في قوله:

(قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا)
(الانعام / ٩١)

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم في ما أخبرنا عن تحريف الأمم السابقة لكتب الله ومتابعة هذه الأمة الأمم السابقة في تحريفها كتاب الله غير أن الله تبارك وتعالى حفظ كتابه العظيم القرآن الكريم عن كل ما فعلوه في تحريف القرآن كما حفظ خليله إبراهيم (ع) من الاحتراق بالنار التي ألقاه قومه فيها ومنع لهيب النار من الوصول إليه وحرقه. كذلك حفظ الله القرآن من وصول التحريفات التي جاءت في الروايات من الوصول إلى نسخ القرآن الكريم. وبقيت نسخ القرآن محفوظة بمشيئة الله من تلكم التحريفات أبد الدهر. وسيأتي بيانه في البحوث الآتية بإذنه تعالى.

روايات تحريف القرآن الكريم - معاذ الله - وحفظ الله كتابه من التحريف

حرف بعض أفراد هذه الأمة القرآن الكريم بالقراءات المختلفة فانهم - مثلا - حرفوا (غير المغضوب عليهم ولا الصالحين)

بتسعة أنواع من التحريف كالآتي:

أ - غير المغضوب عليهم وغير الصالحين.

ب - غير المغضوب عليهم.

ج - غير المغضوب عليهم.

د - غير المغضوب عليهم.

هـ - غير المغضوب عليهم.

و - غير المغضوب عليهم.

ز - غير المغضوب عليهم.

ح - غير المغضوب عليهم.

ط - غير المغضوب عليهم (١٨).

والصحيح غير المغضوب عليهم.

هكذا قام في هذه الأمة من سموا بالقراء بتحريف القرآن الكريم آلاف المرات باسم القراءات المختلفة كما سندرسها إن شاء الله في بحث القراءات، ولكن الله حفظ قرآنه الكريم كما وعد عن أن تناله أيدي المحرفين وأبقى كتابه الكريم سالما عن كل ذلك التحريف بأيدي كل الناس والحمد لله على هذه النعمة العظيمة.

ولم يكن الشيخ النوري الوحيد ممن شوش فكره من تلك الاحاديث بل سبقه إلى ذلك علماء مدرسة الخلفاء وقالوا بالتحريف ولكنهم بدلوا اسم التحريف وسموه باسم النسخ والانساء أو بأسماء أخرى وفق اجتهاداتهم كما سيأتي دراسته في بحث روايات السبعة أحرف، وأخيرا نشر المستشرقون تلك الروايات وتلك القراءات بهدف التشكيك بثبوت النص القرآني كما سنذكر بعضها في آخر هذا المجلد إن شاء الله تعالى.

٦ سلسلة رواة هذا الحديث من أئمة أهل بيت النبي (ص) وهم جعفر الصادق (ت: ٥١٤٨) عن أبيه محمد الباقر (ت: ٥١١٤) عن أبيه علي بن العابد (ت: ٥٩٥) عن أبيه الحسين سبط رسول الله (ص) (ت: ٥٦١) عن أبيه علي بن أبي طالب (ع) (ت: ٥٤٠) عن ابن عمه رسول الله (ص).

قال ابن رسته في الاعلاق النفيسة ص ٢٢٩: ((ليس في الارض خمسة يكتب عنهم الحديث توالوا غير جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رض)). والقذة ريش السهم.

٧ كمال الدين للصدوق ط. الحيدري بطهران سنة ١٣٩٠هـ، ص ٥٧٦. ورواه عنه المجلسي في البحار ط. الكمباني ٨ / ٣، وأشار إليه كل من الطبري في مجمع البيان، وكازر في جلاء الاذهان بتفسير آية (لتركنن طبقا عن طبق). وسلسلة رواة هذا الحديث من أئمة أهل بيت النبي (ص):

جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جدّه الحسين سبط النبي عن جدّه رسول الله (ص).

٨ فتح الباري ١٧ / ٦٤.

يروى هذا الحديث الشافعي عن عبد الله بن عمرو، والشافعي هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع المطلبي واختلفوا في أمّه أهاشمية هي أم أزدية وعلى هذا فقول بعضهم له ((ما رأيت هاشميا قط قدّم أبا بكر وعمر على علي (رض)) كما في طبقات الشافعية يكون تغليبا للهاشمي على المطلبي الذي هو من أولاد أخي هاشم.

مات بمصر سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة. تقريب التهذيب (٢ / ١٤٣).

وعبد الله بن عمرو بن العاص قرشي سهمي كان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة أسلم قبل أبيه، قرأ القرآن والكتب المتقدمة وروى عن رسول الله (ص) سبعمئة حديث. شهد صفين مع أبيه ثم ندم وكان يقول: وددت أنّي متّ قبله بعشرين سنة. اختلفوا في وفاته وهل توفي سنة ٦٣ أو ٦٥ بمصر أو ٦٧ بمكة أو ٥٥ بالطائف أو ٦٨ وكذلك اختلفوا في مدة عمره.

أسد الغابة (٣ / ٢٣٣ - ٢٣٥) وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٧٦.

٩ مسند الطيالسي، الحديث ٢١٧٨؛ ومسند أحمد ٣ / ٩٤ و ٣ / ٨٤؛ وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب العلم ١٦ / ٢١٩ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (قول النبي (ص): لتتبعن سنن من كان قبلكم) ١٧ / ٦٤، ٦٣؛ وصحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) ٢ / ١٧١؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣.

ولفظته في رواية أخرى للبخاري ((لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)) وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الانصاري من بني خدره عرضه أبوه على رسول الله (ص) يوم الخندق وهو ابن ثلاث عشرة وأخذ بيده وهو يقول: يا رسول الله (ص) إنّه عبل العظام فردّه رسول الله (ص) وشهد غزوة بني المصطلق وهو من الرواة المكثرين، روى عن رسول الله (ص) (١١٧٠ حديثا) وأخرجها جميع أصحاب الحديث وتوفي سنة ٥٧٤هـ. أسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

١٠ صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي (ص) ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) ٤ / ١٧٦؛ وفتح الباري ١٧ / ٦٣؛ وسنن ابن ماجه، الحديث ٣٩٩٤؛ ومسند أحمد ٢ / ٣٢٧ وفيها ((فمه)) تصحيف ٢ / ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣.

١١ سنن الترمذي ٩ / ٢٧ ، ٢٨؛ ومسند الطيالسي، الحديث ١٣٤٦؛ ومسند أحمد ٥ / ٢١٨؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣، باب الاقوال من كتاب الفتن.

وأبو واقد الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة اختلفوا في اسمه وفي زمن اسلامه وهل حضر بدر أم حضر الفتح أو لم يشهدهما وأسلم بعدهما، روى عن رسول الله (ص) (٢٤ حديثا) وأخرج حديثه البخاري في الادب المفرد، جاور مكة وتوفي بها سنة ثمان وستين وله خمس وسبعون أو خمس وثمانون سنة.

أسد الغابة (٥ / ٢١٩) وجوامع السيرة ص (٢٨٢).

١٢ سنن الترمذي ١٠ / ١٠٩، أبواب الايمان؛ والدر المنثور للسيوطي ٤ / ٦٢ في تفسير الآية: (ولا تكونوا كالذين تفرّقوا) من سورة آل عمران، عن المستدرک للحاكم.

١٣ مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١ رواه عن البزار والحاكم؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣ عن مستدرک الحاكم.

وعبد الله بن عباس روى عن رسول الله (ص) (١٦٦٠ حديثا) أخرج حديثه جميع أصحاب الحديث. جوامع السيرة (ص ٢٧٦) وبقيّة ترجمته في عبد الله بن سبأ (١ / ١١٤).

١٤ مسند أحمد ٥ / ٣٤٠؛ ومجمع الزوائد ٧ / ٢٦١.

وسهل بن سعد بن مالك الانصاري الساعدي كان له يوم توفي رسول الله (ص) خمس عشرة سنة، أدرك الحجاج وأرسل إليه ثم أمر به فختم عنقه لأنه لم ينصر عثمان، روى عن رسول الله (ص) (١٨٨ حديثاً) أخرج حديثه أصحاب الحديث جميعاً، توفي سنة ثمان وثمانين أو إحدى وتسعين ويقال: أنه آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) بالمدينة.

أسد الغابة (٢ / ٣٦٦) وجوامع السيرة (ص ٢٧٧) والتقريب (١ / ٣٣٦).

١٥ مجمع الزوائد ٧ / ٣٦١ عن الطبراني.

وأبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي من بني سعد بن هذيل وحليف بني زهرة من قريش أسلم قديماً بمكة، قالوا كان أول من أجهز بالقرآن بها وهاجر إلى الحبشة والمدينة وشهد مشاهد رسول الله (ص) كلها، وروى عنه (٨٤٨ حديثاً) وأخرج حديثه أصحاب الحديث جميعاً وعينه الخليفة عمر معلماً لاهل الكوفة وخازناً لبيت مالهم وعلى عهد عثمان شكاه الوليد إلى الخليفة فجلبه إلى المدينة وأمر به فضرِب به الأرض فدق ضلعه، وحرمه عطاءه سنتين فلما مرض مرض الوفاة أراد أن يعطيه عطاءه فلم يقبل وأوصى ألا يصلي عليه عثمان وتوفي سنة ٣٢هـ ودفن بغير علم عثمان. أسد الغابة ٣ / ٢٥٦ - ٢٥٨؛ وجوامع السيرة ص ٢٧٦؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٥٠؛ وكتابتنا أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ١ / ٦٢ - ٦٥.

١٦ مجمع الزوائد ٧ / ٣٦١؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣ عن الطبراني في الاوسط.

المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري وأمه دعد أخت كرز بن جابر بن حسل كان غلاماً حين قبض النبي (ص) وروى عنه سبعة أحاديث، أخرج حديثه أصحاب الحديث والبخاري معلقاً، سكن الكوفة ومصر وتوفي سنة ٤٥هـ.

أسد الغابة ٤ / ٣٥٤؛ وجوامع السيرة ص ٢٨٧؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٢٤٢.

وستأتي ترجمته مفصلة في فصل (خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الخليفة عثمان).

١٧ مسند أحمد ٤ / ١٢٥؛ ومجمع الزوائد ٧ / ٣٦١ عن الطبراني، وقاموس الكتاب المقدس تأليف المستر ماكس الأمريكي، المطبعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٧م.

وشداد بن أوس، ابن أخي حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي روى عن رسول الله (ص) خمسين حديثاً وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح سكن بيت المقدس توفي بالشام سنة ٤١ أو ٥٨ أو ٦٤. أسد الغابة ٢ / ٢٨٧ - ٢٨٨؛ وجوامع السيرة ص ٢٧٩؛ وتقريب التهذيب ١ / ٢٤٧ الترجمة رقم ٣٦.

١٨ راجع تفسير سورة الحمد من تفسير القرطبي ١ / ١٤٨ - ١٥١.

ثانياً - ما جاء في الاحاديث المروية عن الرسول (ص)

جاء في الاحاديث المروية عن رسول الله (ص) متابعة هذه الأمة للأمم السابقة في كل ما فعلوا حذو الغدة بالقدة، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع في ما رواه كلٌّ من:

أ - الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة عن جعفر بن محمد الصادق (ع)، عن آبائه (ع) ، قال: قال رسول الله (ص):

((كل ما كان في الأمم السالفة فانه يكون في هذه الأمة مثله، حذو النعل بالنعل والقدة بالقدة)) (٦).

وروى الصدوق - أيضاً - في كمال الدين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله (ص):

((والذي بعثني بالحق نبياً وبشيراً لتركبني أمّتي سنن من كان قبلها حذو النعل بالنعل حتّى لو أنّ حيّة من بني إسرائيل دخلت في جحر لدخلت في هذه الأمة حيّة مثلها)) (٧).

ب - قال ابن حجر في فتح الباري:

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح:

((لتركبني سنة من كان قبلكم حلوها ومرها)) (٨).

ج - أحمد في مسنده ومسلم والبخاري في صحيحيهما واللفظ للاخير، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي (ص) قال:
(لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم).

قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟

قال: فمن؟((.

وفي رواية أخرى بمسند أحمد:

((لتتبعن سنن بني إسرائيل حتى لو دخل رجل من بني إسرائيل جحر ضب لتبعتموه))[\(٩\)](#).

د - البخاري في صحيحه وابن ماجه في سننه وأحمد في مسنده والمتقي في كنز العمال واللفظ للاول، عن أبي هريرة، عن النبي (ص) قال:

((لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرا بشبر، وذراعا بذراع)).

فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟

فقال: ((ومن الناس إلا أولئك)).

ولفظ أحمد في مسنده:

((والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وباعا فباعا حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)).

قالوا: ومن هم يا رسول الله! أهل الكتاب؟

قال: فمن؟[\(١٠\)](#).

هـ الترمذي في صحيحه، والطيالسي وأحمد في مسنديهما والمتقي في كنز العمال واللفظ للاول:

في حديث أبي واقد الليثي، عن النبي (ص) قال:

((والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم)).

ولفظ أحمد في مسنده:

((لتركبن سنن من قبلكم سنن سنن))[\(١١\)](#).

و - الترمذي في صحيحه والحاكم في مستدرکه حسب ما رواه السيوطي في تفسيره واللفظ للاول، عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله (ص):

((ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل؛ حذو النعل بالنعل حتى إن كان في بني إسرائيل من أتى أمه علانية لكان في أمتي من

فعل ذلك))[\(١٢\)](#).

ز - البزار في مسنده - كما في مجمع الزوائد - والحاكم في مستدرکه كما في كنز العمال، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص):

((لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، وباعا بباع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم حتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم))[\(١٣\)](#).

ح - أحمد في مسنده ومجمع الزوائد عن سهل بن سعد الانصاري عن النبيّ (ص) قال:

((والذي نفسي بيده لتركب سنن من كان قبلكم مثلا بمثل)).

وزاد الطبراني كما في مجمع الزوائد: ((حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لاتبعتموه)).

قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟

قال: فمن إلا اليهود والنصارى؟ (١٤).

ط - الطبراني كما في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ص):

((أنتم أشبه الأمم بيني إسرائيل لتركب طريقهم حذو القذة بالقذة حتّى لا يكون فيهم شيء إلا فيكم مثله...)) (١٥).

ي - الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد وكنز العمال عن المستورد بن شداد أنّ رسول الله (ص) قال:

((لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الاولين حتّى تأتيه)) (١٦).

ك - أحمد في مسنده والطبراني كما في مجمع الزوائد عن شداد بن أوس عن حديث رسول الله (ص):

((ليجملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة)) وبترجمته في أسد الغابة (خلوا من قبلكم) (١٧).

* * *

وجدنا في ما سبق أنّ الله سبحانه أخبر عن وقوع التحريف في الأمم السابقة وأخبر رسوله عن متابعة هذه الأمة للأمم السابقة في كل ما فعلوه.

وإذا قارنا بين ما وقع من التحريف في هذه الأمة وما وقع منه في الأمم السابقة وجدنا أنّ التحريف قد وقع في الأمم السابقة في الكتب السماوية كما أخبر الله سبحانه بذلك في قوله:

(قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهَدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قِرَاطِيْسَ تَبَدُّوْنَهَا وَتُحْفَوْنَ كَثِيرًا) (الانعام / ٩١)

صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم في ما أخبرنا عن تحريف الأمم السابقة لكتب الله ومتابعة هذه الأمة الأمم السابقة في تحريفها كتاب الله غير أنّ الله تبارك وتعالى حفظ كتابه العظيم القرآن الكريم عن كل ما فعلوه في تحريف القرآن كما حفظ خليله إبراهيم (ع) من الاحتراق بالنار التي ألقاه قومه فيها ومنع لهيب النار من الوصول إليه وحرقه. كذلك حفظ الله القرآن من وصول التحريفات التي جاءت في الروايات من الوصول إلى نسخ القرآن الكريم. وبقيت نسخ القرآن محفوظة بمشيئة الله من تلكم التحريفات أبد الدهر. وسيأتي بيانه في البحوث الآتية بإذنه تعالى.

روايات تحريف القرآن الكريم - معاذ الله - وحفظ الله كتابه من التحريف

حرّف بعض أفراد هذه الأمة القرآن الكريم بالقراءات المختلفة فاتّهم - مثلا - حرّفوا (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)

بتسعة أنواع من التحريف كالآتي:

أ - غير المغضوب عليهم وغير الضالّين.

ب - غير المغضوب عليهم.

ج - غير المغضوب عليهم.

د - غير المغضوب عليهم.

هـ - غير المغضوب عليهم.

و - غير المغضوب عليهم.

ز - غير المغضوب عليهم.

ح - غير المغضوب عليهم.

ط - غير المغضوب عليهم (١٨).

والصحيح غير المغضوب عليهم.

هكذا قام في هذه الأمة من سموا بالقراء بتحريف القرآن الكريم آلاف المرات باسم القراءات المختلفة كما سندرسها إن شاء الله في بحث القراءات، ولكن الله حفظ قرآنه الكريم كما وعد عن أن تناله أيدي المحرفين وأبقى كتابه الكريم سالما عن كل ذلك التحريف بأيدي كل الناس والحمد لله على هذه النعمة العظيمة.

ولم يكن الشيخ النوري الوحيد ممن شوّس فكره من تلك الأحاديث بل سبقه إلى ذلك علماء مدرسة الخلفاء وقالوا بالتحريف ولكنهم بدلوا اسم التحريف وسمّوه باسم النسخ والانساء أو بأسماء أخرى وفق اجتهاداتهم كما سيأتي دراسته في بحث روايات السبعة أحرف، وأخيرا نشير المستشرقون تلك الروايات وتلك القراءات بهدف التشكيك بثبوت النصّ القرآني كما سنذكر بعضها في آخر هذا المجلد إن شاء الله تعالى.

٦ سلسلة رواة هذا الحديث من أئمة أهل بيت النبي (ص) وهم جعفر الصادق (ت: ١٤٨هـ) عن أبيه محمد الباقر (ت: ١١٤هـ) عن أبيه عليّ زين العابدين (ت: ٩٥هـ) عن أبيه الحسين سبط رسول الله (ص) (ت: ٦١هـ) عن أبيه عليّ بن أبي طالب (ع) (ت: ٤٠هـ) عن ابن عمه رسول الله (ص).

قال ابن رسته في الاغلق النفيسة ص ٢٣٩: ((ليس في الارض خمسة يكتب عنهم الحديث توالوا غير جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (رض))). والقدّة ريش السهم.

٧ كمال الدين للصدوق ط. الحيدري بطهران سنة ١٣٩٠هـ، ص ٥٧٦، ورواه عنه المجلسي في البحار ط. الكمباني ٨ / ٣، وأشار إليه كل من الطبري في مجمع البيان، وكازر في جلاء الاذهان بتفسير آية (لتركنن طبقا عن طبق). وسلسلة رواة هذا الحديث من أئمة أهل بيت النبي (ص):

جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن جدّه الحسين سبط النبي عن جدّه رسول الله (ص).

٨ فتح الباري ١٧ / ٦٤.

بروي هذا الحديث الشافعي عن عبد الله بن عمرو، والشافعي هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع المطلبي واختلفوا في أمّه أهاشمية هي أم أزدية وعلى هذا فقول بعضهم له ((ما رأيت هاشميا قط قدّم أبا بكر وعمر على علي (رض))) كما في طبقات الشافعية يكون تغليبا للهاشمي على المطلبي الذي هو من أولاد أخي هاشم.

مات بمصر سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة. تقريب التهذيب (٢ / ١٤٣).

وعبد الله بن عمرو بن العاص قرشي سهمي كان أصغر من أبيه بانثني عشرة سنة أسلم قبل أبيه، قرأ القرآن والكتب المتقدمة وروى عن رسول الله (ص) سبعمئة حديث. شهد صفين مع أبيه ثم ندم وكان يقول: وددت أنّي متّ قبله بعشرين سنة. اختلفوا في وفاته وهل توفي سنة ٦٣ أو ٦٥ بمصر أو بمكة أو ٥٥ بالطائف أو ٦٨ وكذلك اختلفوا في مدّة عمره.

أسد الغابة (٣ / ٢٢٣ - ٢٢٥) وجوامع السيرة لابن حزم ص ٢٧٦.

٩ مسند الطيالسي، الحديث ٢١٧٨؛ ومسند أحمد ٣ / ٩٤ و ٣ / ٨٤؛ وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب العلم ١٦ / ٢١٩؛ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (قول النبي (ص): لتبعن سنن من كان قبلكم) ١٧ / ٦٤، ٦٣؛ وصحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) ٢ / ١٧١؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣.

ولفظته في رواية أخرى للبخاري ((لو سلوكوا حجر ضب لسلكتموه)) وأبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الانصاري من بني خدره عرضه أبوه على رسول الله (ص) يوم الخندق وهو ابن ثلاث عشرة وأخذ بيده وهو يقول: يا رسول الله (ص) إنّه عيل العظام فردّه رسول الله (ص) وشهد غزوة بني المصطلق وهو من الرواة المكثرين، روى عن رسول الله (ص) (١١٧٠ حديثا) وأخرجها جميع أصحاب الحديث وتوفي سنة ٥٧٤هـ. أسد الغابة وجوامع

السيرة ص ٢٧٦.

١٠ صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي (ص) ((لتتبعن سنن من كان قبلكم)) ٤ / ١٧٦؛ وفتح الباري ١٧ / ٦٣؛ وسنن ابن ماجة، الحديث ٣٩٩٤؛ ومسند أحمد ٢ / ٣٢٧ وفيها ((فمه)) تصحيف و٢ / ٣٦٧ و ٤٥٠ و ٥١١ و ٥٢٧؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣.

١١ سنن الترمذي ٩ / ٣٧ ، ٢٨؛ ومسند الطيالسي، الحديث ١٣٤٦؛ ومسند أحمد ٥ / ٢١٨؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣، باب الاقوال من كتاب الفتن.

وأبو واقد الليثي من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة اختلفوا في اسمه وفي زمن اسلامه وهل حضر بدرا أم حضر الفتح أو لم يشهدهما وأسلم بعدهما، روى عن رسول الله (ص) (٢٤ حديثا) وأخرج حديثه البخاري في الادب المفرد، جاور مكة وتوفي بها سنة ثمان وستين وله خمس وسبعون أو خمس وثمانون سنة.

أسد الغابة (٥ / ٣١٩) وجوامع السيرة ص (٢٨٢).

١٢ سنن الترمذي ١٠ / ١٠٩، أبواب الايمان؛ والدر المنثور للسيوطي ٤ / ٦٢ في تفسير الآية: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) من سورة آل عمران، عن المستدرك للحاكم.

١٣ مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١ رواه عن البزار والحاكم؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣ عن مستدرك الحاكم.

وعبد الله بن عباس روى عن رسول الله (١٦٦٠ حديثا) أخرج حديثه جميع أصحاب الحديث. جوامع السيرة (ص ٢٧٦) وبقيّة ترجمته في عبد الله بن سبأ (١ / ١١٤).

١٤ مسند أحمد ٥ / ٣٤٠؛ ومجمع الزوائد ٧ / ٢٦١.

وسهل بن سعد بن مالك الانصاري الساعدي كان له يوم توفي رسول الله (ص) خمس عشرة سنة، أدرك الحجاج وأرسل إليه ثم أمر به فختم عنقه لأنه لم ينصر عثمان، روى عن رسول الله (ص) (١٨٨ حديثا) أخرج حديثه أصحاب الحديث جميعا، توفي سنة ثمان وثمانين أو إحدى وتسعين ويقال: أنه آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) بالمدينة.

أسد الغابة (٢ / ٣٦٦) وجوامع السيرة (ص ٢٧٧) والتقريب (١ / ٣٣٦).

١٥ مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١ عن الطبراني.

وأبو عبد الرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي من بني سعد بن هذيل وجليف بني زهرة من قريش أسلم قديما بمكة، قالوا كان أول من أجهر بالقرآن بها وهاجر إلى الحبشة والمدينة وشهد مشاهد رسول الله (ص) كلها، وروى عنه (٨٤٨ حديثا) وأخرج حديثه أصحاب الحديث جميعا وعينه الخليفة عمر معلما لاهل الكوفة وخازنا لبيت مالهم وعلي عهد عثمان شكاه الوليد إلى الخليفة فجلبه إلى المدينة وأمر به فضرب به الارض فدفن بصلعه، وحرمه عطاءه سنتين فلما مرض مرض الوفاة أراد أن يعطيه عطاءه فلم يقبل وأوصى الأيضي عليه عثمان وتوفي سنة ٥٢٢ ودفن بغير علم عثمان. أسد الغابة ٣ / ٢٥٦ - ٢٥٨؛ وجوامع السيرة ص ٢٧٦؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٥٠؛ وكتابنا أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ١ / ٦٢ - ٦٥.

١٦ مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١؛ وكنز العمال ١١ / ١٢٣ عن الطبراني في الاوسط.

المستورد بن شداد بن عمرو القرشي الفهري وأمه دعد أخت كرز بن جابر بن حسل كان غلاما حين قبض النبي (ص) وروى عنه سبعة أحاديث، أخرج حديثه أصحاب الحديث والبخاري معلقا، سكن الكوفة ومصر وتوفي سنة ٥٤٥هـ.

أسد الغابة ٤ / ٢٥٤؛ وجوامع السيرة ص ٢٨٧؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٢٤٢.

وستأتي ترجمته مفصلة في فصل (خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الخليفة عثمان).

١٧ مسند أحمد ٤ / ١٢٥؛ ومجمع الزوائد ٧ / ٢٦١ عن الطبراني، وقاموس الكتاب المقدس تأليف المستر ماكس الامريكي، المطبعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٠٧م.

وشداد بن أوس، ابن أخي حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي روى عن رسول الله (ص) خمسين حديثا وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح سكن بيت المقدس توفي بالشام سنة ٤١ أو ٥٨ أو ٦٤. أسد الغابة ٢ / ٢٨٧ - ٢٨٨؛ وجوامع السيرة ص ٢٧٩؛ وتقريب التهذيب ١ / ٣٤٧ الترجمة رقم ٣٦.

١٨ راجع تفسير سورة الحمد من تفسير القرطبي ١ / ١٤٨ - ١٥١.

لبحث الثاني

روايات البسملة و تناقضها و منشؤه

لبسملة لدى المدرستين ١٩

اختلف المسلمون في شأن البسملة.

فذهب طائفة: إلى أنه يجب قراءة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، في أول الحمد وأول كلّ سورة.

وذهبت طائفة أخرى: إلى أنه لا يجب.

والأول أصح!!

لأنّ يقين البراءة يحصل به، فإنّ مَنْ قرأها صحّت صلواته إجماعاً؛ ومَنْ تركها في أحد الموضعين، صحّت صلواته عند بعضهم، وبطلت عند الباقيين؛ فتعيّن قراءتها في الموضعين، ليحصل الخروج عن هذه التكاليف، بالاجماع.

* * *

هذا ما نذهب إليه في هذا الشأن وفي ما يأتي نورد باذنه تعالى الروايات المختلفة في شأن البسملة لندرسها بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

أولاً: ما يدلّ على أنّ البسملة آية من سور القرآن

أ - عن عبد الله بن عباس قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، آية (٢٠).

ب - عن طلحة بن عبيدالله قال : قال رسول الله (ص): ((من ترك (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقد ترك آية من كتاب الله)) (٢١).

ج - عن الصحابي أنس، قال: بينا رسول الله (ص) ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءً ثم رفع رأسه متيسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ أنفا سورة، فقرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ.. (٢٢).

د - عن ابن عمر، قال: نزلت (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في كلّ سورة (٢٣).

هـ - عن ابن عمّ النبيّ (ص)؛ ابن عباس: أنّ النبي (ص) كان إذا جاءه جبريل فقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، علم أنّها سورة (٢٤).

و - عن ابن عباس قال: كان النبيّ (ص) لا يعرف فصل السورة، وفي لفظ، خاتمة السورة حتّى ينزل عليه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). زاد البزار والطبراني: فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدأت سورة أخرى (٢٥).

ز - عن ابن عباس قال: كان المسلمون لا يعرفون انقضاء السورة حتّى تنزل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فإذا نزلت عرفوا أنّ السورة قد انقضت (٢٦).

ح - في رواية ابن مسعود: كُنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتّى تنزل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

ط - قال سعيد بن جبیر: في عهد النبيّ (ص) كانوا لا يعرفون انقضاء السورة حتّى تنزل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فإذا نزلت علموا أنّ قد انقضت السورة ونزلت أخرى (٢٧).

ي - عن ابن عباس قال: سألت عليّ بن أبي طالب (رض) ، لِمَ لَمْ تُكْتَبْ فِي بَرَاءة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؟ قال: لَأَنَّ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أَمَانٌ، وَبَرَاءة نَزَلَتْ بِالسِّيفِ (٢٨)

١٩ كتب المحدث النوري صفحة واحدة عن البسمة في كتابه (فصل الخطاب) ص ١٢٢ في كون (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) آية من القرآن وجزءاً من كل سورة ولم يأت في ما ذكر بشيء نافع.

٢٠ الدرّ المنثور ٧ / ١، عن ابن الضريس.

٢١ الدرّ المنثور ٧ / ١، عن الثعلبي.

والثعلبي، العلامة أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت: ٥٤٣٧هـ). من تأليفه: الكشف والبيان في تفسير القرآن.

تذكرة الحفاظ ص ٩٠، وهديّة العارفين ٧٥ / ١.

وطلحة بن عبيدالله الصحابي أبو محمد التيمي، روى عنه ٣٨ حديثاً. قتل في حرب الجمل سنة ٥٣٦هـ.

جوامع السيرة ص ٢٨١؛ وتذكرة الحفاظ ص ١٠٩؛ تقريب التهذيب ٣٧٩ / ١.

٢٢ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب (حجة من قال: أنّ البسمة آية من كلّ سورة سوى براءة) الحديث ٥٣، واللفظ له؛ وسنن التّسائي، كتاب الافتتاح، باب قراءة البسمة؛ وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من لم ير الجهر بالبسمة ٢٠٨ / ١؛ ومسند أحمد ١٠٢ / ٣؛ وسنن البيهقي ٤٣ / ١.

وأنس بن مالك ترجم له في معالم المدرستين ١ / ١٣٤ ط. الرابعة.

٢٣ الدرّ المنثور ٧ / ١، عن الواحدي.

والواحدي، الامام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، المفسّر النيسابوري، من تأليفه: أسباب النزول في تبليغ الرسول (ص)، والبسيط والوجيز في تفسير القرآن (ت: ٥٤٦٨هـ).

هدية العارفين ٢ / ٦٩٢، ومادّة الوجيز بكشف الطنون.

وابن عمر ترجم له في الجزء الأوّل ص ١٩٥، ط. الرابعة من معالم المدرستين.

٢٤ في مستدرک الحاكم ١ / ٢٢١، هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. ونقله السيوطي - أيضاً - في الدرّ المنثور ٧ / ١، عن الطبراني والبيهقي في شعب الايمان.

٢٥ سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من جهر بها ٢٠٩ / ١؛ وسنن البيهقي ٤٣ / ٢؛ ومستدرک الحاكم ١ / ٢٢٢، وقال هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: أمّا هذا فثابت؛ وراجع مجمع الزوائد للهيتمي ٦ / ٣١٠؛ وفي الدرّ المنثور ٧ / ١؛ عن الطبراني والبيهقي.

٢٦ مستدرک الحاكم ١ / ٢٢١ - ٢٢٢؛ وسنن البيهقي ٤٣ / ٢؛ والدرّ المنثور ٧ / ١.

٢٧ رواية ابن مسعود في الدرّ المنثور ٧ / ١، عن البيهقي في شعب الايمان. والواحدي، وخبر سعيد بن جبیر فيه عن أبي عبيد، ومصنف عبد الرزاق ٩٢ / ٢.

وسعيد بن جبیر الكوفي الوالبي ولاء، الفقيه، المقرئ من التابعين. أخرج حديثه أصحاب الصحاح والسنن. خرج مع عبدالرحمن بن الأشعث على الحجاج فلما غلبهم الحجاج، قتله سنة ٩٥ هجرية.

تذكرة الحفاظ ص ٧٦ - ٧٧؛ وتقريب التهذيب ١ / ٢٩٢.

٢٨ الدرّ المنثور بتفسير سورة التوبة: أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس.

ثانيا - أنَّ البسملة آية من سورة الحمد وقرأها النبي في الصلاة وأمر بها

عن أم سلمة قالت: إنَّ النبي (ص) كان يقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)(٢٩).

وفي رواية، سئلت أم سلمة عن قراءة رسول الله (ص)، فقالت: كان يُقَطِّعُ قراءته آية آية: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ...)(٣٠).

ب - عن ابن عباس قال: (كان النبي (ص) يفتتح صلاته بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٣١)).

ج - عن جابر، قال: قال لي رسول الله (ص): كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة؟ قلت: أقرأ الحمد لله رب العالمين، قال: قل (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٣٢).

د - عن نافع، أنَّ ابن عمر كان إذا افتتح الصلاة يقرأ بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في أم القرآن وفي السورة التي تليها. ويذكر أنه سمع ذلك من رسول الله (ص)(٣٣).

هـ - عن أبي هريرة أنَّ النبي (ص) كان إذا قرأ وهو يؤمُّ الناس، افتتح بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قال أبو هريرة: هي آية من كتاب الله، أقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب فإنَّها الآية السابعة(٣٤).

و - عن قتادة، قال: سئِلَ أنس بن مالك، كيف كانت قراءة رسول الله (ص)؟ قال: كانت مدًّا ثم قرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يُمدُّ: (بِسْمِ اللَّهِ) وَيُمدُّ (الرَّحْمَنِ) وَيُمدُّ (الرَّحِيمِ)(٣٥).

ز - عن أبي هريرة (رض) قال: قال رسول الله (ص): إذا قرأتُم الحمد فأقرأوا (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، إنَّها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني، و(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إحدى آياتها(٣٦).

وفي رواية: أنَّ النبي (ص) كان يقول: الحمد لله رب العالمين، سبع آيات إحداهن: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)... ويعده كالحديث السابق(٣٧).

ح - عن أبي هريرة قال كنتُ مع النبي (ص) في المسجد إذ دخل رجل يصلي، فافتتح الصلاة وتعوذ، ثم قال: الحمد لله رب العالمين، فسمع النبي (ص) فقال له: يا رجل! قطعت على نفسك الصلاة، أمَّا علمت أنَّ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آية، ومن ترك آية فقد أفسد عليه صلاته(٣٨).

ثالثا - الجهر بالبسملة في الصلاة

أ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص): علّمني جبريل الصلاة فقام فكبر لنا ثم قرأ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في ما يجهر به في كل ركعة(٣٩).

ب - عن عائشة، أنَّ رسول الله (ص) كان يجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٤٠).

ج - عن علي بن أبي طالب، قال: كان النبي (ص) يجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في السورتين جميعا(٤١).

د - عن أبي الطفيل، قال: سمعتُ علي بن أبي طالب وعمارا يقولان إنَّ رسول الله (ص) كان يجهر في المكتوبات بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في فاتحة الكتاب(٤٢).

هـ - عن أبي هريرة قال: كان رسول الله (ص) يجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في الصلاة، فترك الناس ذلك(٤٣).

ز - عن أبي الطفيل قال: سمعتُ رسول الله (ص) يجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٤٤).

ح - عن أنس بن مالك، قال: سمعتُ رسول الله (ص) يجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٤٤).

رابعاً - من قال صَلَّىتْ خلف رسول الله (ص) فأجهر بالبسملة

أ - عن ابن عمر، قال صَلَّىتْ خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر فكانوا يجهرون بـ(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٤٥).

ب - عن محمد بن أبي السري العسقلاني قال: صَلَّىتْ خلف المعتمر بن سليمان ما لا أُحصي صلاة الصبح والمغرب، فكان يجهر بـ(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قبل فاتحة الكتاب وبعدها. وسمعتُ المعتمر يقول: ما ألو أن أفتدي بصلاة أبي، وقال أبي: ما ألو أن أفتدي بصلاة أنس بن مالك، وقال أنس بن مالك، ما ألو أن أفتدي بصلاة رسول الله (ص)(٤٦).

ج - روى الحاكم عن أنس قال: صَلَّىتْ خلف النبي (ص) وخلف أبي بكر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف عليّ فكلّهم كانوا يجهرون بقراءة (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

قال الحاكم: (إنّما ذكرتُ هذا الحديث شاهداً لما تقدمه، ففي هذه الاخبار التي ذكرناها معارضةً لحديث قتادة الذي يرويه أئمتنا عنه، وقد بقي في الباب عن أمير المؤمنين عثمان) وذكر أسماء جمع من الصحابة ترك إيراد حديثهم وقال:

(كلّها مخرجة عندي، إثارة للتخفيف...)(٤٧).

٢٩ مستدرک الحاكم وتلخيصه ٢ / ٢٣٢، ولفظه: (يقرأ: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقطعها حرفاً حرفاً).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأتده الذهبي في تلخيصه والفخر الرازي، أخرجها بسندين في تفسيره ١ / ١٩.

وأمّ سلمة ترجمت في الجزء الأوّل من معالم المدرستين ص ١٣٣، الطبعة الرابعة.

٣٠ مسند أحمد ٦ / ٢٠٢؛ وسنن أبي داود ٤ / ٣٧١، كتاب القراءات والحروف؛ وسنن البيهقي ٢ / ٤٤، وفي ٥٣ منه بإيجاز.

وأضاف السيوطي في الدرّ المنثور ١ / ٧ وقال: أخرج أبو عبيد وابن سعد في الطبقات وابن أبي شيبة وابن خزيمة وابن الأنباري في المصاحف والدارقطني والخطيب وابن عبد البرّ، كلاهما في كتاب المسألة عن أمّ سلمة... وفي آخره: (وعدّ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) آية).

وابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق الشافعي النيسابوري، انتهت إليه الامامة والحفظ في خراسان. قالوا: مصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتاباً.

تذكرة الحفاظ ص ٧٢٠ - ٧٢١؛ وهدية العارفين ٢ / ٢٩.

والدارقطني، الحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر بن أحمد الشافعي. إمام عصره في الحديث، وأوّل من صنف القراءات وعقد لها أبواباً. من تأليفه:

السنن والالزامات على الصحيحين (ت: ٥٣٨٥).

تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٩١؛ وهدية العارفين ١ / ٦٨٣.

٣١ سنن الترمذي ٢ / ٤٤، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. والدرّ المنثور ١ / ٨، عن الدارقطني وأبي داود كتاب الصلاة، باب من جهر بها - البسملة - ج: ٧٨٨، ١ / ٢٠٩.

٣٢ في الدرّ المنثور ١ / ٨، عن الدارقطني والبيهقي في شعب الإيمان.

٣٣ سنن البيهقي ٢ / ٤٧؛ والسيوطي ١ / ٨ عن الطبراني في الاوسط والدارقطني والبيهقي واللفظ للسيوطي لإيجازه. وفي لفظ البيهقي: أنّ رسول الله (ص) كان إذا افتتح الصلاة يبدأ ببسم الله...

٣٤ في سنن البيهقي ٢ / ٤٧؛ وفي الدر المنثور ١ / ٣ نقله عن الدارقطني - أيضا ..

وأبو هريرة الدوسي الصحابي، اختلفوا في اسمه واسم أبيه. روى عنه (٥٣٧٤) حديثا (ت: ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٥٩).

جوامع السيرة ص ٢٧٥؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٤٨٤.

٣٥ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مدّ القرآن ٣ / ١٥٦؛ وسنن البيهقي، باب افتتاح القراءة في الصلاة ب (بسم الله الرحمن الرحيم) والجهر بها إذا أجهر بالفتحة ٢ / ٤٣.

٣٦ الحديثان بسنن البيهقي ٢ / ٤٥؛ وفي الدر المنثور ١ / ٣؛ قال عن الحديث الأوّل: أخرج الدارقطني وصحّحه، وقال عن الحديث الثاني: أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره.

ونقل الأوّل بإيجاز، كلّ من الرازي في تفسيره ١ / ١٩٦؛ والمتقى بكنز العمال ط. الثانية ١ / ٤٩٧؛ والسيوطي في الاتقان ١ / ٨١.

٣٧ الحديثان بسنن البيهقي ٢ / ٤٥؛ وفي الدر المنثور ١ / ٣، قال عن الحديث الأوّل: أخرج الدارقطني وصحّحه، وقال عن الحديث الثاني: أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره.

ونقل الأوّل بإيجاز، كلّ من الرازي في تفسيره ١ / ١٩٦؛ والمتقى بكنز العمال، ط. الثانية ١ / ٤٩٧؛ والسيوطي في الاتقان ١ / ٨١.

٣٨ في الدر المنثور ١ / ٧، قال أخرج الثعلبي.

٣٩ في الدر المنثور ١ / ٧، قال أخرجه الدارقطني، وعلى هذه الرواية يحمل ما رواه الدارقطني عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله (ص) ((أمتي حبريل (ع) عند الكعبة فجهر ب(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))).

والنعمان بن بشير، أبو عبدالله الانصاري الخزرجي، استعمله معاوية وابنه يزيد، ولمّا مات معاوية بن يزيد دعا الناس في الشام إلى بيعة ابن الزبير، فخالفه أهل حمص وقتلوه سنة ٦٤ أو ٦٥هـ. روى عنه ١١٤ حديثا.

جوامع السيرة ص ٢٧٨؛ وأسد الغابة ٥ / ٢٢ - ٢٣؛ وتقريب التهذيب ٢ / ٣٠٣.

٤٠ ، (٤) في الدر المنثور ١ / ٨، قال: أخرج الدارقطني عن عائشة. وفي الثانية عن عليّ.

٤١ في الدر المنثور ١ / ٨، قال: أخرج البزار والدارقطني والبيهقي في شعب الايمان من طريق أبي الطفيل.

وأبو الطفيل، عامر بن وائلة بن عبد الله اللّيثي، وربّما سمّي عمرا، روى عنه أصحاب الصحاح تسعة أحاديث (ت: ٥١١٠).

جوامع السيرة ص ٢٨٦؛ وتقريب التهذيب ١ / ٢٨٩.

٤٢ سنن البيهقي ٢ / ٤٧؛ وفي مستدرک الحاكم ١ / ٢٢٢؛ وفي الدر المنثور ١ / ٨ عنهما وعن الدارقطني، ولفظهم: إلى... فترك الناس ذلك.

٤٣ في الدر المنثور ١ / ٨، قال: أخرج الطبراني والدارقطني والبيهقي في شعب الايمان عن طريق أبي الطفيل.

٤٤ مستدرک الحاكم ١ / ٢٢٣، وقال: رواة الحديث عن آخرهم ثقات، وأيّده الذهبي في تلخيصه، ورواه في الدر المنثور عن الدارقطني أيضا.

٤٥ في الدر المنثور ١ / ٨، عن الدارقطني.

٤٦ مستدرک الحاكم وتلخيصه ١ / ٢٢٤، وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، وأيّده الذهبي.

ومحمّد بن أبي السري، محمّد بن المتوكل بن هاشم العسقلاني الهاشمي ولاء. أخرج حديثه أبو داود (ت: ٥٢٢٨). تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٤.

والمعتمر بن سليمان، الحافظ أبو محمّد التيمي البصري الملقّب بالطفيل ثقة، حدّث عن أبيه. أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ٥٢٨٢).

تذكرة الحفاظ ص ٢٦٦؛ ومادة (عسقلان) من أنساب السمعاني؛ وتقريب التهذيب ٢/٢٦٣.

٤٧ مستدرک الحاكم ١ / ٢٣٤، وكذب الخبر الذهبي في تلخيصه اعتبارا دون أن يذكر للحديث علة من ضعف السند وما شابهه.

وفي الباب عن الحكم بن عمير أو عمرو الثمالي، وكان بدرًا، أنه صلى خلف النبي (ص) صلاة الليل والغداة والجمعة فأجهر بالبسملة. رواه عنه بترجمة الحكم في أسد الغابة ٢ / ٣٧، وقال: (يعد في الشاميين، سكن حمص). ونقله السيوطي عن الدارقطني في الدر المنثور ١ / ٨؛ ونقل الرواية - أيضا - ابن حجر بترجمة موسى بن أبي حبيب في لسان الميزان ٦ / ١١٥.

وأنما تركناه لأنهم تكلموا في رواية موسى بن أبي حبيب. وكذلك تركنا حديث الصحابي بريدة في الدر المنثور ١ / ٧، عن أبي حاتم والطبراني والدارقطني والبيهقي في سننه: (أن النبي (ص) سأله عما يفتتح به من القرآن في الصلاة، فقال: بسم الله... فقال النبي (ص) له: هي هي)، لأن السيوطي ضعف سنده.

خامسا - من قال صليت خلف بعض الخلفاء فأجهر بالبسملة

بالإضافة إلى الروايات السابقة التي رويت عن صلى خلف النبي (ص) والخلفاء وأجهروا بالبسملة، في ما يأتي روايات عن صلى خلف بعض الخلفاء ورأهم يجهرون بالبسملة.

الخليفة عمر بن الخطاب:

روى عبدالرحمن بن أزي وقال: صليت خلف عمر بن الخطاب فجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٤٨).

الامام علي بن أبي طالب:

ب - روى الشعبي وقال: رأيت علي بن أبي طالب وصليت وراءه فسمعت يجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

ج - في تفسير الرازي بسنده أن الامام علي كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ (بِسْمِ اللَّهِ...)، وكان يقول من ترك قراءتها فقد نقص(٤٩).

عبدالله بن الزبير:

روى الازرق بن قيس وقال: صليت خلف ابن الزبير فقرأ فجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

قال البيهقي: وروينا عن أبي هريرة بإسناد صحيح عنه(٥٠).

ويتبع هذا الباب ما جاء في تفسير ابن كثير، قال:

أ - روى النيسائي في سننه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة أنه صلى فجهر بقراءته بالبسملة. وقال بعد أن فرغ إتي لاشبهكم صلاة برسول الله (ص) وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم(٥١).

ب - روى الدارقطني في سننه بسنده عن يحيى بن حمزة قال:

صلى بنا المهدي المغرب فجهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! ما هذا؟ فقال: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن ابن عباس:

أن النبي (ص) جهر بـ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

قال: فقلت: نأثره عنك؟

قال: نعم(٥٢).

سادسا - يفتح القراءة بالبسملة ويستفتح، أي يجهر بقراءتها

أ - روى البيهقي، عن ابن عباس أنّ النبيّ (ص) كان يستفتح القراءة ب(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في الصلاة، يعني كان يجهر بها. قال: وله شواهد عن ابن عباس ذكرناها في الخلافيات(٥٣).

ويؤيد قول البيهقي (يستفتح القراءة... يعني كان يجهر بها)، ما رواه هو والذهبي عن ابن شهاب أنّه قال: من سنّة الصلاة أن يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، ثمّ فاتحة الكتاب، ثمّ يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، ثمّ يقرأ سورة، فكان ابن شهاب يقرأ أحيانا بسورة مع فاتحة الكتاب يفتح كلّ سورة منها ب(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وكان يقول: أوّل من قرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سرّا بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلا حبيبا(٥٤).

فإنّ ابن شهاب لما قال: (يفتح كلّ سورة منها بيسم الله... وأوّل من قرأ بسم الله... سرّا بالمدينة عمرو)، جعل (يفتح كلّ سورة) مقابل (قرأ سرّا).

وبناء على هذا، كلّ ما جأ في الحديث: يفتح أو يستفتح القراءة بالبسملة، يعني يقرأها جهرا مثل الرواية الآتية:

عن بكر بن عبد الله قال: كان ابن الزبير (رضي الله عنهما) يستفتح القراءة في الصلاة ب(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ويقول ما يمنعهم منها إلاّ الكبر(٥٥).

سابعا - أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء في البسملة مضافا إلى قراءتهم إيّاها

أ - قال البيهقي، عن عبد خير قال سئل علي (رض) عن السبع المثاني فقال: الحمد لله، فقيل له إنّما هي ست آيات، فقال: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) آية(٥٦).

ب - وعن عليّ، أنّه كان إذا افتتح السورة في الصلاة يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وكان يقول: من ترك قراءتها فقد نقص، وكان يقول هي تمام السبع المثاني(٥٧).

ج - وجاءت عن ابن عباس روايات متعددة في ذلك في بعضها بيان وتأکید على البعض الآخر، نذكر موجز روايتين منها:

١ - قال: ولقد آتيناك سبعا من المثاني، هي أمّ القرآن، وأنّه قرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الآية السابعة، وقال: أخرجها - الله - لكم وما أخرجها لأحد قبلكم).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، أي: البخاري ومسلم في صحيحهما، وأيدّه على ذلك الذهبي(٥٨).

٢ - قال: إنّ السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، وأنّه قرأها ب (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سبعا، فسئل الراوي هل أخبرك أنّه قال (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من كتاب الله؟ قال: نعم، ثمّ قال: قرأها ابن عباس ب(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في الركعتين معا(٥٩).

د - عن نافع عن عبد الله بن عمر، كان يفتح أمّ الكتاب ب(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٦٠)، وأنّه كان إذا افتتح الصلاة كبر ثمّ قرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ...)، فإذا فرغ قرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قال وكان يقول لِمَ كتبت في المصحف إن لم تقرأ(٦١)؟!

هـ - عن محمّد بن كعب القرظي، قال: فاتحة الكتاب سبع آيات ب(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٦٢).

و - قال البيهقي:

(ورويها) الجهر بها عن فقهاء مكّة، عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير(٦٣).

ز - وفي مصنف عبد الرزاق، باب قراءة البسملة (... عن أبيّ وآخرين من الصحابة والتابعين أنّهم كانوا يقرأونها)(٦٤).

٤٨ سنن البيهقي ٢ / ٤٨.

وعبدالرحمن بن أبزي هو عبدالله بن عبدالرحمن، أبوه عبدالرحمن بن أبزي الكوفي، الخزاعي ولاء كان في عهد عمر رجلاً، صحابي صغير، قال فيه الخليفة عمر: ممن رفعه الله بالقرآن. ولي خراسان للامام علي. رواه عنه ١٢ حديثاً.

جوامع السيرة ص ٢٧٦؛ وأسد الغابة ٢ / ١٧٨؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٧٢.

٤٩ سنن البيهقي ٢ / ٤٩؛ وفي تفسير الرازي ١ / ١٩٦.

والشعبي، هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الكوفي، كان يتحامل على شيعة علي بن أبي طالب. وذكر له ابن عبدالبرّ في (جامع بيان العلم) قصة في هذا الصد. مات بعد المائة. أخرج حديثه أصحاب الصحاح.

تذكرة الحفاظ ١ / ٧٩؛ وتقريب التهذيب ١ / ٣٨٧؛ وهديّة العارفين ١ / ٤٣٥.

٥٠ سنن البيهقي ٢ / ٤٩.

وابن الزبير، أبو خبيب، عبدالله بن الزبير، بويع بالخلافة بمكة سنة إحدى وستين هجرية، وقتله الحجاج سنة ٥٧٣. رواه عنه ٣٣ حديثاً.

جوامع السيرة ص ٢٨١. وتقريب التهذيب ١ / ٤١٥.

والازرق بن قيس الحارثي البصري ثقة من التابعين. أخرج حديثه البخاري واليساني وأبو داود. مات بعد العشرين والمائة. تقريب التهذيب ١ / ٥١.

٥١ تفسير ابن كثير ١ / ١٦.

٥٢ سنن الدارقطني ١ / ٢٠٣ و ٢٠٤.

ويحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي، أبو عبدالرحمن الدمشقي القاضي (ت: ٥١٣٨) على الصحيح وله ثمانون سنة، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح.

تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٦.

٥٣ سنن البيهقي ٢ / ٤٧، وقال في كشف الظنون ص ٧٢١.

وخلافيات البيهقي جمع فيه المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة.

ورواه الشافعي في الأمّ ١ / ١٠٧، إلى قوله: يفتح القراءة.

٥٤ سنن البيهقي ٢ / ٥٠؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ١١٠؛ والدر المنثور ١ / ٨. وقول ابن شهاب من سنّة الصلاة، أي: من سنّة رسول الله (ص) في الصلاة.

وابن شهاب، أبو بكر محمد بن مسلم القرشي الزهري المدني، الامام الحافظ، الفقيه، تابعي. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ٥١٢٥)، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين.

تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٧؛ تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٨ - ١١٢.

وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية، لُقّب بالاشدق لفصاحته وكان والي مكة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد وجعله مروان ولياً للعهد بعد ابنه عبدالملك وقتله عبدالملك سنة ٥٧٠. أخرج حديثه مسلم والترمذي واليساني وابن ماجه وأبو داود في المراسيل.

تقريب التهذيب ٢ / ٧٠؛ وتاريخ الطبري وابن الاثير وابن كثير في ذكر حوادث سنة (٤٢-٥٧٠).

٥٥ سنن البيهقي ٢ / ٤٩.

وبكر بن عبدالله، أبو عبدالله البصري المزني، ثقة، ثبت، جليل، من التابعين، أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ٥١٠٦). تقريب التهذيب ١ / ١٠٦.

٥٦ في سنن البيهقي ٢ / ٤٥؛ والدر المنثور ١ / ٣، قال: أخرج الدارقطني والبيهقي بسند صحيح؛ والاتقان ١ / ٨١؛ وكنز العمال ١ / ١٩١.

وعبد خير، أبو عمارة بن يزيد الهمداني الكوفي، مخضرم، ثقة، من كبار التابعين، وكان من أكابر أصحاب عليّ، سكن الكوفة. قال ابن حجر: من الثانية، لم يصح له صحبة. أخرج حديثه أصحاب الصحاح سوى الشيخين. أسد الغابة ٣ / ٢٧٧؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٧٠.

٥٧ في الدر المنثور ١ / ٧، قال: أخرج الثعلبي عن عليّ الحديث، وكنز العمال ٢ / ١٩١، ٣٧٥.

٥٨ مستدرک الحاكم وتلخيصه ١ / ٥٥٠ - ٥٥١؛ وكنز العمال ٢ / ١٩٢.

٥٩ مستدرک الحاكم وتلخيصه ١ / ٥٥١؛ وسنن البيهقي ٢ / ٤٧ - ٤٨. وباقي روايات ابن عباس، فقد أخرج الحاكم في باب فضائل القرآن من مستدرک الحاكم ١ / ٥٥٠ - ٥٥٢، سبعا منها. وقال السيوطي في الاتقان ١ / ٨٠ - ٨١: أخرج ابن خزيمة والبيهقي بسند صحيح وفي الأم للشافعي ١ / ١٠٧.

٦٠ سنن البيهقي ٢ / ٤٨، ٤٩.

٦١ سنن البيهقي ٢ / ٤٤؛ والدر المنثور ١ / ٧. وفي رواية أنّ العبادلة أبناء عباس وعمر والزبير كانوا يجهرون بها.

ونافع، أبو عبدالله المدني، مولى ابن عمر، ثقة، ثبت، فقيه، من التابعين. أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ٥١١٧ أو بعدها).

تذكرة الحفاظ ص ٩٩؛ تقريب التهذيب ٢ / ٢٩٦.

٦٢ في الدر المنثور ١ / ٨، عن أبي عبيد.

ومحمد بن كعب القرظي المدني قد نزل الكوفة مدة، ثقة، عالم. أخرج حديثه أصحاب الصحاح (ت: ٥١٢٠). تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٣.

٦٣ سنن البيهقي ٢ / ٥٠.

وعطاء بن يسار، أبو محمد المدني، مولى ميمونة، من صغار التابعين، ثقة، فاضل. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ٥٩٤ وقيل بعده).

تقريب التهذيب ١ / ٢٣؛ تذكرة الحفاظ ١ / ٩٠.

وطاوس، أبو عبدالرحمن بن كيسان اليماني، الفارسي، الحميري ولاء، قيل اسمه ذكوان. وطاوس لقب، تابعي، ثقة، فقيه، فاضل. أخرج حديثه أصحاب الصحاح جميعا (ت: ٥١٠٦).

تذكرة الحفاظ ١ / ٩٠؛ تقريب التهذيب ١ / ٣٧٧.

ومجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي، مولاهم، تابعي، ثقة، إمام في التفسير والعلم. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٠١ أو ١٠٢ أو ١٠٣ أو ٥١٠٤).

تقريب التهذيب ١ / ٣٣٩؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ٩٢؛ وهديّة العارفين ٢ / ٤.

٦٤ المصنف، كتاب الصلاة، باب قراءة (يَسْمُ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ)، ١ / ٩٠ - ٩١.

ثامنا - نواتر القول بجزئية البسملة من السورة في مدرسة الخلفاء

أ - قال الرازي: إنّ النقل المتواتر ثابت بأنّ (يَسْمُ اللّهِ...) كلام أنزله الله على محمد (ص) وبأنّه مثبت في المصحف بخط القرآن (٦٥).

وقال: وكلّ ما ليس من القرآن (٦٦) غير مكتوب بخطّ القرآن، ألا ترى أنّهم منعوا من كتابة أسامي السور في المصحف ومنعوا من العلامات على الاعشار والاعشار، والغرض من ذلك كله أن يمنعوا من أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلو لم تكن التسمية من القرآن لما كتبها بخطّ القرآن، ولما أجمعوا على كتبها بخطّ القرآن علمنا أنّها من القرآن (٦٧).

ب - وقال السيوطي في ردّ من أنكر تواتر جزئية البسملة من السورة:

(ويكفي في تواترها إثباتها في مصاحف الصحابة فمن بعدهم بخطّ المصحف مع منوعهم أن يكتب في المصحف ما ليس منه، كاسماء السور وأمين والاعشار، فلو لم تكن قرآنا لما استجازوا إثباتها بخطه من غير تمييز، لأنّ ذلك يحمل على اعتقادها قرآنا، فيكونون مغرّرين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا، وهذا ممّا لا يجوز اعتقاده في الصحابة. فإن قيل لعلّها أثبتت للفصل بين السور، أوجب بأن هذا فيه تغيير ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل ولو كانت له لكتبت بين براءة والانفال) (٦٨).

تاسعا - إجماع مدرسة أهل البيت على وجوب قراءة البسملة في الصلاة

أجمعت مدرسة أهل البيت تبعا لائمتهم في ما يروون عن رسول الله (ص) على أنّ البسملة آية من كلّ سورة. وأنّ قراءتها واجبة في الحمد والسورة في كلّ صلاة، ويجب الجهر بها في الجهرية.

وقد ذكر السيّد البروجردي (ت: ٥١٣٨٠) في كتابه (جامع أحاديث الشيعة) ما روي عن أئمة أهل البيت بشأن البسملة في:

أ - باب أنّ البسملة آية من الحمد ومن كلّ سورة عدا براءة، فيجب قراءتها، ومن تركها يعيد.

ب - باب وجوب الجهر بالبسملة في الصلوات الجهرية وحكمه في الصلاة الاخفائية.

ونقتصر بذكر ثلاث روايات ممّا أوردها في البابين المذكورين في ما يأتي:

١ - نقل عن الاخبار والامالي للصدوق بسنده عن الحسن بن عليّ ٨ قال: قيل لامير المؤمنين - الامام عليّ - : يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أهى من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم، كان رسول الله (ص) يقرأها ويعدّها آية منها، ويقول فاتحة الكتاب هي السبع المثاني (٦٩).

٢ - ونقل في علّة إسقاط البسملة من سورة براءة:

(أنّ البسملة أمان والبراءة كانت إلى المشركين، فأسقط منها الامان) (٧٠).

٣ - وعن صفوان الجمال، قال صلّيت خلف أبي عبد الله (ع) لالامام جعفر - أيّما فكان إذا كانت صلاة لايجهر فيها، جهر ب(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وكان يجهر في السورتين جميعا (٧١).

عاشرا - أفرد عدّة من العلماء كتبها في وجوب قراءة البسملة، مثل:

أ - كتاب البسملة لابن خزيمة (ت: ٥٣١١).

ب - كتاب الجهر بالبسملة للخطيب البغدادي (ت: ٥٤٦٣).

ج - كتاب الجهر بالبسملة لابي سعيد البوشنجي (ت: ٥٥٣٦).

د - كتاب الجهر بالبسملة لجلال الدين المحلي الشافعي (ت: ٥٨٦٤).

هـ - كتاب في بسم الله الرحمن الرحيم لعلّي بن عبدالعزيز الدولاوي من أصحاب الطبري المؤرّخ.

و - وكتب الدارقطني (ت: ٥٣٨٥) جزءا في البسملة وصحّحه (٧٢).

ونقتصر في إيراد روايات البسملة بما قدمنا ذكره.

* * *

بعد إيراد روايات وجوب قراءة البسملة نستعرض في ما يأتي الروايات المناقضة لها:

الحادي عشر - الروايات المناقضة لروايات وجوب قراءة البسملة

مع كلّ تلكم الروايات الصحيحة والموثقة والصريحة بأنّ رسول الله (ص) والخلفاء وجمعا من الصحابة والتابعين أجهروا بقراءة البسملة في الصلاة وقالوا أنّها جزء من الحمد وأمروا بقراءتها إلى زمن فقهاء الحرمين، نجد في كتب صحاح الحديث روايات تناقض الروايات المتواترة السابقة مثل رواية مسلم في صحيحه والبيهقي في سننه وأحمد في مسنده عن قتادة عن أنس بن مالك، قال: صليت مع رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (٧٣).

ومثل ما رواه الثلاثة - أيضا -:

عن أنس أنّه قال: صليت خلف النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله ربّ العالمين لا يذكرون (بِسْمِ

اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) في أول قراءة، ولا في آخرها (٧٤).

وما رواه الترمذي في سننه وأحمد في مسنده عن يزيد بن عبد الله، قال: سمعني أبي وأنا أقول (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فقال أي بني إياك، قال: ولم أر أحدا من أصحاب رسول الله (ص) كان أبغض إليه حدثا في الإسلام منه، فإنّي قد صليت مع رسول الله (ص) ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان فلم أسمع أحدا منهم يقولها فلا تقلها، إذا أنت قرأت فقل: الحمد لله ربّ العالمين (٧٥).

وعبدالله المذكور هو الصحابي عبدالله بن مغفل المزني سكن المدينة ثمّ بعثه عمر عشر عشرة إلى البصرة ليفقهوا الناس (ت: ٥٩ أو ٥٦٠) في البصرة أيام ولاية ابن زياد. ترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والأصابه، وابنه الراوي عنه مجهول الحال عندنا.

٦٥ تفسير الرازي ١ / ١٩٥.

٦٦ في النسخة (من القرآن فاتّه غير مكتوب) خطأ مطبعي، والصواب ما أثبتناه.

٦٧ تفسير الرازي ١ / ١٩٧.

٦٨ الاتقان ١ / ٨.

٦٩ جامع أحاديث الشيعة، ط. قم، سنة ١٣٩٨، ١١٥ / ٥، وفي الباب أحاديث أخرى بمضمونه.

٧٠ المصدر السابق ص ١١٩.

٧١ المصدر السابق، باب وجوب الجهر، الحديث ٢، عن الكافي. وروى الحديث في الباب بأسانيد أخرى ٥ / ١٢٨ - ١٢٩.

٧٢ أ - في الدر المنثور ١ / ٧، وأخرج سعيد بن منصور في سننه، وابن خزيمة في كتاب البسملة، والبيهقي عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس... الحديث.

ب - في ترجمة الخطيب البغدادي من طبقات الشافعية للشيخ جمال الدين عبدالرحيم بن حسن الاشنوي (ت: ٥٧٧٢هـ) سنة ١٣٩٥، ص ١ / ٢٠١، سمي من تصانيفه: الجهر بالبسملة.

ج - في مادّة الجهر من ذيل كشف الظنون ١ / ٢٨٨ (الجهر بالبسملة) لابي سعيد إسماعيل ابن عبدالواحد البوشنجي الهروي الشافعي.

د - في مادّة الجهر من كشف الظنون ١ / ٦٢٣، الجهر بالبسملة لجلال الدين محمّد بن أحمد المحلي الشافعي.

هـ فهرست النديم ص ٢٩٩.

و - قال القرطبي بتفسير البسمة من تفسيره ١ / ٩٥؛ روى جماعة قرآنيها، وقد تولى الدارقطني جمع ذلك في جزء وصححه. وذكره الدارقطني في سننه ١ / ٣١١.

٧٣ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسمة، الحديث رقم ٥٠ و ٥٢؛ وسنن النسائي، باب ترك الجهر بالبسمة من كتاب افتتاح الصلاة ١ / ١٤٤؛ ومسند أحمد ٣ / ١٧٧ و ٢٧٣ و ٢٧٨.

٧٤ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسمة، الحديث ٥٢؛ وسنن النسائي، كتاب افتتاح الصلاة، الباب ٢٠؛ ومسند أحمد ٣ / ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٢٢ و ٢٥٥ و ٢٧٣ و ٢٧٨ و ٢٨٦ و ٢٨٩.

٧٥ راجع سنن الترمذي ٢ / ٤٢؛ ومسند أحمد ٤ / ٨٥؛ والمصنف لعبد الرزاق ٢ / ٨٨.

الثاني عشر - اختلاف الفقهاء بمدرسة الخلفاء في شأن البسمة

من الطبيعي أن يؤدّي تناقض الروايات الانفة في شأن البسمة إلى اختلاف مدرسة الخلفاء في وجوب قراءة البسمة أو عدمه، وفي الجهر بها أو عدمه.

فقد قال الشافعي: إنّها آية من أول سورة الفاتحة ويجب قراءتها معها.

وقال مالك والاوزاعي: أنّه ليس من القرآن ولا يقرأ لا سرّاً ولا جهراً إلاّ في قيام شهر رمضان.

وقال أبو حنيفة: تقرأ ويسرّ بها، ولم يقل: إنّها آية من السورة أم لا. قال يعلى: سألت محمّد بن الحسن عن (يسم الله...) فقال ما بين الدفتين قرآن، قال: قلت فليمرّ سرّه - أي تقرأه سرّاً - قال فلم يجبني (٧٦).

الثالث عشر - أسّ العلل في ما روي مناقضا لروايات وجوب قراءة البسمة

لكلّ الاحاديث التي رويت مناقضة لروايات وجوب قراءة البسمة علل تكشف عدم صحّتها. وقد أفاض القول في دراية أحاديث البسمة كلّ من البيهقي في سننه والحاكم في مستدرکه والرازي في تفسيره كلّ واحد منهم تحدّث بأسلوبه الخاصّ به.

وأشار إليها الذهبي في تلخيص المستدرک. وأقام الشافعي الدليل على ما اختاره في كتابه الأم.

وإذا بحثنا عن منشأ اختلاف الروايات في قراءة البسمة، أدركنا بعد دراسة بعض الملابس التي حصلت في قراءتها، أسّ علل الروايات المناقضة للروايات المتواترة في وجوب قراءتها كالاتي:

الرابع عشر - منشأ تناقض الروايات في البسمة

أ - روى الشافعي في الأم والحاكم في المستدرک بسندين والبيهقي في سننه بثلاثة أسانيد، وتبعهم الرازي والسيوطي في تفسيريهما، عن أنس بن مالك واللفظ للحاكم.

(أنّ أنس بن مالك قال: صلّى معاوية بالمدينة صلاة فجر فيها بالقراءة، فقرأ فيها (يسم الله الرحمن الرحيم) لأمر القرآن ولم يقرأ (يسم الله الرحمن الرحيم) للسورة التي بعدها حتّى قضى تلك القراءة، فلمّا سلّم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والانصار من كلّ مكان، يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلمّا صلّى بعد ذلك قرأ (يسم الله الرحمن الرحيم) للسورة التي بعد أمر القرآن وكبر حين يهوي ساجدا. هذا حديث صحيح على شرط مسلم...).

قال الحاكم - أيضا - وهو علّة لحديث شعبة وغيره من فتادة على علو قدره، يدلّس ويأخذ عن كلّ أحد وإن كان قد ادخل فيالصحيح حديث فتادة، فإنّ في صدّه شواهد، أحدها ما ذكرناه، ومنها...، ثمّ ذكر الاحاديث التي رواها في قراءة البسمة والتي ذكرناها سابقا.

وقد أيّد الذهبي قول الحاكم في فتادة وقال: (فإنّ فتادة يدلّس).

وقال الرازي بعد ذكر الحديث:

وهذا الخبر يدلّ على إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) على أنّه من القرآن ومن الفاتحة وعلى أنّ الأولى الجهر بها(٧٧).

ب - روى البيهقي بثلاثة أسانيد والشافعي بسندين عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه: أنّ معاوية قدم المدينة فصلّى بهم فلم يقرأ ب(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ولم يكبّر إذا خفض وإذا رفع، فناده المهاجرون حين سلم والانصار: أن يا معاوية! سرقت صلاتك، أين (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؟ وأين التكبير إذا خفضت ورفعت؟ فصلّى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذي عابوا عليه(٧٨).

الصلاة التي لم يقرأ فيها معاوية بالبسملة

قال عبد الله بن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد: أنّ معاوية صلّى بالمدينة للناس العتمة، فلم يقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فلمّا انصرف ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والانصار، فقالوا: يا معاوية! أسرقت الصلاة أم نسيت؟ أين (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)... الحديث(٧٩).

دراسة الخبر وما أنتج:

إنّ هذا الخبر يوضّح لنا ما غمض من بعض الروايات التي سبق إيرادها، منها قول ابن الزبير: (ما يمنعهم منها إلاّ الكبر).

وقول ابن شهاب (أول من قرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلاً حياً)(٨٠).

لست أدري ممّ حياؤه في الجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية التي يقرأ فيها الحمد والسورة جهراً؟ لعلّه الحياء من معاوية وعصبة الامويين أن يجهر بها مع ما بدر من معاوية من عدم قراءتها والحياء من المهاجرين والانصار أن يترك قراءتها.

ومنها قول ابن عباس كما نقله السيوطي في الاتقان، قال:

أخرج ابن خزيمة والبيهقي في المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس أعم آية من القرآن: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)(٨١).

وفي لفظ البيهقي في السنن: أنّ الشيطان استرق من أهل القرآن أعظم آية في القرآن(٨٢).

وقال يحيى بن جعدة: (قد اختلس الشيطان من الائمة آية بسم الله...)(٨٣).

وكان الزهري يفتتح بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ويقول آية من كتاب الله تعالى تركها الناس(٨٤).

يقصدون من سرقة الشيطان بالبسملة واختلاسه إيّاها، ترك الناس إيّاها في الصلاة.

* * *

إذا جمعنا الروايات في البسملة وأخبارها، بعضها إلى بعض، نرى فيها مصداق قول ابن عباس كالآتي:

كان المسلمون في الحرمين الشريفين مذ عصر الرسول (ص) حتّى خلافة معاوية يقرأون بالبسملة مع السور، كما يكتبونها كذلك في المصاحف، وكان معاوية لا يقرأها مع السورة في الصلاة وهو خليفة المسلمين بالشام، فلمّا جاء إلى المدينة وأمّ المهاجرين والانصار بمسجد الرسول (ص) تركها في الصلاة على عادته، فناده من سمعه من المهاجرين والانصار من كلّ مكان أسرقت الصلاة أم نسيت؟ فلمّا صلّى بعد ذلك قرأ بالبسملة للسورة وكان ذلك في المدينة، ويظهر من استعراض الاخبار أنّه عاد إلى تركها في صلاته بالشام وتبعه على ذلك الخلفاء من آل أمية من بعده.

ويقول ابن الزبير في وصف فعلهم: (ما يمنعهم إلاّ الكبر)، ويقول ابن عمر محتجاً عليهم (لم كتبت في المصحف إن لم تقرأ)، ويستمر

على قراءتها أهل الحرمين فلما ولي عمرو بن سعيد بن العاص الاموي والي الحرمين، كان أول من قرأها سرا في المدينة، راعى في قراءته كرامة معاوية من جانب وراي المهاجرين والانصار والتابعين من جانب آخر. ثمّ قويت شوكة الامويين بعد قتل منافسهم ابن الزبير بمكة. ورويت بعض الاحاديث تأييدا لمعاوية وضونا لكرامته. واختلف المسلمون بمدرسة الخلفاء بعد ذلك، فمنهم من يقرأها، ومنهم من اتبع سنة معاوية واجتهاده وترك قراءتها سواء من كان منهم في الحرمين الشريفين أم في غيرهما.

٧٦ راجع أقوال العلماء المذكورين في بحوث من تفسير الرازي ١ / ١٩٤؛ وكتاب الأم للشافعي ١ / ١٠٧؛ ومختصر المزني ص ١٤؛ والعدة للصنعاني ٢ / ٤١٠؛ والاتقان في علوم القرآن - طبعة بيروت ١ / ٧٨ ، ٧٩؛ والبيان للسيّد الخوئي ط. ٣، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ و ٥٥٢؛ والمنتقى ١ / ١٥١؛ وسبل السلام في شرح بلوغ المرام للكليني ١ / ١٧٣.

٧٧ الأم للشافعي ١ / ١٠٨؛ ومستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبي ١ / ٣٣٣؛ وسنن البيهقي ٢ / ٤٩ - ٥٠؛ وتفسير الرازي ١ / ١٩٨ ، ١٩٩؛ والدر المنثور ١ / ٨.

٧٨ سنن البيهقي ٢ / ٤٩ - ٥٠؛ والشافعي في الأم ١ / ١٠٨.

وإسماعيل بن عبيد بن رفاعة الانصاري الزرقي المدني، قال ابن حجر في لسان الميزان ٦ / ٥٠٩: ما علمت روى عنه سوى ابن خثيم.

وعبد الله بن عثمان بن خثيم القارئ المكي، وثقه يحيى بن معين والعجلي. لسان الميزان ٦ / ٨٢٤.

ترتيب مسند الامام الشافعي ١ / ٨٠؛ سنن البيهقي ٢ / ٤٢ - ٤٤؛ مستدرک الحاكم ١ / ٣٣١ ، ٣٣٢؛ كنز العمال ٤ / ٣٠؛ تفسير الزمخشري، تفسير سورة الحمد.

٧٩ المصنف لعبدالرزاق ٢ / ٩٣؛ وراجع كنز العمال ج ٤، الحديث ٤٤٩٤.

وعتمة الليل: ظلامه، ظلام أوله بعد زوال نور الشفق، يقصد أنه صلى المغرب وهي جهرية فلم يقرأ بها البسمة.

٨٠ تذكرة الحفاظ ١ / ١١٠ وحذف الذهبي جملة: (وكان رجلا حيا).

٨١ الاتقان ١ / ٨٠، وقال في الدر المنثور ١ / ٧؛ وأخرج سعيد بن منصور في سننه وابن خزيمة في كتاب البسمة والبيهقي عن ابن عباس... الحديث.

وسعيد بن منصور بن شعبة الخراساني، الحافظ، أبو عثمان، من تأليفه: تفسير القرآن، السنن في الحديث (ت: ٥٢٢٧).

تذكرة الحفاظ ١ / ٤١٦؛ وهديّة العارفين ١ / ٣٨٨.

٨٢ سنن البيهقي ٢ / ٥٠؛ وراجع قول مجاهد في مصنف عبدالرزاق ٢ / ٩٢.

٨٣ المصنف لعبدالرزاق ٢ / ١٩.

ويحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، ثقة، من الطبقة الوسطى من التابعين. أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي في الشمائل. تقريب التهذيب ٢ / ٣٤٤.

٨٤ وكان يقول: من سنة الصلاة أن يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم فاتحة الكتاب ثم بسم الله الرحمن الرحيم ثم سورة. تذكرة الحفاظ ١ / ١١٠؛ ومصنف عبدالرزاق ٢ / ٩١.

الخامس عشر - هل يتيسر الرجوع إلى القرآن الكريم دون الحديث

قد تبعت موارد من تلكم الروايات المتناقضة بعض المصلحين ليرفع عقيرته مناديا بالدعوة للرجوع إلى القرآن الكريم وحده دون الرجوع إلى الاحاديث النبوية الشريفة المختلفة حرصا منه على حفظ وحدة

المسلمين، وغيره منه محمودة للحفاظ على مصلحة المسلمين. ولست أدري بماذا ينصح أولئك المصلحون في أمثال روايات البسملة والتي تخص تلاوة القرآن الكريم نفسه كما أنزله الله؟!

ثم إن الاختلاف في شأن البسملة قد وقع بين المسلمين على أي حال فمنهم من يجهر بها في تلاوة سورة الفاتحة في الصلاة الجهرية ومنهم من يتركها فيها وكلتا القراءتين تنشران على العالم بواسطة إذاعات البلاد الإسلامية. إذا فلا جدوى في ترك البحث عن الصحيح من الروايات المتناقضة حرصا على حفظ الوحدة بين المسلمين. ثم إنه لا يمكن الاقتصار على القرآن الكريم وحده وهو مساوق للقول بترك فهم الإسلام لأن الله سبحانه جعل بيان القرآن للناس في أحاديث الرسول (ص) وقال: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (التَّحْلُ / ٤٤)، فلا بد لنا إذا من القيام بتمحيص سنة الرسول للتمسك بالصحيح منها وترك المدسوس فيها.

وفي صدد تمحيص سنة الرسول ومعرفة الصحيح من رواياتها عن الضعيف منها، ركن علماء مدرسة الخلفاء إلى ما ارتاه الشياخ البخاري ومسلم في ذلك وقلدوهما في هذا الأمر وقالوا بصحة جميع الروايات التي جاءت في الصحيحين، وقد مر بنا ما جاء في صحيح مسلم وغيره عن أنس من أنه قال:

صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ (ص) وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَذْكُرُونَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). وجاء فيها - أيضا - عن أنس وغيره أن الرسول (ص) والخلفاء كانوا يجهرون بقراءة البسملة في صلاة الحمد من الصلاة الجهرية. والمجموعتان من الروايتين متناقضتان ولا يمكن أن توصف كلتاها بالصحة، فلا بد إذا من البحث عن ميزان آخر لمعرفة الصحيحة منهما للعمل بموجبها وترك المجموعة الأخرى، ونقترح في مثل هذه الموارد أن ندرس المجتمع الذي روي فيه الحديث، أي طرفي الزمان والمكان للحديث مع تجرّد علمي يحت، فإنه ينير لنا السبيل للقيام بتمحيص سنة الرسول (ص). وإذا عملنا بهذا الاقتراح رأينا أن المجتمع في المدينة في عصر الصحابة يناسب المجموعة الأولى من الأحاديث لأن ضجة المصلين في مسجد الرسول (ص) على خليفة المسلمين معاوية يتناسب مع رؤيتهم الرسول والخلفاء من بعده وهم يجهرون بالبسملة في صلواتهم ولما خالف معاوية من سبقه في ذلك جابهوه مرتين بذلك الاستنكار الشديد، ولا يصدق عكسه أي: أن يكونوا صلّوا خلف رسول الله (ص) والخلفاء من بعده وسمعوهم يقرأون الفاتحة دون البسملة ومع ذلك جابهوا خليفتهم بالاستنكار، فلا بد إذا أن نقول: إن روايات المجموعة الثانية لم تكن قد رويت في عصر الصحابة في المدينة بل رويت بعد واقعة عدم قراءة معاوية بالبسملة في الصلاة في مسجد الرسول (ص) وفضيخ صحابة الرسول (ص) إياه، ولا يناسب المدينة أن تكون مكان اختلاق تلك الروايات في عصر الصحابة الذين أجهروا باستنكارهم على الخليفة عدم قراءتها. إذا فاته ينبغي القول بأن تلك الروايات رويت بادئ بدء خارج المدينة وفي الشام - مثلاً - واستندت روايتها إلى الصحابة وانتقلت روايتها بعد عصر الصحابة إلى المدينة وغيرها من البلاد الإسلامية وكل ذلك كان في عصر بني أمية وأصبحت تقابل الروايات الصحيحة منذ ذلك العصر حتى العصر الحاضر.

وفي هذا المقام يوجه إلينا السؤال الآتي: كيف لم يتعلّم معاوية ما علمه صحابة الرسول في قراءة البسملة؟ والجواب: أن معاوية لم يكن من المهاجرين الأوّلين ولا من السابقين إلى الإيمان من الأنصار بل بقي مشركا إلى بعد فتح مكة ولما أسلم أبوه أبو سفيان بعد فتح مكة أنشد شعرا يعيره على إسلامه وقال:

يا صخر لا تسلمن فتفضحنا

بعد الذين ببدر أصبحوا مرقا

وبعد غزوة حنين أعطاه الرسول (ص) سهم المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين بتألف قلبه على الإسلام، وتدل سيرته مع الرسول (ص) بعد ذلك أنه كان غير آبه بالإسلام ليتعلمه، وبعد الرسول (ص) لم يمكث كثيرا في المدينة فقد أرسله الخليفة الأوّل مع أول جيش بعثه لغزو الشام.

ومن أجل معرفة سيرة معاوية بعد إسلامه في عصر الرسول (ص) وبعده ينبغي قراءة فصل (مع معاوية) من المجلد الأوّل من كتابنا: ((أحاديث أم المؤمنين عائشة)) فإنه يدفع الاستغراب في هذا الشأن.

وفي ختام البحث نذكر من روايات البسملة ما نرى أنها - أيضا - وضعت للدفاع عن الخليفة الأموي كالاتي:

رواية أخرى مفتراة في شأن البسملة:

روى ابن سعد وغيره واللفظ لابن سعد بسنده عن الشعبي أنه قال:

كان رسول الله (ص) يكتب كما تكتب قريش: (باسمك اللهم) حتى نزلت عليه: (ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) فكتب: (بسم الله) حتى نزلت عليه: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) فكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم) حتى نزلت عليه: (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم) (٨٥).

هكذا جاء الخبر في هذه الرواية وإذا رجعنا إلى سيرة الرسول (ص) وجدنا مكاتباته كانت في المدينة وبعد تشكيكه الحكومة الاسلامية في حين ان (ارْكَبُوا فِيهَا...) جاءت في الاية ٤١ من سورة هود (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ... في الاية ١١٠ من الاسراء (وَإِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ...) في الاية ٣٠ من النمل والسور الثلاث مكية.

وبذلك ثبت اختلاق الرواية، وليس لنا بعد ذلك أن نلقي تبعاً الأمر على الشعبي بديل إنّه كان يحتطب في حبال بني أمية ولا على من روى عنه ولكننا نقول: إن هذا الحديث يشبه الاحاديث التي وضعتها الزنادقة موافقة لمصلحة السلطة بقصد تخريب الاسلام لآثارها تحقق الغايتين كالآتي:

أ - الدفاع عن الخليفة الاموي معاوية فأثبت بصورة غير مباشرة أنّ البسملة لم تنزل في أول كل سورة لكي لا يكون عدم قراءة معاوية إيّاه في صلاته منقصة له.

ب - زعزعة الثقة بالنص القرآني عن طريق التشكيك بنزول البسملة أول كل سورة مع أنّها مبدونة أول كل سورة عدا سورة براءة وسوف ندرس غاية الزنادقة من وضع الاحاديث في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

ونرى - أيضا - أنّ ما رواه الصحابي أبو هريرة من نسيان الرسول (ص) ركعتين من الصلاة كان احتساباً للخير ودفاعاً عن الخليفة معاوية في ادّعائه نسيان البسملة (٨٦).

وأخيراً نستطيع أن نعرف سنّة الرسول (ص) الصحيحة يعرض المجموعتين من الاحاديث المتناقضة على كتاب الله الذي بأيدينا والذي ورثه المسلمون خلفاً عن سلف عن كُتبه في عصر الرسول (ص) وبارشاده وتأخذ منها بما وافق النص القرآني المكتوب ونطرح ما خالفه. وإذا فعلنا ذلك وجدنا أنّ البسملة دُوّنت في أول كل سورة من القرآن عدا سورة براءة وأن المسلمين كافة عندما يتلون آية سورة على المصحف يبدأون بقراءة البسملة عدا سورة براءة، ونستدل من ذلك أنّ الروايات التي ذكرت أنّ الرسول (ص) وأصحابه كانوا يبدأون قراءة السور في الصلاة بالبسملة هي الروايات الصحيحة والمبينة لسنّة الرسول (ص) الصحيحة ونطرح الروايات التي خالفتها.

وبناء على ما ذكرنا لابد لنا من دراسة متون الاحاديث - أيضاً - مثلاً: ندرس مع دراسة السند تناسب الخبر المروي مع زمان الخبر، فإذا روي لنا أنّ الرسول (ص) أرسل ابن عمّه عليّاً إلى المدينة وأمره أن لا يدع بها وثناً إلاّ كسره ولا قبراً إلاّ سواه ولا صورة إلاّ لطخها، فذهب وامتثل أمر الرسول (ص)، نعلم أنّ علّة هذا الحديث مع فرض صحّة سنده أنّه لا يصدق مع الزمان الذي كان الرسول (ص) فيه بمكة، ولا الزمان الذي كان فيه في المدينة، كما بحثنا شأنه مفصلاً في الجزء الأول من كتاب معالم المدرستين (٨٧).

وأحياناً نجد ملابسات أخرى تيسر لنا معرفة شأن الحديث كما وجدناه في خبر ترك خليفة المسلمين معاوية البسملة في مسجد الرسول (ص) وما تبعها من ملابسات، وأحياناً نجد أدلة أخرى تشير لنا السبيل لتشخيص سنّة الرسول (ص) الصحيحة.

نتيجة البحث:

تواترت الروايات الصحيحة بأنّ البسملة كانت تنزل في ابتداء كل سورة من القرآن، وأنّ الرسول (ص) والخلفاء كانوا يقرأونها جهراً في السورتين من الصلاة، غير أنّ معاوية كان لا يقرأها في الصلاة، ولمّا اعترض عليه الصحابة في مسجد الرسول (ص) قال: نسيتهما. ويظهر أنّه ترك قراءتها عندما عاد إلى مقر خلافته الشام وتبعه على ذلك عمّاله، مثل والي المدينة. ثمّ رويت روايات نسبت إلى رسول الله (ص) أنّ الرسول (ص) لم يقرأها في الصلوات و أيضاً رويت روايات أخرى للدفاع عن الخليفة مثل رواية أبي هريرة نسيان الرسول (ص) ركعتين من الصلاة وأمّثالها، ونرى أنّ كل تلكم الروايات رويت احتساباً للخير ودفاعاً عن كرامة خليفة المسلمين معاوية.

والانكى من ذلك ما وجدنا في روايات البسملة من أنّ الرسول (ص) كان يقتدي في كتابة باسمك اللهم في كتبه وإنّه تدرج في كتابة البسملة مع نزول البسملة متدرجاً حتى كمل نزولها في سورة النمل، ومدلول هذه الرواية ان البسملة لم تنزل في بدء آية سورة من القرآن.

وأنتج كل ذلك وجود روايات متناقضة في شأن قراءة البسملة، ولم ينحصر الامر في اختلاق الروايات في أمر القرآن بتلك الروايات وإنما رويت روايات أخرى مختلفة في شأن جمع القرآن كما ندرس بعضها في البحث الاتي إن شاء الله تعالى.

٨٥ طبقات ابن سعد ١ / ٢٦٣ - ٢٦٤؛ والتنبيه والأشراف للمسعودي ص ٢٢٥؛ وراجع كنز العمال ٥ / ٢٤٤، و ط. الثانية ٢ / ١٩٠؛ ومصنف عبدالرزاق ٢ / ٩١؛ والسيرة الحلبية ٣ / ٢٤٤؛ والعقد الفريد ٣ / ٤؛ وتفسير روح المعاني ١ / ٣٧.

٨٦ راجع بحث سهو النبي (ص) عن ركعتين من كتاب (أبو هريرة) لآية الله شرف الدين.

٨٧ راجع معالم المدرستين ١ / ٦٧ - ٦٨ من الطبعة الرابعة، بحث الخلاف حول البناء على قبور الانبياء.

البحث الثالث

روايات جمع القرآن و تناقضها

تناقض روايات جمع القرآن واستدلال الشيخ النوري بها

إنَّ أوَّل ما استدلَّ به المحدث النوري في فصل الخطاب على مدَّعاه بعد الدليل الأوَّل روايات جمع القرآن وما فيها من تناقض (١).

ونحن نرجع إلى مصادرها، وننقل موجز الروايات منها ثم ندرسها بحوله تعالى.

أحاديث جمع القرآن

من قال أوَّل من جمع القرآن أبو بكر:

١ - رواه عن الامام علي(٢)، وعبد خير(٣)، ولفظ الحديث للثاني، قال: أوَّل من جمع كتاب الله بين اللوحين أبو بكر.

٢ - وقد أخرج ابن أشته في المصاحف، عن الليث بن سعد وقال:

(أوَّل من جمع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب آية إلاّ بشهادة عدلين.

وإنَّ آخر سورة (براءة) لم توجد إلاّ مع خزيمة بن ثابت، فقال: اكتبوها، فإنَّ رسول الله (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين، فكتب.

وإنَّ عمر أتى بأية الرجم، فلم نكتبها لأنَّه كان وحده(٤).

٣ - في صحيح البخاري:

روى زيد بن ثابت، قال: (أرسل إليَّ أبو بكر، مقتل أهل اليمامة(٥) فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إنَّ عمر أتاني، فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)؟

قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص)، فاتبع القرآن فأجمعه.

فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله (ص)؟

قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتبعت القرآن أجمعه

من العصب، واللخاف، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري، لم أجدها مع غيره: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (التوبة / ١٢٨ ، ١٢٩)، حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر(٦).

وفي لفظ آخر للبخاري وسنن الترمذي: فوجدت آخر سورة براءة التوبة- مع خزيمة بن ثابت... الحديث(٧).

٤ - وفي رواية أخرى:

(لما أسرع القتل في قراءة القرآن يوم اليمامة، قُتل منهم يومئذ أربعمئة رجل، لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطاب، فقال له: إن هذا القرآن هو الجامع لديننا، فإن ذهب القرآن ذهب ديننا.

وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب.

فقال له: انتظر حتى أسأل أبا بكر، فمضيا إلى أبي بكر، فأخبراه بذلك، فقال: لاتعجل حتى أشارك المسلمين، ثم قام خطيبا في الناس، فأخبرهم بذلك.

فقالوا: أصبت، فجمعوا القرآن. فأمر أبو بكر مناديا فنادى في الناس: من كان عنده شيء من القرآن فليجئ به...)(٨).

٥ - وفي رواية أخرى:

لما استحرَّ القتل بالقراء يومئذ قرَّ أبو بكر على القرآن أن يضع، فقال لعمر ابن الخطاب ولزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه(٩).

٦ - وفي رواية:

(إنَّ أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك، فأبى، حتى استعان عليه بعمر، ففعل، فكانت تلك الكتب عند أبي بكر حتى توفي، ثم عند عمر حتى توفي، ثم كانت عند حفصة زوج النبي (ص)، فأرسل إليها عثمان فأبى أن تدفعها، حتى عاهدها ليردنها إليها فبعثت بها إليه، فنسخها عثمان في هذه المصاحف ثم ردَّها إليها فلم تزل عندها...)(١٠).

٧ - وفي رواية:

عن أبي بن كعب أنَّهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر (رض)، فكان رجال يكتبون، ويملي عليهم أبي بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة (ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) فظنوا أنَّ هذا آخر ما أنزل من القرآن، فقال لهم أبي بن كعب: إنَّ رسول الله (ص) أقراني بعدها آيتين: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) إلى (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ).

ثم قال: هذا آخر ما نزل من القرآن، قال: فختتم بما فتح به: (بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) وهو قول الله تبارك وتعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (١١).

من قال: إنَّ الخليفة عمر بن الخطاب جمع القرآن في المصحف

في المصاحف لابن أبي داود وغيره:

١ - (إنَّ عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، فقتل يوم اليمامة.

فقال: إنَّ الله، وأمر بالقرآن، فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف).

٢ - وقال: وروى عبد الله بن فضالة:

(لمَّا أراد عمر أن يكتب الامام، أُفْعِدَ له نفرًا من أصحابه، وقال: إذا اختلفتم في اللُّغة، فاكتبوها بلغة مضر، فإنَّ القرآن نزل على رجل من مضر).

٣ - وقال:

قال عمر بن الخطاب (رض): (لا يملينَّ في مصاحفنا إلاَّ غلمان قريش وثقيف) (١٢).

وفي منتخب كنز العمال، قال:

(لمَّا جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل: من أعرب الناس؟

قيل: سعيد بن العاص.

فقال: من أكتب الناس؟

فقيل: زيد بن ثابت.

قال: فليمل سعيد وليكتب زيد.

فكتبوا مصاحف أربعة، فأنفذ مصحفا منها إلى الكوفة، ومصحفا إلى البصرة، ومصحفا إلى الشام، ومصحفا إلى الحجاز) (١٣).

١ فصل الخطاب ص ٩ - ١٣.

٢ المصاحف لابن أبي داود ١ / ٥ - ٦، باب جمع القرآن بأسناد متعددة؛ وكنز العمال ٣ / ٣٦٢ ط. الهند؛ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٤؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٩.

٣ المصاحف ١ / ٥ - ٦.

وعبد خير بن يزيد الهمداني مرّت ترجمته في ص ٤٩ من هذا الكتاب.

٤ في الاتقان النوع الثامن عشر، ص ١ / ٦٠.

والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث، المصري، ثقة، ثبت، فقيه، مشهور، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٧٥ هـ). تذكرة الحفاظ ص ٣٢٤.

٥ اليمامة: بلاد وسط الجزيرة العربية من مقاطعات نجد وهي اليوم واحة في المملكة العربية السعودية تدعى العارض، ويوم اليمامة كان في السنة الثانية عشرة للهجرة يوم قاتل المسلمون مسيلمة المتنبئ الكذاب وقومه بني حنيفة وغلّبهم.

٦ صحيح البخاري ٣ / ١٥٠، كتاب فضائل القرآن؛ وبشرحه فتح الباري ١٠ / ٢٨٤ - ٣٩٠؛ والمصاحف ١ / ٦ - ٧.

٧ صحيح البخاري ٣ / ٩٤، آخر تفسير براءة؛ وبشرحه فتح الباري ٩ / ٤١٤ و ٤ / ١٦٠-١٦٣، كتاب الاحكام، باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً، وبشرحه فتح الباري ١٦ / ٣٠٧ - ٣٠٨؛ وسنن الترمذي شرح ابن العربي ١١ / ٢٥٨ - ٢٦٨؛ والمصاحف لابن أبي داود ١ / ٨ - ٩؛ وموجز الحديث في مسند أحمد ١ / ١٣.

٨ منتخب الكنز ٢ / ٤٦؛ وكنز العمال ط. الثانية ٢ / ٣٦٤، عن ابن الانباري في المصاحف.

وابن الانباري، الحافظ، العلامة، شيخ الادب، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، صنّف التصانيف الكثيرة (ت: ٣٢٨ هـ).

تذكرة الحفاظ ص ٨٤٣ - ٨٤٥؛ وفي مادّة المصاحف من كشف الظنون، ذكر له: (المصاحف).

٩ المصاحف ١ / ٦؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٨؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٢؛ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٥.

١٠ المصاحف ١ / ٩؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٣؛ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٤؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٩٠.

١١ مسند أحمد ٥ / ١٣٤؛ والمصاحف ١ / ٩، باب جمع القرآن؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٩ - ٣٩٠، باب جمع القرآن.

١٢ الروايات ١ و ٢ و ٣ - في المصاحف لابن أبي داود ١ / ١٠ - ١١، باب جمع عمر بن الخطاب (رض) القرآن في المصحف، والرواية رقم ١ - بفتح الباري ١٠ / ٢٨٦؛ ومنتخب الكنز ١ / ٤٥، والرواية رقم ٢ - في منتخب الكنز ٢ / ٤٦؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٤.

١٣ في منتخب كنز العمال ٢ / ٤٧؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٦ عن ابن الانباري في المصاحف.

من قال: إنّ الخليفة عمر بدأ بجمع القرآن والخليفة عثمان أتمه

في المصاحف ومنتخب الكنز بسندهما قالوا:

(أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن، فقام في الناس، فقال: من كان تلقى من رسول الله (ص) شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والالواح والعسب.

وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتّى يشهد شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه، فقام عثمان، فقال: من كان عنده من كتاب الله شيئاً فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان.

فجاء خزيمة بن ثابت، فقال: إني قد رأيتمكم تركتم آيتين لم تكتبوهما.

قالوا: ما هما؟

قال: تلقيت من رسول الله (ص): (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) إلى آخر السورة، فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فإين ترى أن نجعلهما؟ قال: اختتم بهما آخر ما نزل من القرآن، فختمت بهما براءة(١٤).

من قال: إنّ الخليفة عثمان جمع القرآن في المصحف

١ - روى محمد بن سيرين، قال: (قتل عمر ولم يجمع القرآن).

٢ - وروى أبو قلابة، قال:

(لمّا كان في خلافة عثمان جعل المعلّم يعلم قراءة الرجل - أي المقرئ -، والمعلّم يعلم قراءة الرجل - أي الرجل المقرئ الآخر -، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون، حتّى ارتفع ذلك إلى المعلمين، حتّى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيباً، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الامصار أشدّ اختلافاً، وأشدّ لحناً، فاجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماماً.

قال مالك بن أنس: كنت فيمن أُملي عليهم، فربما اختلفوا في الآية، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص)، ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه.

فلما فرغ من المصحف، كتب إلى أهل الامصار أنني قد صنعت كذا وصنعت كذا، ومحوت ما عندي، فامحوا ما عندكم(١٥).

٣ - وروى ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه:

(أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغاري أهل الشام في فتح أرمينيا وأذربيجان مع أهل العراق.

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردّها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام، فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بسواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق).

قال ابن شهاب: (وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسختنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمه بن ثابت الانصاري: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا صَدَقُوا اللَّهُ عَلَيْهِ... (الأحزاب / ٢٣)، فألحقناها في سورتها في المصحف(١٦).

٤ - وروى مصعب بن سعد، قال:

(قام عثمان فخطب الناس، فقال: أيها الناس! عهدكم بنبئكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون قراءة أبي، وقراءة عبدالله، يقول الرجل والله ما تقيم قراءةك، فاعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به.

وكان الرجل يجيء بالورقة والاديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً، فناشدهم لسمعت رسول الله (ص) وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم.

فلما فرغ من ذلك عثمان، قال: من أكتب الناس؟

قالوا: كاتب رسول الله (ص) زيد بن ثابت.

قال: فأبى الناس أعرب؟

قالوا: سعيد بن العاص.

قال عثمان: فليمل سعيد، وليكتب زيد.

وكتب مصاحف، ففرّقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد (ص) يقول: قد أحسن(١٧).

٥ - وفي تاريخ الاسلام للذهبي:

(وقال أنس: إن حذيفة قدم على عثمان، وكان يغزو مع أهل العراق قبل أرمينية فاجتمع في ذلك الغزو أهل الشام وأهل العراق، فتنازعا في القرآن حتى سمع حذيفة من اختلافهم ما يكره، فركب حتى أتى

عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى في الكتب.

ففرع لذلك عثمان، فأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن: أرسلني إلي بالصحف التي جمع فيها القرآن.

فأرسلت إليه بها، فأمر زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية، فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى كتبت المصاحف، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذي أرسل إليهم به، فذلك زمان حرق فيه المصاحف بالنار(١٨).

٦ - وروى أبو المليح، قال: (قال عثمان بن عفان حين أراد أن يكتب المصحف: تملني هذيل، وتكتب ثقيف)(١٩).

٧ - وروى عطاء:

(أن عثمان بن عفان لما نسخ القرآن في المصاحف، أرسل إلى أبي بن كعب فكان يملني على زيد بن ثابت، وزيد يكتب، ومعه سعيد بن العاص يعربه، فهذا المصحف على قراءة أبي زيد)(٢٠).

٨ - وروى مجاهد:

(أن عثمان أمر أبي بن كعب يملني، ويكتب زيد بن ثابت، ويعربه سعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحرث)(٢١).

٩ - وروى عبدالاعلى بن عبدالله بن عامر القرشي، قال:

(لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه. وقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً من لحن ستيقمة العرب بالسنتها)(٢٢).

١٠ - وروى عكرمة، قال:

(لما أتى عثمان بالمصحف رأى فيه شيئاً من لحن، فقال: لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا)(٢٣).

خلاصة روايات جمع القرآن

أولاً - جاء في صحيح البخاري وغيره:

أ - أن أبا بكر أرسل إلى زيد بن ثابت بعد مقتل أهل اليمامة وقال: استحرّ القتل بقراء القرآن وإتي أخشى أن يستحرّ بهم القتل فيذهب كثير من القرآن فتتبع القرآن فاجمعه، فقال زيد: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)؟ ثم قبل الرأي، وتتبع القرآن، فجمعه، ولم يكن يقبل شيئاً منه إلا بشهادة إثنين ووجد آخر سورة براءة (لقد جاءكم رسول... مع خزيمة، ولم يجدها مع غيره، فكتبها، لأن الرسول (ص) جعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

ب - وفي رواية أخرى: إن زيدا اقترح ذلك على عمر بعد قتل خمسمائة رجل من القراء يوم اليمامة، فذكر ذلك لأبي بكر، فاستشار المسلمين في جمع القرآن فصوبوا الرأي، فأمر أبو بكر فنأدى في الناس من كان عنده شيء من القرآن فليجئ به، فكانوا يكتبونه حتى انتهوا إلى (ثم انصرفوا...) من سورة براءة فظنوا أنها آخر ما نزل من القرآن فقال لهم أبي إن رسول الله (ص) أقرأه بعدها آيتين هما: (لقد جاءكم... رب العرش العظيم) وقال: هذا آخر ما نزل من القرآن.

ثانياً - جاء في المصاحف لابن أبي داود وغيره:

أ - أن الخليفة عمر بدأ بجمع القرآن، وقال: من تلقى من رسول الله (ص) شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكان لا يقبل شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان، وأخبرهم خزيمة أنهم لم يكتبوا (لقد جاءكم...) وشهد معه عثمان.

ورأى خزيمة أن يختم بهما ما نزل من القرآن في آخر براءة.

ب - أنّ الخليفة عمر سأل عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنّ الله وأمر بالقرآن فجمع وكان أول من جمعه في مصحف.

و - أيضا - جاء في المصحف لابن أبي داود وغيره ما موجه:

أنّ المسلمين اختلفوا في قراءة القرآن على عهد عثمان، فخطب فيهم، وقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني في الامصار أشدّ اختلافاً وأشدّ لحناً، فاجتمعوا، واكتبوا للناس إماماً.

ففعّلوا ذلك، وأنهم ربّما اختلفوا في آية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص)، ولعلّه أن يكون غائباً في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه.

وأنّ زيد بن ثابت قال: فقدنا آية من الأحزاب كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتمسناها فوجدنا مع خزيمة وهي: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ...) فالحقناها في سورتها.

ولمّا فرغ من المصحف، أتى به عثمان فنظر فيه، وقال: أرى شيئا من لحن ستقيمه العرب بالسنتها.

* * *

كانت تلكم روايات جمع القرآن وفي ما يأتي نناقشها على وفق ما جاء فيها:

١٤ المصاحف لابن أبي داود ١ / ١٠ - ١١؛ وفتح الباري ١٠ / ٢٣٨ إلى قوله (حتى يشهد شاهدان)؛ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٤٥؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٤.

١٥ ابن أبي داود في المصاحف ص ٢١؛ ومنتخب كنز العمال ٢ / ٤٩؛ وكنز العمال ٢ / ٣٦٩.

١٦ المصاحف ص ١٨ - ١٩؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٩٠ - ٣٩٦ و ٨ / ٢٥٩؛ وصحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن ٣ / ١٥٠.

١٧ المصاحف لابن أبي داود ص ٢٣ - ٢٤؛ وكنز العمال ٢ / ٣٧٠ - ٣٧١؛ وتاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ١٤٥؛ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٢ / ٥٠ - ٥١؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٩٠ - ٣٩٥.

١٨ الذهبي في تاريخ الاسلام ٢ / ١٤٤ - ١٤٥.

١٩ كنز العمال ٢ / ٣٧٢؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥١، عن المصاحف لابن أبي داود؛ والمصاحف لابن الانباري.

٢٠ كنز العمال ٢ / ٣٧٣ - ٣٧٣؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥١ - ٥٢.

٢١ كنز العمال ٢ / ٣٧٣؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥٢.

٢٢ كنز العمال ٢ / ٣٧٢؛ ومنتخب الكنز ٢ / ٥١، عن المصاحف لابن أبي داود؛ والمصاحف لابن الانباري.

٢٣ نفس المصدر السابق.

مناقشة روايات جمع القرآن استنادا إلى ما جاء فيها

إذا اقتصرنا في دراسة روايات جمع القرآن على ما جاء فيها فحسب، وجدناها تتفق على أنّهم بعد مقتل خمسمائة من القرّاء يوم اليمامة اهتموا بأمر جمع القرآن خشية أن يفقدوه بسبب مقتل القرّاء، وأنّ الرسول (ص) لم يكن قد جمع القرآن قبلهم!

وأثمهم كانوا يدونون ما شهد عليه شهيدان الله من القرآن، وأثمهم فقدوا آيتين من القرآن، فوجدوهما عند خزيمة وحده ولم يجدوهما عند غيره.

وفي رواية وجدوهما عند خزيمة وعثمان ولم تكونا عند غيرهما.

وفي رواية أنّ سبب جمعهم القرآن أنّ الخليفة عمر سأل عن آية ف قيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة.

فقال: إنّ الله وإنّا إليه راجعون.

فأمر بالقرآن فجمع.

وأنّ الخليفة عثمان أمر بجمع القرآن أو بتدوينه في المصحف الامام، لأنهم اختلفوا في قراءات القرآن.

وفي رواية أنّهم عندما كانوا يجمعون القرآن ربّما اختلفوا في آية، فيذكرون الرجل وقد تلقاها من رسول الله (ص) ولعله أن يكون غائباً في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها وما بعدها يدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه.

وانّ الخليفة عثمان قال: أرى شيئا من لحن ستقيمه العرب بالسنتها.

* * *

هذه خلاصة روايات جمع القرآن وفي ما يأتي - بإذنه تعالى - نناقشها استنادا إلى ما جاء فيها:

مناقشة الروايات:

نقول هب أنّه قتل خمسمائة من ثلاثة آلاف قارئ في يوم اليمامة، فأين كان الالفان والخمسمائة قارئ الذين سلموا من تلك المعركة عن آية و آيتين لم يجدوهما عند غير خزيمة بن ثابت فكتبوهما لأنّ الرسول (ص) جعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين؟

وكيف كانوا يحتاجون في كتابة الآية إلى من كان بالبوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه وهل كان الرسول(ص) قد بلغها ذلك الرجل وحده ولم يبلغ الآية غيره وكتبها عن الآخرين؟

وعلى هذا فما معنى ما جاء في الروايات: أنّ جمعا من الصحابة كانوا قد جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص)؟

ثمّ ما السبيل إلى الجمع بين محتوى الروايات التي تقول: أوّل من جمع القرآن أبو بكر، ولكّنه لم يظهره. والتي تقول: أوّل من جمعه عمر وأتمّ عمله عثمان. أو التي تقول: أنّ القرآن جمع وأودع عند حفصة وأخذ منها عثمان، وخطّ عليه المصحف الامام.

كل هذه الروايات تصرّح بأنّه لم يكن القرآن قد جمع على عهد الرسول(ص) وأبي بكر وعمر، إذا فما بال الروايات المتواترة والمصرّحة بأنّ سبب قيام الخليفة عثمان بكتابة المصحف الامام اختلاف القراءات في المصاحف المنتشرة بين المسلمين سواء مصاحف الصحابة مثل مصحف ابن مسعود وأبيّ أو سائر المسلمين!!

إذا فقد كانت في المدينة وغيرها من البلدان نسخ كثيرة من القرآن لدى كثير من الصحابة وسائر المسلمين، ولم يكن أصحاب تلك المصاحف قد تركوا كتابتها في عصر الرسول (ص).

* * *

كانت تلکم مناقشتنا الموجزة لما جاء في روايات جمع القرآن، وقد حار العلماء واختلفوا في حلّ متناقضاتها كما سنذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

محاولة العلماء رفع تناقض الروايات بعضها مع بعض

يظهر للباحث بوضوح تناقض الروايات الانفة في من جمع القرآن من الخلفاء أول مرة، هل أمر بذلك الخليفة أبو بكر؟ أو الخليفة عمر؟ أو الخليفة عثمان؟

ومن كان المملي والكاتب في عصر كلّ منهم؟ ومن أيّ السورتين: الاحزاب أم براءة افتقدوا آية أو آيتين؟ وقد انتبه العلماء منذ قرون طويلة إلى ما أشرنا إليه من تناقض روايات جمع القرآن بعضها مع بعض، فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي(٢٤):

(من غريب المعاني أنّ القاضي أبا بكر بن الطيب، سيف السنّة ولسان الأمة، تكلم بجهالات على هذا الحديث، لانتشبه منصبه، فانتصينا لها لنوقفكم على الحقيقة فيها).

هكذا بدأ الكلام ابن العربي ، ونذكر في ما يأتي موردين من كلام ابن الطيب وجواب ابن العربي:

أولها - (قال القاضي ابن الطيب(٢٥): هذا حديث مضطرب. وذكر فيه اختلاف روايات فيه، منها صحيحة ومنها باطلة، فأما الروايات الباطلة فلا نشغل بها).

قال المؤلّف:

قصد ابن الطيب من الروايات الصحيحة: ما جاء منها في صحيح البخاري، ومن الروايات الباطلة: ما جاء في غيره.

وهكذا رمى ابن الطيب جملة ما جاء في غير صحيح البخاري من الحديث بالبطلان، ولم أر مثل هذه الجرأة عند غيره من علماء المسلمين: أن يرمي أحدهم بالبطلان جملة ما لم يذكر في غير صحيح البخاري من حديث.

قال ابن العربي:

أما الصحيحة، فمنها أنّه قال:

(روى أنّ هذا جرى في عهد أبي بكر. وفي رواية أنّه جرى في عهد عثمان، وبين التاريخين كثير من المدة. وكيف يصحّ أن نقول: هذا كان في عهد أبي بكر، ثمّ نقول: كان هذا في عهد عثمان ولو اختلف تاريخ الحديث في يوم من أوّله وآخره لوجب ردّه. فكيف أن

يختلف بين هاتين المديتين الطويلتين؟

قال القاضي أبو بكر بن العربي: يقال للسيف: هذه كهمة(٢٦). من طول الضراب!

هذا أمر لم يخف وجه الحقّ فيه، إنّما جمع زيد القرآن مرتّين: إحداهما لابي بكر في زمانه، والثانية لعثمان في زمانه.

أمّا الأوّل فكان لئلاّ يذهب القرآن بذهاب القرّاء... وأمّا جمعه في زمان عثمان، فكان لاجل الاختلاف الواقع بين الناس في القراءة، فجمع في المصاحف ليرسل إلى الافاق حتّى يرفع الاختلاف...).

قال المؤلّف:

يبقى سؤال يوجّه إلى ابن العربي وهو:

إذا كان القرآن قد جمع على عهد أبي بكر، وافتقدوا يومئذ آخر سورة التوبة ووجدوها عند ابن خزيمة، وانتهى بذلك كتابة المصحف، وكان عند أبي بكر ثمّ عمر، ثمّ أخذ عثمان المصحف من حفصة واستنسخه.

كفكيف إذا فقدوا آية من الاحزاب، ووجدوها عند خزيمة بن ثابت الانصاري؟!

والمورد الثاني ممّا نذكر من كلامهما ما يأتي، قال ابن العربي:

(قال ابن الطيب يشبه أن يكون هذا الخبر موضوعا، لأنّه قال فيه أنّ زيدا وجد الضائع من القرآن عند رحلين، وهذا بعيد، أن يكون الله قد وكل حفظ ما سقط وذهب من الاجلة الامائل من القرآن برجلين: ابن خزيمة وأبي خزيمة).

قال القاضي (٢٧): قد بينا أنّ يجوز أن ينسى الرجل الشيء، ثمّ يذكره له آخر، فيعود علمه إليه، وليس في نسيان الصحابة كلهم إلا رجلا واحدا استحالة عقلا، لأنّ ذلك جائز، ولا شرعا، لأنّ الله ضمن حفظه، ومن حفظه البديع أن تذهب منه آية أو سورة إلا عن واحد فيذكره ذلك الواحد، فيتذكره الجميع، فيكون ذلك من بديع حفظ الله لها، يقال له - أيضا - هذا حديث صحيح متفق عليه من الائمة. فكيف تدّعي عليه الوضع، وقد رواه العدل عن العدل وتدّعي فيه الاضطراب وهو في سلك الصواب منتظم.

وتقول أخرى إنّ من أخبار الاحاد وما الذي تضمّن من الاستحالة أو الجهالة حتّى أنّه خبر واحد).

قال المؤلف:

قصد ابن العربي بقوله: (رواه العدل عن العدل) رواية البخاري الروایتين عن شيوخه.

وإنّ ابن العربي في قوله هذا اجتهد في طلب الخير دفعا عن حديثين في صحيح البخاري وحفظا لكرامة صحيح البخاري مع التضحية بكرامة القرآن.

وإنّ ابن الطيب كان قد اجتهد، وطلب الخير، وضحى بحديثين في صحيح البخاري حفظا لكرامة القرآن كما يظهر من كلامه الطيب الاتي في آخر البحث إن شاء الله تعالى.

ولمناقشة كلام ابن العربي، نضرب مثلا بألفية ابن مالك (٢٨) التي مضى على نظمها أكثر من سبعمائة سنة، ولم يفقد أحد من قراءته في بلد من بلاد العالم إلى اليوم بيتا ولا شطرا منها.

وهؤلاء يقولون: إنّ كلّ أصحاب الرسول (ص) في بلد الرسول (ص) افتقدوا من قرآنه آية أو آيتين بعد سنتين أو عقدين من وفاته. بينا كان القرآن همّهم الوحيد يتلونه ليل نهار وهو كتابهم الوحيد وثقافتهم الوحيدة، لا شأن لغيره في حضارتهم.

* * *

كانت تلكم محاولة العلماء لرفع تناقض روايات جمع القرآن، وكذلك الشأن في روايات اختلاف المصاحف التي ندرسها في ما يأتي بإذنه تعالى.

٢٤ يشرح سنن الترمذي لابن العربي ١١ / ٣٦٣ - ٣٦٥، في المسألة الرابعة، بتفسير قوله تعالى (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ...).

وابن العربي هو أبو بكر محمّد بن عبد الله المعافري، قاضي أشبيلية بالاندلس.

قال الذهبي بترجمته في تذكرة الحفاظ ص ١٢٩٦ - ١٢٩٧ ما موجه: تذاكر فقهاء أشبيلية في حديث، فقال أحدهم: (لا يعرف إلا من جدّ مالك، عن الزهري، فقال ابن العربي: قد رويته من ثلاثة عشر طريقا غير طريق مالك، فقالوا أفدنا هذا، فوعدهم ولم يخرج لهم شيئا) فقبل في ذلك:

فخذوا عن العربي أسمار الدجى

وخذوا الرواية عن إمام متقى

إنّ الفتى حلّو الكلام مهذب

إن لم يجد خيرا صحيحا يخلق

إنّ ابن العربي مع ذلك من أوعية العلم بمدرسة الخلفاء. انظر إلى أسماء مؤلفاته بترجمته في هدية العارفين ٢ / ٩٠. توفي على الأصح سنة ٤٤٢ هـ.

٢٥ في النص (أبو الطيب): تصحيف.

٢٦ كهمة: كهم السيف كهامة: كل.

٢٧ يقصد نفسه، أي: ابن العربي.

٢٨ ألفية ابن مالك نظمها جمال الدين محمد بن عبدالله الطائي الجياني الاندلسي (ت: ٦٧٢ هـ)، مادة ألفية بكشف الظنون؛ وهدية العارفين ٣ / ١٣٠.

لبحث الرابع

روايات اختلاف المصاحف

و الزيادة و النقيصة في القرآن - معاذ ال

وايات الزيادة والنقيصة في القرآن الكريم

أولاً - زيادة سورتين ونقصان سورتين - معاذ الله -

نقل المحدث النوري في شأن نقصان السور، عن الحاكم في المستدرک والسيوطي في الدر المنثور والاتقان عن الصحابي أبي موسى نقصان سورتين، ونحن نذكر الحديث من صحيح مسلم، باب [لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى واديا ثالثا] من كتاب الزكاة حيث روى بسنده:

أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قرءاء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل، فقال لهم في ما قال:

(وإنا كنا نقرأ سورة كنا نُسبها في الطول والشدة ببراءة، فأُنسيتها غير أنني حفظت منها: [لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب].

وكنا نقرأ سورة نُسبها بإحدى المسبجات، فأُنسيتها غير أنني حفظت منها: [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة].

وفي لفظ مسلم في الباب عن أنس وابن عباس الآية المزعومة في السورة المنسية هكذا: [لو كان لابن آدم واديان...].

وفي الاتقان أخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى قال: (كنا نقرأ سورة نُسبها بإحدى المسبجات...)
الحديث (٢٩).

وروي عن أبي بن كعب بعنوان نقص سورة [لم يكن] كما رواه السيوطي وأحمد والحاكم والترمذي وصحاحه، واللفظ للترمذي: عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب، (أن رسول الله (ص) قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه: [لم يكن الذين كفروا] وفيها: [أن ذات الذين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية، من يعمل خيرا فلن يكفره]. وقرأ عليه: [لو أن لابن آدم واديا من مال لابتغى إليه ثانيا، ولو كان له ثانيا لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب].

قال الترمذي: (هذا حديث حسن).

وقال - أيضا - في باب مناقب أبي: (هذا حديث حسن صحيح) (٣٠).

وروى في الدرّ المنثور في رواية أُخرى عن مسند أحمد عن ابن عباس بعد [فلن يكفره]، قال: (ثمّ قرأ آيات بعدها ثمّ قرأ: [لو أنّ لابن آدم...]).

وروى - أيضا - عن مسند أحمد عن ابن عباس أنّه قال أمام الخليفة عمر: (صدق الله ورسوله: [لو كان لابن آدم... إلى من تاب]).

فقال عمر: ما هذا؟

فقلت: هكذا أقرأني أبيّ.

قال: فمّر بنا إليه، فجاؤا إلى أبيّ، قال: ما يقول هذا؟

قال أبيّ: هكذا أقرأنيها رسول الله (ص).

قال: إذا أثبتها في المصحف؟

قال: نعم (٣١).

زيادة سورتين

سورتي الحفد والخلع

نقل النوري (٣٢) عن الاتقان والدرّ المنثور للسيوطي ومجمع الزوائد للهيثمي نقصان سورتي الحفد والخلع، ونحن نخرجها من مصادره التي نقلهما عنها:

في الاتقان عن ابن الضريس بسنده:

عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه (قال: في مصحف ابن عباس قراءة أبيّ وأبي موسى: [بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك].

وفيه: [اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نخشى عذابك ونرجو رحمتك، إنّ عذابك بالكفار ملحق]) (٣٣).

وفي الاتقان عن الطبراني ما ملخصه قال: (إته روي عن عبد الله بن زبير، قال: لقد علّمني عليّ بن أبي طالب سورتين علّمهما إياه رسول الله (ص): [... اللهم إنا نستعينك...]) الحديث.

وروى عن البيهقي وأبي داود عن خالد بن أبي عمران: (أنّ جبريل نزل بذلك على النبيّ وهو في الصلاة...) الحديث.

وقال وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي إسحاق قال: (أمّا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بخراسان فقرأ بهاتين السورتين: [إنا نستعينك] و[نستغفرك] (٣٤)، أي: أنّ أمية كان يقرأ في الصلاة سورتي الحفد والخلع اللتين فيهما: [إنا نستعينك ونستغفرك]).

كما جاء التصريح بهذه التسمية في الاحاديث الاتية:

في تفسير الفاتحة من الدرّ المنثور:

(أخرج عبد بن حميد ومحمّد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، وابن الأباري في المصاحف عن محمّد بن سيرين، أنّ أبيّ بن كعب كان يكتب (فاتحة الكتاب) و(المعوذتين) و[اللهم إياك نعبد] و[اللهم إياك نستعين]. ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن. وكتب عثمان بن عفان الفاتحة والمعوذتين (٣٥). يعني أنّ أبيّ بن كعب كان يكتب في مصحفه الفاتحة والمعوذتين والسورتين المزعومتين: الحفد والخلع وأنّ ابن مسعود لم يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه وأنّ عثمان كتب في المصحف الفاتحة والمعوذتين).

ونقل الزركشي عن المنادي في (الناسخ والمنسوخ) أنّه قال: ولا خلاف بين الماضين والغابرين أنّهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلى أبيّ بن كعب. وأتته ذكر عن النبيّ (ص) أنّه أقرأه إياهما، وسميتا سورتي الخلع والحفد(٣٦).

تسجيل السورتين المزعومتين في عداد السور القرآنية

إنّ كثرة الاحاديث المروية في شأن السورتين المزعومتين أدّت بالسيوطي إلى أن يدونهما في تفسيره الدرّ المثنور بعد سورة الناس ٦ / ٤٢٠ - ٤٢٢ كالآتي تصويره:

روايات حك ابن مسعود سورتي المعوذتين

من القرآن بزعم أنّهما زائدتان

في تفسير سورة الفلق بتفسير السيوطي:

أخرج أحمد والبخاري والطبراني وابن مردويه عن طرق صحيحة عن ابن عباس وابن مسعود: أنّه كان يحكّ المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه، إنّهما ليستا من كتاب الله، إنّما أمر النبيّ أن يتعوذ بهما.

وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما(٣٧).

وقال في الاتقان:

أخرج عبدالله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه:

(... قال كان ابن مسعود يحكّ المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنّهما ليستا من كتاب الله).

وأخرج البخاري والطبراني من وجه آخر عنه، (أنّه كان يحكّ المعوذتين من المصحف ويقول: إنّما أمر النبيّ أن يتعوذ بهما وكان عبدالله لا يقرأ بهما).

وقال ابن حجر في شرح البخاري: (قد صحّ عن ابن مسعود إنكار ذلك، فأخرج أحمد وابن حبان عنه أنّه يحكّ المعوذتين في مصحفه)(٣٨).

وفي الاتقان - أيضا -:

وفي مصحف ابن مسعود مائة واثنان عشرة سورة لأنّه لم يكتب المعوذتين. وفي مصحف أبيّ ستّ عشرة - بعد المائة - لأنه كتب سورتي الحفد والخلع.

أخرج أبو عبيد عن ابن سيرين، قال: كتب أبيّ بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين و[اللهم إنّنا نستعينك] و[اللهم إنّك نعبدك]، وتركهنّ ابن مسعود وكتب عثمان منهنّ فاتحة الكتاب والمعوذتين(٣٩).

وفات المحدث الاخباري النوري أن ينقل عن تفسير ابن كثير أيضا، فإنّه روى ذلك عن الحافظ أبي يعلى وعبدالله بن أحمد(٤٠).

وفاته أن ينقل ما جاء في فهرست النديم (باب ترتيب نزول القرآن في مصحف عبدالله بن مسعود).

قال الفضل بن شاذان: (ت: ٢٦٠ هـ) وجدت في مصحف عبدالله بن مسعود تأليف سور القرآن على هذا الترتيب: البقرة.

النساء... فذلك مائة سورة وعشر سور.

وفي رواية أخرى: وكان عبدالله بن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه ولا فاتحة الكتاب.

قال محمد بن إسحاق: رأيت عدّة مصاحف ذكر نسّاخها أنّها مصحف ابن مسعود، ليس فيها مصحفان متفقان وأكثرها في رق كثير النسخ، وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب (٤١).

٢٩ صحيح مسلم، كتاب الزّكاة، الحديث ١١٩، ص ٧٢٦؛ وفصل الخطاب ص ١٧١ و١٧٢؛ والاتقان ٢ / ٢٥ في النوع السابع والأربعين في ناسخه ومنسوخه، الضرب الثالث، ما نسخ تلاوته دون حكمه؛ والدرّ المنثور ١ / ١٠٥ بتفسير سورة البقرة، الآية ١٠٦.

والحديث الثاني، في نفس الصفحة من الاتقان؛ وفي تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٦ / ٣٧٨ بتفسير سورة البيّنة؛ والحديث موزع في مستدرك الحاكم، وملخص أوله بترجمة أبي ٢ / ٢٢٤، وآخره بتفسير سورة البيّنة ٢ / ٥٢١، وصحّحه الحاكم والذهبي في تلخيصه.

والمسبجات من السور هي ما افتتح بـ (سُبْحَانَ) و(سَبِّحْ) و(بُسْبِجْ).

وأبو موسى الأشعري الصحابي روى عنه ٣٦٠ حديثاً (ت: ٤٢ أو ٤٤ أو ٤٩ أو ٥٠ أو ٥٢ أو ٥٣ هـ).

أسد الغابة ٣ / ٤٥؛ وجوامع السيرة ص ٢٧٦؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٤١.

وابن أبي حاتم، حافظ الري وابن حافظها، كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال. صّف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين والتفسير. (ت: ٢٣٢٧ هـ).

ترجم له في الجزء الأوّل ص ١٢٧. الطبعة الرابعة من كتاب معالم المدرستين؛ وتذكرة الحفاظ ص ٨٢٩؛ وهديّة العارفين ١ / ٥١٢.

وأنس بن مالك، ترجم له في الجزء الأوّل، ص ١٢٤، الطبعة الرابعة من معالم المدرستين.

وابن عباس: عبدالله بن عباس، ابن عمّ الرسول (ص)، الامام البحر، شهد صفين مع عليّ وكان أحد الأمراء. بقيّة ترجمته في الجزء الأوّل، ص ١٢٣، الطبعة الرابعة من معالم المدرستين.

تقريب التهذيب ١ / ٤٢٥؛ وتذكرة الحفاظ ١ / ٤٠ - ٤١.

٣٠ فصل الخطاب ص ١٧؛ والدرّ المنثور للسيوطي ٦ / ٣٧٨؛ وسنن الترمذي ١٣ / ٢٠٣ - ٢٠٤، باب مناقب: معاذ وزيد وأبيّ وص ٣٦٣، باب مناقب أبيّ؛ وحديث أبيّ بمسند أحمد ٥ / ١٢١ و١٢٢، وحديث ابن عباس عن أبيّ ص ١١٧ منه. ونقلناه عن الدرّ المنثور، ورواه أيضاً في الاتقان ٢ / ٢٥.

والحاكم في المستدرك والذهبي في تلخيصه بتفسير سورة (لَمْ يَكُنْ)، ٢ / ٥٢١ وصحّاه؛ وراجع مجمع الزوائد ٧ / ١٤٠.

وزر بن حبيش بن جباشة الاسدي الكوفي، مخضرم، أدرك الجاهلية ولم ير النبيّ (ص)، ثقة، جليل (ت: ٨١ أو ٨٢ هـ). أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح.

وعده ابن حزم من أصحاب القراءات المشهورة في الامصار وممّن روي عنه من أهل الكوفة بعد الصحابة.

جوامع السيرة ص ٢٠٧ و٣٢٩. أسد الغابة ٢ / ٢٠٠؛ وتذكرة الحفاظ ص ٥٧؛ وتقريب التهذيب ١ / ٢٥٩.

وأبيّ بن كعب، أبو المنذر الخزرجي، روى عنه ١٦٤ حديثاً. اختلفوا في وفاته سنة: ١٩ أو ٢٠ أو ٢٢ أو ٣٠ أو ٣٢ هـ.

جوامع السيرة ص ٢٧٧؛ وأسد الغابة ١ / ٤٩ - ٥١؛ تذكرة الحفاظ ص ١٦؛ تقريب التهذيب ١ / ٤٨.

٣١ الدرّ المنثور ٦ / ٣٧٨؛ وراجع مسند أحمد ٥ / ١١٧؛ ومجمع الزوائد ٧ / ١٤١.

٣٢ فصل الخطاب ص ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٧٢.

٣٣ الاتقان، النوع التاسع عشر في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه ١ / ٦٧.

وابن الضريس، الحافظ أبو عبدالله محمد بن أيوب البجلي، محدث الري. من تصانيفه: تفسير القرآن، فضائل القرآن (ت: ٢٩٤هـ).

هدية العارفين ١ / ٢١.

وعبدالله بن عبدالرحمن، مرت ترجمته في البحث الثاني من هذا الكتاب، الهامش رقم ١ ص ٤٦.

وابنه عبدالله من التابعين. أخرج حديثه أبو داود والنسائي والبخاري معلقا.

تهذيب التهذيب ٥ / ٢٩٠؛ وتقريب التهذيب ١ / ٤٢٧.

٣٤ الاتقان ١ / ٦٧، النوع التاسع عشر، باب (عدد سورة وآياته...).

والطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد اللخمي الشامي، من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام. له المعاجم الثلاثة: الكبير والصغير والأوسط في الحديث وكتاب التفسير وغيرها (ت: ٣٦٠هـ).

ترجمته في وفيات الاعيان ٢ / ١٤١، الترجمة: ٣٦٠؛ تذكرة الحفاظ ص ٩١٢؛ تهذيب ابن عساكر ٦ / ٢٤٠؛ هدية العارفين ١ / ٣٩٦.

عبدالله بن زبير الغافقي المصري، من كبار التابعين، أخرج حديثه أبو داود والنسائي وابن ماجه (ت: ٨٠هـ) أو ما بعدها. تقريب التهذيب ١ / ٤١٥.

خالد بن أبي عمران التجيبي، فقيه، صدوق، أخرج حديثه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (ت: ١٢٥ أو ١٢٩هـ).

تقريب التهذيب ١ / ٢١٧.

والتجيبي نسبة إلى محلة بمصر وإلى أمّ عدي وإلى سعد بن أشرس السكوني، لباب الانساب، مادة تجيب.

وأمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص أمية بن عبد شمس ولأه الخليفة عبدالملك خراسان. أخرج حديثه النسائي وابن ماجه (ت: ١٨٢هـ).

راجع جمهرة النسب لابن الكلبي، تحقيق وخط فردوس العظم، الطبعة الثانية ١ / ٣٨. وتقريب التهذيب ١ / ٨٣.

وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق، عيسى، مولى بني بنانة من بني سعد بن لؤي، نزيل مرو. أخرج حديثه الترمذي وأبو داود (ت: ٢١٥هـ).

تهذيب التهذيب ١ / ١٠٣؛ وتقريب التهذيب ١ / ٣١.

٣٥ الدرّ المثنور ١ / ٣؛ ونقله في الاتقان ١ / ٦٧ عن أبي عبيد.

وعبد بن حميد بن نصر الكيسي، وقيل اسمه عبد الحميد، صاحب المسند والتفسير. أحد أئمة الحديث (ت: ٢٤٩هـ). نسب إلى مدينة كس بأرض السند.

معجم البلدان، مادة: (كس)؛ تذكرة الحفاظ ص ٥٣٤؛ وفي هدية العارفين ١ / ٤٣٧ (الكشي).

ومحمد بن نصر، أبو عبدالله المروزي، الفقيه الشافعي، له تصانيف كثيرة، منها: تعظيم الصلاة. هدية العارفين ٢ / ٢١.

وابن الانباري، الحافظ العلامة محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، شيخ الادب. صنف التصانيف الكثيرة في القراءات والغريب والمشكل والتفسير، منها المصاحف (ت: ٣٢٨هـ). تذكرة الحفاظ ص ٨٤٢ - ٨٤٤. والعبر ٢ / ٢١٤. ومادة المصاحف في كشف الظنون.

وابن سيرين، أبو بكر محمد بن سيرين البصري الانصاري ولاء، ثقة، ثبت، كان لايري الرواية بالمعنى. أخرج حديثه أصحاب الصحاح والمسانيد (ت: ١١٠هـ). تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٧٧ - ٧٩، وعدّه من الثالثة؛ تقريب التهذيب ٢ / ١٦٩؛ هدية العارفين ٢ / ٧.

وابن مسعود (ت: ٢٥هـ)، عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي، من السابقين الأولين من الصحابة. رواه عنه ٨٤٨ حديثاً. (ت: ٣٢هـ) أو التي بعدها.

جوامع السيرة ص ٢٧٦؛ تقريب التهذيب ١ / ٤٥٠.

وعثمان بن عفان الاموي، ثالث الخلفاء. رواه عنه (١٤٦) حديثاً. جوامع السيرة ص ٢٧٧؛ تقريب التهذيب ٢ / ١٢.

٣٦ البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٧.

والمنادي أو ابن المنادي هو الحافظ أبو الحسين أحمد بن جعفر، من كبار القراء. من تأليفه: الناسخ والمنسوخ (ت: ٣٣٤ أو ٣٣٦هـ). تذكرة الحفاظ ص ٨٤٩؛ وكشف الظنون ٢ / ١٩٢١ في مادة الناسخ والمنسوخ.

٣٧ الدرّ المنثور للسيوطي ٦ / ٤١٦.

٣٨ الاتقان ١ / ٨١؛ ومسند أحمد ٥ / ١٣٩ ولفظه: يحكّه من مصاحفه.

وعبدالله أبو عبدالرحمن بن أحمد بن حنبل الشيباني، ثقة، له زوائد المسند - أي الاحاديث التي أضافها على مسند والده - أخرج حديثه السّاسني. (ت: ٣٩٠هـ). تقريب التهذيب ١ / ٤٠١؛ وهدية العارفين ٢ / ٤٤٢.

وابن مردويه، الحافظ الثبت العلامة أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الاصبهاني صاحب التفسير المسند للقرآن، والتاريخ وغير ذلك. (ت: ٤١٠هـ).

تذكرة الحفاظ ص ١٠٥١؛ وهدية العارفين ١ / ٧١.

والبزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الحافظ (ت: ٢٩٢هـ)، له مسندان: كبير وصغير.

ترجمته بتاريخ بغداد ٤ / ٣٣٤؛ وتذكرة الحفاظ ص ٢٠٤؛ وهدية العارفين ١ / ٥٤.

ابن حبان، الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان البستي، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره. (ت: ٣٥٤هـ). تذكرة الحفاظ ص ٩٢٠؛ وهدية العارفين ٢ / ٤٤.

٣٩ الاتقان ١ / ٦٧، النوع التاسع عشر: في عدد سوره.

وأبو عبيد، القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، كان أبوه عبداً رومياً من هراة، وكان ثقة، حافظاً للحديث، إماماً في القراءات، رأساً في اللغة. من تصانيفه:

القراءات ومعاني القرآن، وناسخ القرآن ومنسوخه. أخرج حديثه أبو داود والبخاري في جزء القراءة، ١ / ١١٣.

تذكرة الحفاظ ص ٤١٧ - ٤١٨؛ تقريب التهذيب ٢ / ١١٧؛ وهدية العارفين ١ / ٨٢٥.

٤٠ تفسير المعوذتين بتفسير ابن كثير ٤ / ٧١.

وأبو يعلى، أحمد بن علي التميمي (ت: ٣٠٧هـ). الحافظ، الثقة، محدث الجزيرة، صاحب المسند الكبير. تذكرة الحفاظ ص ٧٠٧ - ٧٠٩؛ ومجمع الزوائد، كتاب التفسير، باب ما جاء في المعوذتين ٧ / ١٤٩ عن عبدالله بن أحمد؛ وأحمد والبزار والطبراني.

٤١ فهرست النديم، ط. مصر سنة ١٣٤٨هـ، ص ٣٩ - ٤٠.

ثانيا - روايات نقصان آيات من بعض سور القرآن الكريم - معاذ الله -

نقل النوري (٤٢) عن السيوطي وغيره نقصان عشرات الايات من بعض السور، ونحن نرجع إلى مصادره، وننقل البعض منها في ما يأتي:

نقل السيوطي في تفسير الدر المنثور عن تاريخ البخاري، عن حذيفة أنه قال: قرأت سورة الاحزاب على النبي (ص)، فنسيت منها سبعين آية ما وجدتها (٤٣).

وعن عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمان النبي (ص) مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الان (٤٤).

وعن حذيفة قال: قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدون سورة الاحزاب؟

قلت: إثنين أو ثلاثا وسبعين آية.

قال: إن كانت لتعدل بسورة البقرة وإن كان فيها لاية الرجم (٤٥).

وفي تفسير ابن كثير ومستدرک الحاكم وتلخيص الذهبي وصحّاه، وابن مردويه والضياء في المختارة.

عن زر عن أبي بن كعب قال: كانت سورة الاحزاب توازي سورة البقرة وكان فيها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) (٤٦). وفي تفسير التوبة من الدر المنثور للسيوطي قال:

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني في الاوسط وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه عن حذيفة (رض) قال:

التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب. والله ما تركت أحدا إلا نالت منه، ولا تقرأون منها ممّا كنّا نقرأ ربعا (٤٧).

وفي الاتقان قال: قال مالك: إن أولها لما سقط، سقط معه البسملة، فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة (٤٨).

وفي الاتقان: قيل لبراءة: الفاضحة (٤٩).

ومن ثم قال الصحابي عبدالله بن عمر:

لا يقولنّ أحدكم قد أخذت القرآن كلّهُ، ما يدرية ما كلّهُ، قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت ما ظهر منه (٥٠).

وفي الاتقان وكنز العمال عن الطبراني في الاوسط وابن مردويه وأبو نصر السجزي في الابانة، عن الخليفة عمر بن الخطاب أنه قال:

(القرآن ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف) (٥١).

بيننا نقل الزركشي: أنهم عدّوا حروف القرآن فكانت ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفا (٥٢).

وبناء على ما روي عن الخليفة عمر، فقد ذهب ثلثا القرآن - معاذ الله -

ثالثا - روايات نقصان آيات فيها أحكام شرعية - معاذ الله -

ونقل النوري عن مسند أحمد وصحيح البخاري وسنن الترمذي ومستدرک الحاكم ومحاضرات الراغب والاتقان (٥٣) نقصان آيات فيها أحكام شرعية) ونحن نرجع إلى مصادره، ونضيف إليها مصادر أخرى من الصحاح والسنن والمسانيد، وننقل منها في ما يأتي:

أ - نقصان آية الرجم

في الصحاح الستة: البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجة والدارمي وغيرها: عن الخليفة عمر (رض) أنه قال وهو على المنبر:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا (ص) بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ (آيَةَ الرَّجْمِ)، فَقَرَأَهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا. رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى أَنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيُضْلَوُا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَالرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقًّا عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ، ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (أَنْ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ فَإِنَّهُ كَفَرَ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ) (٥٤).

ب - نقصان حكم رضاع الكبير

والحديث المروي عن أم المؤمنين عائشة (رض) أنها قالت: كان في ما نزل من القرآن: [عشر رضعات معلومات يحرمن] ثم نسخن [بـخمس معلومات] فتوفي رسول الله (ص) وهن في ما يقرأ من القرآن (٥٥).

وفي لفظ ابن ماجه: (نزل القرآن بعشر رضعات...) الحديث.

وفي لفظ آخر: (نزل في القرآن [عشر رضعات معلومات]، ثم نزل أيضا: [خمس معلومات]).

وفي سنن ابن ماجه أيضا، عن عائشة، قالت: (نزلت آية الرجم [ورضاع الكبير عشرا]. ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها) (٥٦).

* * *

ما ذكرنا إلى هنا وإلى أكثر من ألف مورد غيرها نقلها المحدث النوري من كتب مدرسة الخلفاء مباشرة أو بواسطة تصرّح بوجود نقص أو زيادة أو اختلاف في القراءة في كتاب الله الذي بأيدينا - معاذ الله - سوف ندرسها في موارد من البحوث الآتية - إن شاء الله تعالى - ، وندرس في ما يأتي ما رووا أنه كان لبعض الصحابة وأمّهات المؤمنين مصاحف تختلف عما بأيدينا من المصاحف بحوله تعالى. قال ابن أبي داود في كتابه المصاحف:

باب اختلاف مصاحف الصحابة

إنّما قلنا مصحف فلان لما خالف مصحفنا هذا من الخطّ أو الزيادة أو النقصان أخذته عن أبيّ ؛ ، هكذا فعل في كتاب التنزيل.

ثمّ ذكر ابن أبي داود اخبار اختلاف عشرة مصاحف للصحابة وأحد عشر مصحفا للتابعين من الكتاب وآخرها باب ما غير الحجاج (٥٧) في مصحف عثمان، ونحن نقتصر على ذكر خمسة منها.

ونسأل الله أن يوفقنا في ما يأتي من هذا البحث لبيان علل بعض الروايات المروية في كتب المدرستين في هذا الصدد بمثّه وكرمه.

٤٢ فصل الخطاب ص ١١٢ و ١٤٥.

٤٣ الدرّ المنثور ٥ / ١٨٠، في أوّل تفسير سورة الاحزاب.

وحذيفة بن اليمان، حليف الانصار، صحابي ابن صحابي، سمّاه قومه باليمان لمخالفته الانصار وهم من اليمن، أعلمه رسول الله (ص) بالمنافقين. رووا عنه ٢٢٥ حديثا.

جوامع السيرة ص ٢٧٧؛ وتقريب التهذيب ١ / ١٥٦؛ وبقية ترجمته في الجزء الأوّل، ص ١٩٨، الطبعة الرابعة من معالم المدرستين.

٤٤ الدرّ المنثور ٥ / ١٨٠، عن أبي عبيد وابن الانباري وابن مردويه. وأمّ المؤمنين عائشة، ترجم لها في الجزء الأوّل ص ٢٧١، الطبعة الرابعة من كتاب معالم المدرستين.

٤٥ الدرّ المنثور ٥ / ١٨٠، قال: وأخرج ابن مردويه عن حذيفة. الحديث.

٤٦ المستدرک وتلخيصه ٢ / ٤١٥، تفسير سورة الاحزاب؛ والاتقان، النوع السابع والاربعون في ناسخه ومنسوخه ٢ / ٢٥.

والضياء، الامام العالم، الحافظ، ضياء الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي. من تأليفه: المختارة في الحديث، التزم فيه الصحّة. (ت: ٦٤٣هـ).

تذكرة الحفاظ ص ١٤٠٥؛ وكشف الظنون ١ / ١٦٢٤.

٤٧ تفسير التوبة من الدرّ المنثور ٣ / ٢٠٨؛ والمستدرک للحاکم وتلخیصہ للذهبي ٢ / ٣٣١ وصحّح أسناده.

وابن أبي شيبة الامام الحافظ، أبو بكر، عبدالله بن محمد بن شيبة العسبي (ت: ٢٣٥ هـ) له المصنف، كتاب كبير فيه فتاوى التابعين وأقوال الصحابة وأحاديث الرسول (ص) على طريقة المحدّثين بالاسانيد. تذكرة الحفاظ ص ٤٣٢؛ وكشف الظنون ٢ / ١٧١١. مادّة المصنف.

وأبو الشيخ الحافظ عبدالله محمد بن جعفر بن حيان (وحيان خطأ)، الانصاري الاصبهاني (ت: ٣٦٩ هـ)، مسند زمانه. من مؤلفاته التفسير. تذكرة الحفاظ ص ٩٤٥؛ ولباب الانساب لابن الاثير ١ / ٣٣١؛ وكشف الظنون ص ١٤٠٦؛ وهديّة العارفين ١ / ٤٤٧.

٤٨ الاتقان ١ / ٦٧.

٤٩ الاتقان ١ / ٥٦ عن ابن أبي حاتم؛ والدرّ المنثور ٣ / ٣٠٨.

٥٠ في تفسير: (مَا تُنْسِخُ مِنْ آيَةٍ) البقرة / ١٠٦ في الدرّ المنثور ١ / ١٠٦، عن أبي عبيد وابن الضريس وابن الانباري في المصاحف والاتقان ٢ / ٢٥.

٥١ كنز العمال ١ / ٤٦٠، الحديث ٢٣٠٩ و ص ٤٨١، الحديث ٢٤٢٧؛ والاتقان ١ / ٧٢ في آخر النوع التاسع عشر في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه؛ والدرّ المنثور ٦ / ٤٢٢.

والحافظ أبو نصر السجزي، عبيدالله بن سعيد بن حاتم الوابلي، (وابل قرية بسجستان)، (ت: ٤٤٤ هـ) بمكّة، له تصانيف كثيرة منها: الابانة الكبرى في الحديث. تذكرة الحفاظ ص ١١١٨؛ وكشف الظنون ١ / ٢ وذيله ص ٦٤٨؛ وهديّة العارفين ١ / ٦٤٨.

٥٢ البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٤٩، فصل في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

٥٣ فصل الخطاب ص ١١٠ - ١١٩؛ ومحاضرات الأدبا ٢ / ٤٣٣؛ ومستدرک الحاکم ٢ / ٤١٥ وستأتي بقية المصادر في الهامش الاتي.

٥٤ أ - صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزّنا، ٤ / ١٢٠.

ب - صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم الثيب في الزّنى، ط. الاولى ٥ / ١١٦. وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، ص ١٣١٧.

ج - سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب في الرجم ٢ / ٢٢٩.

د - سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في تحقيق الرجم ٦ / ٢٠٤.

ه - سنن ابن ماجه، كتاب الحدود، باب الرجم، الحديث رقم: ٢٥٥٣.

و - سنن الدارمي، كتاب الحدود، باب في حدّ المحصنين بالزّنا ٢ / ١٧٩.

ز - موطأ مالك، كتاب الحدود ٣ / ٤٢.

ح - مسند أحمد ١ / ٥٥، في حديث السقيفة وموجزه: في ص ٤٧ منه.

٥٥ أ - صحيح مسلم، كتاب الرّضاع، باب التحريم بخمس رضعات، ط. الاولى ٤ / ١٦٧، وتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ص ١٠٧٥، الحديث: ٢٤ و ٢٥.

ب - سنن أبي داود، كتاب النّكاح، باب هل يحرم ما دون خمس رضعات، ٢ / ٢٢٤.

ج - سنن البيهقي، كتاب النّكاح، باب القدر الذي يحرم من الرضاة، ٢ / ٨٢.

د - سنن الدارمي، كتاب النّكاح، باب كم رضعة تحرم، ١ / ١٥٧.

ه - موطأ مالك، كتاب الرّضاع، باب جامع ما جاء في الرّضاة، ٢ / ١١٨، الحديث: ٦٢٥.

٥٦ سنن ابن ماجه، كتاب النّكاح، باب رضاع الكبير ١ / ٦٢٦، الحديث: ١٩٤٤.

وأبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (ت: ٩٥ هـ). ولآه عبد الملك مكة والمدينة والعراق، رمى الكعبة بالمنجنيق في حرب ابن الزبير سنة ٧٢ هـ، واحترقت أستاذها. تاريخ الطبري وابن الاثير وابن كثير، حوادث سنة ٧٢ و ٩٥ هـ.

أولا - مصاحف أمّات المؤمنين

مصحف أمّ المؤمنين عائشة

نقل النوري عن صحيح مسلم والدّر المنثور للسيوطي وابن حجر في فتح الباري والزمخشري في الكشاف والجزء الثاني من تاريخ نيسابور عن أمّ المؤمنين عائشة وأمّ المؤمنين حفصة أن كلاّ منهما أمرت أن يكتب لها مصحف ويكتب فيه: (والصلاة الوسطى وصلاة العصر) (٥٨).

وهذا نصّ الحديث في صحيح مسلم عن أبي يونس مولى عائشة، أنّه قال: أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فأذني: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى)، فلما بلغت أذنتها، فأملت عليّ: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين). قالت عائشة: سمعتها من رسول الله (ص).

وأخرج الحديث بلفظه مسلم والترمذي وقال في آخره:

(وفي الباب عن حفصة). والنسائي في سننه وأحمد في مسنده (٥٩).

مصحف أمّ المؤمنين حفصة وفي تفسير الآية بتفسير الطبري والدّر المنثور للسيوطي، وأخرج عبد الرزاق والبخاري في تاريخه وابن أبي داود في المصاحف عن أبي رافع مولى حفصة، قال: استكتبتني حفصة مصحفا، فقالت: إذا أتيت على هذه الآية فتعال حتّى أمليها عليك كما قرأتها.

فلما أتيت على هذه الآية: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ).

قالت: أكتب: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وصلاة العصر).

فلقيت أبيّ بن كعب فقلت: أبا المنذر، إنّ حفصة قالت كذا وكذا.

فقال: هو كما قالت (٦٠).

مصحف أمّ سلمة

وأخرج وكيع وابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي داود في المصاحف وابن المنذر عن عبد الله بن رافع عن أمّ سلمة، أنّها أمرته أن يكتب لها مصحفا.

فلما بلغت: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى) قالت: اكتب: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين) (٦١).

ورواها - أيضا - بتفسير الآية القرطبي والرازي عن عائشة والزمخشري عن حفصة، وفي لفظه، قالت:

(لا تكتبها حتّى أمليها عليك كما سمعت رسول الله (ص) يقرأها...) الحديث.

وقال: روي عن عائشة وابن عباس (رض): والصلاة الوسطى وصلاة العصر (٦٢).

ثانيا - مصاحف الصحابة

أ - مصحف الامام عليّ

نقل النوري عن الاستيعاب والاتقان وغيرهما، أنّ الامام عليّا آلى بعد وفاة النبي أن لا يرتدي حتّى يجمع القرآن، وأنّه رتب القرآن على

حسب نزوله(٦٣).

وروى السيوطي عن ابن حجر عن ابن أبي داود أنّ الامام عليّاً جمع القرآن على ترتيب نزوله عقيب موت النبيّ (ص)(٦٤).

وفي الاستيعاب عن ابن سيرين أنّه قال: بلغني أنّه كتب على تنزيله، ولو أُصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير.

وفي الاتقان، قال ابن سيرين: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه(٦٥).

وقال اليعقوبي وروى ما موجهه:

أنّ عليّ بن أبي طالب جمع القرآن لما توفي رسول الله (ص) وأتى به وقال: ((هذا القرآن قد جمعته)).

وقال: وكان قد جزّاه سبعة أجزاء، في كلّ جزء ٨٨٦ آية ونقل كيفية تقسيم السور على الاجزاء(٦٦).

ونحن لانعرف صحّة ما زعمه.

وقال السيوطي في الاتقان:

(إنّ جمهور العلماء اتّفقوا على أنّ ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة. وأنّ ابن فارس استدلّ لذلك بأنّ منهم من رتبها على النزول، وهو مصحف عليّ، كان أوله: اقرأ ثمّ نون ثمّ المزمل ثمّ تبتّ ثمّ التكوير...، هكذا ذكر السور إلى آخر المكيّ ثمّ المدني(٦٧).

ب - مصحف أبيّ بن كعب

أولاً - ترتيب السور فيه:

نقل السيوطي عن ترتيب السور في مصحفه وقال:

هذا تأليف مصحف أبيّ: (الحمد، البقرة، النّساء... إلى قوله: الفلق ثمّ الناس)(٦٨).

ثانياً - قد رووا الكثير في اختلاف القراءة بين مصحف أبيّ وغيره من مصاحف الصحابة(٦٩). ونكتفي بما ذكرناه في ما سبق في ذكر السور الاربع المزعومات، وما نضطر إلى ذكره خلال البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

وفي تفسير الطبري عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال: هذا على قراءة أبيّ قال: وفيه فما استمتعتم به منهنّ - إلى أجل مسمى(٧٠).

ج - مصحف عبدالله بن مسعود

أولاً - ترتيب السور فيه:

روى في الاتقان كيفية ترتيب مصحف ابن مسعود كالآتي:

(البقرة والنّساء وآل عمران... إلى قوله: وألم نشرح وليس فيه الحمد ولا المعوذتان)(٧١).

ثانياً - اختلاف القراءات في مصحفه عن غيره من مصاحف الصحابة وما روي عنه في نقصان القرآن - معاذ الله - فسيأتي ذكر

ما نضطر إلى ذكره خلال البحوث إن شاء الله تعالى، بالإضافة إلى ذكر ما روي عنه في الفاتحة والمعوذتين.

* * *

كان ذلكم ما رووا عن شأن القرآن في عصر الصحابة ، وقالوا عن شأن القرآن في عصر الحجاج ما يأتي:

ما قيل أنّ الحجاج غير في مصحف عثمان قال ابن أبي داود في هذا الباب من كتابه اختلاف المصاحف، باب ما كتب الحجاج بن

يوسف في المصحف:

(يسنده عن عوف بن أبي جميلة أنّ الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، قال: كانت في سورة البقرة / ٢٥٩ (لَمْ يَتَسَنَّ وَأَنْظَرَ) فغَيَّرَهَا (لَمْ يَتَسَنَّه) بالهاء...).

وقال:

كانت في سورة يونس / ٢٢ (هُوَ الَّذِي يُنْشِرُكُمْ) فغَيَّرَهُ ((يُسَيِّرُكُمْ)).

وقال:

وكانت في سورة محمد / ١٥ (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ) فغَيَّرَهَا ((من ماء غير آسن)).

وكانت في سورة الحديد / ٧ (قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَتَّقُوا مِنكُمْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) فغَيَّرَهَا ((منكم وانفقوا)) (٧٢) وهكذا أتم عدد الاحد عشر تغييراً على حدّ زعمه.

أوردنا بعض أخبار اختلاف المصاحف وبعض روايات الزيادة والنقصية في القرآن الكريم في هذا البحث وأوردنا قبله روايات جمع القرآن، ولابدّ في دراسة المجموعتين من إيراد بحوث مفصلة سوف نوردّها في آخر الكتاب وندرس إن شاء الله تعالى في ضوئها جميع الاخبار الواردة في هذا المجلد، وفي ما يأتي ندرس بحوله تعالى روايات السبعة أحرف.

٥٨ فصل الخطاب ص ١٧٤، ١٧٥. أمّ المؤمنين حفصة ابنة ثاني الخلفاء عمر بن الخطاب. روى عنها ٦٠ حديثاً. (ت: ٤١ أو ٤٥ هـ).

جوامع السيرة ص ٢٧٩؛ وأسد الغابة ٥ / ٤٢٥.

٥٩ صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى هي صلاة العصر / ١ - ٤٣٧ - ٤٣٨؛ وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب وقت صلاة العصر / ١ - ١١٢؛ وسنن الترمذي، كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة / ١١ - ١٠٥؛ وسنن النسائي، كتاب الصلاة، باب المحافظة على صلاة العصر / ١ - ٨٢ - ٨٣؛ وموطأ مالك، كتاب الصلاة، باب صلاة الوسطى / ١ - ١٥٧ - ١٥٨؛ وتفسير الآية في الدر المنثور / ١ - ٣٠٢ و ٣٠٣. وفي فتح الباري / ٩ - ٢٦٥؛ ومسند أحمد / ٦ - ٧٣ و ٨٧٨ منه؛ وفصل الخطاب ص ١٧٤ - ١٧٥.

وأبو يونس مولى عائشة، ثقة من الطبقة الوسطى من التابعين. أخرج حديثه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والبخاري في الادب المفرد. تقريب التهذيب / ٢ - ٤٩٢.

٦٠ الدر المنثور / ١ - ٣٠٢؛ وفي موطأ مالك، كتاب الصلاة، باب الصلاة الوسطى / ١ - ١٥٨ عن عمرو بن رافع. وفي لفظه بعد صلاة الوسطى: (وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِيْنَ). وعبدالرزاق في المصنف، كتاب الطهارة، باب صلاة الوسطى الحديث رقم ٣٢٠٢؛ وتفسير الطبري / ٢ - ٣٤٣؛ والمصاحف لابن أبي داود ص ٨٥ - ٨٦.

وأبو رافع مولى حفصة، لعلّه نفي الصائغ المدني مولى آل عمر، أدرك الجاهلية، ثقة، ثبت، مشهور بكنيته. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح، وموته قريب من موت أنس. تذكرة الحفاظ ص ٦٠؛ وتقريب التهذيب / ٢ - ٣٠٦.

٦١ الدر المنثور / ١ - ٣٠٣؛ والمصاحف لابن أبي داود ص ٨٧.

وكيع الحافظ، أبو سفيان، وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي، الفقيه، محدث العراق. من تصانيفه: تفسير القرآن، كتاب السنن (توفي سنة: ١٩٧ هـ) بغير راجعاً من الحجّ.

تذكرة الحفاظ ص ٣٠٦؛ وكشف الظنون ص ٤٦١؛ وهديّة العارفين / ٢ - ٥٠٠.

ابن المنذر. أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري، شيخ الحرم بمكة، فقيه، مجتهد، من الحفاظ صاحب الكتب التي لم يؤلّف مثلها، منها تفسير القرآن (ت: ٢١٠ هـ).

تذكرة الحفاظ ص ٧٨٢؛ ولسان الميزان / ٥ - ٢٧؛ وهديّة العارفين / ٢ - ٣١.

٦٢ تفسير القرطبي / ٣ - ٢٠٩؛ وتفسير الكبير للرازي / ٦ - ١٥٠؛ وتفسير الكشاف / ١ - ٣٧٦؛ والمصاحف لابن أبي داود ص ٨٣ - ٨٤؛ والدر المنثور / ١ - ٣٠٢.

٦٣ فصل الخطاب ص ٦ و ٧.

والامام عليّ (ع) ترجم له في الجزء الأوّل ص ١٣٣، الطبعة الرابعة من كتاب معالم المدرستين.

٦٤ الاتقان، النوع العشرون في حفاظه ورواته، ٧٤ / ١.

٦٥ بترجمة عبد الله بن أبي قحافة، أبي بكر من الاستيعاب ١ / ٣٣٤؛ وراجع الاتقان، النوع الثامن عشر في جمعه وترتيبه، ١ / ٥٩.

٦٦ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٣٥.

٦٧ الاتقان ١ / ٦٦.

وابن فارس اللغوي أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المالكي الهمداني، من تصانيفه: جامع التأويل في تفسير التنزيل. هدية العارفين ١ / ٦٨.

٦٨ الاتقان ١ / ٦٨، عن المصاحف لابن أخته.

٦٩ الاتقان ١ / ٦٦.

٧٠ تفسير الاية بتفسير الطبري ٥ / ٩؛ وراجع تفسيرها بتفسير القرطبي ٥ / ١٣٠؛ والزمخشري ١ / ٥١٩؛ وابن كثير ١ / ٤٧٤؛ وسنن البيهقي ٧ / ٢٠٥؛ وشرح النووي على صحيح مسلم ٩ / ١٧٩.

٧١ الاتقان ١ / ٦٦، عن المصاحف لابن أخته.

٧٢ المصاحف لابن أبي داود ص ٤٩ - ٥٠.

لبحث الخامس

روايات نزول القرآن على سبعة أحرف

و على سبعة أوجه

أشار الشيخ النوري في الدليل العاشر من كتابه إلى روايات السبعة أحرف ونحن نخرجها أدناه بإيجاز من مصادرها بحوله تعالى:

في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والبيهقي والترمذي وابن ماجه ومسنده أحمد وتفسير الطبري وأسد الغابة بسندهم عن:

أ - الخليفة عمر بن الخطاب

أنّه قال:

سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ص)، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله (ص)، فكذت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم فلبنته بردائه، فقلت من أفراك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟

قال: أقرأنيها رسول الله (ص)، فقلت: كذبت، فإنّ رسول الله (ص) قد أقرأنيها على غير ما قرأت.

فانطلقت به أقوده إلى رسول الله (ص)، فقلت: إنّي سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها.

فقال رسول الله (ص): أرسله، اقرأ يا هشام!

فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله (ص): كذلك أنزلت.

ثم قال: اقرأ يا عمر! فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله (ص): كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه (١).

وفي رواية بتفسير الطبري ما موحزها:

قرأ رجل عند عمر فغيّر عليه، فقال: لقد قرأت على رسول الله (ص) فلم يغيّر عليّ، فاختمنا عند النبيّ (ص)، فقال: يا رسول الله (ص)!

ألم تقرئني آية كذا وكذا؟

قال: بلى.

فوقع في صدر عمر شيء.

فعرّف النبيّ (ص) ذلك في وجهه، قال: فضرب صدره وقال: أبعد شيطاناً، قالها ثلاثاً.

ثم قال: يا عمر! إنّ القرآن كلّ صواب، ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة (٢).

وفي رواية بعدها قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شافي كافٍ (٣).

ب - أم أيوب

في مسند أحمد وتفسير الطبري: عن أم أيوب قالت: قال رسول الله (ص): نزل القرآن على سبعة أحرف، أيّها قرأت أجزاءك.

وفي تفسير الطبري: أيما قرأت أصبت (٤).

ج - عمرو بن العاص

في مسند أحمد قال: سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال: من أقرأكها؟ قال: رسول الله (ص).

قال: فقد أقرأنيها رسول الله على غير هذا.

فذهبا إلى رسول الله (ص). فقال أحدهما: آية كذا وكذا ثمّ قرأها.

فقال رسول الله (ص): هكذا أنزلت.

فقال الآخر: يا رسول الله! فقرأها على رسول الله (ص)، فقال: أليس هكذا يا رسول الله؟

قال: هكذا أنزلت؟

فقال رسول الله (ص): إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأبى ذلك قرأتكم فقد أحسنتم، ولا تماروا فيه. فإن المرء فيه كفر أو آية الكفر (٥).

١ لفظ الحديث للبخاري في صحيحه، كتاب فضل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٣ / ١٥١، وباب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة ٣ / ١٥٦.

وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى: (اقرأوا ما تيسر من القرآن) ٤ / ٢٠٤، وكتاب استنابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين ٤ / ١٣٢، وكتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ٢ / ٤١.

ومسند الطيالسي ح ٤٠ ص ٩.

وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، الحديث ٢٧٠، ٢٧١ ص ٥٦٠ و ٥٦١.

وسنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٧٥ / ٢.

وسنن التيساني، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ١ / ١٤٩.

وسنن الترمذي، أبواب القراءات، باب ما جاء: أنزل القرآن على سبعة أحرف ١١ / ٦٢.

وتفسير الطبري ١ / ١٠.

ومسند أحمد ١ / ٢٤ و ٤٠ و ٤٢.

وليبته بردائه: أخذته بردائه من عنقه وجررته.

وهشام بن حكيم بن حزام القرشي الاسدي، صحابي ابن صحابي. أخرج حديثه مسلم وأبو داود والتيساني. قيل استشهد بأجنادين. روى عنه ستة أحاديث. جوامع السيرة لابن حزم ص ٢٨٨ وترجمته في تقريب التهذيب وأسد الغابة.

٢ جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١ / ١٠ - ١١.

٣ نفس المصدر السابق.

٤ مسند أحمد ٦ / ٤٣٣ و ٤٦٢؛ وتفسير الطبري ١ / ١١.

وأمّ أيوب بنت قيس بن عمرو الخزرجي، زوجة أبي أيوب، روى عنها ثلاثة أحاديث. أخرج حديثها أبو داود وابن ماجه، ترجمتها في أسد الغابة ٥ / ٥٦٨؛ وتقرير التهذيب ٢ / ٦١٩؛ وجوامع السيرة ص ٢٩٢.

٥ مسند أحمد ٤ / ٢٠٥ وفي ٢٠٤ منه بإيجاز.

د - أبو جهيم الانصاري

في مسند أحمد، قال أبو جهيم:

إنّ رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقيتها من رسول الله (ص).

وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله (ص).

فسألا النبيّ (ص).

فقال: القرآن يقرأ على سبعة أحرف. فلا تماروا في القرآن، فإنّ مرأه في القرآن كفر(٦).

هـ أبيّ بن كعب

في صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم قال:

كنت في المسجد فدخل رجل يصلّي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثمّ دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه.

فلمّا قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله (ص)، فقلت: إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه.

فأمرهما رسول الله (ص) فقرأ، فحسّن النبيّ (ص) شأنهما، فسُقِطَ في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلمّا رأى رسول الله (ص) ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنّما أنظر إلى الله عزّ وجلّ فرقا.

فقال لي: يا أباي! أُرْسِلَ إليّ: أن اقرأ القرآن على حرف. فرددتُ إليه: أن هون على أمّتي.

فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين. فرددتُ إليه: أن هون على أمّتي.

فردّ إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف (٧).

وفي لفظ الطبري:

فأمرني أن أقرأ على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنّة كلّها شافي (٨).

وفي رواية أخرى، قال:

ما حاك في صدري منذ أسلمت إلّا أنّي قرأت آية، وقرأها آخر غير قراءتي، فقلت: أفرأنيها رسول الله (ص).

وقال الاخر: أفرأنيها رسول الله (ص). فأتيت النبيّ (ص)، فقلت يا نبيّ الله! أفرأنتي آية كذا وكذا؟

قال: نعم.

وقال الاخر: ألم تقرّني آية كذا وكذا؟

قال: نعم، إنّ جبريل وميكائيل (ع) أتياي، فقعد جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري، فقال جبريل (ع): اقرأ القرآن على حرف.

فقال ميكائيل: استزده استزده حتّى بلغ سبعة أحرف، فكلّ حرفٍ شافي كافٍ (٩).

وفي رواية أخرى، بسنن أبي داود:

ليس منها إلّا شافي وكافي. إن قلت: سميعا عليما، عزيزا حكيما، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب (١٠).

وفي رواية أخرى بسنن النسائي:

قال رسول الله (ص) لكلّ منهما حين قرأ ما يخالف الاخر: أحسنت (١١).

وفي رواية أخرى عند الطبري:

فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنّة، كلّها شافي كافٍ (١٢).

وفي لفظ رواية أخرى عنده:

فقرأت النحل، ثمّ جاء رجل آخر، فقرأها على غير قراءتي، ثمّ دخل رجل آخر، فقرأ بخلاف قراءتنا. فدخل في نفسي من الشكّ والتكذيب أشدّ ممّا كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فأتيت بهما النبيّ (ص)، فقلت: يا رسول الله! (ص) استقرئ هذين.

فقرأ أحدهما.

فقال: أصبت.

ثمّ استقرأ الاخر، فقال: أصبت.

فدخل قلبي أشدّ ممّا كان في الجاهلية من الشكّ والتكذيب، فضرب رسول الله (ص) صدري، وقال: أعاذك الله من الشكّ وأخسأ عنك الشيطان... الحديث (١٣).

وفي رواية أخرى عنده:

فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنّة كلّها شافي كافٍ (١٤).

وفي مسند أحمد، قال أبيّ:

قرأت آية، وقرأ ابن مسعود خلافها. فأتيت النبيّ (ص)، فقلت: ألم تقرئني آية كذا وكذا؟

قال: بلى.

فقال ابن مسعود: ألم تقرئنيها كذا وكذا؟

فقال: بلى، كلاكما محسن مجمل.

قال: فقلت له (١٥) فضرب صدري، فقال: يا أبيّ بن كعب! إني قرأت القرآن، فقيل لي: على حرف أو على حرفين، قال: فقال الملك الذي معي: على حرفين. فقلت: على حرفين؟ فقال على حرفين أو ثلاثة - واستمرت المحاورة - حتّى بلغ سبعة أحرف، ليس

منها إلا شافي كافٍ.

إن قلت: غفورا رحيمًا، أو قلت: سميعا عليما، أو: عليما سميعا، فالله كذلك، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب (١٦).

وفي رواية أخرى:

إنّ أمّتك يقرأون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم على حرف، فليقرأ كما علّم ولا يرجع عنه... فلا يتحوّل منه إلى غيره رغبة عنه (١٧).

وروا عن لسان أبيّ محاورة الرسول (ص) مع جبريل كالآتي:

في صحيح مسلم وغيره واللفظ لمسلم، قال أبيّ:

أتى جبريل رسول الله (ص) عند إضاءة بني غفار، فقال: إنّ الله يأمرك أن تُقرئ أمّتك القرآن على حرف.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمّتي لاتطبق ذلك.

ثمّ أتاه الثانية، فقال: إنّ الله يأمرك أن تُقرئ أمّتك القرآن على حرفين.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمّتي لاتطبق ذلك.

ثمّ جاءه الثالثة، فقال: إنّ الله يأمرك أن تُقرئ أمّتك القرآن على ثلاثة أحرف.

فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمّتي لاتطبق ذلك.

ثمّ جاءه الرابعة، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرئ أمّتك القرآن على سبعة أحرف، فأيمًا حرف قرأوا عليه فقد أصابوا (١٨).

وفي رواية أخرى قال أبيّ:

لقي رسول الله (ص) جبريل عند أحجار المراهي، فقال: يا جبريل! إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: يا محمد! إن القرآن أنزل على سبعة أحرف (١٩).

وروى أحمد هذه الرواية عن حذيفة - أيضا - (٢٠).

٦ مسند أحمد ٤ / ١٦٩ - ١٧٠.

وأبو جهيم بن عبد الله بن الصمة بن عمر الانصاري. اختلفوا في اسمه واسم أبيه. ابن أخت أبي بن كعب، صحابي معروف بقي إلى خلافة معاوية، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح، ترجمته في تقريب التهذيب ٤٠٧ / ٢.

٧ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف. الحديث ٢٧٣، ص ٥٦١ و ح: ٢٧٤، ص ٥٦٢ - ٥٦٣. (فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية).

معناه وسوس لي الشيطان تكذبا للنبيه أشد مما كنت عليه في الجاهلية. لانه في الجاهلية كان غافلا أو متشككا. فوسوس لي الشيطان الجزم بالتكذيب.

قال القاضي عياض: معنى قوله: سقط في نفسي، أنه اعترته حيرة ودهشة.

قال: وقوله: ولا إذ كنت في الجاهلية، معناه أن الشيطان نزع في نفسه تكذبا لم يعتقه. قال: وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها، لا يؤخذ بها.

قال القاضي: قال المازري: معنى هذا أنه وقع في نفس أبي بن كعب نزعة من الشيطان غير مستقرة ثم زالت في الحال، حين ضربه النبي (ص) بيده في صدره ففاض عرقا.

و(ضرب في صدري ففضت عرقا) قال القاضي: ضربه (ص) في صدره تبييتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم قال: ويقال: فضت عرقا وفصت. بالصاد المعجمة والصاد المهملة. قال وروايتنا هنا بالمعجمة. قال النووي: وكذا هو في معظم أصول بلادنا. وفي بعضها بالمهملة.

رجعنا في شرح الحديث إلى نسخة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٦٢ الهامش (١) و(٢).

وصحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٣٠ / ١٥١، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٢ / ١٤٢.

وسنن التيساني ١ / ١٥٠.

ومسند أحمد ١ / ٣٦٤ و ٣٩٩ و ٣١٣، و ٥ / ٤١ و ١١٤ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩.

٨ تفسير الطبري ١ / ١٢ - ١٣.

وسنن التيساني ١ / ١٥٠؛ ومسند ٥ / ١٢٢ وقريب منه في ٥ / ١٢٧.

٩ نفس المصدر السابق.

١٠ سنن أبي داود ٢ / ٧٦، الحديث ١٤٤٧ و ١٤٤٨.

١١ سنن التيساني ١ / ١٥٠.

١٢ تفسير الطبري ١ / ١٣.

١٣ نفس المصدر السابق.

١٤ نفس المصدر السابق.

١٥ هكذا النصّ.

١٦ مسند أحمد ٥ / ١٣٤.

١٧ مسند أحمد ٥ / ٣٨٥.

١٨ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، الحديث ٣٧٤؛ والنَّسائي ١ / ١٥٠؛ ومسند أحمد ٥ / ١٣٧ - ١٣٨؛ ومسند الطيالسي ح ٥٥٨٠ ص ٧٦.

واضاعة بني غفار، الاضاعة: بفتح الهمزة وتخفيف الضاد بوزن حصة - هو الغدير.

١٩ سنن الترمذي ١١ / ٦٣؛ ومسند الطيالسي ح ٥٤٣ ص ٧٣ عن أبي بن كعب؛ ومسند أحمد ٥ / ١٣٣؛ وتفسير الطبري ١ / ١٢. واللفظ لمسند أحمد.

وأحجار المرابي لم أجد ترجمتها في البلدانيات.

٢٠ مسند أحمد ٥ / ٤٠٠ و ٤٠٥.

و - أبو بكرة

وفي مسند أحمد وتفسير الطبري، واللفظ للاوّل:

عن أبي بكرة:

إنّ جبريل (ع) قال: يا محمد! اقرأ القرآن على حرف.

قال ميكائيل: استزده، حتّى بلغ سبعة أحرف، قال: كلّ شافٍ كافي، ما لم تختم آية عذاب برحمة، وآية رحمة بعذاب، نحو قولك:

تعال وأقبل وهلمّ، واذهب وأسرع وعجّل.

وفي لفظ الطبري، كقولك: هلمّ وتعال (٢١).

ز - أبو هريرة

في مسند أحمد وتفسير الطبري: قال أبو هريرة، قال رسول الله (ص):

أنزل القرآن على سبعة أحرف: عليما حكيمًا، غفورًا رحيمًا (٢٢).

وفي رواية:

عليمٌ حكيمٌ، غفورٌ رحيمٌ (٢٣).

وفي رواية:

قال أبو هريرة: إنّ رسول الله (ص) قال:

إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ولا حرج، ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة (٢٤).

ح - عبدالله بن مسعود

في صحيح البخاري، قال ابن مسعود:

سمعت رجلاً قرأ آية، سمعت من النبي (ص) خلافها، فأخذت بيده، فأتيت به رسول الله (ص)، فقال: كلاكما محسن. لا تختلفوا، إن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا (٢٥).

وفي مسند أحمد:

سمعت رجلاً يقرأ الاحقاف، فقرأ وقرأ رجل آخر حرفاً لم يقرأه صاحبه، وقرأت أحرفاً لم يقرأها صاحباي، فانطلقنا إلى النبي (ص) فأخبرناه، فقال: لا تختلفوا فإنما هلك من كان قبلكم باختلافهم، ثم قال: انظروا أقرأكم، فخذوا بقراءته (٢٦).

وفي مستدرک الحاكم وتلخيصه:

قال عبد الله:

أقرأني رسول الله (ص) سورة (حم)، ورحت إلى المسجد عشية فجلس إلي رهط، فقلت لرجل من الرهط: أقرأ علي، فإذا هو يقرأ حروفاً لا أقرأها، فقلت له: من أقرأها؟

قال: أقرأني رسول الله (ص).

فانطلقنا إلى رسول الله (ص) وإذا عنده رجل، فقلت له: اختلفنا في قراءة، فإذا وجه رسول الله (ص) قد تغير ووجد في نفسه حين ذكرت له الاختلاف، فقال: إنما أهلك من قبلكم الاختلاف.

ثم أسر إلى علي، فقال علي: إن رسول الله (ص) يأمركم أن يقرأ كل رجل منكم كما علم.

فانطلقنا وكل رجل منا يقرأ حروفاً لا يقرأها صاحبه (٢٧).

وفي تفسير الطبري ومسند أحمد، قال ما موجه:

لما خرج ابن مسعود من الكوفة، اجتمع إليه أصحابه فودعهم، ثم قال: لانتازعوا في القرآن، فإنه لا يختلف... وإن شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شيء من الحرفين ينهي عن شيء يأمر به الاخر كان ذلك الاختلاف...

ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله (ص) فيأمرنا، فنقرأ عليه، فيخبرنا أن كلانا محسن...، ولقد قرأت من لسان رسول الله (ص) سبعين سورة. وكان يعرض عليه القرآن في كل رمضان. وعرض عليه في عام قبض مرتين، فكان إذا فرغ أقرأ عليه، فيخبرني أنني محسن، فمن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها، ومن قرأ شيئاً من هذه الحروف فلا يدعته رغبة عنه، فمن جحد بأية جحد به كله (٢٨).

وفي رواية بمسند أحمد، قال:

... إن هذا القرآن أنزل على حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط. فإذا قال القارئ: هذا أقرأني، قال: أحسنت، وإذا قال الآخر، قال: كلاهما محسن... فمن قرأه على حرف فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علم رسول الله (ص)، فلا يدعه رغبة عنه، فإنه من يجحد بأية منه يجحد به كله، فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه: أعجل وحي هلا... وإني عرضت في العام الذي قبض فيه مرتين، فأنبأني أنني محسن، وقد قرأت من في رسول الله سبعين سورة (٢٩).

٢١ مسند أحمد ٥ / ٤١ و٥٠؛ وتفسير الطبري ١ / ١٤.

٢٢ مسند أحمد ٢ / ٣٢٢؛ وتفسير الطبري ١ / ٩.

٢٣ مسند أحمد ٢ / ٤٤٠.

٢٤ تفسير الطبري ١ / ١٥.

٢٥ البخاري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الاشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، ٢ / ٤٠؛ ومسنند أحمد ٤١١ و ٤٢٤، واللفظ للاول.

٢٦ مسند أحمد ١ / ٤٠١.

٢٧ مستدرک الحاكم وتلخيصه ٢ / ٢٢٣ - ٢٢٤. وقد صحّ الحديث الحاكم والذهبي كلاهما.

٢٨ تفسير الطبري ١ / ١١؛ ومسنند أحمد ١ / ٤٢١ باختصار. وقد أوجزت لفظ الحديث عند الطبري.

٢٩ مسند أحمد ١ / ٤٠٥.

خلاصة محتوى الروايات

نجد في الروايات الانفة:

أنّ هشام بن حكيم قرأ سورة الفرقان على حروف تخالف قراءة عمر بن الخطاب.

وأنّ ابن مسعود وإثنين آخرين اختلفت قراءاتهم لسورة الاحقاف.

وفي رواية: في سورة (حم).

وأنّ أبيًا اختلفت قراءته مع ابن مسعود في آيات من القرآن.

وأنه - أيضا - اختلفت قراءته مع قراءتين لرجلين آخرين في سورة النحل.

وأنّ عمرو بن العاص اختلفت قراءته لاية مع قراءة رجل آخر.

وأتهم جميعا تحاكموا إلى الرسول (ص)، وأنه استقرأ كل واحد منهم على حدة، وقال لكل واحد حين قرأ ما يخالف الاخر: أحسنت أو أصبت، هكذا نزلت السورة أو الاية.

وأنه وقع في صدر عمر شيء من ذلك، ف ضرب الرسول (ص) صدره، وقال ثلاثا: أبعد شيطاننا!

وأنه دخل في نفس أبي من الشك والتكذيب للنبوة أشدّ ممّا كان في الجاهلية، وأنّ الرسول ضرب صدره - أيضا - وقال له: أعاذك الله من الشك وأخسأ عنك الشيطان.

وروا في بيان ذلك:

أنّ جبريل قعد عن يمين الرسول (ص) وميكائيل عن يساره، فقال له جبريل: اقرأ القرآن على حرف، فقال له ميكائيل:

استزده، استزده حتّى بلغ سبعة أحرف، كلّها شافٍ كافٍ.

وفي رواية:

لقي رسول الله (ص) جبريل عند أحجار المرابي، فقال: يا جبريل! إنّي بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيوخ الكبير...

والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط، فقال: يا محمّد! إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف.

وفي رواية:

أَنَّ جبريل أتى رسول الله (ص) في اضاءة بني غفار، وقال له: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرَأَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَأُوا عَلَيْهِ، فَقَدْ أَصَابُوا.

وفي رواية أَنَّ جبريل قال لرسول الله (ص):

إِنَّ أُمَّتَكَ يَقْرَأُونَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ عَلَى حَرْفٍ، فَلْيَقْرَأْ كَمَا عِلْمٌ وَلَا يَرْجِعْ عَنْهُ... فَلَا يَتَحَوَّلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ رَغْبَةً عَنْهُ.

وفي رواية: أَنَّ الرَّسُولَ (ص) قَالَ:

أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، كُلُّهَا شَافٍ، فَاقْرَأُوا مَا تَيْسِرُ مِنْهُ، وَأَيُّ ذَلِكَ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ، فَقَدْ أَصَبْتُمْ.

وقال: أَيُّ حَرْفٍ قَرَأُوا أَصَابُوا.

وقال لبعضهم: أَيُّ حَرْفٍ قَرَأْتَ أَجْزَأُكَ، وَأَيُّمَا قَرَأْتَ أَصَبْتَ، لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ، إِنْ قُلْتَ سَمِيعًا عَلِيمًا، عَزِيزًا حَكِيمًا، مَا لَمْ تَخْتَمِ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ.

وفي رواية، قال:

إِنْ قُلْتَ: غَفُورًا رَحِيمًا، أَوْ سَمِيعًا عَلِيمًا، أَوْ عَلِيمًا سَمِيعًا، فَاللَّهُ كَذَلِكَ، مَا لَمْ تَخْتَمِ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، نَحْوَ قَوْلِكَ: تَعَالَى وَأَقْبَلَ وَهَلَمَّ، وَازْهَبَ وَأَسْرَعَ وَعَجَّلَ.

وفي رواية أَبِي هُرَيْرَةَ:

أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ: عَلِيمًا حَكِيمًا، غَفُورًا رَحِيمًا.

وفي رواية الصَّحَابِيِّينَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَأَبِي جَهِيمٍ وَاللَّفْظُ لِلأَوَّلِ:

أَنَّ الرَّسُولَ (ص) قَالَ:

وَلَا تَمَارُوا فِيهِ، فَإِنَّ الْمَرَاءَ فِيهِ كَفَرٌ أَوْ آيَةَ الْكُفْرِ.

وفي رواية ابن مسعود:

أَنَّ الرَّسُولَ أَقْرَأَهُ سُورَةَ (حَم) وَسَمِعَ رَجُلًا فِي الْمَسْجِدِ يَقْرَأُ حُرُوفًا لَا يَقْرَأُهَا، فَانْطَلَقَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ لِلرَّسُولِ (ص): اخْتَلَفْنَا فِي قِرَاءَتِنَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهَهُ، وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِكُمُ الْإِخْتِلَافَ.

وَأَسْبَرَ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ الرَّسُولَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا عُلِّمَ، فَانْطَلَقَا وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَقْرَأُ حُرُوفًا لَا يَقْرَأُهَا صَاحِبَهُ.

وفي رواية، قال ابن مسعود:

مَنْ قَرَأَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ الَّتِي عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَلَا يَدْعُهُ رَغْبَةً عَنْهُ، فَإِنَّ مِنْ يَجِدُ بِأَيَّةٍ مِنْهُ جِدَّ بِهِ كُلَّهُ. فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ: أَعْجَلْ وَحَيِّ هَلَا.

مغزى هذه الروايات

إِنَّ هَؤُلَاءِ الرِّوَاةَ قَالُوا: لَكَ أَنْ تَبَدِّلَ كَلَامَ اللَّهِ بِكَلَامِكَ لَوْ شِئْتَ بِمَحْضِ رَغْبَتِكَ! لَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ! لِأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَدْ أَدْنَا لِلنَّاسِ، كُلِّ النَّاسِ أَنْ يَحْرَفُوا الْقُرْآنَ كُلَّ الْقُرْآنِ، عَلَى أَنْ يَحْتَفِظُوا بِأَمْرَيْنِ:

١ - أَلَّا يَزِيدَ عِدَدَ التَّحْرِيفِ فِي الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ عَلَى سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ التَّحْرِيفِ!

٢ - ألاّ يتبدّل بالتحريف آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب، وألاّ يتبدّل الحلال بالحرام ولا الحرام بالحلال! وهنا يرد سؤال، وهو:

هل تجزأ أحد من المسلمين على ذلك وفعله!؟

هذا ما سنفهمه - إن شاء الله - في بحث القراءات.

والذي ينبغي أن نقوله هنا:

إنّ لم يسمع عن كاتب أو شاعر من البشر في غابر الدهر ولا حاضره أن يكون قد سمح للناس كلّ الناس أن يغيّروا من لفظه ما شاؤوا كما شاؤوا بشرط أن يحافظوا - مثلا - على المدح كي لا يتبدّل بالذمّ وعلى الذمّ كي لا يتبدّل بالمدح، بل الذي شاهدناه في عصرنا أنّهم يحاسبون أصحاب المطابع عن الخطأ في نسخ كلمة بدل أخرى إلاّ أن يكون الكاتب أو الشاعر خرفا لا يعي ما يقول وما يصنع مع قوله.

هكذا شأن البشر في ما يخصّ انتاجهم شعرا كان أو نثرا موزونا كان النثر أو غير موزون.

أما شأن كلام الله: القرآن فهو موزون في جميع جوانبه:

موزون في إيراد المعاني في السور!

موزون في التعبير اللفظي في الايات!

موزون في إيراد الكلمة في الجمل!

موزون في إيراد الحروف في كلّ ذلك!

ويفسد كلّ تلك الاوزان تبديل كلمة واحدة منها بغيرها.

هكذا شأن القرآن كلام الله المجيد، بل إنّ شأنه أعظم من هذا وأعظم.

وأما شأن تلكم الروايات المصرحة أنّ الله قد رضي بأن يبدل البشر كلامه، وأنّ رسوله بلغ أصحابه بذلك، فسندرسه - بإذنه تعالى - بعد إيراد أقوال العلماء في توجيه تلكم الروايات في ما يأتي:

أربعون اجتهادا خاطئا في توجيه الاحرف السبعة والوجه السبعة

أدرك علماء مدرسة الخلفاء عظم الكارثة على المسلمين في روايات الانساء، والسبعة أحرف والسبعة أوجه.

فاجتهدوا وعالجوا روايات الانساء بالقول بالنسخ. وأخطأوا، كما سنبينه في ما سيأتي بحوله تعالى. واجتهدوا أيضا وعالجوا روايات السبعة أحرف بأقوال كثيرة، بلغت في عصر ابن حبان (ت: ٥٢٥٤) خمسة وثلاثين اجتهادا خاطئا، حيث قال:

((اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولاً)) (٣٠).

وبلغت في عصر ابن حجر (ت: ٥٢٥٨) على نحو أربعين قولاً.

وبعد أن أورد معظمها، قال: (ومنها أشياء لا أفهم معناها) (٣١).

وكان كلّ واحد من أولئك العلماء يردّ قول الآخر واجتهاده. ونحن نرجع في ما يأتي إلى الطبري إمام المفسّرين بمدرسة الخلفاء، وندرس أهمّ ما نقل من اجتهاداتهم في الباب وأشهرها، بإذن الله تعالى.

قولهم: بأنّ المقصود من السبعة أحرف: سبعة أوجه

اجتهد بعض العلماء، وحاول أن يجمع بين روايات السبعة الاحرف الماضية وروايات أخرى جاء فيها لفظ سبعة أحرف، كالاتي:

في تفسير الطبري ومسند أحمد واللفظ للأول: عن ابن مسعود قال:

كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد. ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف: زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأجلوا حلاله وحرموا حرامه، وأفعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتهم عنه، واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وأمّنوا بمتشابهه، وقولوا: أمنا به كل من عند ربنا(٣٢).

وفي رواية أخرى:

خمسة أحرف، بدون (زجر وأمر)(٣٣).

وروى الطبري عن أبي قلابة:

أنّ النبي قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل(٣٤).

واختلفوا في تعيين المقصود من السبعة أوجه. وذكروا أنواعا من التوجيه والتأويل، كالاتي:

الأول: أنّ المقصود من الحروف السبعة، وجوه سبعة. ثمّ اختلفوا في تعيين تلك الوجوه، فقال بعضهم، أنّ الالوجه السبعة:

حلال وحرام وأمر ونهي وزجر وخبر ما هو كائن بعد وأمثال.

وقال الآخر:

وعدّ ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وأمثال واحتجاج.

وقال الثالث:

زجر وأمر وحلال وحرام ومُحكّم ومتشابه وأمثال. إلى غيرها من الأقوال(٣٥).

وقد أطال الطبري في ردّ هذه الأقوال، وقال ما موجهه:

لو كان تماري الصحابة في ما تماروا فيه تماريا واختلافا في ما دلّت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم وما أشبه ذلك، لكان مستحيلا أن يصوّب الرسول (ص) جميعهم، ويأمر كلّ قارئ أن يلزم قراءته على النحو الذي عليه. لأنّ ذلك لو صحّ كان الله - جلّ ثناؤه - قد أمر بفعل شيء في تلاوة من دلّت تلاوته على وجوب ذلك الفعل ونهى عنه في تلاوة من دلّت تلاوته على النهي، وأباحه في تلاوة من دلّت تلاوته على التخيير.

في حين أنّ الله لم ينزل كتابه إلّا بحكم واحد لجميع خلقه، لا بأحكام مختلفة. وأنّ النبيّ (ص) لم يقض في شيء واحد في وقت واحد بحكمين مختلفين(٣٦).

٣٠ راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٢١٢، النوع الحادي عشر: معرفة كم نوع؛ والاتقان ١ / ٥٠.

٣١ راجع الاتقان ١ / ٤٧ - ٥١، المسألة في الاحرف السبعة.

٣٢ مسند أحمد ١ / ٤٤٥؛ وتفسير الطبري ١ / ٢٣ - ٢٤.

٣٣ تفسير الطبري ١ / ٢٤.

٣٤ تفسير الطبري ١ / ٢٤.

وأبو فلابة، عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري، كثير الرسائل. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. توفي سنة ٥١٠هـ بالشام. تقريب التهذيب ١ / ٤١٧.

٢٥ الاتقان ١ / ٥٠، القول السادس عشر من النوع السادس عشر.

٣٦ تفسير الطبري ١ / ١٦ - ١٧.

قولهم: إنّ المقصود من الحروف السبعة: سبع لغات

قال ابن الاثير في مادة الحرف بنهاية اللّغة:

أراد بالحرف: اللّغة، يعني سبع لغات من لغات العرب، أي أنّها متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه

بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن.

وقال: ومما بيّن ذلك، قول ابن مسعود:

إنيّ قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فقرأوا كما علمتم، إنّما هو كقول أحدكم: هلمّ وتعال وأقبل (٣٧).

وقال غير ابن الاثير:

الاحرف السبعة: هي اللّغات السبع، وخمس منها: لهوازن واثنان لسائر العرب.

وقال الاخر: أربع لعجز هوازن، سعد وجشم ونظر، وثلاث لقريش.

وقال الثالث: هي لقريش واليمن وجرهم وهوازن وقضاعة وتميم وطيّئ.

وقال الرابع: سبع لغات لكعب بن عمرو وكعب بن لؤي.

وقال الخامس: سبع لغات متفرقة، لجميع العرب كلّ منها لقبيلة مشهورة (٣٨).

وردّ الطبري هذا القول، بأنّ الصحابة إنّما تماروا في تلاوة بعض من القرآن وسورة منه، واختلفوا في قراءته دون تأويله، وأنكر بعضهم قراءة بعض في السورة الواحدة.

ولو كانت الاحرف السبعة: لغات متفرقة في جميع القرآن، فلا موجب للاختلاف. وإنّما قال الرسول (ص): إنّما هو بمنزلة قولك: هلمّ وتعال.

وإنّ الاحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هي لغات سبعة في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الالفاظ واتّفاق المعاني.

كقول القائل: هلمّ وتعال وأقبل وإليّ وقصدي ونحوي وقربي.

ونحو ذلك ممّا تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق وتتنق في المعاني، وإن اختلفت بالبيان به الالسن (٣٩).

هكذا ردّ الطبري النوعين من التوجيه والتأويل، ثمّ حاول أن يجمع بين روايات السبعة أحرف والسبعة أوجه من الحلال والحرام وغيرهما، وقال ما موجهه:

إنّ الرسول (ص) أخبر عمّا خصّ الله رسوله وأمّته من الفضيلة والكرامة التي لم يؤت بها أحد من قبل، وذلك أنّه أنزل الكتب السابقة بلسان واحد ووجه واحد، وأنزل القرآن على سبعة أحرف وسبعة أوجه، ثمّ فسر السبعة أحرف بأنّ الله أنزل الكتب السابقة بلسان واحد، متى حوّل عنه إلى لسان آخر كان ذلك اللسان ترجمة له وتفسيراً، وليس تلاوة له على ما أنزله الله.

وأُنزل كتاباً باللسن سبعة بأيّها تلي كانت التلاوة على ما أنزله الله، وليست ترجمة وتفسيراً للقرآن حتّى يحوّل عن تلك اللسان السبعة إلى لسان آخر وحرف آخر فيكون عندئذ ترجمة للقرآن وتفسيراً، وليس تأويلاً للقرآن.

وفسّر الاوجه السبعة بأنّ كلّاً من الكتب السابقة نزل من باب واحد، خالياً من الحدود والاحكام والحلال والحرام، كزبور داود والذي هو تذكير ومواعظ. وإنجيل عيسى الذي هو تمجيد، وحض على الصّح والاكرام دون غيرها من الاحكام والشرائع وما أشبه ذلك... فكان المتعبدون بتلك الكتب ينالون الجنّة من وجه واحد وباب واحد من أبواب الجنّة الذي نزل من كتابهم.

وخصّ الله نبيّنا وأمّته بإنزال القرآن على سبعة أوجه من الوجوه التي يدخل العامل بكلّ وجه من أوجهه السبعة في باب من أبواب الجنّة الذي نزل منه القرآن، فيدخل العامل بما أمر الله به من باب، والتارك لما نهى عنه من باب ثانٍ، والمحلّ لما أحله الله من باب ثالث، والمحرم لما حرّم الله من باب رابع، والمؤمن بمحكمه من باب خامس، والتسليم بمشابهه من باب سادس، والاتّعاظ بعظاته من باب سابع (٤٠).

وبناء على ما نقلناه فإنّ الطبري فسّر الاحرف السبعة باللّغات السبعة، واستدلّ لما اختار وقال ما موجهه:

إنّ الأمّة أمرت بحفظ القرآن وقراءته وخيّرت في قراءته بأيّ الاحرف السبعة شاءت، ثمّ إنّ الأمّة - لعلّة من اللعل - أوجبت عليها الثبات على القراءة بحرف واحد ورفض القراءة بالاحرف الستّة الباقية.

ثمّ ذكر تلك العلّة، وروي أنّه لما استشهد جمع من القراء في معركة اليمامة، أمر أبو بكر زيد بن ثابت بكتابة القرآن، فكتبه في قطع الادم وكسر الاكتاف والعصب، فلما توفي أبو بكر جمعها عمر في صحيفة واحدة، فلما توفي عمر كانت تلك الصحيفة عند حفصة، وعلى عهد عثمان أخبر حذيفة عثمان بتكفير أهل العراق أهل الشام لقراءتهم القرآن بقراءة أبيّ، وتكفير أهل الشام أهل العراق لقراءتهم القرآن بقراءة ابن مسعود، فأمر عثمان زيد بن ثابت بكتابة القرآن، فنسخه في مصحف، وعرضه فلم يجد فيه آية من القرآن فاستعرض المهاجرين والانصار، فلم يجدها عندهم، وقد وجدها عند خزيمه بن ثابت فكتبها. ثمّ عرضه مرّة ثانية فلم يجد فيه آية أخرى، فاستعرض المهاجرين والانصار، فلم يجدها عند أحدهم، ووجدها أخيراً عند رجل آخر يدعى خزيمه - أيضاً - فأثبتها في آخر براءة. وقال زيد: لو تمّت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة.

وفي رواية:

أنّهم عندما كانوا ينسخون القرآن ربّما اختلفوا في آية فيذكرون الرجل قد تلفها من رسول الله (ص) ولعلّه يكون غائباً في بعض البوادي، فيكتبون ما قبل الآية وما بعدها ويدعون موضعها حتّى يجيء الرجل، أو يرسل إليه. وأنّه لما فرغ زيد من نسخ المصحف، عرضه على عثمان على الصحيفة التي عند حفصة فلم يختلفا في شيء.

وبعدما انتهى عثمان من ذلك، كتب إلى أهل الامصار:

أبّي صنعت كذا وكذا، ومحت ما عندي فامحوا ما عندكم.

ثمّ قال الطبري: إنّ عثمان جمعهم على قراءة واحدة خشية ارتدادهم عن الاسلام، لتكذيبهم بعض الاحرف السبعة التي نزل القرآن عليها مع نهى الرسول عن التكذيب بشيء منها، وإخباره أنّ المرء فيها كفر. فجمعهم على مصحف واحد وتلاوة حرف واحد وحرق ما عداه من المصاحف.

فتركت القراءة بالاحرف الستّة التي أمر بتركها حتّى درست من الأمّة معرفتها، وتتابع المسلمون على رفض قراءتها من غير جحود لصحّة شيء منها.

فلا قراءة اليوم للمسلمين إلاّ بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم عثمان لأنّهم كانوا مختارين في القراءة بأيّ الاحرف السبعة شاءوا، فإنّ أمر الرسول (ص) بقراءة السبعة أحرف كان أمر إباحة ورخصة، ولم يكن أمر إيجاب وفرض (٤١).

ونقول في جواب الطبري على ما اختاره تفسيراً للاوجه السبعة والاحرف السبعة:

أولاً - جواب ما اختاره في تأويل الاوجه السبعة:

إِنَّ الرسل ينقسمون على: أصحاب شرائع ناسخة للشرائع السابقة، ومن لم يأتوا بشريعة جديدة، وإنما دعوا إلى شريعة سلفهم.

وكان من القسم الأوّل، الرسول الكريم موسى بن عمران (ع) الذي جاء بشريعة جديدة لبني إسرائيل.

ومن القسم الثاني: عيسى (ع). الذي لم يأت بشريعة جديدة، وإنما كان داعياً للعمل بشريعة موسى بن عمران (ع). كما سنشرح الامرين - بحوله تعالى - في ما يأتي:

ونضرب مثالا لمن جاء من الرسل بشريعة جديدة تحوي العقائد والاحكام الاسلامية، بما كان في شريعة موسى بن عمران لأئمة من الحلال والحرام والامر والنهي، كما بيّنه القرآن الكريم، وقال في ما أحلّ الله لهم وحرم عليهم:

(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ). (آل عمران / ٩٣)

وقال:

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ... وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا فَصَّنا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ... (النحل / ١١٥ - ١١٨) وراجع الانعام /

١٤٦.

وأخبرنا عن بعض ما أمرهم به ونهاهم عنه، في قوله تعالى:

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ... (البقرة / ٨٣)

(وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ... (النساء / ١٦١)

وأخبر عن زجرهم في قوله تعالى:

(وَجاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). (الاعراف / ١٣٨ ، ١٣٩)

وأخبر عن موعظته إياهم في قوله تعالى:

(وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ... (الاعراف / ١٤٥)

وأخبر عما واعدهم في قوله تعالى:

(وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) إلى قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا... (البقرة / ٥١ - ٥٨)

وأخبر عما ضرب لهم من المثل بقوله تعالى:

أ - (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). (البقرة / ٧٣)

ب - (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ... (الفتح / ٢٩)

وأخبر عما جاء في شريعتهم من الاحتجاج بما دار بين نبييه موسى وهارون مع فرعون وقومه، في سورة الاعراف، ويونس، وهود، وطه، وغيرها.

وأخبر أنه أخبرهم عما هو كائن في أخبارهم بيعة خاتم الرسل (ص) فقد قال: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). (البقرة / ١٤٦) وراجع الانعام / ٣٠.

وأنهم لمعرفتهم به، وبركته كانوا يستفتحون باسمه في قتالهم مع المشركين قبل بعثته. وقال:

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - آي الْقُرْآن - مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ - فِي التَّوْرَةِ مِنْ خَبَرِ بَعْتِهِ - وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا - آي: الَّذِينَ عَرَفُوهُ - كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ). (البقرة / ٨٩).

أما المحكم والمتشابه في التوراة. فكان كل ما أوردناه من المحكمات في التوراة.

وأخبر عن وجود الامر المشتبه عندهم في حكاية أمرهم بذبح البقرة، وقال:

(قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ). (البقرة / ٧٠)

* * *

ولو استعرضنا ما جاء في القرآن الكريم من أخبار بني إسرائيل وأنبيائهم، لوحدنا أمثلة كثيرة مما زعم الطبري وغيره من علماء مدرسة الخلفاء من أن الله خص هذه الأمة بسبع أو بخمس؛ الحلال والحرام والامر والنهي والمحكم والمتشابه والموعظة - مثلا - لأن الله سبحانه أخبر أنه أرشد أمة موسى بن عمران، أي بني إسرائيل بها، وبطل ما افترضوه في معاني تلك الروايات.

ولا يصح قولهم أن هذه الأمة اختصت بشريعة فيها الحلال والحرام والامر والنهي والموعظة و... لأن الله لم يخص هذه الأمة وحدها بالدين والشريعة، ولم ينزل لغيرهم شريعة ولا دينا يدبنون به، فقد أخبر الله سبحانه عن نوح وشريعته وأمته، وقال:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا...). (العنكبوت / ١٤)

وأخبر سبحانه عما أرسل به نوحا والنبیین من بعده في قوله تعالى:

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ إِلى قولهِ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...). (النساء / ١٦٣ - ١٦٥)

وكيف تتم الحجّة على الناس إن لم يرسل الرسل بالدين ويوح إليهم الشريعة التي تبين للناس الحلال والحرام والامر والنهي وأمثالها، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه شرع للأمم السابقة ما شرع لأمة محمد (ص): في قوله تعالى:

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ...). (الشورى / ١٣)

وفي هذه الآية أولا قال الله - سبحانه -: شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا وإنّ (وصية الله) في القرآن: بمعنى التشريع، كما نفهم ذلك من قوله تعالى:

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى). (النساء / ١١)

تبين هذه الجملة وما بعدها في الآية، ما شرع الله في الارث، وبين أنه شرع في كلّ طبقة من الوراث لأنثى سهما واحدا في مقابل الذكر الذي له سهما، وعبر عن هذا التشريع بلفظ (وصى).

وعلى هذا فإن معنى شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا: أن الله شرع لنا من الدين وأوحى إلى النبي الخاتم (ص) ما شرع لنوح (ع).

وفي قوله تعالى:

... وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ... (الشورى / ١٣)

هذه الجملة مفسّرة لقوله تعالى:

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ... رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ). (النساء / ١٦٣ - ١٦٥)

أي: أنّ الله أوحى إلى نبيّنا وإلى الانبياء السابقين: أن أقيموا الدين. والدين كما ذكرناه أنفا هو مجموعة الاحكام الالهية التي شرعها للناس.

وبذلك تتمّ الحجّة على سائر الناس في الأمم السابقة. وما فضلت به هذه الأمة هو أنّ الشريعة التي نزلت على خاتم الانبياء (ص) هي أكمل الشرائع وأتمها.

وأما ما قالوه: (من أنّ زبور داود هو تذكير ومواعظ، وإنجيل عيسى هو تمجيد حضّ على الصفح والاکرام دون غيرها من الاحكام والشرائع...) فإنّ خلو زبور داود، وإنجيل عيسى عليهما السلام من الاحكام والشرائع لا يعني أنّ الله لم يشرع للناس في عصر داود وعيسى الاحكام والشرائع، وتركهم هملا - معاذ الله - بل لأنّ النبيّين داود وعيسى كانا من القسم الثاني من الانبياء الذين لم يأتوا بشريعة جديدة، وإنّما كانوا يدعون للعمل بشريعة النبيّ السابق عدا ما أحلّ عيسى بن مريم ليني إسرائيل بعض ما حرّم عليهم. وكان النبيّ السابق لهما، الذي كانا يدعوان الناس للعمل بشريعته هو موسى بن عمران (ع)، وإنّ جميع الانبياء بعد موسى (ع) مثل اليسع وسليمان كانوا كذلك، يدعون الناس إلى العمل بشريعة موسى بن عمران (ع) حتّى بعث الله خاتم الانبياء (ص)، ونسخ بشريعته بعض ما كان في شريعة موسى بن عمران (ع).

كما قال الله في شأن عيسى بن مريم:

(وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ... وَلَا جِلَّ لَكُمْ بِغَضِّ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ).

(آل عمران / ٤٩ ، ٥٠).

وقال في سبب ما حرّم عليهم:

أ - في سورة النساء / ١٦٠:

(فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا).

ب - في سورة الانعام / ١٤٦:

(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ... ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ...).

إذا فإنّ عيسى بن مريم (ع) لم يغيّر من شريعة موسى (ع) عدا تحليل بعض ما حرّم على بني إسرائيل، ولم يتغيّر ما عدا ذلك من شريعة موسى (ع) في شريعة عيسى (ع) ، وفي كلتا الشريعتين لم تنسخ ليني إسرائيل من حنيفية إبراهيم عدا استقبال الكعبة والحج وعيد الاضحى والجمعة، وبقيت الحنيفية لمن تبعها من غير بني إسرائيل في ما عدا الصلاة إلى الكعبة التي جاز فيها استقبال بيت المقدس (٤٢).

وكانت الحكمة في ما حرّم على بني إسرائيل تقوية نفوسهم الهشة الخوّارة (٤٣) وتمرينا لها على المقاومة في مشتهياتها في داخل نفوسهم والمقاومة في مقابلة الأمم المعادية لها في الخارج.

ولعلّه كان ممّا أحلّ عيسى (ع) ليني إسرائيل في شريعته ما حرّم عليهم من الصيد عندما تأتاهم حينئذهم شرّعا يوم السبت وما حرّم عليهم من شرب ألبان الابل وأكل لحومها وأمثال ذلك لانتفاء الحاجة إلى تقوية نفوسهم في مقابل أعدائهم في الخارج.

وفي عصر خاتم الرسل (ص) اقتضت الحكمة الربّانية أن لا تبقى أمة إسرائيلية ترى لنفسها الامتياز على كل البشر، وبذلك تكون تلك التشريعات أغلالا في أعناقهم وبتلك التشريعات يصحون غرباء في كل مجتمع انساني يعيشون فيه وتبقى العداوة قائمة أبد الدهر بينهم وبين المجتمعات البشرية التي يعيشون فيها وليصبحوا أبد الدهر جزءا من كل مجتمع يعيشون فيه تنتشر بينهم المحبّة والاخوة

والمساواة، فنسخ في الشريعة الخاتمة السبت والمناسك الخاصة ببني إسرائيل، وأمرنا باتباع الحنيفية التي جاء بها خاتم الرسل (ص) كما أخبرنا سبحانه وتعالى عن ذلك وقال:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...)(الأعراف / ١٥٧)

وبناء على ما ذكرنا، فإن شريعة عيسى (ع) لم تغيّر من شريعة موسى (ع) عدا بعض ما احلّ لبني إسرائيل ممّا كان قد حرّم عليهم في شريعة موسى بن عمران (ع).

أمّا ما يعمله النصارى من ترك الختان واتّخاذ يوم الاحد عيداً بدلا من السبت، خلافا لليهود، فلم يأت بها عيسى بن مريم (ع) وأمّا هي كالرهبانية التي ابتدعها أبحارهم ورهبانهم، كما قال الله سبحانه:

(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ). (الحديد / ٢٧)

وبما أنّ النصارى اتّخذوا ما ابتدعها أبحارهم ورهبانهم ديناً، قال الله في حقّهم:

(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...). (التوبة / ٣١)

تفسير الكلمات:

اصرهم: الاصر: القيد والتكاليف الشاقة.

أربابا: ومفرده الربّ.

وقد كثير استعمال الربّ في المرّبي وحده، كما قال الله سبحانه: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ). (التوبة / ٣١)

والمرّبي هنا هو الذي يشرع نظاما لحياة المربوب كما فسّره النبيّ (ص) لعدي بن حاتم كما جاء في تفسير الآية بمجمع البيان عن تفسير الثعلبي عن عدي بن حاتم، قال:

أنبت رسول الله (ص) وفي عنقي صليب من ذهب، فقال لي: يا عدي! اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته، ثم انتهيت إليه وهو يقرأ: (...اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...)، فقلت: إنّنا لسنا نعبدهم، فقال: ليس يحرمون ما احلّ الله فتحرمونه ويحلون ما حرّم الله فتستحلونه؟

فقلت: بلى.

قال: فتلك عبادتهم(٤٤).

وروي أيضا عن أبي جعفر وابنه أبي عبدالله - ٨ -، أنّهما قالا:

أمّا والله ما صاموا لهم ولا صلّوا، ولكنهم أحلّوا لهم حراما، وحرّموا عليهم حلالا، فاتبعوهم، وعبدوهم من حيث لا يشعرون(٤٥).

إذا فإنّ الناس في عصر داود وسليمان ٨ لم يخلوا من دين يأمرهم بما فرض الله لهم وينهاهم عمّا حرّم عليهم، وإنّما كانوا يتلون التوراة ويتبعون أحكامها وشرائعها.

وكان عليهم أن يهتدوا بما فيها من أحكام وشرائع.

وأضيف إلى ذلك في زمن داود (ع) مواعظ في زبور داود (ع)، وفي زمن عيسى (ع)، تمجيد الله والحض على الصفح والاكرام في الانجيل.

ثانيا - روايات نزول القرآن على سبعة أحرف، أي: بسبع لغات

هذا الافتراض على ما قرره، قائم على أساس صحة افتراضين:

الافتراض الأوّل: أنّ يكون القرآن قد نزل على سبع لغات من لغات العرب وقد اختلفوا في تعيينها على الاقوال الآتية:

أ - أن يكون خمس منها لهوازن واثنان لسائر العرب.

ب - أن يكون أربع منها لهوازن وثلاث لقريش.

د - أن تكون اللغات السبع لكعب بن عمرو وكعب بن لؤي.

هـ - أن تكون سبع لغات متفرقة لجميع العرب، كلّ حرف لقبيلة.

وفي اختلافهم في تعيين اللغات السبع دليل واضح على أنّ ليس لهذا الافتراض مقومات الافتراض العلمي. وإنّ الطنّ لا يعني من الحقّ شيئاً.

إضافةً إلى ذلك نقول: إنّ هذا الافتراض باطل من أساسه بالادّة التالية:

أ - قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ...). (إبراهيم / ٤)

وكان لسان قوم النبيّ لسان قريش.

ب - إنّ مكّة كانت أمّ القرى العربية في الجزيرة العربية، وكان لسانهم أفصح ألسنة القبائل العربية.

وفي كلّ الألسنة والازمنة والبلاد لا يتكلم الناس في العاصمة بلهجات أهل البوادي والارياف والقرى النائية عن العاصمة.

وأما ما قيل من وجود لغات غير عربية أو ألفاظ غير قرشية في القرآن، فنقول في الجواب:

إنّ الألفاظ تنتقل من لغة إلى أخرى في جميع الألسنة، غير أنّ أهل اللسان الثاني يجرون عليها من النقل والابدال ما يحولها إلى سنخ لغتهم.

ومثال ذلك كلمة (سجّيل) في سورة الفيل التي قالوا: إنّها كانت في الاصل (سنگ كل) وهي كلمة فارسية، وبعد أن جرى هذا القلب والابدال عليها أصبحت عربية.

والدليل على ذلك أنّ أهل الفارسية لا يفهمون معنى كلمة (سجّيل)، وأصبحت بعد القلب والابدال كلمة عربية وقرشية، لأنّ قبيلة قريش استعملتها.

وكذلك شأن بعض كلمات جاءت في القرآن، قيل إنّ أصلها من لغات غير قريش من القبائل العربية، فإنّ تلك الكلمات بعد استعمال قريش لها في محاوراتهم تصبح قرشية.

وبناء على ما قررنا، ليس في القرآن كلمة غير قرشية.

وصرّح بذلك الخليفة عثمان عندما أمر ثلاثة قرشيين وزيدا من الانصار أن ينسخوا المصاحف (كما جاء في باب مناقب قريش وباب كيف نزل الوحي وباب جمع القرآن من كتاب فضائل القرآن بصحيح البخاري) فقال ما موجه:

(إذا اختلفتم في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانّما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك)(٤٦).

كان ذلكم افتراضهم الأوّل وجوابنا عنه. وافتراضهم الثاني وجوابنا عليه كالآتي:

الافتراض الثاني:

قالوا بوجود ألفاظ مترادفة في لغة العرب بأبيها قرأت القرآن أصبت، في حين أنه لا توجد في لغة العرب ألفاظ مترادفة، لا يختلف معنى بعضها عن بعض، بل أن الألفاظ التي يقال عنها: إنها مترادفة في حين أنها تشترك في المصداق.

والمصداق يتضمّن كلّ لفظ منها معنىً يختصّ به ويمتاز به عن مرادفه، ويعرف ذلك بدراسة موارد استعمالها في كلام فصحاء العرب.

فإنّ للرقبة والعنق والجيد - مثلا - مصداقا واحدا، غير أنّ الجيد يتضمّن معنى الحسن، ومن ثمّ يقال: (جيد الفتاة)، و(جيد الغزال)، ولا يقال عند وصف حسنهما: ما أجمل عنق الفتاة أو ما أحسن رقبة الغزال!

والرقبة جزء من الانسان، وقد يتضمّن معنى الكلّ، فيقال: (عتق رقبة) ولا يقال: أعتق جيدا أو عنقا. ويتضمن العنق في ما يتضمن معنى الطول. ومن ثمّ يقال: طويل العنق، ومدّ عنقه. ولا يقال: مدّ رقبته أو جيده.

ومن ثمّ ندرك بعض وجوه البلاغة في قوله تعالى في ذمّ أمّ جميل زوجة أبي لهب: (في جيدها حبلٌ من مسدٍ) (المسد / ٥). فإنّه - تعالى - وصفها بأنّها جعلت في جيدها - بدلا من القلادة التي تزين جيد الفتاة - حبلا من ليف النخل تحمل به الحطب.

إنّما لالقائها الشوك في طريق الرسول (ص)، أو لقيامها بإيقاد نار الفتنة بين رسول الله (ص) وزوجها أبي لهب عمّ رسول الله (ص).

ولا يصحّ هنا تبديل لفظ (الجيد) بـ (العنق) أو بـ (الرقبة)، فإنّه يفسد بلاغة المعنى في الكلام، وكذلك يفسد تبديل الجيد بـ (العنق) و(الرقبة) جمال الايات ذات الوزن الفنّي، كما يدرك ذلك بلغاء اللغة العربية (٤٧).

* * *

كان ما ذكرناه شأن الألفاظ التي قيل: إنها مترادفة في لغة العرب.

أمّا ما نسبوا إلي رسول الله (ص) أنّه ذكر: هلمّ وتعال وأقبل وغيرها كأمتلة للمترادف في لغة العرب، وحاشا رسول الله (ص) أن يكون قد قاله، فنقول: إنها تنقسم على المجموعات الثلاث التالية:

أ - أقبل وتعال وحيهلا وهلمّ.

ب - اذهب وأسرع وعجّل.

ج - عليما حكيما، غفورا رحيفا.

زعم الراوون للروايات السابقة أنّ أفصح من نطق بالصاد رسول ربّ العالمين (ص) قال عن المجموعتين الأوّلين: بأيّ هذه الألفاظ قرأت القرآن، أصبت.

وحاشا رسول الله (ص) من هذا القول، لأنّ الخبير باللّغة العربية يدرك من موارد استعمال تلك الألفاظ في الكلام العربي الفصيح أنّ لكلّ لفظ منها معنىً يختلف عن معاني مثيلاته الأخر، ولا يصحّ استعمال غيره مكانه.

٣٧ مادة الحرف في نهاية اللّغة.

٣٨ تفسير الطبري ١ / ٢٣؛ والاتقان ١ / ٥٠، القول العشرون إلى القول الخامس والعشرون.

٣٩ تفسير الطبري ١ / ١٩ - ٢٠.

٤٠ تفسير الطبري ١ / ٢٤ - ٢٥.

٤١ تفسير الطبري ١ / ٢٠ - ٢٢.

٤٢ راجع تفصيل الخبر في بحثي (النسخ) و(مبلغون عن الله) من كتاب عقائد الاسلام من القرآن الكريم.

٤٣ الهشّة : الهشّ من كل شيء ما فيه رخاوة ولين .

الخوّار : خار خوّرا ؛ ضعف وانكسر فهو خائر وخوّار .

٤٤ تفسير الاية في مجمع البيان ٣ / ٢٢ - ٢٤؛ والبرهان ٣ / ١٣٠؛ والدرّ المنثور ٣ / ٢٣٠-٢٣١.

٤٥ تفسير الاية في مجمع البيان ٣ / ٢٢.

٤٦ صحيح البخاري ٢ / ٢٢٥ - ٢٢٦.

٤٧ لقد اقتصرنا في بيان فروق معاني (الجيد) و(الرقبة) و(العنق).

وفي بيان جمال التعبير في الاية وفصاحتها وبلاغتها بأقل ما يمكن الاقتصار عليه في المقام. وإنّ استيفاء البحث فيهما بحاجة إلى تفصيل لايناسب المقام.

راجع لسان العرب وغيره من كتب اللّغة.

كان ما ذكرناه شأن الالفاظ التي قيل: إنّها مترادفة في لغة العرب.

أمّا ما نسبوا إلي رسول الله (ص) أنّه ذكر: هلمّ وتعال وأقبل وغيرها كأمثلة للمترادف في لغة العرب، وحاشا رسول الله (ص) أن يكون قد قاله، فنقول: إنّها تنقسم على المجموعات الثلاث التالية:

أ - أقبل وتعال وحيهلا وهلمّ.

ب - اذهب وأسرع وعجّل.

ج - عليما حكيمًا، غفورا رحيمًا.

زعم الراوون للروايات السابقة أنّ أفصح من نطق بالضاد رسول ربّ العالمين (ص) قال عن المجموعتين الأوّلين: بأيّ هذه الالفاظ قرأت القرآن، أصبت.

وحاشا رسول الله (ص) من هذا القول ، لأنّ الخبير باللّغة العربية يدرك من موارد استعمال تلك الالفاظ في الكلام العربي الفصيح أنّ لكلّ لفظ منها معنىً يختلف عن معاني مثيلاته الأخر، ولا يصحّ استعمال غيره مكانه.

فإنّ من المجموعة الأولى منها: أقبل، تعال، حيهلا، هلمّ

أ - أَقْبِلْ: فعل الامر من باب الافعال.

الاقبال: الاتيان من قِبَل الوجه، نقيض الادبار، مثل أقبل إليه راكبا. ويستعمل في:

١ - الأمور المعنوية بمعنى توجه النفس إلى الشيء في العمل مثل: أقبل على تعلّم العلم.

٢ - في الأمور المادّية: مثل أقبل بوجهه إلى من كان جالسا عن يمينه وأدبر عمّن كان جالسا عن شماله.

ب - تعال:

دعوة للمخاطب أن يفكّر ويهيئ نفسه للقيام بعمل يذكر بعد لفظ (تعال)، ويكون العمل في الاغلب من صنف أعمال النفس، ويلازمه القيام بأعمال جسدية، مثل قوله تعالى:

(تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ...) (آل عمران / ٦١)

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ...).

(المنافقون / ٥)

(إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أَمَتَّكُمْ). (الاحزاب / ٢٨)

ج - حيهل وحيهلا:

إنّ هذه الكلمة مركّبة في الاصل من كلمة: (حيّ) أي: أقبل، مثل: (حيّ على الصلاة) و(هلا) أي: أسرع واستعجل.

ويقال حيهل إلى الطعام، أي: أسرع إلى أكله.

ويقال - مثلاً - إذا ذكر الصالحون: حيّها لسلمان المحمّدي، أي: عليك به، أو ابدأ به أو بذكره.

وفي هذه الكلمة المركّبة كما شاهدنا دعوة إلى عمل أو إلى شخص مع الترحيب بالمدعو أو المدعو إليه.

كما جاء بهذا المعنى في الكتاب الاتي من أهل الكوفة إلى السبط الشهيد بعد موت معاوية:

(إلى الحسين بن عليّ من شيعته المؤمنين والمسلمين

أمّا بعد، فحي هلا، فإنّ الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل والسلام عليك)(٤٨).

د - هلمّ:

اسم فعل يستعمل في الدعوة للاشتراك في القيام بعمل يهتمّ به الداعي إليه.

وفيه معنى: ضمّ نفسك إلينا في هذا العمل.

كما جاء في قول الخليفة عمر لابن عباس عندما أخبره عن سبب عدم توليته امارة البلاد قال له عمر:

(إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت وأنت في عملك، فتقول هلمّ إلينا ولا هلمّ إليك دون غيركم)(٤٩).

٤٨ تاريخ الطبري ٥ / ٢٥٣ ط. مصر تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

٤٩ راجع معالم المدرستين، الجزء الأوّل، فصل كتمان فضائل الامام علي (ع) ونشر سببه ولعنه ١ / ٣٤٦.

المجموعة الثانية: اذهب، أسرع، عجل

أ - اذهب:

الذهاب: المضي والحركة من مكان إلى آخر على سبيل الادبار عن الأوّل والتوجه إلى الثاني.

ويكون في الاحسام المادّية مثل: (اذهب إلى فرعون...). (طه / ٢٤)

(اذهبوا بقميصي...). (يوسف / ٩٣)

وفي الأمور المعنويّة، مثل قوله تعالى للشيطان:

(قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ...). (الاسراء / ٦٣)

وذهب في الارض: سار إلى الابد مثل قوله تعالى:

(فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ...). (طه / ٩٧)

ب - أسرع:

السرعة في العمل خلاف البطء فيه، وأسرع وسارع: خفّ لاداء عمل ما، مادّيّا كان العمل، مثل الاكل والشرب، أم معنويّا مثل قوله تعالى:

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...). (آل عمران / ١٣٣)

ج - عجل:

العجلة: حالة نفسية تبعث الانسان على المبادرة بعمل ما، بدافع نفسي، سواء أكان الدافع: الشوق والرغبة في العمل، أو الخشية والخوف من فوت الامر، أو بدافع السخط والغضب.

ومثال الأوّل: قوله - تعالى - في حكاية قول نبيّه موسى (ع):

(وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى). (طه / ٨٤)

وكان نبيّ الله موسى (ع) تقدّمهم في الذهاب إلى المكان الموعود.

وقوله لخاتم الانبياء (ص):

(وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ...). (طه / ١١٤)

ومثال الثاني: قوله تعالى:

(فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا). (مريم / ٨٤)

ومثال الثالث: قوله تعالى:

(عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ). (ص / ١٦)

أي: عجل لنا نصيبنا من العذاب.

وفي الحديث: ((عجلوا بالصلاة قبل الفوت)).

والفرق بين السرعة والعجلة: أنّ العجلة من الانسان تكون في المبادرة للقيام بالعمل، والسرعة تكون: تسريعا في إنجاز العمل

نفسه.

المجموعة الثالثة: عليما حكيمًا، غفورًا، رحيمًا

نترك الحديث حول هذه المجموعة لوضوح الفرق في معانيها.

* * *

بعد ذكرنا بعض الفروق في معاني هذه الكلمات، نرجع إلى القرآن الكريم لندرس بعض ما جاء منها في ضوء الروايات الانفة إن شاء الله تعالى:

المجموعة الأولى: أقبل وتعال وحيهلا وهلم

أ - أقبل:

جاء (أقبل) في قوله تعالى:

(وَأَنْ أَلِقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ). (القصص / ٣١)

تصرح الآية بأن نبي الله موسى (ع) أدبر عن عصاه التي انقلبت إلى حية تتحرك فناداه ربه وقال له: أقبل إليها ولا تخف.

ويقال في اللغة العربية: أقبل إلى الشيء لمن أدبر عنه. وقد جوّزت لنا الروايات الانفة الذكر أن نحرف الآية ونقول: فلما رآها تهترّ كأنها جان ولى مدبرا، ولم يعقب يا موسى تعال!! أو يا موسى هلم!!

ولا يقول ذلك إلا من كان هازئا أو جاهلا باللغة.

وحاشا رسول الله (ص) من أن يقول ما رروا عنه.

ب - تعال:

جاء (تعال) في عدة آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى:

(إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا). (الاحزاب / ٢٨ ، ٢٩)

تصرح الآية بأن الله أمر نبيه أن يدعو زوجته إلى القيام بالتفكير والتدبر في اختيار أحد أمرين يخترن أحدهما:

إن كنّ يردن سعة العيش في الدنيا، فإنّ النبي يعطيهم متعة الطلاق، ثم يسرحهن، أي: يطلقهن.

وإن أردن طاعة الله ورسوله (ص) والصبر على ضيق العيش في الدنيا، والجنّة في الآخرة، فإنّ الله أعدّ للمحسنات منهنّ أجرا عظيما.

إذا فإنّ الله ورسوله (ص) قد دعوا أمّهات المؤمنين بعد (تعالين) إلى التفكّر والتدبر في أحد الامرين.

وهذا هو الصواب في التعبير في مثل هذا المقام، بينما جوّزت الرواية تحريف الآية الكريمة، وأن يقال: بدل (تعالين) - مثلا - (حيهلا)، ولم يدرك الراوي أنّ المقام ليس مقام ترحيب كي يقال لهن: حيهلا، ولا مقام دعوة إلى الانضمام إلى رسول الله للقيام بعمل، كي يقال لهن (هللمن) أو (أسرعن) أو (عجلن) أو غيرها من الالفاظ.

ج - حيهلا:

لم يرد (حيهلا) في القرآن لندرسه على حدة.

د - هلم:

جاء هلم في قوله تعالى:

(قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا). (الانعام / ١٥٠)

معنى الآية: هاتوا شهداءكم الذين ينضمون في هذا الرأي إليكم ويشهدون بأن الله حرم هذا.

وجوز الراوون أن تُحرّف الآية، ونقول: قل حييلا شهداءكم الذين يشهدون...، أو نقول: أقبلا شهداءكم الذين

يشهدون...، أو نقول: تعالوا شهداءكم الذين...

وحاشا رسول الله (ص) أن يكون قد حدّث بما رواوا.

المجموعة الثانية: اذهب وأسرع وعجل

وقال الراوون - أيضا - :

لك أن تُحرّف الايات التي جاء فيها: اذهب وأسرع وعجل. وتأتي ببعضها بدلا من الاخر.

وفي ضوء ما رواوا نرجع إلى القرآن الكريم وندرس موارد استعمال كل منها:

أ - اذهب:

جاء (اذهب) في قوله تعالى للشيطان:

(قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا).

(الاسراء / ٦٣)

يفهم العربي من لفظ (اذهب): الابعاد والطرء، كأنّ الله - سبحانه - قال للشيطان: ابعء عن التقرب إليّ.

ولو حرّفنا الآية كما جوزها الرواة، وقلنا: (عجل فمن تبعك منهم...)، أو (أسرع فمن تبعك منهم...)، ماذا كان يعني الكلام؟!

ب و ج - أسرع وعجل:

إنّ معرفة الفرق في صيغة الامر: أسرع وعجل دقيق وبجاجة إلى تدبّر الخبير في فقه اللغة العربية. ونحن نذكر هنا غير صيغة الامر منهما، ليتضح الفرق بينهما لعامّة الناس. وقد جاء من الأوّل قوله تعالى:

(أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ). (الانعام / ٦٢)

وجاء من الثاني، حكاية قول موسى لقومه حين عبدوا العجل:

(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مَن بَعَدِيَ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ...). (الاعراف / ١٥٠)

وإنّ كلّ عربي اللسان يدرك عدم صحّة تبديل (أسرع الحاسبين) بـ (أعجل الحاسبين)، وتبديل (أعجلتم أمر ربكم) بـ (أسرعتم أمر ربكم).

المجموعة الثالثة: عزيزا حكيما، عفورا رحيمًا، سميعا عليما:

روي رواية تلك الاحاديث أنّ الله ورسوله (ص) قد أذنا للناس كلّ الناس معاذ الله أن يُحرّفوا أو احر آيات القرآن الكريم في تبديل أسماء الله التي تختم بها الايات، على أن لا يتبدّل بالتحريف آية رحمة بآية عذاب، وآية عذاب بآية رحمة، وضربوا مثلا لذلك بجواز تبديل: (سميعا عليما) بـ (عزيزا حكيما) أو (عفورا رحيمًا)، ولا حاجة في هذا المقام للاستدلال على ما بين معاني أسماء الله هذه

من الفروق، لوضوحها.

ونقتصر على الرجوع إلى القرآن الكريم ودراسة موارد استعمال هذه الاسماء، لنرى كيف تكون نتيجة هذا التفوّل في الايات الاتية:

أ - أخبر الله - سبحانه - عن إبراهيم وإسماعيل ٨ في سورة البقرة وقال:

(وَإِذْ بَرَّعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَإِنَّا لِلَّهِ عَبِيدٌ) (البقرة / ١٢٧ - ١٢٩) وأخبر الله - سبحانه - عن قوم موسى بعد عبادة بني إسرائيل العجل، وقال:

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَا خِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمَّنُوا بِرَبِّهِمْ إِنَّ رَبَّهُمْ لِغَفُورٌ رَحِيمٌ). (الاعراف / ١٥١ - ١٥٣)

في خبر إبراهيم وإسماعيل ٨ أخبر - سبحانه - في الآية الأولى أنّهما كانا يرفعان القواعد من البيت ويدعوان ربّهما ويقولان:

إِنَّكَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، فهو يسمع دعاءهما ويعلم عملهما.

وفي الآية الثانية: أنّهما دعوا أن يتوب عليهم فهو التوّاب الرحيم.

وفي الآية الثالثة: أنّهما دعوا أن يعث لاهل مكة رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة وهو العزيز - الغالب الذي لا يفهره شيء - الحكيم في فعله.

وفي خبر موسى وهارون ٨ وقومهما، أخبر - سبحانه - أنّه طلب المغفرة والرحمة له ولاخيه، وأخبر أنّ الذين عملوا السيئات وتابوا، أنّ الله بعد ذلك غفور رحيم.

والرحمة جاءت في الايتين بعد ذكر التوبة والمغفرة، لأنّ الرحمة تكون بعد التوبة والمغفرة.

يا ترى لو عملنا بتلك الروايات، وحررنا الايات، وقلنا في الآية الأولى بدل (السميع العليم) (ربّنا تقبل منا إنّك أنت التوّاب الرحيم) أو (إنّك أنت العزيز الحكيم)، وقلنا في الآية الثانية: بدل (التوّاب الرحيم) (وتب علينا إنّك أنت العزيز الحكيم)، وقلنا في الآية الاخيرة بدل (غفور رحيم) (ثم تابوا من بعدها إنّ ربك من بعدها لسميع عليم)، أو (عزيز حكيم).

كم كان الكلام مجانيا للبلغة وهذرا من القول تعالى الله عما قاله هؤلاء الرواة وتقدّست أسماؤهم (٥٠).

وإنّ أقوال هؤلاء الرواة بعينها قالها عبدالله بن سعد بن أبي سرح الاموي. وكان خبره وخبر قوله كالآتي:

عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري أخو عثمان من الرضاة. ارضعت أمّه عثمان.

أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى المدينة، وكتب الوحي لرسول الله (ص) ثم ارتدّ مشركا، وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إنّّي كنت أصرف محمدا حيث أريد. كان يُملي عليّ: (عزيز حكيم)، فأقول: (عليم حكيم)؟ فيقول: نعم، كلّ صواب، فأنزل الله تعالى فيه:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ).

(الانعام / ٩٣)

فلما كان يوم الفتح أهدر رسول الله (ص) دمه، وأمر بقتله ولو وجد متعلقا بأستار الكعبة، ففرّ عبدالله إلى عثمان، فغيبه حتّى أتى به إلى رسول الله (ص) فاستأمنه له، فصمت رسول الله (ص) طويلا، ثمّ قال: نعم.

فلما انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه.

فقالوا: هلا أومأت إلينا، فقال: إنَّ النبيَّ لا ينبغي أن يكون له خائنة الاعين... الخبر(٥١).

إنَّ عبد الله بن سعد روى عن رسول الله (ص) في حال ارتداده عين ما رواه هؤلاء الرواة عنه، فأمر الرسول (ص) بقتله، ولو كان متعلقا بأستار الكعبة.

ترى ماذا كان يحكم الرسول (ص) على هؤلاء الرواة لو رأهم يروون عنه عين ما رواه عبد الله بن سعد؟

وإذا كان الرسول (ص) لم يرههم في هذه الدنيا، فإنَّه يراههم في الآخرة ويرونه(ص) والحكم يومئذ الله!

٥٠ ويحكى عن الاصمعي قال: كنت أقرأ: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم) وكان بجنبي اعرابي فقال: كلام من هذا؟ فقلت: كلام الله، فقال: أعد، فأعدت، فقال: ليس هذا كلام الله! فانتبهت فقرأت: ((والله عزيز حكيم)) فقال: أصبت هذا كلام الله! فقلت: أنقرأ القرآن؟ قال لا. فقلت: فمن أين علمت؟ فقال: يا هذا! عزَّ فحكمت بقطع، ولو غفر ورحم لما قطع! تحفة الاحباب للمحدث القمي ص ٢٠٢.

٥١ الاستيعاب ١ / ٣٨١ - ٣٨٢؛ والاصابة ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠ و ١ / ١١ - ١٢؛ وأسد الغابة ٣ / ١٧٣ - ١٧٤؛ وأنساب الاشراف ٥ / ٤٩؛ والمستدرک ٢ / ٤٥ - ٤٦. والمفسرون كالطبري والقرطبي وغيرهما، في تفسيرهم الآية: ٩٣ من سورة الانعام؛ وابن أبي الحديد ١ / ٦٨.

تناسب الايات مع ما يرد من أسماء الله فيها

إنَّ أولئك الرواة رووا ما رووا مع عدم تفقّه لمعاني الالفاظ في اللّغة العربية وعدم تدبّر للقرآن الكريم.

وأما ما أشرنا إليه من تناسب أسماء الله مع الآية التي جاء الاسم في آخرها، فإنَّ الامر في تناسب الايات مع اسم الله الوارد فيها أعظم ممّا ذكرناه وأجلّ خطرا.

ونقتصر لتوضيح ذلك بإيراد موجز من معاني بعض أسماء الله، ثم ندرس أمثلة من مواردها في القرآن الكريم في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

الله والاله والربّ

أ - الاله:

أله إلهة، أي: عبد عبادة. و(الاله) اسم لكلّ معبود وجمعه: الالهة. وكان المشركون يعتقدون أنّ أصنامهم آلهة تضرّهم وتنفعهم من دون الله، ولذلك كانوا يقدمون لها القرابين، ويعبدونها لتقضي حوائجهم. وكذلك شأن من بقي منهم في عصرنا، وقد أخبر الله عنهم وقال:

(وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا). (مريم / ٨١)

وقال: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ). (يَس / ٧٤)

وأخبر عن قوم هود أنّهم قالوا لنبيهم (ع):

(إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ). (هود / ٥٤)

ولمّا كان كلُّ ما يعتقدون لالهتهم من التأثير في العالمين هو من أنواع الالاجاد والخلق، نفى الله أن يكون لالهتهم أيّ أثر في الالاجاد

والخلق، أو القدرة على الدفاع عن أنفسها فضلا عن غيرها، وقال - سبحانه -:

(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ).

(الحجّ / ٧٣).

وحصرَ الخلق بذاته جلّ اسمه، وقال:

(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (الفرقان / ٢)، وراجع الانعام / ١٠١.

وقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ). (الشورى / ١١)

وبناء على ذلك فإن قولنا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) يعني: أن لا خالق ولا رازق ولا ضارّ ولا نافع ولا مؤثر في الوجود إلا الله.

وهذا لا يعني ما يقوله بعض المذاهب، فإننا نؤمن بأنّ الله لو شاء أن يجعل شيئا غيره ضارّا أو نافعا له، فعل، وإن اقتضت حكمته أن يمنح غيره قدرة الخلق بإذنه، فعل، كما أخبر عن ذلك في ما حكاه من قول عيسى بن مريم (ع) لبني إسرائيل:

(إِنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْآكَمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّبُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنثِّقُكُمْ يَمًا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). (آل عمران / ٤٩)

وبناء على ما شرحناه فإنّ الله أحدٌ في الألوهية، وليس واحدا من الالهة، وليس كبير الالهة، ولم يلد الالهة ملائكة وغير ملائكة، وليست الملائكة بناته، بل هو إله أحد، خلق الخلق أجمعين ولم يلد لهم، كما ولدت الارض الشجر، والشجر الثمر، ولم يولد من شيء كما ولدت الاحياء من الماء، والماء من الاوكسجين والهيدروجين، ولا يتغيّر من حال إلى حال، كما يتغيّر المخلوق بعد الولادة مولودا ووالدا.

إذا فإنّ الله هو الاحد، والاحد هو الصمد، والصمد هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وهكذا نرى الايات بعد الصمد في سورة: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) تفسر (الصمد) و(الصمد) وما بعده تفسر (الاحد) و(الاحد) وما بعده من صفات الله (١).

والسورة بمجموع آياتها وكلماتها وحدة منسجمة في المعنى، ولا يصحّ تبديل كلمة منها بكلمة أخرى، اسما كان لله أو شرح اسم.

فلا يصحّ تبديل (قل هو الله أحد) ب (قل هو السميع الاحد) ولا ب (قل الله السميع) ولا تبديل (الله الصمد) ب (السميع الصمد) أو (الله السميع) مع أننا لم نختم فيها آية رحمة بعداذب أو آية عذاب برحمة، كما أجازت ذلك الروايات الماضية.

وكان ذلك بسبب انسجام معنى الايات في السورة، وإضافةً إلى ذلك فإنّ لكلّ سورة صغيرة في القرآن أو لكلّ مجموعة آيات نزلت مرّة واحدة وزنا خاصا بها لم يكتشف حتّى اليوم، ينتبه إليها اللبيب مع قراءتها بتدبر في ذلك كما أنّ لكلّ نوع من الشعر وزنا خاصا به لم يكن معروفا قبل أن يكتشف الخليل ابن أحمد (ت: ١٧٠هـ) أوزان الشعر، ويفسرها بالتفعيلات التي وضعها لمعرفة أوزان الشعر.

وفي هذه السورة يختلّ الوزن إذا بدّلنا في الآية الأولى: ال (أحد) بأيّ اسم من أسماء الله، مثل: (الغفور) أو (الرحيم) أو (القهار) ونقول - مثلا -: (قل هو الله الغفور الله الصمد...).

هكذا يختلّ المعنى والوزن في السورة بتبديل أية كلمة منها بأخرى، ويفهم الأوّل كلّ عربي اللسان، والثاني يفهمه كلّ إنسان لبيب عربيا كان أم أعجميا.

ب - الربّ

الربّ بمعنى التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا حتّى يبلغ درجة الكمال.

وربّ الولد وربّاه، فهو ربّ، والولد مربوب وربيب.

وربّ الضيعة: أصلحها وأتمها.

ويستعمل الربّ بمعنى الربّ ويقصد به مالك الشيء ومدبّره وفي مثل هذه الحالة يضاف الربّ إلى المربوب ويقال:

ربّ الضيعة والفرس. ولا يقال الربّ مطلقا إلاّ لله تعالى المتكفّل لتربية جميع الخلق، نحو قوله تعالى:

(بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ). (سبا / ١٥)

وبالإضافة، يقال له ولغيره: مثل ربّ العالمين، وربّ الدار وربّ الفرس.

وعلى ما سبق، فالربّ بمعنى المالك والمدبّر للشيء، وقد يستعمل الربّ في أحد المعنيين: المالك أو المربّي، أي في جزء من معناه. وهذا الاستعمال شائع في لغة العرب.

قال الراغب في مادّة (القءر): إنّ كلّ اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كلّ واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة للخوان وللطعام، ثمّ قد يسمّى كلّ واحد منهما بانفراده به.

١ تفسير السورة في البرهان في تفسير القرآن ٤ / ٥٢٥.

عود على بدء:

إنّ شرح صفات الربوبية ترد في القرآن يسيرا موجزا أحيانا، ومفصلا حيناً آخر، ونجد أنّ جلّ معارك الانبياء مع أممهم واحتجاجاتهم كانت حول توحيد الربوبية، وأنّ ربّ الانسان الذي يشرع له النظام في إدامة حياته هو ربّ جميع الخلق الذي شرّع نظاما لجميع الخلق. وبحكي مجادلة إبراهيم مع طاغوت عصره نمرود ويقول:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...).

(البقرة / ٢٥٨)

إنّ نمرود كان يزعم أنّه الربّ الذي من حقّه أن يشرع النظام للمجتمع الذي يحكمه، ومن ضمنهم إبراهيم، ولكنّ إبراهيم (ع) أبى ذلك وقال: إنّ الذي يُحبي ويميت هو ربّي.

ويلقي نمرود في هذا الاحتجاج شبهة ويقول: أنا أحيي وأميت.

ويأمر بإنسان سجين محكوم بالاعدام، فيطلق سراحه، ويسمي هذا بالاحياء.

ويأمر بإنسان طليق لا ذنب له بالقتل فيقتل.

ويردّ عليه إبراهيم أنّ الربّ هو الذي شرّع النظام الكوني، وجاء بالشمس من المشرق، فإن كنت ربّا، فأنت بالشمس من المغرب وغير هذا النظام، فبهت الذي كفر!

وحكى عن الفتية المؤمنين من أصحاب الكهف الذين أبوا قبول ربوبية طاغوت زمانهم وأنهم:

(إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...), (الكهف / ١٤)

إنّ الربّ الذي شرع النظام للسموات والارض هو ربنا الذي شرّع لنا نظاما نتبعه.

وحكى عن مُجاجة موسى طاغوت عصره، وقال:

(وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ). (الزخرف / ٥١)

وقال: (فَحَسْرَتِي فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى). (النازعات / ٢٣، ٢٤)

إنّ فرعون احتجّ على استحقاقه الربوبية - معاذ الله - أنّه يملك مصر وما فيها من أنهار، وهو الذي يطعم أهل مصر ويؤمن حاجاتهم، وإن كان للمزارع في مصر أرباب يربونها وللدواجن أرباب يربونها وللمصانع أرباب يديرونها وكلّ يشرع نظاما لما يربّه، فهو ربهم الاعلى - معاذ الله - يحقّ له أن يشرع نظاما يدينون به.

وينكر عليه موسى وهارون - ٨ - أن يكون له ذلك، فسأله فرعون وقال:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى). (طه / ٤٩ ، ٥٠)

قال موسى (ع): ربنا الذي أعطي كل شيء ما خلق فيه من خواص جسمية ونفسية ومواهب وغرائز والتي منها غريزة قبول هداية الله، ثم هداه ليدوم حياته وفق الذي قدر له متناسبا مع فطرته.

وقد أوجز القرآن هنا ذكر استدلال موسى على فرعون في الربوبية، وجاء تفصيل هذا الاستدلال في الايات:

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى...). (الاعلى / ١ - ٣)

وفي الموردین اشارة إلى هداية الله لجميع الخلق، وقد بين الله في آيات أخرى كيفية هدايته للخلق، وذكر أربعة أنواع من الهداية للخلق:

١ - الهداية التسخيرية.

٢ - الهداية الالهامية أو الغريزية.

٣ - الهداية بواسطة الوحي.

٤ - الهداية التعليمية.

أ - الهداية التسخيرية

من أنواع الهداية التسخيرية، ما أخبر الله عنه، وقال:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الاعراف / ٥٤)

فحوى الآية:

أيها الناس! إن ربكم الذي يشرع لكم نظام حياتكم هو الذي خلق السماوات والارض في ستة مراحل، ثم استولى عليها يدبر أمرها ويربها.

يغشي ظلام الليل على ضياء النهار، يعقبه سريعا، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، فهو الذي خلقها وهو الذي يربها ويهديها تسخيرا لتسير وفق أمره، وذلك هدايته لهذا النوع من الخلق.

وقد يعبر عن الهداية التسخيرية بلفظ: جعل، مثل قوله - تعالى -:

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَتَازِلًا...).

(يونس / ٥)

وقوله تعالى:

(وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا). (الانعام / ٩٦)

وهذا النوع من الهداية تكوينية، وتخص الجمادات والنباتات والانسان وجميع أصناف الحيوان في تكوينها.

ب - الهداية الالهامية

ومن أمثلتها ما أخبر الله عنها بقوله تعالى:

(وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا...)
(النحل / ٦٨ ، ٦٩)

هذا النوع من الهداية يسمّى في عرف الناس بالغريزة وهو يخصّ الحيوانات، فإنّ النحل بهداية الله الغريزية إياه يبني خلايا سداسية لسكناه ويجرس نور الأشجار للتعسيل.

ج - الهداية بواسطة الوحي

قال - سبحانه وتعالى :-

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ... رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ). (النساء / ١٦٣ - ١٦٥)

(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) (الشورى / ١٣)

وهذا النوع من الهداية يخصّ الانسان، قال سبحانه:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). (الروم / ٣٠)

شرع له الدين بعد أنّ هيّاه بين جميع الخلق (٢)، لتلقي هذا النوع من الهداية بوسيلتين لنقل الافكار: التكلم والكتابة كالآتي بيانه:

أ - التكلم، وعبر عنه القرآن بـ (البيان) في قوله تعالى:

(خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ). (الرحمن / ٣ ، ٤)

ب - الكتابة: وقال سبحانه:

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ). (العلق / ٣ ، ٤)

د - الهداية التعليمية للملائكة

كما حكى الله سبحانه قول الملائكة له: (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا). (البقرة / ٣٢)

وبحثنا هنا يخصّ الهداية بواسطة الوحي، وبناء على ما بيّناه فإنّ الخلق والانشاء وما يتبعها من صفات الألوهية والهداية وما يتبعها من صفات الربوبية، مثل إرسال الرسل وتشريع الدين وإثابة المطيعين وعقاب العاصين وقبول توبة العاصين وما شابهها إلى الأمم.

ومن ثمّ يرد في القرآن لفظ: (الاله) مع ذكر أمر الخلق والانشاء، ولفظ (الربّ) مع ذكر التشريع وإرسال الرسل وما يتبعها.

ولمّا كان لفظ (الله) اسم للذات المستجمع لجميع الاشياء الحسنى، فإنّ الله: هو الربّ وهو الاله وهو الحيّ وهو القيوم... ومن ثمّ يرد اسم (الله) في مكان كلّ اسم من أسمائه الحسنى.

* * *

بعد إيراد المقدمة الانفة تقدّم إلى رحاب القرآن الكريم، لندرس فيه حكمة ذكر كلّ اسم من أسماء الله في المورد الذي جاء فيه من أول الآية أو السورة أو في آخرهما، ثمّ نرى كيف لا يصحّ تبديله باسم آخر من أسماء الله في ذلك المورد كما ذكرته الروايات السابقة.

أ - سورة الاعلى:

استفتح - جلّ اسمه - سورة الاعلى بعد البسملة بقوله:

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ثمّ سلسل ذكر ما يتّصل بصفات الربوبية إلى آخر السورة وقال:

(سَنُقَرِّئُكَ - الْقُرْآنَ - فَلَا تَنْسَى... قَدْ كَرَّرْنَا أَنْ تَفْعَلَ الذِّكْرَى... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ - صفات الربوبية - فَصَّلَى... إِنَّ هَذَا - البيان - لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى).

وإنّ صحف الانبياء الأولى كانت تدعو إلى قبول ربوبية الربّ والاهتداء بأوامره كما يدعو إليه القرآن.

هكذا نرى آيات السورة إلى آخرها ذات وحدة منسجمة في معنى الربوبية، وذات وزن واحد في اللفظ، ويفسدهما جميعاً تبديل آخر الآية الأولى منها مثلاً. بلفظ (سَبِّحِ اسْمَ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ) أو (رَبِّكَ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ) أو (الْغُفُورِ الرَّحِيمِ) بدلاً من (اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى).

وكذلك يفسد الوزن والمعنى تبديل (رَبِّكَ) في آخر الآية الأخيرة منها بأيّ اسم من أسماء الله تقدست أسماؤه.

ب - سورة اقرأ:

كذلك شأن أول سورة أنزلها الله على رسوله (ص) فقد استفتحتها بعد البسملة بـ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)، ثمّ سلسل ذكر صفات الربوبية بيان تعليمه الانسان وهدايته بوسيلة القلم، وأخبر في آخرها أنّ مرجع الخلق إلى الربّ.

في هذا السورة - أيضاً - يفسد الوزن والمعنى تبديل لفظ الربّ في (بِاسْمِ رَبِّكَ) في الآية الأولى بأيّ اسم آخر من أسماء الله الحسنى، وكذلك يفسدهما تبديل لفظ الربّ في الآية الأخيرة: (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) بأيّ اسم آخر من أسماء الله - تعالى -، كما زعمت الرواية جواز ذلك في آخر الآيات.

ج - سورة الفاتحة:

افتتح سورة فاتحة الكتاب بعد البسملة بـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ثمّ ذكر من صفات الربوبية موجزاً: رحمته للعالمين في الدنيا بتربيته للعالمين كما مضى شرحها. ومن ضمن العالمين الانسان، وأنّه رحيم بالمؤمنين يوم الدين بما يثيبهم على قبولهم الهداية، وأنّ الربّ هو المالك ليوم الدين.

ثمّ يوجهنا إلى خطاب الربّ، وأنّ نقول له: إنّنا نعبدك وحده عبادة طاعة وخضوع، ونستعينه لذلك، ونطلب منه أن يأخذ بأيدينا في السير على طريق الهداية بعد أن هدانا طريق الهداية بمقتضى ربوبيته، ذلك الصراط الذي أنعم بسلوكه على عباده المخلصين غير صراط اليهود المغضوب عليهم ولا النصارى الضالين.

إنّ مجموع آيات السورة بيان لصفات ربّ العالمين، كما أنّ أكثر آيات القرآن شرح لهذه السورة.

وفي السورة براءة استهلال (٢) لما جاء في كتاب الله بعده. وإنّ أكثر آيات السورة - كما ترى - وحدة منسجمة تبين معنى ربّ العالمين، ويخّل بالوزن والمعنى أنّ نغيّر آخر الآية الأولى، ونقول: (الْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ) - مثلاً - أو (الْغُفُورِ الرَّحِيمِ) كما زعمت تلكم الروايات.

وإنّ التدبّر في سورة الشعراء يشخّص لنا موارد استعمال الربّ من أسماء الله سبحانه.

وبالتدبّر في مجموع الآيات والصور اللاتي جاء فيها لفظ الربّ ندرك أنّ من صفات الربّ في القرآن الكريم:

أ - الهداية التسخيرية للجمادات والنباتات.

ب - الهداية الغريزية للحيوانات.

ج - الهداية التشريعية بوسيلة الوحي إلى الانبياء، ومنهم بالتعليم بوسيلتي البيان والقلم للانسان (٤).

د - الهداية التعليمية للملائكة.

ومن صفات الربّ إرسال الرسل وإنزال الكتب وتشريع الشرائع وإنشاء الاوامر التكوينية والتشريعية والنواهي التشريعية.

وكلّ ما ذكرناه إلى هنا من صفات الربّ من مصاديق رحمة الربّ للعالمين أجمعين في الدنيا، أي: (الرحمن).

ومن لوازم هذه الصفات إثابة المطيعين وعقاب العاصين في الدنيا وفي يوم الدين، وقبول التوبة والمغفرة للتائبين المستغفرين.

وبناء على ما ذكرنا يرد في القرآن من أسماء الله لفظ الربّ خاصّة في كلّ تلك الموارد سواء أكان المورد في أوّل السورة والاية أم في آخرها، وسواء جاءت موجزة أم مفصلة، ولا يصحّ تبديل اسم الربّ في تلك الموارد بأيّ اسم آخر من أسماء الله كـ (الإحد الصمد) - مثلاً - أو (الحيّ العزيز)، وسواء أكان في الاية والسورة ذكر رحمة أم عذاب، إلاّ في المورد الذي تضمن مع ذكر صفة أخرى من صفات الله فيرد اسم تلك الصفة، وقد جاء ذلك نادراً في القرآن ممّا يفهمه الباحث اللبيب بالتدبّر.

* * *

شرحنا معنى (الربّ) من أسماء الله بشيء من التفصيل، ليكون مثلاً لمعرفة ما في أسماء الله من دلالات على صفاته تبارك وتعالى.

وبذلك يتيسر معرفة بطلان محتويات الروايات اللّاتي نسبت إلى رسول الله (ص) أنّه قال: يصحّ تبديل أسماء الله الواردة في آخر الايات بغيرها ما لم تختتم آية رحمة أو آية عذاب بما يناقضها، حاشا رسول الله (ص) من هذا القول.

فقد عرفنا أنّه يفسد المعنى تبديل أيّ اسم من أسماء الله جاء في مورد ما من القرآن الكريم.

وقد يفسد المعنى والوزن جميعاً.

وبملاحظة ما ذكره الباحثون بالكامبيوتر عمّا وجدوا من توازن في ألفاظ القرآن الكريم، نجد الامر في شأن ما جاء من الالفاظ في القرآن الكريم أعظم ممّا ذكرناه بكثير، كما سنشير إلى شيء منه في ما يأتي بإذن الله تعالى:

٢ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٣ / ٢٣.

٣ براعة الاستهلال في الشعر والنثر: هو أن يبدأ الشاعر أو الخطيب بمطلع يشدّ السامع إلى قصيدته أو خطبته - ما يبغيه - ويختمه أيضاً - بما يلتقي والموقف.

٤ إنّ الجنّ يشاركون الانسان في الاهتداء بالانبياء، كما يعرف ذلك من سورة الجنّ والاحقاف، ولكنّا لانعلم عن كيفية تدينهم شيئاً.

توازن الالفاظ في القرآن الكريم

جاء ذكر كلّ من مادّة: الدُّنيا والاخرة ١١٥ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الملائكة والشياطين ٨٨ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الحياة والموت للخلق ١٤٥ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: حيّاً - ميّتا ٥ مرّات.

جاء ذكر كلّ من مادّة: السيّئات والصّالحات ١٨٠ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: النفع والفساد ٥٠ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: النفع والضرر ١٠ مرّات.

جاء ذكر كلّ من مادّة: النَّاس والانسان مع الرسل ٣٦٨ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الصبر والشدّة ١٠٣ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الهدى والرحمة ٧٩ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: العقل والنور ٤٩ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: البعث والصراط ٤٥ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: المحبّة والطاعة ٨٣ مرّة.

جاء ذكر كلّ من مادّة: الشريعة وروح القدس ومحمّد (ص) والملكوت ٤ مرّات.

جاء ذكر كلّ من مادّة: أسباط موسى وحواريو عيسى ٥ مرات.

وجاء لفظ (الجزاء) ١١٧ مرّة، وجاء لفظ (المغفرة) ثلاثة أضعافه (٣٥١) مرّة.

وجاء لفظ (العسر) ١٢ مرّة، وجاء لفظ (اليسر) ثلاثة أضعافه ٣٦ مرّة.

وجاء لفظ (الشهر) ١٢ مرّة بعدد شهور السنة، ولفظة (اليوم) ٣٦٥ مرّة بعدد أيام السنة(٥).

* * *

هذا بعض ما وجدناه من توازن الكلمات القرآنية عند العلماء الذين أحصوا ألفاظ القرآن في الحاسبات الالكترونية ثمّ راجعنا بشأنها معجم ألفاظ القرآن الكريم، فوجدناها موافقة للاحصاء الذي جاء منها في المعجم. ونستنتج من هذا الاستقراء وجود توازن في الكلمة القرآنية مع نظيرها ومع ضدها ونقيضها في جميع القرآن بحيث لا يمكن تبديل آية كلمة منها بغيرها في أي مكان من القرآن ولعلّ ذلك من مصاديق قوله تعالى:

(اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ). (الشورى / ١٧)

ومثال الموازنة في الكلمات القرآنية كالموازنة في أعضاء جسد الانسان.

وكما أنّه لا يمكن نقل عضو من أعضاء الانسان من مكانه إلى مكان عضو آخر، مثل نقل العينين من مكانهما إلى مكان الأذنين، والأذنين إلى مكان العينين، فإنّه بالإضافة إلى زوال جمال الوجه وحصول قبح المنظر، تزول الحكمة البالغة في الخلق، فإنّ الانسان على هذا الافتراض يصبح كالأعمى لا يبصر طريقه في السير إلى الامام، ويستطيع السير إلى جانب اليمين واليسار، لأنّه يبصرهما، غير أنّ قدميه خلقتا للسير إلى الامام وليس إلى الجانبين.

إذا فهناك توازن بين العينين والقدمين في الخلقة.

وكذلك الشأن في جميع أعضاء الانسان وأصناف الحيوان، وكذلك الشأن في جميع الكلمات في القرآن لا يمكن أن نبدّل كلمة منها بكلمة أخرى. ولو أمكن تبديل (عزيز حكيم) مثلاً بـ (سيميع عليم) أو (غفور رحيم) وبالعكس لا يمكن الاتيان بمثل القرآن، (لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) و(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) حين رووا جواز ذلك عن رسول الله (ص).

* * *

كان كل ما رووه وأجبنّا عنه يبرهن على عدم وجود المترادف في لغة العرب.

وهذا القول مشهور عند علماء لغة العرب كما نبيّنه في ما يأتي بإذنه تعالى.

٥ وقد طابق الاحصاء ما جاء من الموارد المذكورة في المتن مع المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.

حيرتي في العمل مع الروايات الانفة

تركت بادئ ذي بدء ذكر روايات السبعة أحرف لما كنت أجد نفسي بين أمرين أحلاهما مرّ:

أ - هل أورد الروايات ولا أفنّدها، فأكون عندئذ كالباحث عن حتفه بظلفه في تنبيهه خصوم الاسلام عليها فأنهم لابدّ أن يستدلوا بها في الطعن بثبوت النصّ القرآني.

ب - أورد تلكم الروايات، ثم أقوم بتفنيدها وهي عشرات من الروايات المتواترة الثابتة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والتمتالم على صحتها في مدرسة الخلفاء منذ أكثر من ألف سنة!

وعندئذ كيف يتلقى ذلك منّي إخواني المسلمون الذين يعتقدون بصحة كل ما جاء في الصحاح وخاصة في صحيحي البخاري ومسلم، فإنهم يرمون من شكّ في صحّة بعض أحاديثها بالمروق عن الدين والقيام بالطعن بسنة سيّد المرسلين (ص) ولا يقبلون القول بلزوم تمحيص الاحاديث المروية فيها وقبول ما أثبت البحث صحته وترك ما عداه.

من أجل ذلك كلّه تركت أولاً إيراد روايات الاحرف السبعة وما شابها من الروايات، لاّتي وجدتُ الشيخ النوري أشار إليها إشارة عابرة وترك إحسان إلهي ظهير الاجابة عنها، ولذلك لم أر من الحكمة ذكرها وإثارته، حتّى إذا بلغت آخر هذا الجزء من الكتاب وراجعت مؤلفات المستشرقين لدراساتها وتبيان مواطن الضعف فيها وجدتهم قد سبقوني إلى إيراد كل تلك الروايات، وأنهم استفادوا منها للطعن بثبوت النصّ القرآني، عندئذ اضطررت إلى العودة إلى جميع تلك الروايات وإيرادها ومناقشتها، وعقدت هذا الفصل لدراسة روايات الاحرف السبعة، وأضفت كثيراً من الروايات إلى البحوث السابقة.

وعندما أنهيت دراسة روايات السبعة أحرف كما مضت راجعت كتب الحديث بمدرسة أهل البيت (ع)، فوجدت الجواب الكافي عنها عند أئمة أهل البيت في جملتين قصيرتين يكاد هذا البحث الطويل أن يكون شرحاً لهما وسنوردهما بعد توجيه السؤال الاتي إلى العلماء بمدرسة الخلفاء:

إنّ الروايات الانفة تدلّ على عدم ثبوت النصّ القرآني، فهل يرى العلماء أنّ تلكم الروايات صحيحة ومصونة عن الخطأ والنسيان والزيادة والنقصان وإنّ النصّ القرآني غير مصون عن ذلك كما تدل عليه تلكم الروايات!!! أضف إليه أنّ الرواة بمدرسة الخلفاء رووا وقالوا: إنّ رسول الله (ص) نسي آيات وسورا من القرآن الكريم كما مرّ بنا في ما سبق.

وقالوا: إنّ رسول الله عندما كان يتلو في بيت الله من سورة النجم (...اللات وَالْعُزَّى * وَمَتَاةَ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى) وضع الشيطان على لسانه: (تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة تُرتجى) فتلاها خطأ كما سندرسها في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

ومع ذلك فهل يسمح لنا علماء مدرسة الخلفاء أن نقول: إنّ الرواة بمدرسة الخلفاء عندما كانوا يروون حديث الرسول (ص) ويؤلفون، دسّت الزنادقة في رواياتهم أمثال روايات السبعة أحرف، فرواها مشايخ الحديث خطأ، أو لايسمحون لنا بذلك ويقولون بعصمة رواية الحديث وعصمة كتب الحديث في حين أنّهم لم يقولوا ذلك في كتاب الله وفي رسول الله (ص)؟!!

أمّا أئمة أهل البيت (ع)، فقد قالوا في شأن تلك الروايات ما يأتي:

قول أئمة أهل البيت في روايات السبعة أحرف

في الكافي عن الفضيل بن يسار، أنّه قال:

قلتُ لابي عبدالله - الصادق - (ع):

إنّ التّاس يقولون: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف!

فقال: كذبوا أعداء الله! ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد.

وشخصّ والده - أبو جعفر - الامام الباقر - وصيّ رسول الله (ص) الخامس مصدر البلاء، وقال (ع): إنّ القرآن واحد، نزل من عند واحد ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرواة(٨).

دراسة روايتي الامامين

أولاً - برهنّا في ما سبق على أنّ القرآن واحد ولا يجوز قراءته على سبعة أحرف وقال كلاً الامامين ذلك في سطر واحد وتكاد الستون

صفحة من بحثنا تكون شرحا لقولهما.

ثانيا - لم يقل الامام محمد الباقر: الاختلاف يجيء من قبل الصحابة، بينا كل الروايات مروية عنهم بل قال: من قبل الرواة وبذلك نزه الصحابة عن تقوّل تلکم الاقوال.

ونفهم من قوله هذا انّ الصحابة افترى عليهم رواية تلکم الروايات.

وكان ذلك ما توصلنا إليه في بحثنا الطويل.

ثالثا - قال ابنه الامام جعفر الصادق: كذبوا أعداء الله.

ونستنبط من قوله هذا أنّه كان يرى القائلين أعداء الله، وليسوا من المسلمين.

ويصدق هذا القول على الزنادقة.

* * *

وأخيرا فإنّ أمثال الروايات السابقة أدّت إلى اختلاق آلاف القراءات المختلفة للقرآن الواحد كما سندرسها بإذنه تعالى في البحث الآتي:

٨ أصول الكافي ٢ / ٦٣٠، الحديث ١٣ و ١٢.

ال الشيخ النوري في كتابه فصل الخطاب:

(الدليل العاشر: اثبات اختلاف القراء في الحروف والكلمات وغيرها).

ونقول: ذكرنا في بحث المصطلحات من الجزء الأوّل من هذا الكتاب أنّه جاء في اللّغة:

قرأ الكتاب قراءة وقرأنا: تتبع كلماته نظرا ونطق بها.

وفي المصطلح الاسلامي: القارئ وجمعه القراء من تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معانيه، والمقرئ من امتنهن من القراء تعليم لفظ القرآن مع تعليم معناه.

كان ذلكم معنى القراءة والاقراء في عصر الرسول (ص).

واتّضح ممّا ذكرنا انّ للفظ: (أقرأ) و(تُقرأ) و(إقرأ) وسائر مشتقاتها في المصطلح الاسلامي (معنى له جزءان) وان شئت فقل: (له معنيان)، قال الراغب في أمثاله: (كل اسم موضوع لمعنيين معا يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة للخوان وللطعام، ثمّ قد يسمّى كل واحد منهما بانفراده به).

وقال:

(القراء في الحقيقة اسم للدخول في الحيض عن طهر، ولما كان اسما جامعا للامرئين: الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل واحد منهما)(٩).

ولمّا كانت مادّة الاقراء بمعنى تعليم لفظ القرآن وتعليم معناه استعملت في عصر الرسول (ص) في المعنيين معا، واستعملت في عصر الصحابة أحيانا في أحد المعنيين كما فصلنا في ذلك في بحث المصطلحات.

ثمّ تعيّر معنى القراءة والاقراء في مصطلح المسلمين بعد عصر الصحابة حتّى اليوم.

تبدل معنى أقرأ والقارئ بعد عصر الصحابة من تعلم تلاوة النصّ القرآني وتعلّم معناه إلى تعلّم تبديل النصّ القرآني بلغات القبائل العربية.

وكان سبب هذا التغيير أنّ السلطة الحاكمة منذ عصر معاوية إلى آخر عهد الخلافة الاموية في الشام - عدا عمر بن عبدالعزيز عمدت في جميع البلاد الاسلامية إلى إحياء التراث العربي الجاهلي وأدائها لغة وشعرا وتاريخها حسباً ونسباً وكان العصر عصر الترف العقلي، فتسابق المحققون في جمع أشعار العرب ودراسة لغاتها وأحسابها وأنسابها.

وظهر كذلك بعد عصر الصحابة نشاط الزنادقة المجهوم في تخريب السنّة النبويّة سيرةً وحديثاً، وكان من أنواع نشاطهم وضع روايات في جواز تبديل النصّ القرآني افتروا فيها على الله ووحيه ورسوله وصحابته واختلفوا لتلك الروايات أسناداً ودسوها في مصادر الدراسات الاسلامية في عصر التأليف.

ومن كلاً النشاطين تكوّن علم تبديل لغة القرآن بلغات القبائل العربية، وتسابق المتخصّصون بلغات القبائل العربية في ذلك، ونبغ فيهم رجال أخذوا يبدّلون النصّ القرآني بما تعلموه من لغات العرب المختلفة.

وهكذا تكوّنت القراءات المختلفة للقرآن الواحد، وسَمّوا عملهم بعلم القراءة، ونشروا علمهم المختلق في البلاد الاسلامية كافة، وسَمّوا من تعلمه بالقارئ ومن يعلمه بالمقرئ.

واشتهر في أوائل القرن الثاني الهجري مصطلح المسلمين أي: القراءة بمعنى تعلّم تبديل النصّ القرآني بلغات العرب بدلاً من المصطلح الاسلامي: القراءة بمعنى تعلّم النصّ القرآني وتعلّم معانيه، ونسي المصطلح الاسلامي، وبعد ذلك فسّر خطأ ما جاء من مادّة (القراءة) في الكتاب والسنّة ومحاورات الصحابة بالمعنى المصطلح عند المسلمين بمعنى تبديل النصّ القرآني بلغات العرب، بينما ينبغي أن يفسّر ما جاء من مادّة (القراءة) في الكتاب والسنّة ومحاورات الصحابة ومحاورات المسلمين في عصر الصحابة بمعنى المصطلح الاسلامي وما جاء منها في المحاورات منذ القرن الثاني الهجري في ما عدا ما جاء منها في أحاديث أئمة أهل البيت (ع) نفسرها بمعنى مصطلح المسلمين كما سنشرحها في آخر هذا البحث بحوله تعالى.

منشأ القراءات المختلفة للقرآن الواحد:

نشرت ولله الحمد والمِنَّة بحوثي في سبيل تمحيص سنّة الرسول (ص) وكيفية اختلاق صحابة للرسول (ص) في مجلدي ((خمسون ومائة صحابي مختلق))، وفي ما يأتي من هذا البحث يكشف بحوله - تعالى - عن كيفية انتشار آلاف القراءات المختلفة بين المسلمين التي افتري بها على كلام الله، وحرف بها كتاب الله العظيم مع بيان منشئها إن شاء الله تعالى.

منشأ القراءات المختلفة:

تولدت القراءات المختلفة للقرآن الواحد ونشأت ثم تكاثرت وازداد عددها بسبب العوامل السنّة الاتية:

أ - ما روي عن الصحابة في تفسير القرآن وطُنَّ أنّها قراءة أخرى للنصّ القرآني.

ب - ما روي من اجتهادات الصحابة في تبديل النصّ القرآني بألفاظ استحسنوها.

ج - أثر روايات مختلقة في جواز تبديل النصّ القرآني بغيره.

د - أخطاء في رسم خط المصاحف العثمانية.

هـ - قياس النصّ القرآني بقواعد اللّغة العربية.

و - اجتهادات الفراء في تبديل النصّ القرآني بغيره استناداً إلى:

١ - ما روي عن الصحابة من روايات واجتهادات.

٢ - ما يوافق قواعد اللّغة العربية.

٣ - ما يوافق بعض اللّغات العربية من غير قريش.

أولاً - ما روي عن الصحابة في تفسير القرآن وطنّها قراءة أخرى للنصّ القرآني

مرّ بنا في بحث اختلاف المصاحف أنّ كلاً من أمّ المؤمنين عائشة وأمّ المؤمنين حفصة أمرتا الكاتب الذي كتب لهما المصحف إذا بلغ في كتابته قوله تعالى: (وَالصَّلَاةَ الوُسْطَى) يؤذنهما فلمّا بلغها وأذنهما أمرناه أن يكتب بعدها (وصلاة العصر) أنّهما لم تقصدا من ذلك أنّ وصلاة العصر جزء من الآية وإنّما أرادتا وصلاة العصر لتفسير (للصلوة الوسطى)، ومن هذا القبيل ما جاء:

أ - في تفسير الطبري بسنده عن حبيب بن ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفا فقال: هذا على قراءة أبيّ قال: وفيه فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسمى - (١٠).

ب - في تفسير السيوطي بسنده عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) (يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك - إنّ عليّاً مولى المؤمنين - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته...) (١١).

وكما أنّ أمّ المؤمنين عائشة وأمّ المؤمنين حفصة لم تقصدا أنّ وصلاة العصر جزء من الآية وإنّما قصدتا أنّها تفسير للصلوة الوسطى كذلك شأن كل ما روي من هذا القبيل.

وأما ما روي من تعبير الصحابة في أمثالها أنّهم كانوا يقولون في قراءة (ابن مسعود) أو (أبيّ بن كعب) أو غيرهما فقد مرّ بنا أنّ (القراءة والاقراء) كان في عصرهم بادئ ذي بدء بمعنى تعليم لفظ القرآن ومعناه، وأخيراً استعمل في عصر الصحابة خاصّة في جزء معناه وهو تعليم المعنى فحسب، إذاً يكون معنى قولهم في قراءة فلان أي ما كان يفسّر الكلمة وهكذا فسّر الكلمة.

ثانياً - ما روي من اجتهادات الصحابة في تبديل النصّ القرآني بألفاظ استحسوها

أ - ما روي عن الصحابة في تبديل النصّ القرآني حسب اجتهادهم

قال السيوطي بتفسير: (مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا):

أخرج عبدالرزاق وسعيد بن منصور وأبو داود في ناسخه وابنه في المصاحف والنسائي وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم والحاكم، وضحّه عن سعد بن أبي وقاص، أنّه قرأ: (ما ننسخ من آية أو ننسها)، فقيل: له إنّ سعيد بن المسيب يقرأ: ننسها، فقال سعد: إنّ القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب، قال الله: (سَنَقِرُكَ فَلَا تَنسَى)، (وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ).

وعرفنا من آخر الحديث أنّ منشأ هذا الاجتهاد المنسوب إلى الصحابي في تحريف كلمة (نُنسِها) إلى (ننساها) مجيء (تنسى) و(نسييت) في مكانين آخرين من القرآن وقياس هذا المورد على ذينك الموردتين.

وروى السيوطي - أيضاً - بسنده، أنّ في قراءة أبيّ: (ما ننسخ من آية أو ننسك)، وأنّ في قراءة ابن مسعود: (ما ننسك من آية ننسخها) (١٢).

وروى القرطبي عن ابن عباس أنّه قرأها (أو ننسها) بضمّ النون (١٣).

وروى الطبري عن عبيد بن عمير الليثي أنّه قرأها (أو ننساها) (١٤).

* * *

وجدنا في المثال السابق كيف رووا اختلاف الصحابة في قراءة الآية اعتماداً على اجتهادهم وليس اعتماداً على ما سمعوه من رسول الله (ص)، كما رووا ذلك عن سعد بن أبي وقاص.

١٠ بتفسير الآية في تفسير الطبري ٥ / ٩.

١١ بتفسير الآية في الدرّ المنثور للسيوطي ٢ / ٢٩٨.

١٢ القراءات الثلاث في تفسير الآية بتفسير الدرّ المنثور ١ / ١٠٤ - ١٠٥. وتفسير الطبري ١ / ٢٧٩. وقراءة سعد خاصّة في المصاحف لابن أبي داود ص ٩٦.

ب - اجتهادات الصحابة في تبديل النصّ القرآني ليوافق المألوف من لغتهم:

رووا أنّه اجتهد كلّ من أمّ المؤمنين عائشة والخليفة عثمان، فقالا في (إِنْ هَذَا لَسَجْرَانٍ): (إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ)، وتبعهم على ذلك الحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم من التابعين، ومن القراء عيسى بن عمرو وعاصم وغيرهما من العلماء.

وروا أنّ أبان بن عثمان قال: قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال لحن وخطأ.

فقال قائل: ألا تغيّروه؟

فقال عثمان: دعوه، فإنّه لا يجرّم حلالا ولا يحلّل حراما(١٥).

وقال القرطبي: (وهذه القراءة موافقة للاعراب مخالفة للمصحف). وروى عن ابن مسعود قراءتين:

أ - (إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرَانِ).

ب - (إِنَّ هَذَا سَاحِرَانِ)!!

وروى عن الصحابي أبيّ: (إِنَّ ذَانِ إِلَّا سَاحِرَانِ).

وعن جماعة من العلماء والقراء: (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ).

وقال: وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الاعراب، ويكون معناها: ما هذان إلا ساحران.

قال المؤلف: وحاول بعض العلماء أن يجد مسوّغا لمخالفة هذه الآية كلام العرب، فوجد ضالته المنشودة في لغة بني الحرث بن كعب وزبيد وختعم، فطمأنوا لما وجدوا في كلام القبائل العربية ما يقيسون عليه كلام الله جلّ اسمه(١٦).

ونجد نظير هذه المحاولات كثيرا في كتب التفسير والقراءات، وسوف ندرسها بعد دراسة الحكمة في الالتزام بقواعد اللّغة العربية إذ لا يصح في الكلام غير الموزون مخالفتها، أمّا الكلام الموزون فله قواعد خاصّة به نذكرها في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

ثالثا - أثر روايات مختلفة في جواز تبديل النصّ القرآني بغيره

من أهمّ العوامل في اختلاق القراءات المختلفة ما رووا في روايات متواترة موصوفة بالصحّة أنّ الرسول (ص) أقرأ السورة الواحدة لاصحابه بألفاظ مختلفة، فتمارى كل منهم في قراءة الآخر، وقال الرسول (ص) في جواب اعتراضهم إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف نحو قولك: تعال وأقبل وهلمّ واذهب وأسرع وعجل فافراوا ولا حرج: عليما حكيفا، أو عفورا رحيفا، ولكن لاتختموا ذكر رحمة بعذاب، ولا ذكر عذاب برحمة.

* * *

إنّ تلكم الروايات إضافة إلى ما روي عن الصحابة من اجتهادات في تبديل النصّ القرآني شجعت جماعات من العلماء أن يعتمدوا المجموعتين من الروايات، ويقوموا بتأسيس علم القراءات كما سنبينه في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

رابعا - أخطاء في رسم خط المصاحف العثمانية

أخذ الخليفة عثمان من أمّ المؤمنين حفصة المصحف الذي تمّ نسخه على عهد الخليفة عمر وأودعه عندها، ونسخ عليه المصحف الامام ولما جيء به إليه قال: إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها، ثم أمر أن ينسخ عليها سبع نسخ أو تسع، وبعث بها إلى أمّهات البلاد الاسلامية مع قرّاء يقرأونه فبعث مع المصحف:

أ - المكّي عبدالله بن السائب.

ب - الشامي المغيرة بن شهاب.

ج - الكوفي أبا عبدالرحمن السلمي.

د - البصري عامر بن عبدالقيس.

هـ وكان مقرئ المدينة زيد بن ثابت.

وإضافة إليها ذكروا أنّه بعث نسخة لكل من: البحرين واليمن ومصر والجزيرة (١٧).

تراجم المذكورين:

أ - أبو السائب أو أبو عبدالرحمن عبدالله بن السائب المخزومي، قال الذهبي قارئ أهل مكّة.

له صحبة ورواية يسيرة، قرأ القرآن على أبيّ بن كعب وروى وعرض عليه القرآن مجاهد وعبدالله بن كثير، توفي حدود سنة سبعين في امرة ابن الزبير (١٨).

ب - المغيرة بن شهاب، اسم أبيه عبدالله بن عمرو المخزومي ويقال السدوسي البصري، قرأ على أبي موسى الاشعري، وسمع من علي وعبادة بن الصامت، توفي سنة نيف وسبعين (١٩).

ج - أبو عبدالله أو أبو عمرو عامر بن عبدالله ويعرف بعامر بن عبد قيس العنبري، روى عن عمر وسلمان.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٥٢٢٤هـ) كان يقرئ الناس.

وعن الحسن البصري أنّ عامرا كان يقول: من أقرئ.

فيأتيه ناس، فيقرئهم القرآن، ثمّ يقوم فيصلّي إلى الظهر، ثمّ يصلّي إلى العصر، ثمّ يقرئ الناس إلى المغرب، ثمّ يصلّي ما بين العشاءين ثمّ ينصرف إلى منزله.

وشي به إلى الخليفة عثمان فأمر بنفيه إلى الشام على قتب، وتوفي زمن معاوية (٢٠).

ومضت ترجمة أبي عبدالرحمن السلمي وزيد بن ثابت.

واللحن الذي ذكره الخليفة في رسم خطّ المصحف بقي في المصاحف حتّى اليوم مثل:

أ - كتابة نون التأكيد الخفيفة كتنونين النصب على الالف كما جاء في سورة: العلق / ١٥: (لَتَسْفَعَا) بدل لتسفعن.

يوسف / ٣٢: (وَلْيَكُونَا) بدل ليكونن.

ب - حذف الالف كما جاء في سورة:

الزخرف ٣٨: (يَلَيْتَ) بدل ياليت.

وآل عمران / ٥٥ والمائدة / ١١٠ و ١١٦: (يَعِيسَى) بدل يا عيسى.

والمؤمنون / ٨: (لَا مَنِّيهِمْ) فيقرأها بعضهم: لاماناتهم، ويقرأها آخر لامانتهم.

الانعام / ٩٤: (شُرَكَؤًا) بدل شركاء.

هود / ٨٧: (مَا نَشَأُ) بدل ما نشاء.

إبراهيم / ٢١: (فَقَالَ الضُّعْفُؤًا) بدل الضُّعفاء.

ص / ١٣: (وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ) بدل الايكة.

الكهف / ٧٧: (وَلَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ) بدل لاتخذت.

ج - اضافة الواو أو الباء أو الالف كما جاء في سورة:

الانعام / ٥٢: (بِالْغَدُوَّةِ) بدل بالغداة.

الانعام / ٩٤: (شُرَكَؤًا) بدل شركاء.

هود / ٨٧: (مَا نَشَأُ) بدل ما نشاء.

يوسف / ٨٧: (إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ) بدل لا ييأس.

إبراهيم / ٩: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ) بدل نبأ.

إبراهيم / ٢١: (فَقَالَ الضُّعْفُؤًا) بدل الضُّعفاء.

الكهف / ٢٣: (وَلَا تَقُولَنَّ لِي سَأَيْءُ) بدل لشي.

النمل / ٢١: (لَا أَذْبَحْتَهُ) بدل لاذبحنه.

الرُّم / ٦٩: (وَجَاءَ بِالتَّيِّبِينَ) بدل وجي.

الذَّارِيَات / ٤٧: (بِأَيُّيْ) بدل بأيد.

الحشر / ١٧: (جَزْؤًا الظَّالِمِينَ) بدل جزاء الظالمين.

الانعام / ٥: (يَأْتِيهِمْ أَنبؤًا) بدل أنباء.

قريش / ١ و ٢: (لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ * إِيْفِهِمْ) بدل لا يلاف قريش، إيلافهم.

وكذلك كتبوا الكلمة الواحدة بصورة في مكان، وكتبوها بصورة أخرى في مكان آخر كما هو في الايات التالية:

١ - (فيما) فاتّها كتبت متصلة (فيما)، إلّا في اثني عشر مودا، فاتّها كتبت فيها مفصولة (في ما).

٢ - (مما) كتبت متصلة، إلّا في ثلاثة مواضع، كتبت فيها مفصولة (من ما).

٣ - (أنما) متصلة، إلّا في مورد في سورة الحج، ثمّ في موردين في سورة لقمان.

٤ - (لكي لا) منفصلة، إلا في ثلاثة مواضع.

٥ - (بئس ما) كسابقتها.

٦ - (أين ما) منفصلة، إلا في أربعة مواضع.

٧ - (ألا) متصلة، إلا في عشرة مواضع.

٨ - (إلا) متصلة مدغمة، بإسقاط النون في جميع القرآن.

٩ - (ألم) متصلة مدغمة، إلا في موضعين.

١٠ - (إلم) متصلة مدغمة في سورة هود، منفصلة مقطوعة في القصص.

إلى غير ذلك من الموارد الكثيرة (٢١).

غير أنّ المقرئين الذين أرسلهم الخليفة عثمان مع المصاحف كانوا قد تعلّموا قراءة القرآن قبل كتابة تلك المصاحف من فم الصحابة الذين تلقوا قراءة القرآن من فم رسول الله (ص) والذي تلقاها عن طريق الوحي، وكان زيد بن ثابت قد تلقى قراءة القرآن من فم رسول الله (ص) وكان كلهم يقرأون القرآن كما تعلموها.

وذلك معنى قول الخليفة عثمان (فيه لحن ستقيمه العرب بألسنتها) واستمرّ المقرئون على ذلك جيلا بعد جيل يقيمون لحن رسم خط مصحف عثمان في إقراء القرآن، ويعلمون التلاوة صحيحة ومخالفة لرسم الخط الملحون.

١٧ أوجزت الاخبار وأدمجت بعضها ببعض ممّا سبق ذكره في بحوث الكتاب ومن المصاحف لابن أبي داود ص ٣١ و ٣٤؛ وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٦٠؛ ومناهل العرفان لمحمّد عبدالعظيم الزرقاني ط. عيسى البابي الحلبي بمصر ١ / ٣٩٥ - ٣٩٧.

١٨ معرفة القرّاء الكبار للذهبي، ط. مصر الأولى، ١ / ٤٢ - ٤٣.

١٩ معرفة القرّاء الكبار، ١ / ٤٣.

٢٠ ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ط. بيروت ٥١٤٠١، ٤ / ١٥ - ١٩؛ وراجع تاريخ الاسلام ٣ / ٢٦؛ وترجمته بتاريخ ابن عساكر وحلية الاولياء ٢ / ٩١.

٢١ غرائب القرآن للنيسابوري، بهامش الطبري ١ / ٢٩ - ٣٥ وفيه موارد أخرى؛ والمقنع للداني ص ٣٠ - ٩٢؛ واتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٢٩ - ٣٣١.

امسا - قياس النصّ القرآني بقواعد اللّغة العربيّة

من قواعد اللّغة العربية ما وضع دفعا للالتباس في الكلام الموزون وغير الموزون مثل:

أ - الحاق تاء التانيث لاسم الفاعل المؤنث في قولنا: امرأة باسمه وضاحكة وناطقه، وتجريد اللفظ منها لغير الأنثى في قولنا: رجل باسم وضاحك وناطق.

ب - تقديم الفاعل على المفعول في مواضع اللبس بين الفاعل والمفعول مثل قولنا: أقرأ موسى عيسى القرآن في ما إذا كان المقرئ موسى، فإذا لم يكن في الكلام لبس جاز مخالفة القاعدتين المذكورتين في مثل قولنا أحيانا: أكرم محمّدا الحسن، وأكل الكمثرى يحيى، وخرق الثوب المسمار.

وكذلك الشأن في حذف علامة التأنيث إذا لم يكن ثمة لبس؛ في مثل قولنا للمرأة التي ترى العادة الشهرية حائض وللحليى حامل وللمطلقة طالق.

ومن قواعد اللّغة العربية ما وضعت أيضا للكلام الموزون وغيره لدفع الالتباس، ودونت في كتب علمي النحو والصرف، مثل قواعد علامات الاعراب بالحركات والحروف في آخر الكلمات دفعا للالتباس في مثل قولنا: أكرم اللبناني السوري.

والعراقيان الكويتيين.

والسعوديون اليمانيين.

فإننا نميّز الفاعل من المفعول بالضمة والفتحة في المثال الأوّل والالف والياء المفتوح قبلها في الثاني، والواو والياء المكسور ما قبلها في الثالث.

* * *

كانت تلكم أمثلة لقواعد اللّغة العربية في الكلام الموزون وغيره.

وأما الكلام الموزون بصورة خاصّة، فلم تدون قواعده كعلم خاص يدرس في المعاهد العلمية، ومن مصاديق قواعد الكلام الموزون في لغة العرب الشعر الذي اكتشف أوزانه الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ٥١٧٠هـ).

وكذلك من مصاديق الكلام الموزون في لغة العرب: السور القرآنية، فإنّ لها أوزانا خاصّة بها لم تكتشف حتّى اليوم، وإن كان الشعر وبعض النثر الفني موزونا في جانب اللفظ فحسب، فإنّ القرآن موزون في جوانب متعددة منه في لفظه ومعناه وغيرهما، وإنّه ليس بشعر ولا نثر كما بيّناه في بحث المصطلحات في الجزء الأوّل من هذا الكتاب وسيأتي بيانه في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

وبستطيع الباحث الخبير بالادب العربي أن يدرك ذلك بأدنى تأمل لبعض السور القرآنية الصغيرة، مثل قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

وفي السور المتوسّطة مثل قوله تعالى في سورة الرحمن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ

عَلَّمَ الْقُرْآنَ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُحْسَبَانِ

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ

إلى آخر قوله - تعالى - في آخر السورة:

فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ

وفي السور الكبيرة قد يكون لكل مجموعة من آيات نزلت فيها مرّة واحدة وزن خاصّ بها وقد يكون لجميع السورة وزن واحد غير أنّ معرفة أوزانها وروبيها بحاجة إلى تدبّر أكثر مثل قوله تعالى في أكبر سورة من القرآن:

المجموعة الأولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

إلى قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءَ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦)

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

ثُمَّ يَمِينُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

المجموعة الثانية:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)

فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)

وكذلك سائر الايات إلى آخر سورة البقرة لها جميعا وزن خاص وروي خاص.

ومن ثم استطاع بعض الشعراء أن يضمين قصيدته آية من القرآن مثل:

أ - قول السيّد رضا الهندي في قصيدته التي مدح الرسول (ص) فيها:

(أمفلج نغرك أم جوهر

أرحيق رضابك أم سكر

قد قال لنغرك صانعه

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْنَر))

ب - قول السيّد إسماعيل الشيرازي في مدحه:

إِنَّ يَكْ يَجْعَلُ لِلَّهِ الْبِنُونَ

(وَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ)

* * *

كانت تلكم أمثلة للكلام الموزون غير الشعر في كلام العرب، وللکلام الموزون قانون يجب التزامه كما سنذكره في ما يأتي بحوله

تعالى:

القانون في الكلام الموزون

لمّا كان الكلام الموزون يمتاز على غير الموزون منه ويؤثر في النفوس تأثير السحر في ما يدعو إليه من أمر، إذا لا يبد في الكلام الموزون من مراعاة الوزن وإلا لما كان الكلام موزوناً، ومن ثم إذا تعارضت قواعد الوزن مثل أوزان البحور التي اكتشفها الخليل في الشعر مع قواعد اللغة العربية يجب مراعاة الوزن وطرح قواعد اللغة فيه. وعلى ذلك جرى جميع البلغاء والفصحاء أبد الدهر.

قواعد خاصّة بالكلام الموزون

ما سبق ذكره في أوّل البحث وموارد كثيرة أخرى غيرها ممّا سمّاها علماء النحو بالشذوذ يصحّ وصفها بالشاذّ لو جاء ذلك في الكلام غير الموزون مثل ما روي عن أحدهم أنّه قال (أكلوني البراغيث) بدل (أكلتني البراغيث).

وهذا يصحّ وصفه باللحن والشاذّ والنادر وما شابهها من الاوصاف، ولا ينبغي لفصيح أن يرد مثل ذلك في كلامه.

أما الكلام الموزون فقد بلغ ما جاء فيه ممّا سمّي عندهم بالشذوذ من السعة والكثرة والشمول حدّاً نستطيع أن نكتشف منه قواعد عامّة تخصّ الكلام الموزون في محاورات الفصحاء والبلغاء، مثل القواعد الآتية:

وَلَا - قاعدة جواز دمج الكلمتين في كلمة واحدة:

أ - وجاء ذلك في شعر عبد يغوث الحارثي: عبشميّة في قوله:

تضحك ميني شيخة عبشميّة

كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا (٢٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عبد شمسيّة.

ب - والعاشيك، في قول الحارث بن وعلّة الذهلي:

قَوْضِ خِيَامَكَ وَالتَّمِيسِ بَلْدَا

يَنَأَى عَنِ الْعَاشِيكَ بِالظُّلْمِ (٢٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عن الذين يغشونك.

ج - وملاوس، ملخزج، في قول حسان بن ثابت:

لَمَا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلَاهُهَا

يَكْتَائِبِ مِلَاوَسٍ أَوْ مِلْخَزَجٍ (٢٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من الاوس أو من الخزرج.

د - وملبغايا، أيضا في قوله:

فَأَشْهَدُ أَنَّ أُمَّكَ مَلْبَغَايَا

وَأَنَّ أَبَاكَ مِنْ شَرِّ الْعِبَادِ (٢٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من البغايا.

٢٢ شرح شواهد المغني للسيوطي، الشاهد رقم ٤٢٤.

وعبد يغوث بن وقاص أو صلاءة الحارثي، شاعر جاهلي، يمانى، من شعراء قحطان، توفي نحو ٤٠ ق.هـ.

٢٣ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٧٠.

راجع ترجمته في الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٩ / ١٣٩.

٢٤ ديوان حسان بن ثابت، حرف الجيم.

وأبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري، شاعر النبيّ (ص). مخضرم. سكن المدينة، من شعراء الجاهلية، يهجو في شعره بني عائذ بن عمرو بن مخزوم، توفي سنة ٥٤هـ.

٢٥ ديوان حسان، حرف الدال؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٧٧.

ثانيا - قاعدة جواز حذف حرف واحد أو أكثر من الكلمة:

أ - حذف حرف واحد من الكلمة، وجاء ذلك:

١ - في شعر طرفة بن العبد: تصطد في قوله:

فإن تَبَغْنِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّنِي

وإن تَقْتَنَصْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِّ (٣٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: تصطدني.

٢ - وتحذري، أيضا في قوله:

قَدْ رُفِعَ الْفُحُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي

وَتَقْرِي مَا شئتَ أَنْ تَنْقَرِي (٣٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فماذا تحذرين؟

٣ - والجاعلو، في شعر الاعشى:

الْمَطْعِمُونَ الصَّيْفَ لَمَّا شَتُوا

وَالْجَاعِلُو الْقُوَّةَ عَلَى الْيَاسِرِ (٣٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الجاعلون.

٤ - والحافظو، في شعر عمرو بن امرئ القيس:

الْحَافِظُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا

يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا نُطْفُ (٣٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الحافظون.

٥ - والخلخل، في شعر الشاعر:

صِغْرُ الْوَشَاحِينَ صَمُوتُ الْخَلْخَلِ (٣٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الخلخال.

٦ - والحمي، في شعر العجاج:

قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وُرُقِ الْحَمِي (٣١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وُرُقِ الحَمَامِ.

٧ - ولاك، في شعر الشاعر:

وَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ

وَلَائِكَ اسْفَنِي إِنْ كَانَ مَأْوِكَ ذَا فَضْلِ (٣٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ولكن.

ب - حذف أكثر من حرف من الكلمة، وجاء ذلك:

١ - في شعر الشاعر: يا لا، في قوله:

فَخَيْرٌ تَحْنُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْكُمْ

إِذَا الدَّاعِي المَتَّوِّبُ قَالَ يَالَا (٣٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: يَا لَفُلَانِ.

٢ - وفا، تا، في شعر الشاعر:

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٍ وَإِنْ شَرًّا فَا

وَلَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا (٣٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وَإِنْ شَرًّا فَشَرُّ إِلَّا أَنْ تَشَاءَ.

٣ - وألانا، بلى فا في شعر الشاعر:

نَادَوْهُمْ أَنْ أَلْجُمُوا أَلَا تَا

قَالُوا جَمِيعًا كُفُّهُمْ أَلَا فَا (٣٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أَلَا تَرْكَبُونَ، أَلَا فَارْكَبُوا.

٤ - وفلان عن فل، في شعر أبي النجم العجلي:

تَدَاوَعَ الشَّيْبِ وَلَمْ تَقْتَلِ

فِي لَجَّةٍ أَمْسِيكَ فُلَانًا عَنْ فُلٍ (٣٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فلان عن فلان.

٣٦ ديوان طرفة بن العبد، تحقيق كرم البستاني.

وأبو عمر طرفة بن العبد بن سفيان البكري الوائلي، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى (ت: ٦٠ ق.ه).

٣٧ نفس المصدر السابق.

٣٨ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٧٨٢.

وأبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل من بني بكر بن وائل من ربيعة. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقة، لقب بالاعشى لضعف بصره (ت: ٧٥ ه).

٣٩ خزانة الادب، الشاهد رقم ٣٩٨، ٤ / ٢٧٢.

وعمر بن امرئ القيس الخزرجي، وهو جد عبدالله بن رواحة، شاعر جاهلي.

٣٠ العقد الفريد، العسجدة الأولى، فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور، ٤ / ١٨٥. والبيت لم يُسمّ قائله.

٣١ العقد الفريد ٤ / ١٨٥، وفي الكلمة (الحمي) تبديل حرف بحرف. وأبو الشعثاء عبدالله بن ربيعة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم (ت: ٩٠ ه).

٣٢ العقد الفريد ٤ / ٢٨٥. والبيت لم يُسمّ قائله.

٣٣ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٥٥؛ وخزانة الادب، الشاهد رقم ٤، ٦ / ٢.

قال البغدادي: نَسِبَ أبو زيد في نوادره البيت إلى زهير بن مسعود الضبي.

٣٤ الكتاب لسبويه، باب إرادة اللَّفْظ بالحرف الواحد، ٣ / ٣٢١؛ ولسان العرب مادّة (تا). ينسب البيت للقيّم بن أوس بن أبي ربيعة.

٣٥ لسان العرب، باب تفسير الحروف المقطعة، والبيت لم يسمّ قائله.

٣٦ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢٤٣.

وأبو النجم العجلي: الفضل بن قدامة، من بني بكر بن وائل، من أكابر الرجاز توفي سنة ٥١٣٠هـ.

ثالثا - قاعدة جواز حذف الكلمة في الكلام:

أ - حذف الاسم، وجاء ذلك:

١ - في شعر الشاعر: يَفْضُلُهَا، في قوله:

لو قُلْتُ ما في قَوْمِها لَمْ تَيْتَم

يَفْضُلُها في حَسَبٍ ومِيسَمٍ (٣٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مَنْ يَفْضُلُها.

٢ - وفميتٌ، في شعر مجنون ليلي:

أتارِكْتِي لِلْمَوْتِ أَنْتِ فَمَيْتٌ

وما لِلنَّفُوسِ الحَائِقَاتِ بَقَاءُ (٣٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فأنا مَيْتٌ.

٣ - وشاء في شعر الشاعر:

إذا شاء أَضْرُوا مَنْ أرادوا

ولا يألُوهُمُ أَحَدٌ ضِراراً (٣٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: شاؤوا.

٤ - وكانُ، في شعر الشاعر:

فلو أنّ الاطِّبَا كانَ حَوَلي

وكانَ مع الاطِّبَاءِ الأَساءَةُ (٤٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: كانوا.

٥ - وسابقٌ دَمْعُهُ، في شعر ذي الرّمة:

فَصَلُّوا ومنهم سابقٌ دَمْعُهُ له

وَأَخْرُ يُنِّي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْمُهْلِ (٤١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مَنْ سَابِقٌ دَمْعُهُ.

ب - حذف الفعل، وجاء ذلك:

١ - في شعر النابغة الذبياني: وكأن قد، في قوله:

أفدِ التَّرحُلُ غَيْرَ أَنْ رِكَابَنَا

لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ (٤٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وكأن قد زالت.

٢ - وإن لم، في شعر ابن هرمة:

احفظ وَدِيعَتِكَ الَّتِي اسْتَوَدَعْتَهَا

يَوْمَ الْأَعَاذِبِ إِنْ وَصَلْتَ وَإِنْ لَمْ (٤٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وإن لم تصل.

٣ - وعلفتها تينا وماء، في شعر الشاعر:

عَلَّفْتُهَا تِينًا وَمَاءً بَارِدًا

حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا (٤٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عَلَّفْتُهَا تِينًا وَسَقَيْتَهَا مَاءً.

ج - حذف الحرف:

١ - حذف حرف الجر، وجاء ذلك:

أ - في شعر المثلّمس العبدى: حبّ العراق الدّهر أطعمه، في قوله:

أَلَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ

والحبُّ يَأْكُلُهُ فِي الْفَرِيَةِ السُّوسُنُ (٤٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: على حبّ العراق الدّهر لا أطعمه.

ب - وعسل الطريق، في شعر ساعدة بن جؤيية:

لَدُنَّ بِهِزِّ الْكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ

فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثُّغْلَبُ (٤٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عسل في الطريق.

٢ - حذف لام الامر في الغائب، وجاء ذلك:

أ - في شعر الشاعر: محمدٌ تَفِدُ، في قوله:

مُحَمَّدٌ تَفَدٍ تَفْسَكَ كُلُّ تَفْسٍ

إذا ما خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا (٤٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لَتَفَدٍ.

ب - ولكن يَكُنْ، في شعر الشاعر:

فَلَا تَسْتَطِيلُ مِئِّي بَقَائِي وَمُدَّتِي

ولكن يَكُنْ لِلخَيْرِ مِنْكَ تَصِيبٌ (٤٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ولكن لِيَكُنْ.

ج - وأُوبِيكُ، في شعر متمم بن نويرة:

على مثل أصحاب البَعُوضَةِ فَأَحْمِشِي

لَكَ الْوَيْلَ حُرَّ الْوَجْهِ أَوْ يَبِكُ مَنْ بَكَى (٤٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لِيَبِكُ.

٣ - حذف النون الوقاية، وجاء ذلك:

أ - في شعر زيد الخيل: ليتي، في قوله:

كَمُنِّيَّةٍ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لَيْتِي

أُصَادِفُهُ وَأَفْقِدُ بَعْضَ مَالِي (٥٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ليتني.

ب - وَقَلَّيْنِي، في شعر عمرو بن معدي كرب:

تَرَاهُ كَالنَّعَامِ يُعَلُّ مِسْكَ

يَسُوءُ الْقَالِيَاتِ إِذَا قَلَّيْنِي (٥١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فليتنني.

ج - وَقَدِي، في شعر حُميد الارقط:

قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبِينَ قَدِي (٥٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: قدني.

٤ - حذف تنوين الاسم المنصرف وجعله غير منصرف، وجاء ذلك:

أ - في قول الشاعر، في قوله:

وَمُصْعَبُ جِينٍ جَدَّ الْأَمِ

رُ أَكْبَرُهَا وَأَطْيَبُهَا (٥٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ومصعبٌ.

ب - وعمرو، في شعر الشاعر:

عمرو الَّذِي هشمَ الثريدَ لِقومه

ورجالُ مَكَّةَ مُسِنُونَ عِجافٌ (٥٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عمرو.

ج - وحاتمُ الطائي، في شعر الشاعر:

حَيْدُهُ خَالِي وَلَقِيْطٌ وَعَلِي

وحاتمُ الطائي وَهَابُ المِني (٥٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حاتمُ الطائي.

٢٧ الكتاب لسبويه، باب يحذف المستثنى فيه استخفافاً ٢ / ٣٤٥؛ وخزانة الادب، الشاهد رقم ٣٤٤، ٥ / ٦٢. وفي البيت أيضاً تبديل الفعل تائم بـ(تائم).

وحكيم بن معية الرّبعي، من بني ربيعة بن مالك. وهو راجز اسلامي، كان في زمن العجاج وخُميد الارقط.

٢٨ الاغاني لابي الفرج الاصفهاني، أخبار مجنون بني عامر ونسبه، ٢ / ٣٧.

وقيس بن الملوح بن مزاحم العامري شاعر غزل من المتيمن، من أهل نجد (ت: ٥٦٨).

٣٩ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٧٦٩. والبيت لم يُسمّ قائله.

٤٠ شرح المفصل، لابن يعيش، القسم الثاني في الافعال، باب من أصناف الفعل الماضي، ٧ / ٥. والبيت لم يسمّ قائله.

٤١ همع الهوامع للسيوطي، نواسخ الابتداء، باب كان وأخواتها ٢ / ٨٦.

وذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، أبو الحارث، من مضر، شاعر من الطبقة الثانية، توفي سنة ٥١٧هـ.

٤٢ مغني اللبيب، ص ٢٢، الشاهد رقم ٢١٣؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢٧٦.

والنابغة الذبياني، زياد بن معاوية، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، توفي نحو سنة ١٨ ق هـ.

٤٣ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٤٢.

وابن هرمة، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، شاعر، من مخزومي الاموية والعباسية. سكن المدينة توفي سنة ١٧٦هـ.

٤٤ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٨١٦. والبيت لم يسمّ قائله.

٤٥ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٣٥.

والمتممّس العبيدي، جرير بن عبدالعزى أو عبدالمسيح، شاعر جاهلي من أهل البحرين، مات ببصرى نحو سنة ٥٠ ق هـ وهو خال طرفة بن العبد.

٤٦ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢.

وساعدة بن جُوَيْهَة الهذلي، من بني كعب بن كاهل، شاعر من مخضرمي الجاهلية والاسلام.

٤٧ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٥٦.

والبيت قائله مجهول، يخاطب به النبي (ص).

٤٨ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٥٨، والبيت لم يسمّ قائله.

٤٩ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٦١. وأبو نهشل، متمم بن نويرة بن حمرة بن شداد اليربوعي التميمي، شاعر فحل، صحابي مخضرم، توفي سنة ٥٣٠هـ.

٥٠ الكتاب لسبويه، باب علامة اضمار المنصوب المتكلم والمجرور المتكلم، ٣ / ٣٧٠.

وأبو مكنف، زيد الخيل، زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رُضا من طيِّئ، من أبطال الجاهلية، وفد على النبي (ص) سنة ٥٩هـ في وفد طيِّئ فأسلم (ت: ٥٩هـ).

٥١ خزانة الادب، الشاهد رقم ٤٠٠، ٥ / ٣٧١.

وأبو ثور عمرو بن معدي بن عبدالله بن عمرو صاحب الغارات والوقائع في الجاهلية والاسلام. وفد على النبي (ص) سنة تسع أو عشر (ت: ٥٢١هـ).

٥٢ خزانة الادب، الشاهد رقم ٤٠٣، ٥ / ٣٨٢.

وحميد بن مالك بن ربعي، أحد بني ربيعة بن مالك، سمي بالارقط لاثار كانت بوجهه، وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية، وهو معاصر للحجاج.

٥٣ شرح المفصل لابن يعيش، مبحث الاسم المعرب، ١ / ٦٨.

والبيت لم يسمّ قائله.

٥٤ شرح المفصل، باب التنوين، ٩ / ٣٦.

والزبيرى أبو سعد عبدالله بن قيس السهمي القرشي، شاعر قريش في الجاهلية (ت: ٥١٥هـ).

٥٥ لسان العرب، مادة: مأي.

والبيت ينسب لامرأة من بني عامر، ولامرأة من بني عقيل، تفخر بأخوالها من اليمن.

رابعا - قاعدة جواز إضافة حرف أو أكثر في الكلمة:

وجاء ذلك:

أ - في شعر الشاعر: منون أنتم، في قوله:

أَتُوا نَارِي فَقُلْتُ مَنُونَ أَنْتُمْ

فَقَالُوا الْجَنُّ قُلْتُ عَمُوا ظَلَامًا (٥٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من أنتم.

ب - وفأنتظر، في شعر أبي علي:

وَإِنِّي حَيْثَمَا يَتَّيَّبِي الْهَوَى بَصْرِي

مِنْ حَوْثُمَا سَلَكَوْا أَدْنُو قَأَنْطُورٍ (٥٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: فأَنْطُرُ.

ج - والوليد بن اليزيد، في شعر ابن ميادة:

رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارِكَا

شَدِيدَا بِأَعْبَاءِ الْخَلَاقَةِ كَاهِلُهُ (٥٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الوليد بن يزيد.

د - والعقرب، في شعر الشاعر:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَقْرَابِ

الشائِلَاتِ عُقَدَ الْأَذْنَابِ (٥٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: العقرب.

خامسا - قاعدة جواز تبديل حرف بحرف آخر

وجاء ذلك:

أ - في شعر الشاعر اللذون، في قوله:

نَحْنُ اللَّذُونَ صَبَّحُوا الصَّبَاحَ == يوم النَّخِيلِ غَارَةً مِلْحَاحًا (٦٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: اللذين.

ب - وحوثما، في شعر أبي علي:

وَإِنِّي حَيْثُمَا يَنْتَبِي الْهَوَى بَصْرِي

مِنْ حَوْثُمَا سَلَكَوْا أَدْنُو قَأَنْطُورٍ

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حيثما.

ج - وأعارت أم لم تعارا، في شعر الشاعر:

تَسَائِلُ يَابَنَ أَحْمَرَ مَنْ رَأَهُ

أَعَارَتِ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا (٦١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أعورت عينه أم لم تعور.

د - ولثام النات، ولا أكيات في رجز الشاعر:

يَا فَاتِلَ اللَّهِ بَنِي السَّعَلَاتِ

عَمْرُو بَنَ يَرْبُوعِ شِرَارِ النَّاتِ

غَيْرِ أَعْفَاءِ وَلَا أَكِيَاتِ (٦٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: شرار الناسِ، ولا أكياسِ.

هـ وما بقا، في شعر زيد الخيل:

لَعْمُرُكَ مَا أَحْسَنَى التَّصَعُّكَ مَا بَقَا

على الارضِ قيسيُّ يَسُوقُ الِابَاعِرا(٦٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ما بَقِيَ.

و - والثعالبي، أرائيها، في شعر الشاعر:

لَهَا أَشَارِيرَ مِنْ لَحْمٍ تُتَوَّرُهُ

من التَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَائِيهَا(٦٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: من الثعالب ومن أرائيها.

ز - ولضفادي، في رجز الشاعر:

وَمَنْهَلٍ لَيْسَ لَهُ حَوَازِقُ

ولضَفَادِي جَمِّهِ نَقَانِقُ(٦٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ولضفادع.

ح - والثالي، في رجز الشاعر:

يَفْدِيكَ يَا زَرْعُ أَبِي وَخَالِي

قَدْ مَرَّ يَوْمَانِ وَهَذَا التَّالِي

وَأَنْتَ بِالْهَجْرَانِ لَا تُبَالِي(٦٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الثالث.

٥٦ الكتاب لسبويه، باب: إذا كنت مستفهما عن نكرة، ٢ / ٤١١؛ وشرح المفصل لابن يعيش، بحث الموصولات، فصل ((ما)) ٤ / ١٦؛ وخزانة الأدب، الشاهد رقم ٤٥١، ٦ / ١٦٧.

ونسب ابن يعيش البيت إلى شمر بن الحرث الطائي، وقال البغدادي: والبيت من أبيات أربعة رواها أبو زيد في نواته ونسبها لشميم بن الحرث الضبي.

٥٧ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٨٤.

وأبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد (٢٨٨ - ٥٣٧٧) إمام العربية في عصره، اتّصل بسيف الدولة وعضد الدولة. وصنف كتابا.

٥٨ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٦.

وأبو شرحبيل ويقال أبو حرمله، ابن ميادة، الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني، شاعر، رقيق هجأ، اشتهر بنسبته إلى أمه ميادة. توفي سنة ٥١٤٩هـ.

٥٩ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٠٠. والبيت لم يسمّ قائله.

٦٠ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٤٧.

وهو رجل جاهلي من بني عقيل اسمه أبو حرب الاعلم.

٦١ شرح المفصل لابن يعيش، باب: الاعلال، الواو والياء عيين، ١٠ / ٧٥؛ ولسان العرب، مادّة: عور.

نسب محقق شرح المفصل لابن يعيش البيت لعمر بن الأحمر الباهلي.

٦٢ شرح المفصل لابن يعيش، فصل: ومن أصناف المشترك إبدال الحروف، ١٠ / ٣٦؛ وجمهرة اللّغة لابن دُرَيْد، مادّة: سعل، ٣ / ٣٣؛ ولسان العرب، مادّة: ثا.

نسب ابن دريد وابن منظور البيت إلى علياً بن أرقم اليشكري.

٦٣ تفسير الطبري، بتفسير آية (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ...) من سورة يونس.

٦٤ الكتاب لسبويه، باب: ما رخصت الشعراء في غير النداء اضطراراً، ٢ / ٢٧٣؛ وجمهرة اللّغة، مادّة ت ر م ٢ / ١٣؛ وشرح المفصل لابن يعيش، فصل: ومن أصناف المشترك إبدال الحروف ١٠ / ٢٤؛ ولسان العرب، مادّة: ثعلب ورنب.

نسب سبويه البيت لرجل من بني يشكر، ونسبه ابن دُرَيْد وابن منظور لابي كاهل اليشكري.

٦٥ الكتاب لسبويه، ٢ / ٢٧٣؛ وشرح المفصل لابن يعيش، فصل: ومن أصناف المشترك إبدال الحروف، ١٠ / ٢٤؛ ولسان العرب، مادّة: ضفدع. نسب سبويه البيت لرجل من بني يشكر، وقال محقق الكتاب الشنتمري: هو مصنف، لخلف الاحمر.

٦٦ شرح المفصل، فصل: ومن أصناف المشترك إبدال الحروف، ١٠ / ٢٨؛ ولسان العرب، مادّة: ثلث. والبيت لم يسمّ قائله.

سادسا - قاعدة جواز تبديل السكون بالحركة

١ - في علامات الاعراب، وجاء ذلك:

أ - في شعر عنتره بن شداد، لم تحرم، في قوله:

يَا شَاةَ مَا قَتَصِي لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ

حَرُمْتُ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ (٦٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لم تحرم.

ب - ولم نناضل، في شعر أبي طالب:

كَذِبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ تُبْرِي مُحَمَّداً

ولما تُطَاعِينُ دُوتَهُ وَنُضَائِلِ (٦٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لما نناضل.

ج - وفصنت، زلت، ذلت، في شعر كثير عزة:

وَمَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ عِزَّةِ مَا الْبُكَاءِ

وَمَا مُوجِعَاتُ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتْ

وَمَا أَنْصَفَتْ أَمَّا النَّسَاءَ فَبِعَصَّتْ

إِلَيْنَا وَأَمَّا بِالنَّوَالِ فَضَنَّتْ

وَكُنَّا سَلَكَنَا فِي صُعُودٍ مِّنَ الْهَوَى

فَلَمَّا تَوَاقَيْنَا تَبَّتْ وَزَلَّتْ

فَوَاعَجَبَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ

وَلِلنَّفْسِ لِمَا وَطِنَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ (٦٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: تَوَلَّتْ، فَضَنَّتْ، زَلَّتْ، ذَلَّتْ.

٢ - في بنية الكلمة، وجاء ذلك:

أ - والجلدا، في شعر عبد مناف الهذلي:

إِذَا نَأَوَّبَ قَامَتَا مَعَهُ

ضَرْبَا أَلِيمَا بَسَبْتِ يَلْعَجُ الْجِلْدَا (٧٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الجِلْدَا.

ب - ولم يَلِدْهُ، في شعر الشاعر:

أَلَا رُبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ

وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبْوَانٍ (٧١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لَمْ يَلِدْهُ.

ج - وَزَفَرَاتِهَا، في شعر الشاعر:

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَوْ دُولَاتِهَا

يُدَلِّنَا اللَّمَّةَ مِّنَ لَمَاتِهَا

فَتَسْتَرِيحُ النَّفْسُ مِّنَ زَفَرَاتِهَا (٧٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: زَفَرَاتِهَا.

٦٧ شرح شواهد المغني، في الشاهد رقم ٣٦٨.

وعنترة بن شداد العبسي، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، توفي سنة ٢٢ ق.هـ.

٦٨ شرح شواهد المغني، في الشاهد رقم ١٩٧.

وأبو طالب، عبدالمناف بن عبدالمطلب بن هاشم، والد الامام عليّ (ع) وعمّ النبي (ص) وكافله وناصره ومرّيّه، مولده ووفاته بمكة. توفي سنة ٣ ق.هـ.

٦٩ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٢١.

وأبو صخر، كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، شاعر مشهور من أهل المدينة، توفي سنة ٥١٠هـ.

٧٠ لسان العرب، مادّة لعج؛ ومعجم مقاييس اللّغة، مادّة لعج ٥ / ٢٥٤؛ وجمهرة اللّغة، مادّة: جعل، ٢ / ١٠٣.

وعبد مناف بن ربيع الجريبي، من هذيل، شاعر جاهلي نسبته إلى جريب وهو بطن من هذيل.

٧١ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٩٨.

نسب السيوطي هذا البيت لرجل من أزد السراة، وأزد السراة: حي في اليمن. وقيل هو لعمر الجنيبي.

٧٢ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٢٤٦.

قال السيوطي: أنشده الفراء ولم يعزه إلى أحد.

سابعا - قاعدة جواز مجيء الضمير المتصل بدل المنفصل وبالعكس

أ - الضمير المنفصل بدل المتصل، وجاء ذلك:

١ - في شعر الشاعر يزيدهم حُبًا إليّ هُم، في قوله:

لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَبًّا فَأَخْبِرُهُمْ == إِيَّاهُمْ يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ (٧٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: إِيَّاهُمْ يَزِيدُونَهُمْ حُبًّا إِلَيَّ.

٢ - وبلغت إِيَّاكَ، في شعر حُميد الارقط:

أَتَتُّكَ عَنَسٍ تَقَطَّعَ الْإِرَاكَ

إِلَيْكَ حَتَّى بَلَغَتْ إِيَّاكَ (٧٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حَتَّى بَلَغْتُكَ.

٣ - وضمنت إِيَّاهُمْ، في شعر الفرزدق:

بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الْأَمْوَاتِ قَدْ صَمِنْتَ

إِيَّاهُمْ الْأَرْضِ فِي دَهْرِ الدَّهَارِ (٧٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ضمنّتهم.

ب - الضمير المتصل بدل المنفصل، وجاء ذلك:

في شعر الشاعر: إِيَّاكَ دِيَّارُ، في قوله:

وَمَا نِبَالِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتَنَا

أَلَّا يُجَاوِرَنَا إِيَّاكَ دِيَّارُ (٧٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: إِلَّا إِيَّاكَ.

ثامنا - قاعدة جواز ردّ المحذوف

وجاء ذلك:

أ - في شعر لبيد بن ربيعة، وَعَدُوا، في قوله:

وما النَّاسُ إِلَّا كالدِّيارِ وَأَهْلُها

بِها يَوْمَ حَلَوْها وَعَدُوا بِلأْفِعٍ (٧٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: غدا.

ب - وعلى ما، في شعر حسان:

عَلَى ما قَامَ يَشْتُمُنِي لَيْمٌ

كَخَنْزِيرٍ تَمَرَّعَ فِي رَمادٍ (٧٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عَلَى مَ.

ج - وترأياهُ، في شعر سراقه البارقي:

أُرَى عَيْبِي ما لَمْ تَرَأِياهُ

كِلاتَا عَالِمٍ بالثَّرْهاَتِ (٧٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لم ترياهُ.

٦ - وما أراى، في شعر الشاعر:

أَحِنُّ إِذا رَأَيْتُ جِبالَ نَجْدٍ

وَمَا أراى إِلى نَجْدٍ سَبِيلًا (٨٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ما أرى.

هـ - وأتريايتُهُ، في شعر الشاعر:

ألا تَلِكْ جَارَتُنَا بِالغَصَا

تَقُولُ أَتَرَأِيتُهُ لَنْ يَضِيعا (٨١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أَتَرِيتُهُ.

٧٣ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٠.

ينسب البيت لزياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث، وقيل لزياد بن منقذ وهو أحد بلعدويّة من بني تميم. وقيل للمرار بن منقذ. وفي الاغانى ينسب لبدر أخي المرار بن سعيد.

٧٤ الكتاب لسبويه، باب ما يجوز في الشعر من (إيّا) ولا يجوز في الكلام ٢ / ٣٦٢.

٧٥ شرح ابن عقيل، النكرة والمعرفة، الضمير، الشاهد رقم ١٥؛ وخزانة الادب، الشاهد رقم ٣٨٦، ٥ / ٢٨٨.

٧٦ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٦٨٠.

قال العيني: أنشدته الفراء ولم يعزه لاحد.

٧٧ الصحاح للجوهري، مادّة: غدا، وشرح المفصل، ٤ / ٦.

وأبو عقيل وليد بن ربيعة بن مالك العامري، أحد الشعراء الفرسان الاشراف في الجاهلية. أدرك الاسلام (ت: ٥٤١).

٧٨ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٧٧؛ وشرح المفصل لابن يعيش، مبحث الموصولات، فصل من، ٤ / ٩.

٧٩ جمهرة اللّغة، مادّة رأوى، ١ / ١٧٦؛ ولسان العرب، مادّة: رأى. وسراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي الازدي، يمانى الاصل (ت: ٥٧٩).

٨٠ لسان العرب، مادّة: رأى. والبيت لم يسمّ قائله.

٨١ لسان العرب، مادّة: رأى. والبيت لم يسمّ قائله.

تاسعا - قاعدة جواز فكّ الادغام

وجاء ذلك:

أ - في شعر زهير بن أبي سلمى: رَكَكَ، في قوله:

ثُمَّ اسْتَمَرُّوا وَقَالُوا إِنَّ مَشْرَبَكُمْ

مَاءٍ بِشَرْفِيٍّ سَلَمَى فَيُدُّ أَوْ رَكَكَ (٨٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: رَكَكَ.

ب - وألْبُبُ، في شعر أنس بن مدركة الخثعمي:

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ

لَا مِرَّ مَا يُسْوَدُّ مَنْ يَسْوَدُّ

إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعَتْ

تَوَازَعُ مِنْ قَلْبِي ظِمَاءٍ وَأَلْبُبُ (٨٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وَأَلْبُبُ.

ج - وضنُّوا، في شعر قعب بن أمّ صاحب:

مَهْلًا أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي

أَتِي أَجُودُ لِقَوَامٍ وَإِنْ ضَنُّوا (٨٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ضنُّوا.

د - وألَّبَّه، في شعر الشاعر:

قَدْ عَلِمْتَ ذَاكَ بَنَاتُ أَلْبِيهِ (٨٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أَلْبِيهِ.

هـ الاجلّ، في شعر أبي النجم العجلي:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْاجلِّ

الواسعِ الْفَضْلِ الْوَهَّابِ الْمَجزَلِ (٨٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: الاجلّ.

و - مودّده، في شعر الشاعر:

إِنَّ بَنِيَّ لَلِنَاثِ زَهْدَهُ

مَا لِي فِي صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَدِهِ (٨٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مودّده.

٨٢ العقد الفريد، كتاب الرّمدة الثانية في فصائل الشعر ومخارجه، باب: ما يجوز في الشعر ممّا لا يجوز في الكلام ه / ٣٥٥.

وزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من مضر. حكيم الشعرأ في الجاهلية (ت: ١٣ق.ه).

٨٣ شرح المفصل لابن يعيش، مبحث اقحام المضاف ٣ / ١٢؛ ولسان العرب، مادّة: لِب.

وأبو سفيان، أنس بن مدركة بن كعب الاكلبي الخثعمي، شاعر فارس من المعمرين، كان سيّد خثعم في الجاهلية وفارسها (ت: ٥٣٥ه).

٨٤ الكتاب لسبويه، باب: ما يحتمل الشعر ١ / ٣٩؛ وشرح المفصل، مبحث اقحام المضاف ٣ / ١٢؛ ولسان العرب، مادّة: ضن .

وقعب بن ضمرة، من بني عبدالله بن غطفان من شعراً العصر الاموي يقال له ابن أم صاحب (ت: ٩٥ ه) .

٨٥ الكتاب لسبويه، باب: ما شدّ من المعتل على الاصل ٤ / ٤٢٠؛ ولسان العرب، مادّة: لِب. والبيت لم يسمّ قائله.

٨٦ لسان العرب، مادّة جَل؛ وخزانة الادب، في الشاهد رقم ١٤٨، ٢ / ٣٩٠.

٨٧ لسان العرب، مادّة: ودد. والبيت لم يسمّ قائله.

عاشرا - قاعدة جواز مخالفة القواعد النحوية

أ - مجيء الرفع بدل النصب أو العكس، وجاء ذلك:

١ - في شعر الشاعر أن تقرأن، في قوله:

أَنْ تَقْرَأِينَ عَلَيَّ أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا

مِثِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا (٨٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن تقرأ.

٢ - وعقَعَقَاتَ وبومٌ، في شعر الشاعر:

إِنَّ مَنْ صَادَ عَقَعَقَا لِمَشُومٍ

كَيْفَ مَنْ صَادَ عَقَعَقَانِ وَبِومٌ (٨٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: عقعقين وبوما.

٣ - وأن سيقْتَلُ، في شعر جرير:

زَعَمَ الْقَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرَبَعًا

أَبْشِيرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرَبِعُ (٩٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن سيقْتَلِ.

٤ - وأَسَدَا، في شعر عمرو بن أبي ربيعة:

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلنَاتِ وَوَلتَكُنْ

حُطَاكَ خِيفَا إِنْ حُرَّاسْنَا أُسَدَا (٩١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أُسَدَّ.

ب - مجيء الرفع بدل الجزم، وجاء ذلك:

١ - في شعر قيس بن زهير: ألم يَأْتِيكَ في قوله:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تُنْمِي

بِمَا لَأَقْتَ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ (٩٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: ألم يَأْتِيكَ.

٢ - ولم يوفون، في شعر الشاعر:

لَوْلَا قَوَارِسُ مِنْ نُعْمٍ وَأُسْرَتُهُمْ

يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ (٩٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: لم يُوفُوا.

ج - مجيء النصب بدل الجرّ، وجاء ذلك:

١ - في شعر ربيع بن ضبع الفزاري مأتين عاما، في قوله:

إِذَا عَاشَ الْقَتَى مَأْتِينَ عَامَا

فَقَدَ دَهَبَ اللَّذَاذُهُ وَالْقَتَاءُ (٩٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: مأتي عامٍ.

٢ - وأبا أبها، في رجز الشاعر:

شَالُوا عَلَيَّهِنَّ فَشَلَّ عَلاهَا

وَاشْدُدْ يَمِثْنَا حَقْبِ حِقْوَاهَا

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا

قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا (٩٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: وأبا أبيها.

د - مجيء الجزم بدل النصب، وجاء ذلك:

١ - في شعر امرئ القيس أن يأتنا، في قوله:

مَا عَدَوْنَا قَالَ وَلِدَانُ أَهْلِنَا

تَعَالُوا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نُحُطِبُ (٩٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن يأتينا.

٢ - وأن تعلم، في شعر جميل بثينة:

أَحَاذِرُ أَنْ تَعْلَمَ بِهَا فَتَرُدَّهَا

فَتَتْرُكَهَا ثِقْلًا عَلَيَّ كَمَا هِيَ (٩٧)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أن تعلم.

هـ مجيء الجر بدل الرفع والنصب

١ - مجيء الجر بدل الرفع، وجاء ذلك:

أ - في شعر امرئ القيس كبير أناسٍ مُزْمَلٍ في قوله:

كَأَنَّ تَبِيرًا فِي عَرَائِينِ وَبِيهِ

كَبِيرٌ أَنَسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ (٩٨)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: كبير أناسٍ مُزْمَلٍ.

ب - وحالك اللون أسود، في شعر دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ:

فَجَنَّتْ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنْوِشُهُ

كَوْفَعُ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيحِ الْمَمْدِدِ

فَدَافَعْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَبَدَّدَتْ

وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدٍ (٩٩)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: حالكُ اللونِ أسودٌ.

٢ - مجيء الجر بدل النصب، وجاء ذلك:

أ - في شعر العجاج نسج العنكبوت المرملي، في قوله:

كَأَنَّ نَسَجَ الْعَنْكَبُوتِ الْمُرْمَلِ

عَلَى ذُرَى قَلَامَةِ الْمَهْدَلِ

سُبُوبَ كَتَّانٍ بِأَيْدِي الْعُسَلِّ (١٠٠)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: نسج العنكبوت المرملي.

ب - وقطنا محلوج، في شعر ذي الرمة:

كَأَنَّكَ صَرَبْتَ قُدَامَ أَعْيُنِهَا

قِطْنَا بِمُسْتَحْصِدِ الْاوتَارِ مَحْلُوجِ (١٠١)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: قطنا محلوجا.

ج - وذوي الحاجات كلهم، في شعر الشاعر:

يَا صَاحِبِ بَلِّغِ ذَوِي الْحَاجَاتِ كُلَّهُمْ

أَنْ لَيْسَ وَصَلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الدَّنْبِ (١٠٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: بلغ ذوي الحاجات كلهم.

و - جعل اسم (كان) نكرة وخبرها معرفة، وجاء ذلك:

١ - في شعر خداس بن زهير أطبي أم حمار كان أمك، في قوله:

فإِنَّكَ لَا تُبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ

أَطْبِيَّ كَانَ أُمَّكَ أَمْ حِمَارًا (١٠٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أطبيا كان أمك أم حمارا.

٢ - وأسيحر كان طبك أم جنون، في شعر أبي قيس بن الاسلت الانصاري:

أَلَا مَنْ مُبْلَغُ حَسَانِ عَيْيِ

أَسِيحْرٌ كَانَ طِبَّكَ أَمْ جُنُونٌ (١٠٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أسحرا كان طبك أم جنونا.

٣ - ويكون مزاجها غسل وماء، في قول حسان بن ثابت:

كَأَنَّ سَيِّئَتَهُ مِنْ بَيْتِ رَأْسِ

يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ (١٠٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: يكون مزاجها عسلا وماء.

٤ - وأسكرانُ كانَ ابنَ المِراغَةِ، في شعر الفرزدق:

أَسْكَرَانُ كَانَ ابْنَ الْمِرَاعَةِ إِذْ هَجَا

تميما بجوفِ الشَّامِ أم مُتْسَاكِرٌ (١٠٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أسكرانا كان ابنُ المِراغَةِ أم هو مُتْسَاكِرٌ.

ز - تصغير فعل التعجب واسم الاشارة، وجاء ذلك:

في شعر العرجي يا ما أَمِيلِحَ، هَوْلِيَّائِكُنَّ، في قوله:

يَا مَا أَمِيلِحَ غِرْلَا شَدَّتْ لَنَا

مِنْ هَوْلِيَّائِكُنَّ الصَّالِ وَالسُّمْرِ (١٠٧)

وفي غير الموزون من الكلام لا يصغر فعل التعجب ولا اسم الاشارة.

ح - الحاق نون التأكيد بالفعل الماضي واسم الفاعل، وجاء ذلك:

١ - في شعر الشاعر أَقَانُلْنُ، في قوله:

وَلَا يَرَى مَالًا لَهُ مَعْدُودًا

أَقَانُلْنُ أَعْجَلُوا الشُّهُودًا (١٠٨)

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق نون التأكيد باسم الفاعل.

٢ - ودامنٌ، في شعر الشاعر:

دَامَنَّ سَعْدُكَ رَجِمْتَ مُتَيْمًا

لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ لِلصَّبَابَةِ جَانِحًا (١٠٩)

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق نون التأكيد بالفعل الماضي.

ط - الحاق نون التنوين بالاسم المفرد المنادى، وجاء ذلك:

١ - في شعر الاحوص يا مطرٌ، في قوله:

سَلَامُ اللَّهِ يَا مَطَرٌ عَلَيَّهَا

وَلَيْسَ عَلَيكَ يَا مَطَرُ السَّلَامُ (١١٠)

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق التنوين اسم المفرد المنادى.

٢ - ويا عديا، في شعر عدي بن ربيعة:

صَرَبْتُ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ

يَا عَدِيَا قَدْ وَقَنْتَكَ الْاَوَاقِي (١١١)

وفي غير الموزون من الكلام لا تلحق التنوين اسم المفرد المنادى.

ي - تنوين الاسم غير المنصرف، وجاء ذلك:

١ - في شعر النابغة الذبياني قصائد، في قوله:

فَلتَأْتِينَكِ قَصَائِدٌ وَلتَرْكَبِينَ

جَيْشٌ إِلَيْكَ قَوَادِمَ الْاَكْوَارِ (١١٢)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: قصائد.

٢ - ودمشقا في قول الشاعر:

ثُمَّ تَادِي إِذَا دَخَلْتَ دِمَشِقَا

يَا يَزِيدُ بْنَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدِ (١١٣)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: دمشق.

٣ - وأحاد، في قول أبي الطيب المتنبي:

أَحَادٌ أَمَّ سِدَاسٌ فِي أَحَادٍ

لِيُئَلِّثَنَا الْمُنُوطَةَ بِالتَّنَادِ (١١٤)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أحاد.

ك - مجيء أبيض وأسود بمعنى أفعال التفضيل، وجاء ذلك:

١ - في شعر الراجز، أبيض، في قوله:

أَبْيَضٌ مِنْ أُخْتِ بَيْتِ أَبَاضِ (١١٥)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أشدُّ بياضا.

٢ - وأسود، في قول المتنبي:

أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ

لَانتَ أَسْوَدٌ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ (١١٦)

وفي غير الموزون من الكلام يقال: أشدُّ سوادا.

عود على بدء:

بعد ذكر ما تقدم نعود إلى كتاب الله الحكيم، ونورد أمثلة من مراعاة الوزن اللفظي في بعض آياتها مثل قوله تعالى:

أ - (وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ * وَطُورٍ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ). (التين ٤ - ١ /

ب - (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا...). (طه / ٦٣)

في المورد الأوّل قال - سبحانه وتعالى :- (وَطَوَّرَ سَيِّئِينَ) بدل (وطور سيئاء) مراعاة للوزن، وليس مراعاة للسجع، فإن قوله - تعالى: (فِي أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ) ليس فيه مراعاة للسجع.

وفي المورد الثاني قال - عزّ اسمه :- (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) بدل (هذين) مراعاة للوزن.

وفي الموردين لا يلتبس الأمر على أحد، ولا حاجة فيها لمراعاة قواعد اللّغة العربية التي وضعت للكلام غير الموزون، كي نختلق بسببها قراءة مخالفة للنصّ القرآني الذي أوحى الله به إلى رسوله (ص).

٨٨ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٢. والبيت لم يسمّ قائله.

٨٩ مغني اللبيب، الباب الثامن، القاعدة الحادية عشر، الرقم ١٢٠٠. والبيت لم نقف على قائله.

٩٠ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٤.

وجرير بن عطية بن حذيفة الحطفي بن بدر الكلبي البربوعي، من تميم. أشعر أهل عصره، ولد ومات في الميامة، وكان هجاءً مرّاً، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل (ت: ٥١١).

٩١ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٤.

وأبو عبدالله أو أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة، المخزومي القرشي، أرق شعراً عصره توفي سنة ٥٩٣.

٩٢ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ١٤٨.

وقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، أمير عبس وداهيتها، كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه. وهو معدود في الأمراء والدهاة والخطباء والشعراء الجاهليين (ت: ٥١٠).

٩٣ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٢٢. والبيت لم يسمّ قائله.

٩٤ الكتاب لسبويه، باب الصفة المشبهة بالفاعل في ما عملت فيه ١ / ٢٠٨؛ وشرح المفصل، مبحث العدد ٦ / ٢١؛ ولسان العرب، مادّة: فتا. وفي البيت شاهد على رد نون الرفع عند الاضافة.

وزبيح بن ضُبُع بن وهب الفزاري الذبياني، شاعر جاهلي، أدرك الاسلام.

٩٥ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٤٧.

قال السيوطي: قيل إنّ الرجز لرؤية، وعزاه الجواهري لابي النجم.

٩٦ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣٠.

٩٧ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٣١.

وجميل بن عبدالله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو شاعر من عشاق العرب. افتتن ببثينة وعرف بجميل بثينة. توفي سنة ٥٨٢.

٩٨ ديوان امرئ القيس، من معلقته المشهورة؛ وخزانة الادب، الشاهد رقم ٣٥٠، ٥ / ٩٨.

٩٩ خزانة الادب، في الشاهد رقم ٣٤٩، ٥ / ٩١.

وؤريد بن معاوية (الصمّة) بن الحارث الجشمي البكري، من هوازن، من الشعراء المعمرين في الجاهلية. أدرك الاسلام ولم يسلم (ت: ٥٨).

١٠٠ الكتاب لسبويه، باب: مجرى النعت على المنعوت ١ / ٤٢٧؛ وخزانة الادب للبغدادي، في الشاهد رقم ٣٤٩، ٥ / ٨٨ و ٩٧.

١٠١ خزنة الادب، في الشاهد رقم ٣٤٩، ٥ / ٩١؛ ولسان العرب، مادّة: (حمش) وعجزه كذا: قطنا بمُسْتَحْمَش الاوتاد مخلوج.

١٠٢ مغني اللبيب، الباب الثامن، القاعدة الثانية؛ وخزنة الادب، في الشاهد رقم ٤٥٩، ٥ / ٩٣.

والبيت نسبه صاحب الخزنة لابي الغريب الاعرابي وقال: أدرك الدولة الهاشمية.

١٠٣ الكتاب لسيبويه، باب: الفعل الَّذِي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول ١ / ٤٨؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٨٠١.

وخداش بن زهير العامري من بني عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي.

١٠٤ الكتاب لسيبويه، ١ / ٤٩.

وأبو قيس كان معاصرا لحسان بن ثابت.

١٠٥ نفس المصدر السابق.

١٠٦ نفس المصدر السابق.

١٠٧ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٨٥٤.

والعرجي، عبدالله بن عمر بن عمر بن عثمان بن عفان الاموي، شاعر غزلي، ينحو نحو عمر بن أبي ربيعة، سجنه والي مكة محمد بن هشام وتوفي في السجن (ت: ٥١٢٠).

١٠٨ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٤٥.

قال السيوطي: قال السكري: قاله رجل من هذيل.

١٠٩ شرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٤٨.

والبيت لم يسمّ قائله.

١١٠ الكتاب لسيبويه، باب: ما ينتصب على المدح والتعظيم أو الشتم، ٢ / ٢٠٢؛ وشرح شواهد المغني، الشاهد رقم ٥٥٥.

وأبو عاصم، عبدالله بن محمد بن عاصم الانصاري الاوسي من بني ضبيعة، شاعر هجاء من شعراء الدولة الاموية، من أهل المدينة (ت: ٥١٠٥).

١١١ شرح الالفية للسيوطي، النداء، الشاهد رقم ٢٩٢.

وأبو ليلى، عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من تغلب، المهلهل من أبطال العرب في الجاهلية من أهل نجد، وهو خال امرئ القيس، توفي سنة ٥١٠٠.

١١٢ ديوان النابغة الذبياني، حرف الراء، ص ٢٥٩؛ والكتاب لسيبويه، باب: ما يكون ما قبل المحذوف ٣ / ٥١١.

١١٣ الاغاني، أخبار موسى شهوات ونسبه ٣ / ٢٥٤؛ والقرطبي، تفسير سورة يوسف ٩ / ٢٥٧.

١١٤ كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري، الباب العاشر، الفصل الأوّل ص ٤٥٦.

١١٥ لسان العرب، مادّة: بيض.

والرجز لرؤبة بن العجاج.

١١٦ مغني اللبيب لابن هشام، الباب الخامس، الجهة الثانية، الشاهد رقم ٩٤٣.

سادسا - اجتهاد القراء وتبديلهم النصّ القرآني بغيره استنادا

إلى ما سبق ذكره

في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري اجتهد القراء، واعتمدوا الروايات والاجتهادات اللّاتي أوردناها سابقا، واختلفوا القراءات المختلفة وأسسوا بذلك علم القراءات، فقد كان العلماء يروون يومئذ في ما يروون ما خلاصته:

أ - أنّ الرسول (ص) ناجى ربّه وطلب منه: أن يخفف عن أمّته في قراءة النصّ القرآني فأذن لهم أن يقرأوا بسبعة أحرف، أي: يبدلوا كلامه المجيد بما شاءوا كما شاءوا، وان لهم أن يبدلوا ما جاء من أسماء الله الحسنی في القرآن الكريم بعضه ببعض الآخر بشرط أن لا يتبدل معنى آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب بآية رحمة، وأنّ للنّاس كل النّاس أن يبدلوا ما جاء في آية - مثلا - (عزيز حكيم) ب - (سميع بصير).

ب - أنّ الصحابة بدلوا النصوص القرآنية بما رأوه موافقا لقواعد العربية أو بنصوص أخرى استحسَنوها، وفق اجتهادهم.

ج - إن الخليفة عثمان قال: في المصحف لحن ستقيمه العرب بألسنتها، ووطنوا أنّه أراد أنّ في رسم الخط خطأ ستقيمه العرب بألسنتها وكما جرى ذلك إلى يومنا هذا، وقرأوا النصّ المكتوب لحننا صحيحا، ولم ينتهوا إلى أنّ الرواية قد تكون مختلفة ومفتراة من قبل الزنادقة.

وبسبب ما ذكرناه قامت جماعة من أولئك العلماء بتبديل النصّ القرآني وفق اجتهادهم الخاص اقتداء منهم بما رووا عن الصحابة، وأخذوا بتلك الروايات، أي: أنهم استقوا في عملهم من معينين:

١ - من كل رواية جاء فيها ذكر تبديل لفظ القرآن بغيره من قبل الصحابة صحيحة كانت الرواية حسب مقاييس علم الدراية بمدرسة الخلفاء أم ضعيفة وشاذة.

٢ - من كل لغة لكل قبيلة من قبائل العرب سواء أكانت شائعة لديهم أم شاذة ونادرة، وكل قاعدة من قواعد اللّغة العربية دونما ملاحظة لموارد الاستثناء منها.

٣ - أضافوا إليهما اعتمادهم على ما استحسَنوه في تبديل النصّ القرآني حسب اجتهادهم.

وفي ضوء ما ذكرناه قاموا بعرض النصوص القرآنية على المألوف عندهم من قواعد اللّغة العربية، وبدلوا من النصّ القرآني ما زعموه مخالفا لها بلفظ يوافقها، وبحثوا في لغات العرب واختاروا منها لغات بدلوا بها لغة القرآن وتسايقوا في جمع كل ما جاء لكل قبيلة وفي كل رواية وكل قاعدة، وأخضعوا جميع كلمات القرآن لجميع تلكم الروايات واللغات والقواعد، وسمّوا كل لفظ بدلوا النصّ القرآني به شادا كان أم غير شاذ ب - (قراءة)، وسمّوا عملهم ذلك ب - (علم القراءة)، وسمّوا أنفسهم ب - (القراء)، وكسبوا بذلك جاهها وسمعة في المجتمع الاسلامي زعما من النّاس أنهم علماء تخصصوا بعلم قراءة كتاب الله المجيد، ولم يدركوا أنّ عملهم تغيير لكلام الله المجيد.

واليكم مثلا واحدا من أنواع عملهم المختلق واساءتهم الادب ازاء القرآن العظيم كما أورده القرطبي في تفسيره سورة الفاتحة (١) وقال:

التاسعة والعشرون - (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)

ولغة القرآن ((الَّذِينَ)) في الرفع والنصب والجر؛ وهذيل تقول: اللّذونَ في الرفع، ومن العرب من يقول: اللذو(٢)، ومنهم من يقول:

الذي(٣)؛ وسيأتي.

وفي ((عليهم)) عشر لغات؛ قرئ بعامتها:

((عليهم)) بضم الهاء وإسكان الميم.

و((عليهم)) بكسر الهاء وإسكان الميم.

و((عليهمي)) بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة.

و((عليهمو)) بكسر الهاء وضم الميم وزيادة واو بعد الضمة.

و((عليهمو)) بضم الهاء والميم كليهما وإدخال واو بعد الميم.

و((عليهم)) بضم الهاء والميم من غير زيادة واو.

وهذه الواجه الستة مأثورة عن الائمة من القراء.

وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القراء: ((عليهمي)) بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم، حكاهما الحسن البصري(٤) عن العرب.

و((عليهم)) بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء.

و((عليهم)) بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو.

و((عليهم)) بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم. وكلها صواب، قاله ابن الانباري.

دراسة الخبر:

أ - قال في أول كلامه: (وفي عليهم عشر لغات) واللغات جمع اللّغة، ولغة كل قبيلة الكلمات التي تختص هي بتلفظها، وقد يقال لها (اللهجة)، وكذلك يقال لما جاء في القرآن: (لغة القرآن) كما قال القرطبي قبل إيراده اللغات العشر:

(ولغة القرآن الذين في الرفع والنصب والجرّ وهذيل تقول: اللذون في الرفع...).

ولما كانت الثانية من اللغات التي ذكرها: (عليهم) بكسر الهاء وسكون الميم، هي لغة القرآن، كما كتبت في المصاحف، عرفنا أنّ اللغات التسع الباقية هي من اجتهادات القراء ولغات القبائل العربية، وبيان ذلك كالاتي:

ب - قال بعد إيراد ست لغات منها: (وهذه الواجه الستة مأثورة عن الائمة القراء).

أي أنّ القراء الذين يقتدى بهم في قراءة القرآن قرأوا بهذه اللغات الست، ويصحّ للمسلمين أن يقتدوا بهم، ويقرأوا بأيّ اللغات الست شاؤوا.

ويظهر من كلامه أنّ بعض القراء قرأ (عليهم) بلغة القرآن والخمسة الباقون قرأوا حسب اجتهاداتهم.

ج - قال بعده: (وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القراء)، وإنّما ذكر الواجه الأربعة التي لم يقرأ بها القراء في عداد القراءات العشر، لأنّها نقلت من لغات العرب، ولغات العرب أحد المنابع التي أخذوا منها القراءات المختلفة مقابل النصّ القرآني، ويؤيد ذلك ما جاء في أول كلامه:

أولاً - (قري بعائتها) أي قريّ النصّ القرآني بعامة تلكم اللغات العشر لأنّه يقصد من (قرأ وقري) في علم القراءات قراءة النصّ القرآني كما أنّ القارئ هو المتخصص بقراءة القرآن.

ثانياً - قال في آخر كلامه: (وكلّها صواب، قاله ابن الانباري).

وابن الانباري هو أبو بكر محمد بن القاسم اللغوي النحوي، وصفوه بأنّه: كان علامة وقته في الادب، كان يحفظ عشرين ومائة تفسير للقرآن الكريم بأسانيدها - أي برواها بأسانيدها عن مؤلفيها - وثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن المجيد - أي أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من أشعار العرب يستشهد بها أحيانا على صحّة النصّ القرآني، وأحيانا على صحّة القراءات التي اكتشفها القراء، وأحيانا يستدل بها على معنى النصّ القرآني - وكان يحفظ ثلاثة عشر صندوقا من الكتب (ت: ٣٢٨)(٥).

وإِذَا قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ (كَلَّمَهَا صَوَابٌ) لِأَنَّهَا وَجَدَ سِتًّا مِنْهَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ بِمَا فِيهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَأَرْبَعًا مِنْهَا فِي لُغَاتِ الْعَرَبِ.

د - ان اللغات التسع التي قرئت مقابل النصّ القرآني: (عَلَيْهِمْ) لم ينزل بها الله من سلطان، ولم تُرَوَّ قراءتها عن الرسول (ص) ولا عن صحابته، لأنّ القراءة لو كانت مروية عنهم لنسبها إليهم كما قال قبله:

(والخامسة عشرة) اختلف العلماء أيّما أبلغ: ملك أو مالك؟ والقراءتان مرويتان عن النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر ذكرهما الترمذي.

وقال بعده:

الموفية الثلاثين: قرأ عمر بن الخطاب وابن الزبير (رض) ((صراط من أنعمت عليهم)).

تفسير القرطبي، ط. مصر سنة ١٣٨٧هـ، ١ / ١٤٠ - ١٤٩ 1

قال أبو حيان في البحر ١ / ٢٦: واستعماله بحذف النون جائز. كذا في اللسان 2

أي إفراداً أو جمعا في الرفع والنصب والجرّ؛ كما يؤخذ من لسان العرب 3

في بعض نسخ الاصل: ((الاحفش البصري)) وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة 4

راجع ترجمته في الكنى والالقب للقمي، وأبناء الرواة في طبقات النحاة ٣ / ٢٠١ 5

نتيجة دراسة قراءات ((عليهم)):

أولا - إنّ القراءة الثانية (عَلَيْهِمْ) كانت موافقة لخطّ المصحف الذي بأيدي الناس كلّ الناس اليوم، وكذلك ورثوه خلفا عن سلف جيلا بعد جيل، ولذلك قرأها الناس كلّ الناس منذ عصر رسول الله (ص) حتّى اليوم ما عدا طبقة القرّاء منهم الذين اختلفوا القراءات، وكذلك أنزلها الله - جلّ جلاله - على رسوله (ص)، وكذلك كتبها جميع من كتبها من المسلمين على العسب واللخاف وغيرهما على عهد رسول الله (ص) وبتعليم الرسول (ص) إياهم أن يقرأوها كذلك ومن فمه المبارك، وكذلك كتبها المسلمون منذ عصر الرسول (ص) حتّى عصرنا الحاضر، وكذلك كتبها القرّاء أنفسهم في كل العصور، ولم يكتبوا معها ما اختلفوا من قراءات.

أمّا اللغات التسع الباقية: فمنها ما اختلفها القرّاء بأنفسهم استحسانا منهم لها.

ومنها ما اقتبسوها من تلقّظ بعض القبائل العربية لكلمة (عَلَيْهِمْ) في محاوراتهم الخاصّة بهم.

ثمّ أخضعوا كلام الله المجيد لتلفظ تلك القبائل وهكذا اختلفوا تسع قراءات في مقابل النصّ القرآني لم ينزل الله بها من سلطان ولم يقرأها الرسول (ص) ولا من كان في عصره سواء الصحابة منهم أم سائر المسلمين.

ثانيا - قال في الموفية الثلاثين:

قرأ عمر بن الخطاب وابن الزبير (رض) ((صراط من أنعمت عليهم)) أي: إنّ هذه القراءة رويت عن عمر وابن الزبير خاصّة ولم ترد في النصّ القرآني ولم ترد عن رسول الله (ص).

ودليلنا على ذلك أنّه قال قبله: إنّ قراءة ملك ومالك رويت (عن النبيّ وأبي بكر وعمر).

وهكذا ذكر اسم النبيّ (ص) في عداد من قرأ (ملك ومالك) بينما نسب قراءة (صراط من أنعمت) إلى عمر وابن الزبير، ولم يذكر اسم النبيّ (ص) في عداد من قرأ كذلك.

إذا فإنّ هذه القراءة مقابل النصّ القرآني (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) الذي توارثه المسلمون خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن ينتهوا إلى الذين أخذوه من فم الرسول (ص)، وكتبوه بأمره، ونحن نعلم أنّ الرسول (ص) أخذ هذه القراءة من الله سبحانه حيث قال تعالى: (سَتُفْرِتُكَ فَلَا تَنْسَى).

وبناء على ذلك قالوا: أقرأ الله ورسوله (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) المسلمين كما هو في النصّ القرآني وقرأ عمر وابن الزبير (صراط من أنعمت عليهم)!!!

ولست أدري كيف استساعوا أن يقولوا: قال الله ورسوله وقال الصحابة والقراء!!!

ولست أدري ممّن أخذ عمر وابن الزبير وغيرهما تلك القراءة، لست أدري!!!

وإنّ عملهم في اختلاق القراءة لم يقتصر على ما اختلقوه لكلمة عليهم من قراءة، وإنّما هو دأبهم مع جميع الكلمات القرآنية في اخضاعها لما رووه عن الصحابة من قراءة، أو ما وجدوها في شتى لغات القبائل العربية، أو ما ألفوها من قواعد اللغة في غير الموزون من الكلام، أو لما استحسنوه من بديل آخر للنصّ القرآني الكريم.

وهكذا إختلقوا ما لانستطيع له عدا من القراءات لكلام الله المجيد استنادا إلى اجتهادهم في تبديل كلام الله المجيد بغيره.

وكل تبديل لكلام الله بغيره تحريف.

وكذلك حرّفوا كلام الله بأنواع التحريف:

أ - تحريف كلمات كلام الله المجيد مثل ما مرّ تبديلهم: (ننسه) بـ(ننساه) و(وَلَا الضَّالِّينَ) بـ (غير الضالّين).

ب - تحريف الحركات الاعرابية والحروف الاعرابية لكلام الله مثل ما مرّ تبديلهم: (إِنْ هَذَانِ) بـ (إِنَّ هَذَيْنِ).

ج - تحريف ضبط الكلمات، مثل ما مرّ تبديلهم: (عَلَيْهِمْ) بـ (عَلَيْهْمُ) و(عَلَيْهِمْ).

وهكذا حرّفوا القرآن تحريفا بما لا يتيسر عدّه ومزّقه وتمزيقا لم يجر نظيره على أي نصّ آخر سماويا كان مثل التوراة والانجيل المحرّفين، أو من كلام البشر مثل قصائد شعراء الجاهليين كامرئ القيس أو مخضرمين كأبي طالب وحسان بن ثابت، أو إسلاميين كالمتنبّي والحمداني وكذلك في خطب الخطباء وتصانيف المؤلّفين في أيّ لغة من لغات الانسان.

ثمّ سمّوا كل ذلك التحريف للقرآن بعلم القراءة.

واليكم وصفا موجزا لكيفية انتشار تلك القراءات والذي يسمى بعلم القراءات وكيفية ارتحال طلابها من بلد إلى بلد لاقتناء هذا العلم المزيف من شيوخه نسا من كتاب البرهان للزركشي (١ / ٣٢٤ و٣٢٥) حيث قال:

(فكان من قدماء علمائنا ممّن حجّ يأخذ بمصر شيئا يسيرا، كأبي عمر الطلمنكي(٦) صاحب الروضة، وأبي محمّد مكّي بن أبي طالب(٧). ثمّ رحل أبو عمرو الداني(٨) لطول إقامته بدانية(٩) فأخذ عن أبي خافان، وفارس، وابن غلبون؛ وصنف كتاب ((التيسير)). وقرأ على هؤلاء.

ورحل أيضا أبو القاسم يوسف بن جبارة الاندلسي(١٠)، فأبعد في الشقّة، وجمّع بين طريق المشرق والمغرب، وصنف كتاب الكامل، يحتوي على القراءات السبع وغيرها، ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه، ولا أكثر شيوخا.

وقد أقرأ القرآن بمكّة أبو معشر الطبري(١١)، وأبو عبد الله الكارزيني(١٢) وكانا متّسعي الرواية.

وكان بمصر أبو علي المالكي(١٣) مؤلّف الروضة، وكان قد قرأ بالعراق، وأقرأ بمصر.

وبعدهم التاج الكندي(١٤) فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا.

وكان أيضا ابن مامويه(١٥) بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر.

وبمصر النظام الكوفي(١٦) يُقرئ بالعشر وبغيرها، كقراءة ابن محيصن والحسن.

وكان بمكة أيضا زاهر بن رستم(١٧) وأبو بكر الزنجاني(١٨)، وكانا قد أخذوا عن أبي الكرم الشَّهرزوري كتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر؛ وأقرأه الزنجاني بعض شيوخنا.

وكان عزالدين الفاروقي(١٩) بدمشق، يُقرئ القرآن بروايات كثيرة، حتَّى قيل إنَّه أقرأ بقراءة أبي حنيفة.

والحاصل اتَّساع روايات غير بلادنا، وأنَّ الَّذي تضمنه التيسير، والتبصرة(٢٠) والكافي(٢١) وغيرها من تأليفهم؛ أمَّا هو فُلٌّ من كُثْرٍ، ونَزْرٌ من بحر.

وبيانه أن في هذه الكتب مثلا قراءة نافع من رواية ورش وقالون، وقد روى الناس عن نافع غيرهما؛ منهم إسماعيل بن أبي جعفر المدني وأبو خلف وابن حبان، والأصمعي.

انتهى نقل نصِّ كتاب البرهان للزركشي.

دراسة بعض ما جاء في الصفحتين الانغتين:

قال في ص ٣٢٥: إنَّ ابن مامويه بدمشق كان يقرئ القرآن بالقراءات العشر، وبمصر النظام الكوفي يقرئ بالعشر وبغيرها.

وإنَّ عزالدين الفاروقي بدمشق كان يقرئ بروايات كثيرة حتى قيل: إنَّه أقرأ بقراءة أبي حنيفة.

ومعزى أقواله: أنَّ ابن مامويه بدمشق كان يبدل لغة القرآن بعشرة أنواع من لغات غير القرآن، وأنَّ عزالدين فيها كان يبدل لغة القرآن بلغات كثيرة حتَّى لغة أبي حنيفة.

وقال: (والحاصل اتَّساع روايات غير بلادنا).

ثمَّ وصف مؤلِّفات شيوخ بلاده في القراءة وقال: (هو فُلٌّ من كُثْرٍ، ونزر من بحر) مع أنَّه ذكر قبله في ص ٣٢٤ أن أبا القاسم الاندلسي أبعد في الشقَّة وجمع بين طرق المشرق والمغرب، وذكر في الهامش أن أبا القاسم هذا قال: (لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وسبِّين شيخا من آخر المغرب إلى فرغانة يمينا وشمالا وجبلا وبحرا، ولو علمت أحدا تقدَّم عليَّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الاسلام لقصدته) وأن فرغانة في آخر بلاد المشرق.

أي أنَّ هذا القارئ سافر برًّا وبحرا وسهلا وجبلا في كل بلاد الاسلام من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق.

وكان في بلنسية من الاندلس ملك يستجلب القراء، وينفق عليهم الاموال، وذلك مثال على اهتمام المسلمين بأمر القراءات المختلفة في سائر البلاد الاسلامية يومذاك!!!

٦ هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن لب، أبو عمر الطلمنكي، نزيل قرطبة، رحل إلى المشرق؛ ولقي كثيرا من العلماء بمصر، منهم ابن غلبون؛ وعاد إلى الاندلس، وألَّف كتاب الروضة. توفي سنة ٤٢٩هـ (طبقات القراء لابن الجزري ١ / ١٢٠).

٧ ولد بالقيروان، وحجَّ فسمع بمكة، ورحل إلى مصر فقرأ على ابن غلبون وابنه، ثمَّ عاد إلى القيروان، ورحل إلى الاندلس، ومات سنة ٣٩٤هـ (طبقات القراء ٢ / ٣١٠).

٨ هو عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني القرطبي، شيخ مشايخ المقرئين في عصره؛ توفي سنة ٤٤٤هـ (وانظر ترجمته في طبقات القراء ١ / ٥٠٣ - ٥٠٥).

٩ دانية: دانية بالاندلس، من أعمال بلنسية؛ كانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري؛ وأهلها أقرأ أهل الاندلس، لان مجاهداً كان يستجلب القراء ويفضل عليهم، وينفق لهم الاموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده؛ فكنزوا في بلاده (ياقوت، مادة دانية).

١٠ هو أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي البشكري؛ قال في كتابه الكامل: ((لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخاً، من آخر المغرب إلى فرغانة يمينا وشمالا وجبلا وبحرا؛ ولو علمت أحداً تقدّم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الاسلام لقصده...)) توفي سنة ٤٦٥هـ (طبقات القراء ٢ / ٣٩٧).

١١ هو عبد الكريم بن عبد الصمد أبو معشر الطبري، صاحب كتاب التلخيص في القراءات، الثمان توفي سنة ٤٧٨هـ (طبقات القراء ١ / ٤٠١).

١٢ في الأصول ((الكارزوني)) تصحيف؛ وهو أبو عبدالله محمد بن الحسين الكارزيني الفارسي؛ تنقل في البلاد وعاش بمكة. قال الذهبي: كان حيا سنة ٤٤٠هـ (طبقات القراء ٣ / ١٣٣).

١٣ هو الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي. توفي سنة ٤٣٨هـ (طبقات القراء ١ / ٢٣٠).

١٤ هو زيد بن الحسن بن زيد أبو اليمن الكندي البغدادي نزيل بغداد توفي بدمشق سنة ٦١٣هـ (طبقات القراء ١ / ٢٩٨).

١٥ هو أحمد بن محمد بن مامويه أبو الحسن الدمشقي، ذكره ابن الجزري في طبقات القراء ١ / ١٢٨، ولم يذكر تاريخ وفاته.

١٦ لعله محمد بن عبد الكريم الملقب بنظام الدين، وانظر طبقات القراء ٢ / ١٧٤.

١٧ زاهر بن رستم أبو شجاع الاصبهاني الشافعي، مات بمكة سنة ٦٠٩هـ (طبقات القراء ١ / ٢٨٨).

١٨ هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الزنجاني المجاور بمكة؛ ذكره ابن الجزري في الطبقات ٢ / ٤٨.

١٩ خطيب دمشق أصله من واسط، ورحل إلى دمشق ثم عاد إلى موطنه؛ وتوفي سنة ٦٩٤هـ (طبقات القراء ١ / ٢٥).

٢٠ التبصرة في القراءات السبع، لابي محمد مكي بن أبي طالب القيسي.

٢١ الكافي في القراءات السبع، لمحمد بن شريح الاشبيلي.

نتيجة الدراسة:

نستنتج من الدراسة المستفيضة السابقة ما يأتي:

أولاً - أنّ قواعد النحو والصرف اكتشفت من محاورات بلغاء العرب وبدئ بتدوين أسسها بعد ربع قرن من نزول القرآن.

وأثّهم وجدوا - مثلاً - أنّ بلغاء العرب تُغير حركات أواخر الكلمات منعاً للّبس، فتُحرّك آخر الفاعل بالضمّة وأخر المفعول بالفتحة، وتقول: درّس الحسنُ الحسينَ، ليعلم أنّ الحسنَ مدرّسٌ والحسين تلميذٌ.

وفي كتابة الهمزة تكتب الهمزة المكسور ما قبلها على نبرة الياء مثل (فئة) ولمّا كان من الجائر في عدد (مئة) حكّ الهمزة في جملة (خمسة مئة درهم) -مثلاً- وتقرأ عندئذ (خميس منه درهم) ويلتبس الامر، خالفوا القاعدة هنا، وأضافوا في الكتابة قبل الهمزة ألفاً ليُبَيّن لرفع هذا اللبس وكتبوها: مائة وخمسمائة.

إذا فالحكمة في وضع هذه القواعد رفع اللبس في النطق والكتابة.

ثانياً - نجد البلغاء قد يتركون بعض تلك القواعد في الكلام الموزون مثل الشعر، ويسمّون المبرّر له (ضرورة الشعر) ونحن نسّميه (قاعدة الكلام الموزون). كما فصلنا القول فيه بمنه تعالى في ما سبق.

ثالثا - إنّ لكلّ سورة من سور القرآن وزنا خاصّا بها، تهفو لسماعه النفوس في مقابل أوزان الشعر والنثر الفني.

وقد بني هذا الوزن في آي القرآن على تناسق الكلمات الموزونة في الجمل، والجمل بعضها مع بعض في السورة، وإذا تغيّر شيء من بنائه فقد النغم المحبب إلى النفس.

وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم، فهو معجز في تشييد مبانيه كما هو معجز في اختيار معانيه، وهو معجز في جميع جوانبه، وهو فوق كلام بلغاء العرب كافة.

فإن لم يؤمن أحد بأثّه وحى إلهي، فإنّه يقول عندئذ: إنّّه من نطق سيّد من صميم قريش أفصح قبائل العرب لسانا، وقد قال (ص) :- ((أنا أفصح العرب بيد أئبي من قريش)) (٢٢٢).

وعلى هذا يجب أن يتّخذ القرآن ميزانا لمعرفة صحّة الكلام العربي ويقاس بتعابير قواعده لغتها، فما وافقه فهو صحيح وما خالفه فهو زائف وسقيم.

وبعد هذا البيان نقول: إنّ العلماء لما وجدوا في قوله تعالى: (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) خلافا للقاعدة المكتشفة من لسان العرب حيث يقولون: (إن هذين لساحران)، أجروا عليه التبديلات المذكورة كلّ حسب اجتهاده، ينوون بذلك الخير في عملهم حين يقومون بتصحيح كلام الله - نعوذ بالله - بما يوافق تعابيرهم في كلامهم غير الموزون.

وبناء على عملهم هذا ينبغي لهم أن يصححوا شعر حسان (ملاؤس أو ملخزرج) ويقرأوه:

لما رأى بدرا تسيل جلاها

بكتائب من الأوس ومن الخزرج

ويفقده وزنه الذي به امتاز على سائر محاورات العرب.

بعد بيان ما سبق، نقف وقفة تأمل واستنتاج لما ذكرناه.

وقفة تأمل واستنتاج مع الآية الكريمة إزاء اجتهادهم فيها:

أولا - إنّ لفظ (إن هذين لساحران) ثقيل على السمع والنطق، ولفظ (قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ) خفيف على السمع والنطق، وموزون محبب للنفس.

ثانيا - لا يلتبس المعنى مع هذا اللفظ على السامع، وذلك - أيضا - ما عناه من رواه عن الخليفة عثمان في ما روى ابنه أبان وقال:

قرأت هذه الآية عند أبي عثمان بن عفان، فقال: لحن وخطأ!!!

فقال له قائل: ألا تغيّروه؟

فقال عثمان: دعوه فإنّه لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما (٢٢٣).

وقد برهنا على ان أمثال هذه الروايات افتري بها على الصحابة.

ثالثا - كلّ ما قالوه من وجوه لتصحيح الآية أو لتحريفها كما نسّميه، لم يتعدّ أقوالا دونت في كتب الحديث والتفسير والقراءات. وحفظ الله كتابه المجيد أن تشوبه اجتهاداتهم، ولم يكتب فيه ممّا تداوله المسلمون منذ عصر القرّاء إلى عصرنا الحاضر.

وقد قال الطبري في تفسير الآية: (قرأته عامّة قرّاء الامصار (إن هذان) بتشديد (إن) وبالالف في (هذان)، وقالوا قرأنا ذلك كذلك).

وقال: (وإنه كذلك هو في خطِّ المصحف)، وذكر خلاف بعض أهل العربية من أهل البصرة وبعض نحويي الكوفة (٢٤).

رابعا - وجدنا منشأ هذا النوع من اختلاف القراءة، أخذهم قواعد العربية من أقوال لغات القبائل العربية وتعبدهم بتلك القواعد وقياسهم أي القرآن على تلك القواعد، فما خالفها من تعابير القرآن وصفوه بفساد الاعراب كما مرّ بنا أنفاً، وعدم دركهم بأن القرآن كلام موزون لاتجري عليه تلك القواعد، وأنّ عليهم أن يتعلموا استثناء تلك القواعد من القرآن الكريم.

ولست أدري ما المسوّغ لاتّخاذ محاورات العرب ميزانا لمعرفة صحّة تعابير كلام الله وليس العكس.

أما أنّ للعلماء أن يحزروا عقولهم من ريقه التقليد الاعمى للسلف!؟

هَبْ أن مخاطبهم في البحث لا يؤمن بالوحي ورسالة خاتم الانبياء (ص) فهل يشكّ أحد في بلاغة القرآن الذي تحدّى بلاغته الناس أجمعين، ولا يزال تحدّيه باقيا إلى اليوم وإلى يوم الدين. أضف إليه أن القرآن نزل بلغة قريش وهم أفصح العرب لغة.

خامسا - إنّ تلك القراءات جميعها رويت عن آحاد وأحيانا ينتهي سندها إلى واحد، خلافا للنصّ القرآني المتداول بين جميع البشر والذي رواه الملايين من الناس عن الملايين، جيلا بعد جيل إلى أن ينتهي سندها إلى مئات الألوف عن عشرات الألوف من المسلمين الذين تلقوها عن فم رسول الله (ص) سماعا وعيانا.

سادسا - أخطأوا في فهم ما روي عن الخليفة عثمان أنّه قال: (فيه لحن ستقيمه العرب بألسنتها) ووطنوا أنّه قال في النصّ القرآني من المصاحف التي نسخت بامرّه لحن ستقيمه العرب، أي: ان العرب ستغيّر كلمات القرآن بألسنتها وكان ذلك من أسباب تولد القراءات المختلفة، بينا قصد الخليفة أنّ في رسم نسخ المصاحف المكتوبة لحنًا في مثل كتابة (يعيسى) و(بأهل الكتاب) و(أيمنهم) و(يوم القيمة) وستقيمها العرب بألسنتها وتقرأها: يا عيسى ويا أهل الكتاب وإيمانهم ويوم القيامة كما تعلموا قراءتها كذلك ممّن تعلمها كذلك من الصحابة والصحابة من رسول الله (ص) عن جبرائيل (ع) عن الله جلّ اسمه. وكذلك جرت كتابة المصاحف على رسم خط مصحف عثمان جيلا بعد جيل حتّى اليوم.

وأخيرا أوجدت ما رووا من اجتهادات الصحابة المختلفة في قراءة الايات لزعمهم أنّ القرآن فيه لحن - معاذ الله - اختلافا في القراءات من بعدهم، كما رأيناه في كلمة (عليهم) من سورة الفاتحة، وتعددت مدارس القراءة وتكاثر عدد القراء ومدارسهم ومؤلفاتهم.

وإنّ الذهبي - مثلا - ترجم لنيف وسبعمائة من القراء الكبار منهم في كتابه: معرفة القراء الكبار، كان كلّ منهم له مدرسة متميزة عن غيرها في القراءة، وطلاب يأخذون منه القراءات، ثمّ اقتصروا على قراءة سبعة من القراء.

ونقل السيوطي في الاتقان سبب ذلك عن مكّي بن حمّوش ما موجهه:

إنّ السبب في الاقتصار على السبعة مع أنّ في أئمة القراء من هو أجلّ منهم قدرا أو مثلهم أكثر من عددهم، أنّ الرواة عن الأئمة - أئمة القراء - كانوا كثيرين جدّا، فلمّا تفاصرت الهمم أفردوا من كلّ مصر إماما واحدا، ولم يتركوا مع ذلك نقل ما كان عليه غير الأئمة غير هؤلاء من القراءات ولا القراءة به، كقراءة يعقوب وأبي جعفر وشيبة والاعمش وغيرهم (٢٥).

وكان الذي ألف كتابا وأفرد من كلّ مصر إماما واحدا هو المقرئ أحمد ابن جبير بن محمّد الكوفي، نزيل أنطاكية (ت: ٥٢٥٨هـ)، قال في كشف الظنون: جمع كتابا في القراءات الخمس (٢٦).

قال الزركشي (ت: ٥٧٩٤هـ)، في البرهان في علوم القرآن والسيوطي في الاتقان ما موجهه (٢٧):

(ألف ابن جبير كتابا في القراءات سمّاه كتاب الخمسة واقتصر فيه على خمسة من القراء اختار من كلّ مصر إماما.

وإنّما اقتصر على ذلك لأنّ المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة، إلى هذه الامصار.

ويقال: أنّه وجه سبعة: هذه الخمسة - أي المدينة ومكّة والشام والبصرة والكوفة - ومصحفا إلى اليمن ومصحفا إلى البحرين.

ولكن لما لم يسمع لهذين المصنفين خيرا، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف، أكملوا الخمسة بقارئين آخرين كمل بهما عدد السبعة).

فمن هو ابن مجاهد؟ وماذا فعل؟

هو أحمد بن موسى بن العباس، مجاهد (ت: ٥٣٢٤هـ)، مصنف كتاب القراءات السبع، شيخ القراء في بغداد، رُحِل إليه من الاقطار وبَعُد صيته (٢٨).

وقال الزركشي في بيان عمل ابن مجاهد:

إنّ القراءات لم تكن متميزة من غيرها إلا في قرن الاربعمئة، جمعها أبو بكر ابن مجاهد ولم يكن متسع الرواية والرّحلة كغيره - يقصد أنّه لم يسافر في طلب علم القراءة كغيره - وكان علمه بالقراء والقراءة ضئيلا. وأنّه بتأليفه كتاب: القراءات السبع ميّزها من غيرها.

وفي ما يلي القراء السبعة على السياق الذي ذكره الزركشي:

أ - أبو سعيد عبدالله بن كثير المكي القرشي ولاء، (ت: ١٢٠ أو ٥١٢٢هـ).

ب - أبو رويم نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم، المدني الليثي ولاء، (ت: ٥١٦٩هـ).

ج - أبو عمرو عبدالله بن عامر اليحصبي الدمشقي، (ت: ٥١١٨هـ).

د - أبو عمرو العلاء بن عمّار البصري، (ت: ٥١٥٤هـ).

هـ - أبو بكر عاصم بن أبي النجود الاسدي الكوفي، (ت: ١٢٧ أو ٥١٢٨هـ).

و - أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي التيمي ولاء، (ت: ١٥٦ أو ٥١٥٨هـ).

ز - أبو الحسن عليّ بن حمزة الكسائي الكوفي الاسدي ولاء (ت: ٥١٩٨هـ) (٢٩).

ونقل عن مكّي بن حمّوش: أنّ يعقوب كان مقدّما على الكسائي، وأنّ ابن مجاهد هو الذي أثبت الكسائي سبع القراء بدلا من يعقوب.

ثمّ قال: وليس في هؤلاء من العرب إلاّ ابن عامر وأبو عمرو.

وقال: قال مكّي - أي ابن حمّوش -:

ونقل - أيضا - عن مكّي أنّه قال: أوّل من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد في سنة ثلاثمئة وتابعه الناس.

وأنّه قال:

وإنّما كانوا سبعة لوجهين:

أحدهما: أنّ عثمان (رض) كتب سبعة مصاحف، ووجّه بها إلى الامصار فجعل عدد القراء على عدد المصاحف.

الثاني: أنّه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن، وهي سبعة، على أنّه لو جعل عددهم أكثر أو أقلّ لم يمتنع ذلك، إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى.

وقال: قد آلف ابن جبير قبل ابن مجاهد كتابا في القراءات وسمّاه: كتاب الخمسة، وذكر فيه خمسة من القراء لا غير.

وآلف غيره كتابا وسمّاه: الثمانية وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي(٣٠).

قال الزركشي: ومنهم من زاد ثلاثة وسمّاهم كتاب العشرة.

قال السيوطي عن القراء السبعة:

(فوافق عددهم ما ورد في الخبر نزول القرآن بالاحرف السبعة، فظنّ من لم يعرف أصل المسألة ولم تكن له فطنة، أنّ المراد بالاحرف السبعة في الخبر القراءات السبع)(٣١).

قال المؤلّف:

وقد تعرض لابن مجاهد وعمله كلّ من القرّاب وابن عمّار، كما نقل عنهما السيوطي وقال:

قال القرّاب (ت: ٥٤١٤هـ) في الشافعي: التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنّة، وإّما هو من جمع بعض المتأخّرين، فانتشر، وأوهم أنّه لانجوز الزيادة على ذلك، وذلك لم يقل به أحد(٣٢).

وقال: قال أبو العباس ابن عمّار(٣٣): لقد فعل مسبع هذه السبعة(٣٤) ما لا ينبغي له. وأشكل الامر على العامّة بإيهامه كلّ من قلّ نظره، أنّ هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة. وقال: وربّما بالغ من لا يفهم، فخطأ أو كفر(٣٥). (وقال) أبو بكر بن العربي(٣٦) ليست هذه السبعة متعيّنة للجواز حتّى لا يجوز غيرها.

ونقل عن ابن حبان(٣٧) ما موجه:

(ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلّا النزر اليسير، ثمّ ذكر أسماءهم وقال: ليس لهم مزية على غيرهم والجميع مشتركون في الضبط والاتقان والاشتراك في الاخذ، قال: ولا أعرف لهذا سببا إلّا ما قضى من نقص العلم) - أراد نقص علم ابن مجاهد -

(وقال، قال أبو شامة(٣٨): ظنّ قوم أنّ القراءات السبع الموجودة الان هي التي أريدت في الحديث. وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإّما يظنّ ذلك بعض أهل الجهل).

ونقل عن مكّي أنّه قال ما موجه:

(من ظنّ أنّ قراءة هؤلاء السبعة هي الاحرف السبعة، فقد غلط غلطا عظيما، ويلزم من هذا أنّ ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة ممّا ثبت عن الائمة ووافق خطّ المصحف - مصحف عثمان - أن لا يكون قرآنا وهذا غلط عظيم، فإنّ الذين صنّفوا القراءات من الائمة المتقدمين قد ذكروا أضعاف هؤلاء)(٣٩).

ونقل عن المرسي أنّه قال:

هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عمن نقلت ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الاحرف السبعة بما ذكر مع أنّ كلها موجودة في القرآن، فلا أدري معني التخصيص ومنهما أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام بن حكيم الذي في الصحيح فانّهما لم يختلفا في تفسيره ولا أحكامه وإنّما اختلفا في قراءة حروفه وقد ظنّ كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبع وهو جهل قبيح(٤٠).

وقال الزركشي:

قال الامام أبو محمّد إسماعيل بن إبراهيم الهروي في كتابه الكافي(٤١):

ولا يتوهم أنّ قوله (ص) ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) انصرافه إلى قراءة سبعة من القرآن يولدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة، لأنّه يؤدي إلى أن يكون الخير متعرياً عن فائدة إلى أن يحدثوا، ويؤدي إلى أنّه لا يجوز لاحد من الصحابة أن يقرأوا إلا بما علموا أنّ السبعة من القرآن يختارونه(٤٢).

وقال:

(القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمّد (ص) للبيان والاعجاز.

والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما).

(والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل: بل هي مشهورة.

والتحقيق أنّها متواترة عن الائمة السبعة.

أمّا تواترها عن النبيّ (ص) ففيه نظر، فإن إسناد الائمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد(٤٣).

وعن الاحرف السبعة قال السيوطي في تعليقه على سنن التّيساني ٢ / ١٥٠: باب جامع ما جاء في القرآن: ((أنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)) في المراد به في أكثر من ثلاثين قولاً، حكيتها في الاتقان(٤٤)، والمختار عندي أنّه من المتشابه الذي لا يدري تأويله.

قال المؤلّف:

ولكنّا أدركنا الحقيقة عن الاحرف السبعة في ما سبق بحثه ولا حاجة للتكرار هاهنا ونكتفي - أيضاً - بهذا المقدار من الحديث حول القرآن ومنشأ تكونهم، ونشير بعده إلى شيء من أثر اختلاف قراءاتهم على الاحكام الاسلامية.

٢٢ نهاية اللّغة لابن الاثير، مادّة (بيد).

٢٣ القرطبي بتفسير الاية ١١ / ٢١٦، معاذ الله أن يكون في كلام الله لنا أو خطأ، وإتّما الخطأ في اجتهاداتهم، صحابة وتابعين وقراء.

٢٤ بتفسير الطبري للاية ١٦ / ١٣٦ - ١٣٧.

٢٥ ما نقلناه هنا عن السيوطي في الاتقان فهو من التنبيه الثاني والثالث من آخر الانواع المرقمة ٢٢ - ٢٧ في معرفة المتواتر... ١ / ٨٢ و ٨٣.

ومكّي بن حمّوش أبو محمّد القيسي الاندلسي (ت: ٥٤٣٧)، مقرئ، مفسّر. من مؤلّفاته: الهداية في علوم القرآن، في سبعين جزءاً، والكشف عن وجوه القراءات وعللها، في عشرين جزءاً. ترجمته بمعجم المؤلفين.

يعقوب: هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي، إمام أهل البصرة (ت: ٥٨٠٥) طبقات القرآن ٢ / ٣٨٦ - ٣٨٩.

وقصد من أبي جعفر: يزيد بن القعقاع المترجم بالقرآن العشرة.

وشبّية بن ناصح المخزومي (ت: ٥١٣٠)، إمام أهل المدينة في القراءة. له كتاب ترجمته في الاعلام ومعجم المؤلفين.

والاعمش، أبو محمّد سليمان بن مهران الاسدي ولاء، نشأ وتوفي بالكوفة (ت: ٥١٤٨). قالوا بترجمته: كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث.

٢٦ ترجمته في معرفة القرآن الكبار ص ١٧٠؛ وكشف الظنون مادّة: كتاب القراءات ص ١٤٤٩. وما نقل عن كشف الظنون من هنا.

٢٧ البرهان في علوم القرآن للزركشي، ط. مصر الثانية ١ / ٣٢٩ - ٣٣٠؛ والاتقان للسيوطي ١ / ٨٣.

٢٨ ترجمته في معرفة القراء الكبار ص ٢١٦؛ وكشف الظنون، وطبقات القراء ١ / ١٣٩.

٢٩ لخصنا تراجمهم من البرهان في علوم القرآن ١ / ٣٢٧ - ٣٢٩.

٣٠ علوم القرآن ١ / ٣٢٩ - ٣٣٠.

٣١ الاتقان ١ / ٨٣.

٣٢ نفس المصدر السابق.

٣٣ قالوا بترجمته: أحمد بن عمّار أبو العباس المغربي، نحوي، لغوي، مقرئ، مفسّر.

من تصانيفه: الجامع لعلوم التنزيل تفسير كبير، والهداية في القراءات السبعة، معجم المؤلفين.

٣٤ قصد بقوله (مسيح السبعة) ابن مجاهد الذي جعل القراء السبعة.

٣٥ الاتقان ١ / ٨٢.

٣٦ من تصانيفه الكثيرة: قانون التأويل في تفسير القرآن. مرت ترجمته في بحث جمع القرآن، باب محاولة العلماء رفع تناقض الروايات.

٣٧ أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف علي بن حيّان الاندلسي (ت: ٥٧٤٥). قالوا في ترجمته: أديب، نحوي، لغوي، مفسّر، محدّث، مقرئ، مؤرّخ. سمع الحديث من نحو أربع مائة وخمسين شيخاً. درس التفسير والاقراء بمصر. من مؤلفاته: عقد اللالي في القراءات. معجم المؤلفين.

٣٨ أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت: ٥٦٦٥). من مؤلفاته: إبراز المعاني في القراءات. معجم المؤلفين.

٣٩ أبو عبيد، القاسم بن سلام، قالوا في ترجمته: محدّث، حافظ، فقيه، مقرئ، عالم بعلوم القرآن. من تصانيفه: كتاب القراءات، جعلهم ٢٥ قارئاً، كشف الظنون ومعجم المؤلفين.

وأبو حاتم السجستاني من القراء العشرة، له كتاب القراءات، كشف الظنون. والطبري: المفسّر والمؤرّخ الشهير في كشف الظنون، جمع في كتابه حافلاً سمّاه: الجامع، فيه نيف وعشرون قراءة، يقصد به تفسير الجامع.

والقاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي (ت: ٥٢٨٢)، جمع فيه قراءات عشرين إماماً منهم السبعة. كشف الظنون. والنصوص الثلاث في الاتقان ١ / ٨٢.

٤٠ الاتقان ١ / ٥١.

والمرسي: القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الاندلسي اللورقي، رحل إلى مصر وبغداد ودمشق وتوفي بها سنة ٥١٦١. ومن تصانيفه: شرح الشاطبية وسمّاه المفيد في شرح القصيد.

معجم الأدباء ١٦ / ٢٢٤ - ٢٢٥ وطبقات القراء للجزري ٢ / ١٥، ١٦.

٤١ من مؤلفاته: الشافي في القراءات، والكافي في القراءات السبع في عدّة مجلّدات. ترجمته في معجم البلدان.

٤٢ البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٣٣٠.

٤٣ البرهان في علوم القرآن ١ / ٣١٨؛ والاتقان للسيوطي ١ / ٨٢.

٤٤ الاتقان للسيوطي ١ / ٤٧ - ٥١.

أمثلة من أثر اختلاف قراءاتهم على معرفه حلال الله وحرامه

قال الزركشي والسيوطي: باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الاحكام، ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات في (لمستم) و(لامستم)، وكذلك جواز وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم في (حتى يطهرن). وذكر القرطبي تفسير: (أو لامستم النساء) (النساء / ٤٣)، وقال قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (لامستم) وقرأ حمزة والكسائي (لمستم) (٤٥).

وقال في (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ) (البقرة / ٢٢٢): قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر ((يَطْهَرْنَ))، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل ((يَطْهَرْنَ)) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. وفي مصحف أبي وعبدالله ((يَتَطَهَّرْنَ)). وفي مصحف أنس بن مالك ((وَلَا تَقْرُبُوا النِّسَاءَ فِي مَحِيضِهِنَّ واعتزلوهن حتى يتطهرن)) ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء، وقال: هي بمعنى يغتسلن، لاجتماع الجميع على أن حراما على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدّم حتى تطهر.

قال: وإنما الخلاف في الطهر ما هو؛ فقال قوم: هو الاغتسال بالماء. وقال قوم: هو وضوء كوضوء الصلاة. وقال قوم:

هو غسل الفرج؛ وذلك يُحلّها لزوجها وإن لم تغتسل من الحيضة؛ ورجح أبو عليّ الفارسيّ قراءة تخفيف الطاء، إذ هو ثلاثيّ مضادّ لطمّث وهو ثلاثيّ (٤٦).

وهكذا انتشرت القراءات المختلفة بين أتباع مدرسة الخلفاء.

وقد صنّفوا كتباً كثيرة في تدوين قراءات القرآن، سجل منها في مادّة القراءة يكشف الطنون ١٨ كتاباً، وفي مادّة علم القراءة أكثر من عشرة ومائة كتاب (٤٧) جمعوا فيها قراءات القرآن.

منهم القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون (ت: ٥٢٨٢هـ)، قال حاجي خليفة: ألف كتاباً في القراءات جمع فيه قراءات عشرين إماماً (٤٨).

ونظير ذلك أثر المرويات عن الصحابة في نقص آيات القرآن مثل ما روي عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت: [ورضاع الكبير خمسا].

قال ابن رشد: (واختلفوا في رضاع الكبير، فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي وكافة الفقهاء لا يحرم رضاع الكبير، وذهب داود وأهل الظاهر إلى أنه يحرم، وهو مذهب عائشة)، وهو قوله وسبب اختلافهم تعارض الآثار في ذلك... (٤٩).

كان هذا كلّه في مدرسة الخلفاء، فما هو موقف مدرسة أهل البيت من اختلاف القراءات والاحرف السبعة؟

٤٥ تفسير الآية بتفسير القرطبي ٥ / ٢٢٢؛ والزركشي ١ / ٣٢٦؛ والاتقان ١ / ٨٤.

٤٦ القرطبي بتفسير الآية ٣ / ٨٨ - ٨٩، وذكر أنّ عاصماً روى عنه القولان.

٤٧ كشف الطنون ٢ / ١٤٤٩، في مادّة كتاب القراءات ومادّة علم القراءة ص ١٢١٧ - ١٢٢٢، وما بعدها.

٤٨ كشف الطنون ٢ / ١٤٤٩.

٤٩ بداية المجتهد، ط. مصر، سنة ١٣٨٩هـ، ٢ / ٣٩. وابن رشد محمد بن أحمد بن محمد (ت: ٥٥٩٥هـ). وراجع الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري، ط. بيروت، سنة ١٩٦٩م، ٤ / ٢٥٧ الهامش.

رأي مدرسة أهل البيت في القراءات:

قد مرّ بنا أنّ الامام الباقر - قال: القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة.

وفي حديث آخر بعده لما قيل له: (الناس يقولون أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف)، كدّب القول وقال: (نزل القرآن على حرف واحد من عند الواحد).

وفي روايتين أُخريين عن الامام الصادق قال:

(اقرأوا كما يقرأ الناس) (٥٠).

الحقيقة الناصعة والقول الفيصل:

لقد مرّت بنا أمور هائلة وخطيرة في ما قالوه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة والتابعين واسقاطهم سوراً وأيات فيها، وزيادات سور وأيات أخرى فيها، وأقوالهم في آيات ناسخة ومنسوخة في الحكم أو التلاوة أو الحكم والتلاوة معاً.

واختلافهم في قراءات كثيرة متضادة، ملأوا فيها بطون موسوعات الحديث على اختلاف أنواعها، من صحاح وسنن ومسانيد ومصنفات وزوائد ومستدركات وموسوعات علوم القرآن من تفاسير وكتب الناسخ والمنسوخ والقراءات، ممّا يخيل لقارئ تلك الكتب بادئ ذي بدء، أنّ الاختلاف في أمر القرآن أكثر ممّا في الاناجيل.

ولكنّه إذا رجع إلى القرآن الكريم الذي بأيدي عامّة الناس وحده والذي ورثه جيل من الناس عن جيل حتّى انتهوا إلى الجيل الذي أخذه من فم رسول الله (ص) وسجّله في عصره وبأمره، لم يجد في هذا القرآن عيباً ولا أثراً من شيء ممّا ذكره وسطروه.

وإذا وقف الانسان السويّ على هذا المعين، ثمّ أعاد النظر إلى كلّ تلكم الروايات مسندها ومرسلها وكلّ تلك العلوم قديمها وجديدها كلها وجميعها: (كسرابٍ بفيعةٍ يحسبهُ الظمآنُ ماءً حتّى إذا جاءهُ لم يجدهُ شبثاً). (التور / ٣٩)

وإذا أعاد النظر إلى هذا القرآن الذي بأيدي عامّة الناس أيقن أنّه: (ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هدىً للمتقين). (البقرة / ٢)

وأيقن: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ). (فصلت / ٤١ ، ٤٢)

وآمن بقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ). (الحجر / ٩)

وأدرك أنّ الذي يقول لصفية: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ). (الحاقة / ٤٤ - ٤٧)

هو الذي منع غيره من أن يمسّ هذا القرآن بتحريف أو زيادة أو نقصان.

وإذا قارن بين هذا القرآن والاناجيل الاربعة وأمعن وتدبر وجد الاختلاف في الاناجيل بعضها مع بعض والتحريف في نسخ التوراة وليس الاختلاف والتحريف في كتب أخرى، خارجة عنها تحدّثت عن التوراة والانجيل، خلافاً لما عليه أمر القرآن الذي بأيدي الناس والخبار التي تحدّثت عنه فإنّها في كتب أخرى خارجة عن القرآن والاختلاف والتناقض في تلك الروايات والتقوليات، وليس في القرآن نفسه، المتداول بين الناس قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.

وعند ذلك يدرك الانسان الباحث حقيقة قول الامام الصادق (ع) حيث قال: (اقرأوا - القرآن - كما يقرأ الناس).

وإذا استرشدنا قول الامام الصادق (ع) ثمّ وجدنا في كتب الحديث والتفاسير ما روي من أن الصحابي سعد بن أبي وقاص كان يقول: ما ننسخ من آية أو ننسها.

أو سمعنا من المذيع القارئ المتنطع يقرأ:

والصَّحَى وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى...

والصَّحَّ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَّ...

والصَّحَى وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى...

والصَّحَّ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَّ...

والصَّحَى وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى...

وجوقته المرئية تزعق: الله الله تشجيعا له.

ثمَّ وجدنا الناس يقرأون في القرآن الَّذِي بأيديهم:

(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى).

ويقرأون:

(مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا...).

ويقرأون:

(وَالصُّحَى * وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى...).

قرأناها كما يقرأها الناس، وبذلك يتحد المسلمون حول القرآن الكريم رايتهم السماوية ونسى كل ما تقوله المتقولون عليه.

* * *

وندرس في ما يأتي بإذنه تعالى ما انتج بعض تلك الروايات من القول بالنسخ والانساء.

٥٠ الحديث الأول والثاني في الكافي ٢ / ٦٣٠. والحديثان الاخران ص ٦٣١ وص ٦٣٣؛ ووسائل الشيعة ٤ / ٨٢١، وفيه عن الامام الصادق أيضا: واقرأوا كما علمتم.

البحث السابع

بحوث النسخ و الانساء في القرآن الكريم

أولاً - مصطلح النسخ

مرّ بنا في بحث المصطلحات ما موجزه:

النسخ في اللغة: إزالة شيء بشيء يتعقبه، يقال: نسخت الشمس الظلّ.

وفي المصطلح الاسلامي: نسخ أحكام في شريعة بأحكام في شريعة أخرى، مثل نسخ بعض أحكام الشرائع السابقة بأحكام في شريعة خاتم الانبياء (ص).

وكذلك نسخ حكم مؤقت بحكم أبدي في شريعة خاتم الانبياء (ص)، مثل نسخ حكم توارث المتأخيين من المهاجرين والانصار في المدينة قبل فتح مكة بحكم توارث ذوي الارحام بعد فتح مكة (٥١).

وقد صنّف أتباع مدرسة الخلفاء النسخ إلى ثلاثة أصناف:

أ - نسخ التلاوة والحكم: ويقصدون منه أنّ الله - سبحانه - كان قد أنزل من القرآن آيا أو سورا على رسوله (ص) ثم نسخ تلاوة ذلك القرآن، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين ونسخ حكمه من شريعة الاسلام.

ب - نسخ التلاوة دون الحكم: ويقصدون منه أنّ الله - سبحانه - كان قد أنزل من القرآن آيا أو سورا على رسوله (ص) ثم نسخ تلاوتها، فلم يكتب في المصحف المتداول بين المسلمين، وأبقى حكمه في شريعة الاسلام.

ج - نسخ الحكم دون التلاوة: ويقصدون منه أنّ الله - سبحانه - أنزل من القرآن آيا عمل بها المسلمون ثم نسخ تلك الايات بأيات أخرى، وبقيت الايات المسماة منسوخة مكتوبة في المصحف ونسخ حكمها.

وقد قال كلّ من الزركشي في كتابه: البرهان في علوم القرآن، والسيوطي في الاتقان في علوم القرآن: (النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب).

وقال الزركشي: (الأول - ما نسخ تلاوته وبقي حكمه)، وضرب له مثلا آية [الشيخ والشيخة إذا زنيا...].

وقال السيوطي: (وأمثلة هذا الضرب كثيرة) ثمّ أورد ما ذكرناه تحت عنوان: نقصان سور وآيات في أول الباب مع غيرها.

قال الزركشي: (الثاني - ما نسخ حكمه وبقي تلاوته) وقال: (وهو في ثلاث وسبّين سورة).

أمّا السيوطي، فقد اختار عشرين موردا منها، ونظم فيها وقال:

قد أكثر الناس في المنسوخ من عدد

وأدخلوا فيه آيا ليس ينحصر

وهاك تحرير آي لامزيد لها

عشرين حرّرها الحدّاق والكبر

ثمّ عدّها في بقية نظمه (٥٢).

قال الزركشي:

(الثالث - نسخها جميعاً فلا تجوز قراءته ولا العمل به، كآية التحريم بـ[عشر رضعات]، فنسخن بـ [خميس]، قالت عائشة: كان ممّا أنزل: [عشر رضعات معلومات] فنسخن بـ [خمسة معلومات] فتوفي رسول الله (ص) وهي ممّا يقرأ من القرآن)، رواه مسلم.

وقال السيوطي: (ما نسخ تلاوته وحكمه معاً، قالت عائشة: كان في ما أنزل... رواه الشيخان)(٥٣).

وقد ألف العلماء في بيان أنواع النسخ مؤلفات كثيرة لا يتيسر إحصاؤها، كما نشير إليها في ما يأتي:

ثانياً - المؤلفات في النسخ

قال السيوطي في الاتقان: (النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه. أفردته بالتصنيف خلائق لا يحصون)، ثم ذكر أسماء بعض المؤلفين في النسخ والمنسوخ في القرآن وأسماء السور التي فيها ناسخ ومنسوخ على حدّ زعمهم.

وذكر في مادّة (ناسخ القرآن ومنسوخه) أسماء من صوّف فيه، كلّ من حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٩٢٠ - ١٩٢١.

والبيدادي في ذيله ص ٦١٤ - ٦١٥.

٥١ تفسير الابين ٧٢، ٧٥ من سورة الانفال في تفسير الطبري ١٠ / ٣٦ - ٣٧؛ وتفسير ابن كثير ٢ / ٣٢٨، ٣٣١؛ وتفسير الدر المنثور ٣ / ٢٠٧.

٥٢ الاتقان للسيوطي ٢ / ٢٣.

٥٣ البرهان في علوم القرآن للزركشي، باب: التنبيه الثاني في ضروب النسخ في القرآن ٢ / ٣٥ - ٣٩؛ والاتقان للسيوطي، باب: النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه ٢ / ٢٠ - ٢٧. ونحن نقدم في تعداد أصناف النسخ لفظ الزركشي ثم نورد قول السيوطي.

ثالثاً - تحرير مورد الخلاف

إنّ أولئك العلماء في ما صوّفوا في ناسخ القرآن ومنسوخه لهم قولان نخالفهم فيهما:

أولاً - في نسخ التلاوة:

إنّهم يقولون بأنّ الله - سبحانه - كان قد أنزل على خاتم أنبيائه (ص) سوراً وآيات قرآنية ثمّ نسخ تلاوتها. وما نسخ تلاوتها صنفان:

أ - ما نسخ تلاوته وحكمه: مثل لفظ [عشر رضعات] في حديث أمّ المؤمنين، فإنّّه نسخ لفظه، فلم يكتب في المصحف، ونسخ حكمه، فلم يدون في عداد الأحكام الإسلامية.

ب - ما نسخ تلاوته دون حكمه: ويوردون في هذا الصنف أمثال رواية الرجم وسورتي أبي موسى والحفد والخلع ونظائرها.

ثانياً - في ما اعتبروها آيات منسوخة في القرآن:

إنّ العلماء يقولون: في القرآن آيات نزلت بأحكام للمسلمين، وبعد أن عمل المسلمون بها، نزلت آيات أخرى، فنسخت تلك الآيات، ويُسمّون الآيات الأولى بالآيات المنسوخة والثانية بالآيات الناسخة.

وفي العلماء من يقول بجواز نسخ الآيات القرآنية بالسنة، أي بحديث الرسول (ص).

وقد كتب جماهير من العلماء في بيان هذين النوعين من النسخ: نسخ التلاوة ونسخ الآية التي جاءت بحكم عمل بها المسلمون ثم نسخت بأخرى أو بسنة الرسول (ص). وأفرد التصنيف فيها جم غفير.

وكتب فيهما أو في أحدهما بعضهم بحثا مستقلة ضافية ضمن مؤلفاتهم.

ونحن نرى: أنّ الله لم ينزل على نبيّه سورا وآيات قرآنية ثمّ نسخ تلاوتها بتاتا، سواء ما قيل عنه بمنسوخ الحكم والتلاوة معا أو ما قيل عنه منسوخ التلاوة دون الحكم. كما سنبينه في ما يأتي بإذنه تعالى.

أمّا نسخ الحكم المذكور في القرآن، فنرى فيه أنّ الله سبحانه كان ينزل على رسوله حكما مؤقتا بوحى غير قرآني يعمل به المسلمون.

وبعد انتهاء أمده، كان ينسخه الله - أيضا - بوحى غير قرآني، أي: يعلمهم انتهاء أمد الحكم ثمّ ينزل الله وحيا قرآنيا يقص فيه خبر الحكم ونسخه، ومن الجائز أن نقول في مورد واحد أو أكثر أنّ الحكم المؤقت بعد أن نزل بوحى غير قرآني وعمل به المسلمون، نزل في الذكر الحكيم بيان أنّ ذلك الحكم المؤقت قد نسخ.

وبناء على هذا، فليس في القرآن آية واحدة منسوخة.

رابعا - تناسب الاحكام الاسلامية مع فطرة الانسان وحكمة نسخ الاحكام

إنّ الله شرع الاحكام الاسلامية (٥٤) بما تتناسب وفطرة الانسان، وتؤمّن حاجاته الجسدية والنفسية، وتدفع عنه ما يضرهما في كلّ أحواله بالتفصيل الاتي:

١ - أحكام اسلامية متناسبة مع فطرة الانسان من حيث هو إنسان.

٢ - أحكام اسلامية متناسبة مع:

أ - الانسان الذكر.

ب - الانسان الأنثى.

٣ - أحكام اسلامية متناسبة مع فطرة الانسان في حالة خاصّة به.

٤ - أحكام اسلامية متناسبة مع فطرة الانسان الذي يعيش في زمان خاصّ ومكان خاصّ وحالة خاصّة.

وفي ما يأتي بيان كلّ واحدة منها مع إيراد الامثلة لها:

أولا - الاحكام الاسلامية التي تحقّق مصالح الانسان من حيث هو انسان

من أمثلة الاحكام الاسلامية الابدية والدائمة ما عبر عنها القرآن بلفظ من مادّة:

أ - أحلّ.

ب - حرّم.

ج - (كُتِبَ) على الانسان.

د - وصّى.

على أن تكون كلّها منسوبة إلى الله تعالى. وفي ما يأتي بيانه:

أ وب - أمثلة من أحكام الاسلام الابدية التي جاءت في القرآن بلفظ (أحلّ) و(حرّم) كقوله تعالى:

١ - (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا). (البقرة / ٢٧٥)

٢ - (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ... وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ... وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ). (النِّسَاء / ٢٣)

٣ - (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ...). (المائدة / ٣)

أي: حرّم الله عليكم أمهاتكم و... وحرّم عليكم الدم و...

ج - مثالان من أحكام الاسلام الابدية التي جاء ذكرها في القرآن بلفظين من مادّة (كُتِبَ) قوله تعالى:

١ - (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (البقرة / ١٨٣)، أي: كتب الله عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وفرضه عليكم كما فرضه على من كان قبلكم.

٢ - (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ). (الانفال / ٧٥)

أي: أنّ أولي الارحام بعضهم أولى ببعض في التوارث في ما كتب الله على عباده وحكم.

د - مثال واحد من أحكام الاسلام الابدية التي جاء ذكرها في القرآن بلفظ (يُوصِي) قوله تعالى:

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ). (النِّسَاء / ١١)

بيان حكمة التشريع في الامثلة المذكورة:

أ - الصيام وحاجة الانسان اليه جسديا ونفسيا:

إنّ الانسان الذي له معدة بها قوام حياته، يحتاج لحفظ سلامتها إلى الصوم أياما معدودات في شهر رمضان من كلّ سنة، أو في غيره من الازمنة سنويًا، للمسافر في شهر رمضان، ولغير الأمة المحمدية في أيام أخرى - مثلا -.

وكذلك الانسان الذي له ميول وشهوات نفسه يلزمه السيطرة الكاملة عليها كي لاتورده موارد الهلكة، فهو بحاجة إلى التمرن على ضبطها وكبح جماحها بصيام أيام معدودات في السنة، ومن ثمّ فإنّ الانسان أبدا ودائما بحاجة إلى الصيام لحفظ سلامته الجسدية والنفسية، إلا إذا منعه المرض عنه.

ب - تناول الدم ولحم الخنزير وضررها على نفس الانسان وجسده:

بما أنّ الاطعمة تؤثر في جسد الانسان ونفسه ضرًا ونفعًا كما هو مبحوث في محلّه، فقد أحلّ الله له ما ينفعه وحرّم عليه ما يضرّه.

وإنّ تناول الدم ولحم الخنزير وما أهّلّ به لغير الله يؤثر في نفسه، فإنّ تناول الاوّل يجعله يتطبّع بطبع الحيوانات المفترسة، ويتناول الثاني تنعدم فيه الغيرة الشريفة، ويتناول الثالث يبتعد عن الله نفسيًا.

وبيان ضرر الاولين نفسيًا وجسديًا بحاجة إلى تفصيل لايسع المجال لشرحه، وإنّما نكتفي هنا بالاشارة إلى أنّ التحليل والتحرير على البشر جاء في الشرع الاسلامي وفق حكم ومصالح له، قال الله - سبحانه -:

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ...). (المائدة / ٤)

وقال تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ... قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ).

(الاعراف / ٣٢ ، ٣٣)

وقال: (وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ). (الاعراف / ١٥٧)

ج - ضرر الزواج بالمحارم بالنسب والرضاع:

من ضرر الزواج بالأُمِّ والأختِ وسائر المحارم بالولادة والرضاعة؛ إضواء النسل كما هو ثابت في محلّه، وفي الحديث: ((اغتربوا لاتضووا)) (٥٥) وفيها حكم أخرى بيانها بحاجة إلى تفصيل أكثر، لايسعه هذا البحث.

ولتوضيح أنّ الاحكام الاسلاميّة شرّعت متناسبة مع مقتضيات فطرة الانسان، نضرب مثالا بما في حرمة الزواج بحلية الوليد والرضيع دون الولد المتبنى من سبب طبيعي، بما يأتي:

أ - إذا غرسنا نواة الليمون في الارض تنبت شجرة فيها جميع ما في الاصل من مزايا وخواصّ.

ب - إذا طعمنا شجرة النارج ببرعم من شجرة الليمون فنبت البرعم فصار غصنا وأثمر، يحوي هذا الثمر شيئا من خواصّ النارج وشيئا من خواصّ الشجرة التي طعمناها ببرعم الليمون.

ج - إذا غرسنا شتلة الليمون إلى جانب شجرة النارج ونمت الشتلة حتّى صارت شجرة مثمرة والتفت أغصان بعضها ببعض، لاتأخذ ثمرة الليمون شيئا من خواصّ النارج ولا العكس.

في الأوّل من الامثلة : (أ) مثال للابن الوليد - من أصلابكم - .

وفي الثاني: (ب) مثال للابن الرضيع.

وفي الثالث: (ج) مثال للابن المتبنى.

ويوضّح هذا المثال، حكمة ما بيّنته السنّة النبويّة من شرط في الرضاع كما جاءت في صحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن التّيسّاتي واللفظ للأوّل، عن مسروق، قال قالت عائشة: دخل عليّ رسول الله (ص) وعندي رجل قاعد، فاشتد ذلك عليه، ورأيت الغضب في وجهه.

قالت: فقلت: يا رسول الله (ص)! إنّه أخي من الرضاعة.

قالت: فقال: ((أنظرن إخوتكن من الرضاعة، فإنّما الرضاعة من المجاعة)) (٥٦).

ولفظ الحديث في سنن ابن ماجه، (باب الارضاع بعد فصال):

((أنظروا من تدخلنّ عليكنّ من الرجال، فإنّ الرضاعة من المجاعة)) (٥٧).

وفي آخر رواية الترمذي عن أمّ سلمة:

((إلّا ما فتق في الامعاء من الثدي وكان قبل الفطام)).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبيّ (ص) وغيرهم أنّ الرضاعة لا تحرّم إلّا من كان دون الحولين، وما كان

بعد الحولين الكاملين فإنّه لا يحرم شيئا (٥٨).

في سنن أبي داود عن ابن مسعود عن النبيّ (ص) أنّه قال:

((لا رضاع إلّا ما شدّ العظم وأنبت اللحم وأنشز العظم)) (٥٩).

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم:

(قوله (ع): ((أنظرن إخوتكن)) أي: تأملن وتفكرن ما وقع من ذلك! هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة؟

فإنما الرضاعة من المجاعة. وهو علّة لوجوب النظر والتأمل.

و(المجاعة) مفعلة من الجوع، يعني أنّ الرضاعة التي تثبت بها الحرمة، وتحلّ بها الخلوة، هي حيث يكون الرضيع طفلاً يسدّ اللبن

جوعته، ولا يحتاج إلى طعام آخر، والكبير لا يسدّ جوعته إلاّ الخبز، فليس كلّ مرتضع لبن أمّ أcha لولدها)(60).

وفي سنن الترمذي: (((لايحرم من الرضاع إلاّ ما فتق الامعاء))، أي: ما وقع من الصبي موقع الغذاء، بأن يكون في مدّة الرضاع...)(61).

* * *

ما جاء في السنّة النبويّة من شرط انتشار الحرمة في الرضاع أن يكون في سنيّ الرضاع، وبنيت اللحم وينشز العظم دليل لما قلناه من أنّ الاحكام الاسلاميّة شرّعت وفق فطرة الانسان. فليس في التبنّي من تأثر في جسم المتبنّي عن والديه كما في الولد الصليبي والرضيع الذي نبت لحمه ونشز عظمه من الرضاع.

ومثال آخر لتناسب أحكام الاسلام مع فطرة الانسان تعيين الحولين للرضاع قال سبحانه: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ...). (البقرة / 233)

إنّ هذا النظام في الرضاع يناسب فطرة الانسان في عصر الحجر وهو يسكن الكهوف، وفي عصر الحديد والبخار والكهرباء وهو يسكن ناطحات السحاب، وفي عصر الذرّة وهو يصعد إلى سطح القمر، ويناسبه إذا ولد على سطح الأرض ويناسبه إذا ولد في الاقمار الصناعيّة في الفضاء اللامتناهي، في كلّ هذه الاحوال وكلّ هذه الاماكن وكلّ تلكم الازمنة، إنّ النظام المتناسب مع فطرة الانسان الطفل الذي لم تنبت أسنانه ولم يشدّ عظمه ولحمه ولم تقو معدته، رضاع حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة.

54 لقد برهنا في البحث الأوّل من سلسلة (قيام الائمة بإحياء السنّة) أنّ جميع شرائع الانبياء كان اسمها الاسلام و(إنّ الدين عند الله الاسلام) آل عمران / 19.

55 ضوي: ضعف وهزل ، وأضوى: أتى بولد أو نسل ضاوٍ. راجع مادّة: ضوي في نهاية اللّغة لابن الاثير والمعجم الوسيط.

56 صحيح مسلم، كتاب الرضاع، الحديث 32. وسنن أبي داود 2 / 222، الحديث 2058، وفي لفظه: فشقّ ذلك عليه وتغير وجهه. وفي سنن النسائي، باب القدر الذي يحرم من الرضاع 2 / 82. وسنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب لا رضاع بعد فصال 1 / 626. ومسروق بن أجدع بن مالك الحمداني الكوفي توفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين. تقريب التهذيب 2 / 242.

57 نفس المصدر السابق.

58 نفس المصدر السابق.

59 نفس المصدر السابق.

60 نقلناه من شرح النووي المطبوع بهامش صحيح مسلم 4 / 170.

61 سنن الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء ذكر أنّ الرضاعة لاتحرم إلاّ في الصغر دون الحولين 5 / 96 - 97.

ثانيا - تناسب الاحكام الاسلامية المشرعة للانسان الذكر والانسان الأنثى مع فطرة كل منهم:

قال الله سبحانه: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ). (النِّسَاء / ١١)

وقال: (وَاسْتَيْسِرْهُدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى). (البقرة / ٢٨٢)

في هذين الحكمين، روعيت مقتضيات فطرة كل من الانسان الذكر والانسان الأنثى. فإن الله - سبحانه - حين خلق الانسان، فطره رجلا وامراة ليقوم كل منهما بما هيئ له من عمل في الأسرة ليكمل أحدهما الآخر.

فطر المرأة لتحمل تسعة أشهر، وترضع سنتين، ويستلزم الكمال في أداء الوظائف الاستقرارية في البيت ورقة العواطف والاستجابة السريعة للعواطف، لتقوم بدور الأمومة ورعاية النسل بكل وجودها.

وهي في نفس الوقت بحاجة إلى من يتكفل بإعالتها وإعالة وليدها بجميع مستلزمات الحياة والاعاشة.

وفطر الرجل، وهبها لاداء هذه الوظيفة من قوة الجسد وصلابة الرأي والاستقامة في العزيمة وكل ما يتطلبه العمل لاعالة الأسرة من تحمل الصعاب خارج البيت.

ثم شرع في أحكام الاسلام ما يتناسب وما أهلا له. فللرجل الذي يعيل نفسه وزوجه وولده وأحيانا أمه وأخته: (مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) في الارث.

وشهادة الأنثى التي تستجيب لعواطفها وتضعف أمام إحساساتها وبموجبه قد تنسى الحق، مع شهادة أنثى أخرى تذكرها الحق تقابل شهادة الرجل الواحد ذي الإرادة الصلبة والعزيمة القوية.

كان ذان مثالين للاحكام الاسلامية التي شرعها الله متناسبة مع فطرة الانسان الذكر والانسان الأنثى.

ثالثا - أحكام اسلامية تتناسب مع فطرة الانسان في حالة خاصة:

ونضرب لها مثلا من النظام الاقتصادي المتناسب مع فطرة الانسان في المجتمع.

الانسان في مجتمع المدينة ينتج سلعا، ويستهلك سلعا أخرى، فهو أبدا ودائما بحاجة إلى بيع منتوجه وشراء منتوج غيره، ومن ثم يتكون مجتمع المدينة من البائع والمشتري، وأحيانا لا يملك منتوجا يبيعه، بل يملك عملا منتجا يضطر إلى بيعه لمن يشتريه، ومن ثم يتكون في المجتمع أجير ومستأجر. وقد تفصل المسافات بين المنتج والمستهلك، فيحتاجان إلى الوسيط وهو التاجر.

وهذه الحالات في المجتمع البشري من سنن الله التي لتبديل لها. وقد شرع الله لها البيع والشراء والتجارة والايجار والاستئجار، قال الله سبحانه:

(أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ...).

وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ...). (النِّسَاء / ٢٩)

وقال: (... إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاصِرَةً تُدِيرُونَهَا). (البقرة / ٢٨٢)

وقال يحكي وقوع الایجار والاستئجار بين نبييه شعيب وموسى ٨:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَّجٍ...). (القصص / ٢٦ ، ٢٧)

شرع الله هذه الاحكام للانسان في المجتمع بشرط أن يعملوا بالعدل، ولا يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، كالربا الذي حرّمه الله.

شرع الله هذه الاحكام للانسان في المجتمع أبد الدهر وقال عن بني إسرائيل: (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ) (النِّسَاء / ١٦١)

تلکم الاحكام الاسلامية ونظائرها، شرعها الله متناسبة مع فطرة الانسان الذي يعيش في المجتمع.

وشاءت الانظمة الشيوعيّة أن تغيّر سنن الله في الخلق، وترفع من المجتمع البيع والشراء - التجارة - والايجار والاستئجار، وخسئت حين بدّلت في عملها الفرد المشتري والمستأجر بقيادة الحزب والدولة، وحصرت المشتري والمستأجر بالحاكم، وأصبح الاجير والمنتج في مجتمعهم عبداً فِئاً للدولة لايملك من أمره شيئاً.

وفي مقابلها المجتمعات الرأسمالية، تأكل أموال الناس بالباطل بظلم فاحش مثل الربا والاحتكار والقمار، إلي ضلالات وجهالات لم تشهد الجاهلية الأولى نظيرها، وأصبح أفراد المجتمعين الرأسمالي والشيوعي في ضنك من العيش، ومن أعرض عن ذكر الله وحكمه، فإن له معيشة ضنكا.

رابعا - الاحكام الاسلاميّة التي تتناسب وفطرة الانسان الذي يعيش في زمان خاص ومكان خاص وحالة خاصّة

أوردنا في ما سبق أمثلة من الاحكام الاسلاميّة التي شرّعها الله متناسبة مع فطرة الانسان بمفرده وفي الأسرة والمجتمع، ووجدناها تتناسب مع مصلحته متى ما كان وأينما كان.

ومن الاحكام الاسلاميّة ما تتناسب مع فطرة إنسان يعيش في زمان خاص ومكان خاص ومجتمع خاص، والحكم عندئذ محدود بحدود ذلك الزمان والمكان والمجتمع، فإذا تغيّرت، ارتفع ذلك الحكم ونسخ، ومثاله في الشرائع بعضها مع بعض: المناسك والشعائر، مثل أيام الاعياد والقبلة وأيام الصوم.

وفي ضوء ما تقدّم تبيّسّر لنا دراسة حكمة نسخ بعض الاحكام أو نسخ صور بعض الاحكام في شرائع الانبياء.

أ - حكمة نسخ بعض الاحكام أو صور الاحكام في شرائع الانبياء

إنّ الانسان أينما كان وكيف ما كان يحتاج إلى:

أ - الصوم أيّاما معدودات في السنة.

ب - عطلة يوم في الأسبوع استجماما للراحة.

ج - قبلة يتوجّه إليها في الصلاة والعبادة.

د - أيّام خاصّة يعيّد فيها المجتمع الانساني ويحتفل بها.

وشرّع الله لبنّي إسرائيل سداً لتلك الحاجات:

الصّيام - مثلا - في أيّام أنزل الله بركاته عليهم. وكذلك في ما جعل الله لهم أيّام عيد خاصّة والسبت عطلتهم، وجعل قبلتهم بيت المقدس مسجد أنبيائهم ومحلّ نزول البركات عليهم.

ولمّا انقطعت صلتهم بأنبيائهم، خلطوا شريعتهم بضلالات وجهالات تحت عنوان تلك الشعائر والمناسك، وامتزج الحقّ بالباطل في ما يتمسكون به باسم الدين حتّى لم يعِد الحقّ صريحا لاحد واستمروا على ذلك إلى أن أرسل الله خاتم أنبيائه محمّدا (ص)، فبدّل الله الصوم من أيّام كانت لديهم إلى أيّام شهر رمضان الذي أنزل الله فيه القرآن في ليلة القدر، وكذلك بدّل الاعياد والعطلة الأسبوعية.

وأوضح مثال لبيان حكمة التبديل والنسخ، أمر تحويل القبلة، فإنّ المسلمين لمّا كانوا بمكّة مخالطين للمشركين الذين يرون أنفسهم ورثة دين إبراهيم ومسيّقبلي قبلة البيت الحرام، وخلطوا ذلك بجهالاتهم وضلالتهم، جعل الله قبلة المسلمين البيت المقدس، ليمتازوا منهم ويكوّنوا أمة خاصّة متميزة من الوثنيين.

ولمّا هاجروا إلى المدينة، وخلطوا اليهود الذين كانوا قد حرّفوا شريعة موسى (ص) وخلطوها بجهالات وضلالات، استفاد اليهود من استقبال المسلمين قبلتهم بيت المقدس، وقاموا بإلقاء الشبهة وتشويش الاذهان بأقوالهم، فضاق الرسول ذرعا بهم، فحوّل الله القبلة إلى الكعبة بعد سبعة عشر شهرا من هجرة الرسول إلى المدينة.

* * *

كانت تلکم أمثلة توضح الحکمة في نسخ بعض أشكال الاحکام من شرائع أنبياء السلف.

وندرس في ما يأتي بحوله تعالى حکمة نسخ بعض أحكام شريعة خاتم الانبياء وحقيقة الامر فيها.

ب _ حکمة النسخ في بعض أحكام شريعة خاتم الانبياء وحقيقة الامر فيها

نضرب مثالا واحدا بيّن حکمة النسخ في بعض أحكام شريعة خاتم الانبياء وحقيقة الامر فيها، بحکم توارث المتأخين من المهاجرين والانصار في أوائل الهجرة حين كان اولو أرحام المهاجرين بمكة مشرکين.

ونسخ هذا الحكم بعد فتح مكة، قال الله - سبحانه وتعالى -: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) إلى قوله تعالى: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ...)(الانفال / ٧٣ - ٧٥)

عن الصحابي الزبير ما ملخصه:

(قال: لما قدمنا المدينة، قدمنا ولا أموال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فواخيناهم وتوارثنا... حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والانصار فرجعنا إلى موارثنا)(٦٢).

وعن ابن عباس، قال: أخى رسول الله (ص) بين أصحابه وورث بعضهم بعضا حتى نزلت هذه الآية: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)(٦٢).

وبناء على ما ذكرنا كان حكم التوارث بالمؤاخاة خصوصا بالمتأخين من المهاجرين والانصار مدة بقاء أولي أرحامهم مشرکين بمكة، وبين الإعراب. وارتفع هذا الحكم، ونسخ بانقضاء ذلك الزمان ودخول الناس في دين الله أفواجا، وأصبح حكمهم في الارث ما في كتاب الله، أي ما كتب الله لجميع البشر، (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ).

* * *

كذلكم شأن الأحكام الإسلامية في تناسبها مع فطرة الانسان التي لا تبديل لها وتحققها لمصالحه في مختلف حالاته، (ذَلِكَ الَّذِي الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). (الرُّوم / ٣٠)

وذلكم شأن النسخ: انتهاء الحكم المتناسب مع فطرة الانسان في وقت خاص بانتهاء زمانه.

يوحي الله إلى نبيه نهاية الحكم الأول وبداية الحكم الثاني وفق حکمته وتحققا لمصالح الانسان.

وفي ضوء ما بيناه يتيسر لنا - بحوله تعالى - بعد تمهيدين نذكرهما خامسا وسادسا دراسة أصناف النسخ التي ذكرها العلماء في ما يأتي.

.بتفسير الآية من الدر المنثور ٣ / ٢٠٧؛ وتفسير الطبري ١٠ / ٣٦ - ٣٧؛ وراجع تفسير الآية بتفسير ابن كثير ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١ 62

نفس المصدر السابق 63

خامسا - كيف نفسير الايات في السور الكبيرة

قبل البدء بدراسة الايات التي قالوا عنها ناسخة ومنسوخة ينبغي التنبيه على ما يأتي:

إنّ الايات الكريمة في السور الكبيرة تنقسم بحسب نزولها على نوعين:

أ - ما نزلت كل آية منها على حدة لتبين حكما إسلاميا أو تكشف حقيقة من حقائق الغيب والشهادة مثل قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا...). (النِّسَاءَ / ٤٣)

فإنّ هذه الاية لا علاقة لها بما قبلها وما بعدها في مغزاها، بل هي وحدة متكاملة، وينبغي أن تدرس كذلك على حدة.

ومثل قوله - تعالى -:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ). (المائدة / ٦٧)

فإنّ هذه الاية لا علاقة بينها وبين الاية ٦٦ قبلها، ولا بينها والاية ٦٨ بعدها، فإنّ الايات تتسلسل بهذا النحو:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ). (المائدة / ٦٦)

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...). (الاية ٦٧)

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ...). (المائدة / ٦٨)

إنّ الاية ٦٧ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...) لا صلة بينها وبين الاية ٦٦ قبلها، بل إنّ الاية ٦٦ هي نهاية للكلام في سلسلة آيات سبقتها. وكذلك الاية ٦٨ بعدها بداية لسلسلة آيات تأتي بعدها. وإنّ الاية ٦٧ (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ...) بنفسها وحدة متكاملة، وينبغي أن تدرس على حدة.

ب - ما نزلت ضمن مجموعة تبين بمجموعها حكما إسلاميا، أو تكشف عن حقيقة من حقائق الغيب والشهادة، ولا تصحّ عندئذ دراسة مثل تلك الاية بمفردها ومجزأة عما قبلها وما بعدها، بل يلزم أن ندرسها ضمن مجموعتها التي هي جزء منها كما سيأتي بيانها بحوله تعالى.

سادسا - دراسة موارد استعمال مادّة (الاية) في المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في القرآن الكريم

نذكر هنا ما مرّ بنا في بحث المصطلحات من الجزء الأوّل ونقول:

جاءت مادّة (الاية) في المعنى اللغوي والاصطلاحي في اثنتين وثمانين وثلاثمائة مورد في القرآن الكريم بالتفصيل الاتي:

أ - جاءت بلفظ المفرد (آية) أربعا وثمانين مرّة.

ب - جاءت بلفظ المثنى (آيتين) مرّة واحدة.

ج - جاءت بلفظ الجمع (آيات) ثمانيا وأربعين ومائة مرّة.

د - وجاءت تسعا وأربعين ومائة مرّة بلفظ: (آيتك، آياتك، آياتنا، آياته، آياتها، آياتي).

ومرّ بنا في بحث المصطلحات أنّ معنى (الاية) اللغوي: العلامة الظاهرة على شيء محسوس أو الامارة الدالّة على أمر معقول.

وأثّرها في المصطلح الاسلامي استعملت في المعاني الآتية:

أ - معجزات الانبياء.

ب - كلّ حكمٍ من شريعة الله جاء في فصل أو فصول من القرآن أو الكتب السماوية الأخرى.

ج - جزء من السورة مشخص بالعدد.

وأثّره لم يرد بالمعنى الاخير في القرآن الكريم بغير لفظ الجمع.

وفي ما يأتي أمثلة ممّا جاء من المعاني الانفة الذكر في القرآن الكريم:

أوّلا - المعنى اللّغوي مثل قوله تعالى:

أ - (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن يَتَذَكَّرُ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْخٰسِرِينَ...). (الاسراء / ١٢)

ب - (... وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). (البقرة / ١٦٤)

ثانيا - المعنى الاصطلاحي

أ - مثال ما جاء بالمعنى الاصطلاحي الاوّل، قوله تعالى:

(هَذِهِ نَافَةٌ لِلّٰهِ لَكُمْ آيَةٌ) (الاعراف / ٧٣)، و(هود / ٦٤).

ب - مثال ما جاء بالمعنى الاصطلاحي الثاني قوله تعالى مخاطبا أزواج الرسول (ص):

(وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ). (الاحزاب / ٣٤)

وقوله تعالى:

(وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا). (القصص / ٥٩)

ج - ومثال ما جاء في المعنى الاصطلاحي الثالث - الجزء من السورة المشخص بالعدد - قوله تعالى:

(الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ). (يوسف / ١)

ولمّا كانت مادّة (الاية) مشتركة بين عدة معانٍ اصطلاحية ولغوية، واستعمل في جميعها في الكتاب والسنة، لا بدّ أن يأتي في الكلام قرينة دالة على المعنى المقصود من الاية، كما هو شأن غيرها من الالفاظ التي لها معانٍ متعددة اللفظ المشترك ولنضرب لها مثلا في المصطلح الاسلامي بـ (الصلاة):

إنّ الصلاة كانت في اللّغة بمعنى الدّعاء.

وفي المصطلح الاسلامي وضعت لعدّة معانٍ، منها: الصلاة اليومية وصلاة العيدين والجمعة والكسوف والخسوف وغيرها، فلا بدّ في استعمالها من وجود قرينة تعيّن المعنى المقصود من اللفظ، فيقال - مثلا -: إذا انخسف القمر وجب عليك أن تصلي ركعتين، تقرأ في الأولى الحمد و... ثمّ تركع و...

وكذلك الشأن مع (الاية)، فإنّها لمّا كانت مشتركة في المصطلح الاسلامي بين عدّة معانٍ كاللّاتي ذكرناها آنفا، لاتستعمل في الكلام دونما قرينة تدلّ على المعنى المقصود منها.

فيقال - مثلا -: (هَذِهِ نَافَةٌ لِلّٰهِ لَكُمْ آيَةٌ) ونفهم من ذكر الناقه في المثال الاوّل أنّ المقصود من الاية، الاية المعجزة للانبياء (ع).

ونفهم من ذكر لفظي (مَا يُتْلَى) و(الْحِكْمَةِ) في المثال الثاني، أنّ المراد من الايات أحكام من الشرع الاسلامي جاءت في فصول من القرآن الكريم، وحكم إلهية، وذلك لان معنى: تلا الكتاب تلاوة: قرأه بتدبّر في معانيه، والتدبّر في المعنى يصدق على تفهّم معاني

الاحكام.

وكذلك (الحِكْمَة) يكون في ما جاء بمعاني الايات.

وكذلك الشأن في قوله - تعالى :- (رَسُوْلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا)، فَإِنَّ المراد: رسولا يتلو عليهم الاحكام في فصول كتاب الله.

وفي المثال الثالث نفهم من ذكر (الر) والاشارة بـ (تِلْكَ) إليها، أَنَّ المقصود من الايات مجموعات تتكون من حروف كالالف

واللام والراء. إذا فَإِنَّ معنى الايات هنا مجموعات لفظية اعتبر فيها تجمع الالفاظ دون المعنى، وهي المجموعات التي تشخص بالاعداد، ومن مجموعها تتكوّن السورة.

وبناء على القول بعدم وجود المشترك اللفظي في القرآن، فلا بدّ - أيضا - من القول بلزوم وجود قرينة تدلّ على الفرد المقصود من مصاديق المعنى الكلي عند استعمال اللفظ الموضوع للمعنى الكلي وإرادة فرد خاص من مصاديقه. وبناء على ما قرّناه لا بدّ إذا من وجود قرينة في الموارد المذكورة في البحث على كلاً التقديرين.

إذا فَإِنَّ الآية في الكتب السماوية، إمّا أن تكون اسما لمعان جاءت فيها وهي الاحكام أو اسما لمجموعة كلمات مُيِّزت بالاعداد في القرآن الكريم.

سابعا - استدلالهم على قولهم بالنسخ، بأيتين كريمتين

استدلّ القائلون بوجود آيات منسوخة في القرآن الكريم على وجه العموم بأيتين كريمتين ندرسهما في ما يأتي:

أ - آية (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا).

(البقرة / ١٠٦)

فسرّوا (آية) فيها بالجزء من السورة، ويكون المعنى على زعمهم: ما ننسخ من آية من آيات القرآن أو نمحها من الاذهان، نأت بآيات قرآنية خير منها أو مثلها.

ب - آية (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ...). (التحل / ١٠١)

فسرّوا - أيضا - لفظ (آية) فيها بالجزء من السورة، ويكون المعنى على زعمهم: إذا بدلنا آية من آيات سور القرآن مكان آية أخرى.

* * *

استشهدوا باليتين السابقتين على قولهم بنسخ آيات القرآن في مباحث النسخ (٦٤)، وفسرّوهما كذلك في تفاسيرهم، ولا سيّما من عني بتفسير القرآن بالمأثور. وأوردوا في تفسير الايتين: روايات الايات المزعومة في حكم الرجم وما شابهها. وروايات سورتي أبي موسى والحفد والخلع.

وبتفسيرهم (٦٥) هذا، وجدوا حلاً لمعضلة تلکم الروايات التي تحدث عن نقصان القرآن - معاذ الله - وقالوا: إنّها نسخت تلاوتها.

وندرس بإذنه تعالى استدلالهم باليتين في ما يأتي.

٦٤ راجع الاتقان ٢ / ٢٧ في السطر الثالث.

٦٥ أورد الطبري بتفسير آية (مَا نَنْسَخْ...) قليلاً منها ١ / ٣٧٨ - ٢٨٣، وأورد السيوطي بتفسيرها جلّ تلکم الروايات ١ / ١٠٤ - ١٠٦؛ والحاكم ٣ / ٣٠٥ في كتاب معرفة الصحابة، ترجم الصحابي أبي بن كعب.

ثامنا - مناقشة استدلالهم بالآيتين

أ - مناقشة استدلالهم بأية (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ)

مورد مناقشتنا فيها: نفسيرهم (آية) بمعنى الجزء من السورة، ويكون المعنى على قولهم: ما ننسخ من آية من سور القرآن، أو ننسخها حكما وتلاوة، نأت بخير منها. ونقول في مناقشتها:

أولا - ذكرنا أن مادة (الاية) مشتركة بين معناها اللغوي وعدة معانٍ اصطلاحية، واللفظ المشترك بين عدة معانٍ لا يستعمل في الكلام دونما وجود قرينة تشخص المعنى المقصود من بين تلك المعاني.

ثانيا - جاءت القرينة على المعنى المقصود من الآية في الكلام كالاتي:

إنّ هذه الآية جاءت ضمن مجموعة آيات يعاتب الله فيها اليهود إن لم يؤمنوا بهذا القرآن وبشريعة خاتم الانبياء (ص) ولا بالانجيل وبشريعة عيسى ابن مريم (ع)، فقد قال الله تعالى فيها:

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَوَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ الرَّسُولَ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ * - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ... كَفَرُوا بِهِ... * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ... * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ... * مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا... * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... * وَلَنْ نَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...). (البقرة / ٨٧ - ١٢٠)

وعلى هذا، فإنّ معنى (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ): ما ننسخ من حكم - مثل حكم القبلة والعيد في يوم السبت - من كتاب موسى (ع) التوراة، أو كتاب عيسى (ع) الانجيل، نأت بخير منها، حكم استقبال الكعبة في القرآن الكريم والعيد في يوم الجمعة، في الكتاب وسنة الرسول (ص).

كان هذا معنى (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ).

أما (نُنسِخُهَا) فأما أن يكون من مادة أنساها ينسيتها أو من أنساها ينسئها.

وإذا كان من مادة (أنساها) يتضح معناها بعد التنبيه على أنّ الله سبحانه أرسل عشرات الألوف من الانبياء في أمم أبيدت وانقرضت ممن لم ترد أسماءهم في القرآن، ولم يذكر الله أخبارهم فيه، وإنّما ذكر الله في القرآن أسماء بعض أنبياء بني إسرائيل والعرب الذين عاشوا في المنطقة - الجزيرة العربية - وما حولها.

وذكر بعض قصصهم وأنسى قصص سائر الانبياء أمثال هبة الله شيث بن آدم (ع) وعزير(١) الذي قال اليهود: إنّه ابن الله.

أنسى الله سبحانه قصص بعضهم، وأنسى كتب البعض الآخر وذكر أسماءهم، وبعضهم أنسى أسماءهم مع إنساء قصصهم وكتبهم.

وعلى هذا يكون معنى (أَوْ نُنسِخُهَا) ما ننس مّا في كتب السابقين، مثل كتاب شيث وغيره، نأت بخير منها وأكمل، مثل ما في القرآن وبشريعة خاتم الانبياء.

وإذا كان من مادة (ينسئها) وأنساها ينسئها، أي: أجله وأخره كما أوردناه في بحث (الاشهر الحرم والنسيء) من البحث التمهيدي الأول.

وعلى هذا يكون المعنى: والحكم نؤجّر تبليغه بما فيه خير للناس في ذلك الزمان مثل تأخير تبليغ نسخ حكم استقبال بيت المقدس إلى هجرة الرسول (ص) إلى المدينة.

وهذا المعنى هو المراد من (ننسخها) وليس المعنى الأول.

يفهم العربي اللبيب بذوقه السليم ما ذكرناه إذا اقتصر على ما جاء في كتاب الله لدرك معناه.

وإذا رجعنا إلى كتب التفسير، وجدناهم يعملون ما يأتي:

أولاً - يقتطعون الآية من مكانها في المجموعة الواحدة من الآيات ذات السياق الواحد.

ثانياً - يُجرون على الآية الكريمة أنواع التبديل والتحوير بحسب اجتهادات المفسرين، مفسرين وقرّاء بعنوان اختلاف القراءات.

ثالثاً - يعتمدون لفهم معنى الآية الاحاديث المروية في باب نسخ التلاوة التي سندرسها في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

ب - مناقشة استدلالهم بآية (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ...)

في مناقشة استدلالهم بهذه الآية نقول: هذه الآية - أيضا - نزلت ضمن مجموعة آيات يتحدّث فيها الله - جلّ اسمه - عن القرآن وأدب قراءته، وتشكيك المشركين من أهل مكة، وإدحاض افتراءهم، حيث يقول عزّ اسمه:

(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا نُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ... إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) النحل / ٩٨ - ١٠٥ إلى ما بعده.

يقول الله سبحانه: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا... وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً) أي: بعض أحكام القرآن المذكورة في فصل أو فصول منه، (مَكَانَ آيَةٍ) أي: مكان بعض أحكام التوراة أو الانجيل المذكورة في فصل أو فصول من أحدهما، والله أعلم بما ينزل، وحكمته، قالوا: أنت مفتر في ما أتيت به من الكتاب المجيد، قل نزله روح القدس من ربك، ليثبت الذين آمنوا به وهدى وبشري للمسلمين، ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر - قيل نصراني كان بمكة - لسان الذي يلحدون إليه - يطعنون به على القرآن - أعجمي وهذا لسان عربي مبين (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ).

* * *

هذا التفسير لهذه المجموعة ومن ضمنها آية (بَدَّلْنَا آيَةً) واضح لكل من له أدنى إلمام باللغة العربية والمصطلحات الإسلامية.

ويؤكد ما ذكرناه أربعة أمور:

١ - بدء المجموعة بذكر القرآن:

٢ - إيراد الضمير المذكور في (نزله)، فإنّه لو كان القصد من (نزله): الآية من السورة لكان ينبغي أن يقول - عزّ اسمه - (نزلها)، أي نزل الآية من السورة، ولما أعاد الله - سبحانه - الضمير إلى المذكور، ظهر أنّ المقصود من الآية هو القرآن أو حكم في القرآن، ولهذا أعاد الضمير إلى معنى (الآية) وهو القرآن أو الحكم المذكور.

٣ - حكايته قولهم بأنّه علمه بشر، وكان قصد المشركين من تعليم البشر تعليم البشر إياه القرآن أو بعض أحكام القرآن - معاذ الله - ولم يقصدوا تعليمه آية واحدة من القرآن.

٤ - أمره الرسول باتباع ملة إبراهيم وقوله تعالى بعد ذلك: (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) النحل / ١٢٤ وهم بنو إسرائيل، ثمّ ختم الآيات بقوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) النحل / ١١٨.

وأخيرا لم نجد في ما ذكرنا من التفاسير رواية عن رسول الله (ص) أنّه فسّر لفظ (آية) في الموردين هنا بالآية التي هي جزء من السورة كما قالوا به، وإنّما نقلوا ذلك من المفسرين.

* * *

كان هذا استدلالهم القرآني على نسخ التلاوة وجوابه.

وندرس بحوله تعالى تسرب اجتهادات مدرسة الخلفاء في النسخ إلى بعض تفاسير مدرسة أهل البيت (ع) في ما يأتي.

١ عزيز، جاء ذكره في سورة التوبة / ٣٠. وشيث بن آدم ذكرناه في باب الاوصياء من كتابنا عقائد الاسلام.

ناسعا - تسرب اجتهادات مدرسة الخلفاء ورواياتهم في النسخ إلى تفاسير مدرسة أهل البيت

تسرب تفسير أتباع مدرسة الخلفاء للايتين أو بالاحرى اجتهادهم فيهما مع الروايات التي استدلوا بها إلى بعض تفاسير مدرسة أهل البيت، مثل مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي. فقد قال بتفسير: (مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ...) في بيان لغة النسخ ما نصه كالاتي:

(والنسخ في القرآن على ضرب منها أن يرفع حكم الآية وتلاوتها، كما روي عن أبي بكر(٢) أنه قال:

كُنَّا نَقْرَأُ [لَا تَرْغَبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ فَإِنَّهُ كَفَرَ بِكُمْ].

ومنها أن تثبت الآية في الخط، ويرفع حكمها كقوله: (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم...) الآية، فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم(٣).

ومنها ما يرتفع اللفظ، ويثبت الحكم، كآية الرجم، فقد قيل: إنها كانت مُنْزَلَةً، فرفع لفظها. وقد جاءت أخبار كثيرة بأن أشياء كانت في القرآن، فنسخ تلاوتها، فمنها ما روي عن أبي موسى أنهم كانوا يقرأون: [لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيَيْنِ...] (٤).

وقال في تفسير (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً...) من تفسيره:

(معناه وإذا نسخنا آية، وأتينا مكانها آية أخرى... إما نسخ الحكم والتلاوة، وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة...) (٥).

هكذا نقل الطبرسي قول مدرسة الخلفاء بأصناف النسخ دون أن يصرح بمصدر القول، ونقل استدلالهم برواياتهم دون أن يصرح بمصدر الروايات، ويقول إنها من روايات مدرسة الخلفاء ومنقولة من كتب حديثهم.

وسبق الشيخ الطوسي الطبرسي بتفسير الايتين في تفسيره التبيان وأسند الرواية: كُنَّا نَقْرَأُ [لَا تَرْغَبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ فَإِنَّهُ كَفَرَ بِكُمْ] إلى أبي بكر، بينما هي مروية عن عمر.

ومن ثم اتضح أنّ الطبرسي نقلها عن تفسير التبيان للشيخ الطوسي.

ويظهر من كلامهما أنّهما تبنيا القول بأصناف النسخ الذي ابتكرته مدرسة الخلفاء.

ومن تفسير هذين العلمين من أعلام مدرسة أهل البيت انتشر بعض ما نقلاه في تفسير الايتين إلى تفاسير أخرى بمدرسة أهل البيت مثل تفسير أبي الفتوح الرازي وتفسير كازر.

ولا سيّما في تفسير لفظ (آية) في الموردين، فإنّهم فسروها بمعنى جزء من السورة، بينما المراد من (آية) فيها غير هذا المعنى.

وخالفهم في ذلك صاحب أطيب البيان، فإنّه فسرها كما تفسر في مدرسة أهل البيت (ع) (٦).

وندرس بحوله تعالى روايات النسخ والايات التي قالوا عنها: إنها منسوخة في ما يأتي.

٢ المشهور أنّ الرواية عن الخليفة عمر، وليس عن الخليفة أبي بكر، كما جاء ذلك في الصحاح، وذكرنا مصادره في بحث روايات الزيادة والنقصان في القرآن - معاذ الله - بمدرسة الخلفاء.

ونسب الواحدي هذا القول إلى أبي بكر وقد يكون خطأ منه.

راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ٣٩.

٣ مجمع البيان للطبرسي ١ / ١٨٥؛ والبيان للطوسي ١ / ١٣٧.

٤ نفس المصدر السابق.

٥ أيضا ٢ / ٣٨٥ ، ٣٨٦.

٦ أطيب البيان في تفسير القرآن ط. طهران سنة ١٣٨٦هـ، ٢ / ١٣٩. ويختلف معنا في ذكر المثال فحسب.

عاشرا - التنبيه على ثلاثة أمور قبل دراسة (ما نسخ حكمها في قولهم)

قبل دراسة الآيات التي قالوا عنها: (نسخ تلاوته وبقي حكمه) (٧) وقال بعضهم: (آية نسخت آية أخرى) (٨)، ينبغي التنبيه على الأمور الثلاثة الآتية:

أ - إن كثيرا من الاحكام كانت تنزل بوحى غير قرآني، وبعد عمل المسلمين بها كان ينزل في القرآن خبر ذلك. وفي هذا الصدد قال السيوطي في الاتقان:

(النوع الثاني عشر... ما تأخر نزوله عن حكمه).

وقال: (ومن أمثلته قوله - تعالى -: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...) الآية، فإنها نزلت سنة تسع، وقد فرضت الزكاة قبلها في أوائل الهجرة) (٩).

قال المؤلف:

وكذلك شأن نزول حكم الصلاة بسجوداتها وركعاتها وأذكارها ووضوئها، فإن رسول الله (ص) بعث يوم الاثنين، وعلمه جبرائيل الصلاة يوم الثلاثاء، فصلى هو وعلي بن أبي طالب وخديجة (١٠)، ثم تتابع نزول أحكام الصلاة وأجزائها وشرائطها في القرآن بعد ذلك.

وكثير من الاحكام الاسلاميّة - أيضا - أنزل على رسول الله ابتداء بوحى غير قرآني وعمل بها المسلمون، ثم نزل في القرآن خبره وحكمه.

وفي الاحكام الاسلاميّة وعلومها ما نزل ابتداء بوحى قرآني، ولعل منها قوله تعالى: (وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ... (النِّسَاءَ / ١٢٧)، وقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...) (الاسراء / ٨٥).

ب - قد يأتي في القرآن ذكر المتأخر زمانا قبل المتقدم عليه لداعٍ بلاغي.

وفصل الزركشي القول في أسباب التقديم والتأخير في القرآن في فصلين، ذكر في الأول أسبابه وفي الثاني أنواعه، بعد أن قال: (القول في التقديم والتأخير وهو أحد أسباب البلاغة... وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق...) (١١).

ومما ذكره مثلا للمتأخر الذي تقدم ذكره ما يأتي:

قال: (وأمّا قوله: (أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) (النجم / ٣٦ ، ٣٧)، فإنما قدم ذكر موسى لوجهين: أحدهما أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك، وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشارا من صحف إبراهيم. وثانيهما مراعاته رؤوس الآي) (١٢).

وفي مكان آخر قال:

(وقد جاء: (فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَجْرَةِ وَالْأُولَى) (النارعات / ٢٥)، و(أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى * فَلِئَالِ الْأَجْرَةِ وَالْأُولَى) (النجم / ٢٤ - ٢٥) - بتقديم الآخرة على الأولى - لمناسبة رؤوس الآي) (١٣).

قال المؤلف:

ومن هذا النوع ما حكاه سبحانه وتعالى في خبر ذبح بني إسرائيل البقرة وقال:

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً... * ... فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ...)(البقرة / ٦٧ - ٧٤)

فإن قوله تعالى (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا) مقدّم زمانا على تمام ما جاء سابقا عليه، إلى قوله تعالى: (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ).

قال البغوي: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ): هذا أول القصة وإن كانت مؤخرة في التلاوة(١٤).

وإذا أمعنا النظر في الآيات الالفة الذكر، نرى أن الله - سبحانه - بعد ما ذكر تعنت بني إسرائيل في تنفيذ ما أمرهم به، أوجز القصة أخيرا مع ذكره نهاية الامر لاخذ العبرة منها في قدرته على إحياء الموتى، ثم وصله بقوله لبني إسرائيل: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ).

ونبه المسلمين بعد ذلك ألا يطمعوا في إيمان بني إسرائيل بخاتم الانبياء وشريعته مع حالتهم التي ذكرها مع نبيهم موسى بن عمران (ع).

ومن هذا النوع - أيضا - ما قصه سبحانه من خبر نوح مع ابنه وقال: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضِ الْمَاءَ وَفُصِّي الْأَمْرَ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...)(هود / ٤٢ - ٤٦)

إنّ هذه الآيات التي جاءت ضمن مجموعة آيات ٤٢ - ٤٦ من سورة هود تقصّ خبر نوح مع قومه وصنعه السفينة وغرق قومه ونجاته وأهل السفينة وهبوطهم بسلام، وقد جاء ذكر نوح وابنه فيها مرّتين، واتّصال كلّ منهما مع ما قبلها وما بعدها واضح لمن تدبّر الآيات.

وقد جاء في الاخيرة بعد إخباره - تعالى - عن استواء السفينة على الجودي، أي تأخّر ذكره هنا، وهو متقدّم على استواء السفينة.

ونظائره، أي تقديم ذكر المتأخّر كثيرة في القرآن، كما شاهدنا ذلك في ذكر: (صحف إبراهيم) بعد (صحف موسى) في سورة النجم.

ج - تعدادهم في هذا الصنف ما ليس منه:

قال السيوطي في شأن هذا الصنف: ما نسخ حكمه دون تلاوته:

(وهو في الحقيقة قليل جدًا وإن أكثر الناس من تعدد الآيات).

وقال: (وإنّ الذي أوردته المكثرون أقسام: قسم ليس من النسخ في شيء ولا من التخصيص).

ثم عدّ تسع عشرة أو عشرين آية اعتبرها ممّا نسخ حكمه دون تلاوته(١٥) ونحن نقول:

إنّ بعض ما عدّه السيوطي: ممّا نسخ حكمه - أيضا - ليس من هذا الصنف.

وقد فصل القول أستاذ الفقهاء السيّد الخوئي في بيان نيف وثلاثين موردا منه في تفسيره (البيان)(١٦) ولا حاجة لبيانها هنا.

* * *

بعد إيراد المقدمات الثلاث، ندرس - بحوله تعالى - الآيات التي قالوا: إنّها منسوخة في ما يأتي.

٨ الاتقان ٢ / ٢٢.

٩ الاتقان ١ / ٣٧ ، ٣٨.

١٠ روى ذلك من عنى بكتابة بدء الوحي من كتاب سيرة الرسول.

١١ البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣٣٣، ولم يعقد بابا لما نحن بصده، وإتّما ذكر هذا النوع استطرادا، واستشهدنا بقوله ليعلم أنّ التقديم والتأخير في ذكر الاخبار جاء لاسباب بلاغية، ولا يصح ما زعموا ممّا سنذكره بعيد هذا إن شاء الله.

١٢ البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣٣٩.

١٣ البرهان في علوم القرآن ٣ / ٣٦٤.

١٤ البرهان ٣ / ٣٧٦، وقوله هذا يسبب التوهّم بأنّ ترتيب نزول هذه الاية لم يراع في كتابة المصحف.

١٥ الاتقان ٢ / ٢٢ في الضرب الثاني: ما نسخ حكمه دون تلاوته.

١٦ تفسير البيان للسيّد الخوئي ص ٣٠٦ ، ٣٠٧.

حادي عشر - دراسة آيات نقص حكاية الحكم المنسوخ

إنّ الايات التي قال العلماء فيها: (آية نسخت آية) - أي أنّ الله سبحانه أنزل حكما إسلاميا بوحى قرآني - وبعد أن عمل المسلمون بتلك الاية نسخها بأية قرآنية أخرى.

وبناء على ذلك يكون في القرآن آيات منسوخة وآيات ناسخة، نقول:

إنّ قولهم هذا وتعريفهم له غير صحيح.

والصحيح: أنّ الله - سبحانه - كان قد أنزل بعض الاحكام المؤقتة بوحى غير قرآني وبعد عمل المسلمين بها في الوقت المحدد له في علم الله وانتهاء ذلك الوقت أنزل نسخ تلك الاحكام بوحى غير قرآني، وبلغ الرسول (ص) ذلك للمسلمين، ثم بعد كلّ ذلك أنزل في القرآن أخبار تلك الاحكام مع شرح ملابساتها لاخذ العبرة منها.

ولا يسع المجال لدراسة جميع مواردها، وإتّما نكتفي بدراسة أربعة منها قالوا عنها: أنّ الاية الناسخة تقدّمت في الذكر على الاية المنسوخة(١٧)، كالآتي:

آية (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ...), (الاحزاب / ٥٠)

قالوا: إنّها ناسخة لقوله تعالى: (لَا يَجِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ). (الاحزاب / ٥٢)

وبناء على ذلك فإنّ الاية الناسخة متقدّمة في الذكر على الاية المنسوخة. والواقع على حدّ زعمهم خلاف ذلك، كما سنشرحه بعيد هذا.

قوله تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمْ...), (البقرة / ١٤٢)، قالوا: (إنّها متقدّمة في التلاوة ولكنّها منسوخة لقوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...), (البقرة / ١٤٤)(١٨).

وسوف نذكر الموردين الثالث والرابع منها بعد دراسة الموردين الأوّلين ونقول في الجواب عنهما:

أوّلا - حكم تعدّد أزواج الرسول (ص)

إنّ الاية قد جاءت ضمن المجموعة الآتية من الايات في الذكر الحكيم:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ

وَبَنَاتِ خَلَائِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَا يَجِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْبَبَكَ حَسَنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا. (الاحزاب / ٥٠ ، ٥١)

دراسة الايات:

لقد ذكرنا في أوّل كتاب أحاديث عائشة (١٩) تفصيل ما حقّقه زواج الرسول الاكرم (ص) من مصالح الاسلام التشريعية والسياسية ومصالح المسلمين الاجتماعية ومصالح امّها اليا مية الفردية وكذلك مصالح ذوي قرباهنّ، وكيف كانت تلك المصالح السبب في أن يحلّ الله له بعد هجرته إلى المدينة تعداد الزوجات وقبول الواهيات أنفسهن له وكيف انتهت تلك المصالح بعد فتح مكة وكانت في عصمته عندئذ تسع منهن فحيسه الله عليهن، وقال سبحانه: (لَا يَجِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ...)، ولم يكن ذلك قصرا له على العدد (التسع منهن) كي يحلّ له أن يطلق بعضهن إذا شاء ويستبدل بها غيرها مهما بلغت إحداهن من الكهولة والعجز.

وما ذكرناه حقيقة ناصعة يجدها من قرأ البحث هناك وحقيقة واضحة لمن درس أحوال الاسلام التشريعية والسياسية يومذاك وأحوال المسلمين الاجتماعية وأحوال امّها المؤمنين الفردية وأحوال من وهبت له نفسها منهنّ، وما عامل بعضهنّ النبيّ (ص) حين زوّجها بأحدهم بمهر قدره تعليمها ما حفظ من القرآن، لأنّه كان معدما. - نعم، المهر ونعم العاقد ونعم مجلس العقد ونعم حفلة الزواج -.

من درس الايات الثلاث مع ملاحظة ما جاء في الحديث الصحيح في شأن نزولها ودراسة تلك الاحوال والملابسات يتضح له ما قلناه بلا لبس فيه ولا غموض.

وهذا النوع من الدراسة أساس لدرس كلّ مجموعة من آيات الله البيّنات، ولكنّ بعضهم شاء أن يفضّ النظر عن تلك الاحوال والملابسات ويعتمد على اجتهاده الخاصّ، وقطع هذه المجموعة من الايات تقطيعا وعدّ في الناسخ الذي تقدم على المنسوخ قوله - تعالى :- (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ...).

وقال: إنّها ناسخة لقوله - تعالى - (لَا يَجِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) (٢٠).

لست أدري كيف لم ينتبه لقوله - تعالى - (مِنْ بَعْدُ) أي بعدما تقدّم ذكره من تحليل الزواج: (لَا يَجِلُّ لَكَ...).

ولست أدري كيف قال أنّ قوله تعالى: (مِنْ بَعْدُ) نزل قبلا؟

كان هذا واقع الامر في المورد الأوّل من أقوالهم في النسخ.

وحقيقة الامر في المورد الثاني كالآتي:

ثانيا - آيات القبلة

قبل دراسة آيات القبلة ينبغي أن ندرس أوّلا خبر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة مع الاشارة إلى ما سبقه من أخبار وما تبعه من حوادث بحوله تعال ثمّ نورد آيات القبلة وندرسها.

١٧ البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ٢٨.

١٨ نفس المصدر السابق.

١٩ أحاديث أم المؤمنين، ط. طهران ١٤١٤هـ، ص ٢٥ في بيان حكمة تعدّد زوجات النبيّ (ص) بأوّل الكتاب.

٢٠ راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ٢٨.

كانت الكعبة قبلة الانبياء قبل موسى بن عمران (ع)، وبعد موسى بن عمران (ع) أصبح بيت المقدس قبلة بني إسرائيل، ولم تنسخ إلى أن هاجر الرسول (ص) إلى المدينة.

وكان رسول الله (ص) في مكة يستقبل في صلاته الكعبة وبيت المقدس معا، وعندما هاجر إلى المدينة لم يكن ذلك ميسورا، فاستقبل في صلاته بيت المقدس، وكان يعلم أن القبلة ستتحول إلى الكعبة (٢١).

ويدل على ذلك ما رواه ابن هشام في خبر البيعة الثانية الكبرى بالعقبة، عن كعب بن مالك، وكان قد حضر البيعة الثانية، قال كعب ما موجزه:

خرجنا في حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، ومعنا البراء بن معرور سيّدنا وكبيرنا، فلما وجّهنا لسفرنا فخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت رأيا ووالله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ قال: قلنا: وما ذلك؟

قال: قد رأيت ألا أدع هذه البيّة منّي بظهرٍ (يعني الكعبة) وأن أصلي إليها.

قال: فقلنا: والله ما بلغنا أنّ نبينا (ص) يصلي إلّا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه.

قال: فقال: إني لمصلّ إليها.

قال: فقلنا له: لكنّا لانفعل، قال: فكنا إذا حضرت الصلاة، صلينا إلى الشام، وصلّى إلى الكعبة، حتّى قدمنا مكة.

قال: وقد كنتا عيتا عليه ما صنع، وأبى إلّا الإقامة على ذلك، فلما قدمنا إلى مكة قال لي: يا ابن أخي! انطلق بنا إلى رسول الله (ص) حتّى أسأله عما صنعت في سفري هذا، فأثّه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله (ص) فقبل لنا يجلس مع العباس بن عبدالمطلب، فقد كنتا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا فدخلنا المسجد، فإذا العباس (رض) جالس ورسول الله (ص) جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه... فقال البراء بن معرور: يا نبيّ الله! إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للاسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البيّة منّي بظهر، فصلّيت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: ((قد كنت على قبلة لو صبرت عليّ)).

قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله (ص)، وصلّى معنا إلى الشام قال: وأهله يزعمون أنّه صلّى إلى الكعبة حتّى مات.

قال - كعب -: وليس ذلك كما قالوا (٢٢).

* * *

قال المؤلف:

مهما يكن من أمر صلاة البراء بعد ذلك فإنّ الرسول (ص) لم ينكر عليه استقبال الكعبة.

ومفهوم كلام الرسول (ص) له: ((لو صبرت عليّ)) حتّى يحين موعد التحول إلى الكعبة.

وهذا الكلام إقرار من الرسول (ص) لصحة عمله وإرشاد منه له أن يصبر فعلا حتّى يحين موعد تحويل القبلة.

ب - أخبار تحويل القبلة وما بعدها

لمّا هاجر النبيّ (ص) إلى المدينة بقي - على الاشهر - سبعة عشر شهرا يستقبل في صلاته بيت المقدس، فقالت اليهود: (يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا).

فكان رسول الله (ص) إذا سلم من صلاته إلى بيت المقدس، رفع رأسه إلى السماء ينتظر أمر الله، فولاه الله قبلة يرضاها وكان اليهود يعلمون - شأن القبلتين - ويكتمون صفة النبيّ (ص)، وأمر القبلتين.

ولمّا صرف الله نبيّه إلى الكعبة، قال أهل الكتاب: اشتاق الرجل إلى بيت أبيه ودين قومه!

وقال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه، فتوجه بقلبته إليكم وعلم أهدى منه سبيلا ويوشك أن يدخل في دينكم!

وأشفق المسلمون على من صلى منهم - إلى بيت المقدس - ألا تقبل صلاتهم الماضية، فقالوا: يا رسول الله! فكيف بالذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟

وقيل - أيضا - إن ناسا من أسلم - من الانصار - رجعوا - عن الاسلام - وقالوا: مرّة هاهنا! ومرّة هاهنا(٢٣)!

* * *

كانت تلكم أخبار تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وفي ما يأتي آياتها:

قال الله سبحانه:

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ مَنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلِنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَلَئِن أُتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَيْتَهُمْ آيَاتُكَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الَّذِينَ آتَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ

الْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا الْخَيْرَاتِ آيِنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (البقرة / ١٤٢ - ١٥٠)

٢١ راجع تفسير الطبري ٢ / ٣ - ٤؛ وتفسير السيوطي ١ / ١٤٦.

٢٢ سيرة ابن هشام ٢ / ٤٧ - ٤٨؛ وأسد الغابة بترجمة البراء بن معرور.

وكعب بن مالك بن القين الخزرجي السلمي، كان أحد شعراء النبي (ص)، وأحد الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، وتاب الله عليهم، روى عنه ثمانين حديثا. توفي في خلافة الامام علي (ع). سورة التوبة / ١١٨.

أسد الغابة ٤ / ٢٤٧ - ٢٤٨؛ وجوامع السيرة ص ٢٧٨؛ وتقريب التهذيب ٢ / ١٢٥.

والبراء بن معرور الخزرجي السلمي، كان أول من بايع الرسول في العقبة، وتوفي في صفر قبل قدوم رسول الله (ص) المدينة مهاجرا بشهر، وأوصى أن يدفن وتستقبل به الكعبة، ففعلوا ذلك ولما قدم النبي المدينة صلى على قبره وكبر أربعاً. أسد الغابة ١ / ١٧٢.٣١

٢٣ ما أوردناه من أخبار تحويل القبلة موجز من الروايات في تفسير آيات القبلة بتفسير الطبري ٢ / ٣ - ٥؛ والسيوطي ١ / ١٤٦. وما أضفناه إليها للتوضيح كتبناه بين خطين تمييزا له من نصوص الروايات.

دراسة مجموعة آيات القبلة

في ضوء ما درسناه من شأن نزول آيات القبلة يتيسر لنا فهم معنى الايات بوضوح، وللإيجاز ندرس منها ما يخص شأن القبلة دون ما ذكره الله بضمنها لاخذ العبرة منها.

* * *

بدأ الله سبحانه في ذكر أخبار تحويل القبلة وقال: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ - سواء اليهود منهم أو المشركون - ما ولأهم عن قبلتهم قل لله المشرق والمغرب) أي: له كلتا القبلتين، أو جميع الارض، وما جعلنا قبلكم بيت المقدس إلا امتحانا للناس، فإن الذين

اتبعوا الرسول (ص) في صلاتهم بمكة كانوا قد خالفوا قبلة قومهم، وانفصلوا عنهم.

وفي المدينة عندما تحولت القبلة أيضا كان منه امتحان لمن أسلم من اليهود وحلفائهم ولغيرهم في اتباعهم أمر الرسول (ص) في ما يوحى إليه، وإن كانت لكبيرة إلا على من هداه الله، وكانت نتيجة عمل من صلى إلى البيت المقدس في ما سبق تبديل القبلة، سواء الأحياء منهم أو الأموات، فإن الله لا يضيع عملهم.

* * *

كان هذا ما تحدّث الله به - سبحانه - من أمر الناس في هذه القصة.

أمّا ما كان من أمر الرسول (ص)، فكان شأنه فيها ما أخبر الله عنه وقال: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام...، وإنّ الذين أوتوا الكتاب علموا أنّ هذا التحول في القبلة هو الحقّ من ربهم غير أنّه: (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكلّ آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم) - كما زعموا - (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنّك إذا لمن الظالمين).

قد يكون المقصود من هذا الخطاب أمّة الرسول (ص)، وخاطب نبيّه بذلك من باب: (إياك أعني واسمعي يا جارة). كما له نظائر كثيرة في القرآن، ويدلّ على ذلك ما في الآية التي قبلها: (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها).

إذا فالرسول (ص) هو الذي كان يطلب تحويل القبلة، وينتظر الاذن له. ويظهر من فحوى الكلام أنّه كان في أمته من ثقل عليه هذا الامر، وهو المعنيّ بهذا الخطاب.

ثمّ تصرّح الآيات، أنّ أهل الكتاب: اليهود والنصارى يعرفون النبيّ وصفاته، وأنّه النبيّ الذي يصلّي إلى قبلتين، وأنّ الاخيرة منهما الكعبة التي بناها إبراهيم، يعرفونه بهذا وبأكثر من هذا كما يعرفون أبناءهم، ثمّ يؤكد الله - سبحانه - الامر بالتوجه إلى الكعبة، ويقول: (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة - في اتباع قبلتهم - إلاّ الذين ظلموا منهم وهم المشركون بمكة - فلا تخشوهم واخشوني).

* * *

كان ذلكم تفسير الآيات مع ملاحظة ما جاء في الروايات بيانا لشأن نزولها، أمّا ما قال علماء مدرسة الخلفاء، فإنّهم على عاداتهم في تجزئة المجموعة الواحدة من الآيات القرآنية، ثمّ درسهم كلّ آية على حدة، قالوا ورووا عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة وعن عدد غير الصحابة كذلك (٢٤) في تفسير آية:

(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) البقرة / ١١٥ إنّ الناس كانوا يصلّون نحو بيت المقدس، فنزلت آية:

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (البقرة / ١٤٩) فنسخت تلك الآية.

في حين أنّ الآية التي زعموا أنّه كان فيها حكم القبلة إنّما جاءت تكملة لآيات سبقتها، ومنها الآية التي قبلها: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا... (البقرة / ١١٤)، (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) (البقرة / ١١٥) وهما بقية الآيات السابقة، ولا صلة بين المجموعة وبين القبلة، وإنّما الكلام حول منع المصلين من الصلاة في بيت المقدس أو البيت الحرام، وأنّ الارض كلها لله أين ما صلوا فتمّ وجه الله.

إنّهم في ما قالوا: اقتطعوا من تلك المجموعة آية ومن هذه المجموعة نصف هذه الآية، أو نصف تلك، وجعلوا منهما ناسخا ومنسوخا، باجتهادهم الخاصّ، دون أن يكون لهم أي دليل على اجتهادهم! ولم ينحصر اجتهادهم في آيات القبلة بهذا، بل لهم فيها اجتهاد آخر وقول آخر في كشف الناسخ والمنسوخ بتلك الآيات.

وفي الاجتهاد الثاني ضرر كبير في البحوث القرآنية وهو ما ذكره القرطبي وقال:

قوله - تعالى - (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...).

قال العلماء هذه الآية مقدمة في النزول على قوله - تعالى -: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ) (٢٥).

وعدّ الزركشي - أيضا - هذا المورد من الناسخ الذي تقدّم على المنسوخ في القرآن (٢٦).

٢٤ راجع تفسير القرطبي ٢ / ٨٣؛ والدّر المنثور ١ / ١٠٨، وعدّه السيوطي في الا تقان ١ / ٢٣، من العشرين الذي نسخ حكمه دون تلاوته.

٢٥ تفسير القرطبي ٢ / ١٥٨.

٢٦ البرهان في علوم القرآن ٢ / ٢٨.

ثاني عشر - حكمة ذكر الحكم المنسوخ بوحى غير قرآني في القرآن

أولاً - في عصر الرسول (ص)

لقد مرّ بنا التشويش العظيم الذي أُصيب به المجتمع الاسلامي يومذاك بعد نسخ حكم القبلة بوحى غير قرآني بفعل اليهود وغيرهم، ثمّ تساؤل المسلمين عن حكم ما مضى من صلاتهم، وكان فيصل القول في الامر ما فصله القرآن في هذا الصدد، وأدحض أباطيل المشككين وأجاب عن تساؤل المتسائلين وأكد بوحى قرآني الحكم الموحى بوحى غير قرآني، وانتهى بما أنزله الله كلّ بلبلة وتشويش.

ثانياً - بعد الرسول (ص)

إنّ في حكاية حكم الناسخ والمنسوخ في القرآن بعد تبليغ الرسول (ص) إيّاهما للمسلمين رفع الالتباس الذي قد يحدث في الأمة بعد الرسول (ص) في بعض الحالات، فقد يقصّ بعض الصحابة - مثلاً - لذريته بعد رسول الله (ص) أنّهم اتّهموا برسول الله (ص)، وصلّى بهم الفرائض مستقبلاً بيت المقدس، ومع مرور الزمن يتوهّم الخلف جواز استقبال القبلتين في الصلاة، ويرتفع هذا الالتباس بما حكاه الله في قرآنه عن خبر تحويل القبلة.

هذه بعض حكم ذكر خبر الحكم المنسوخ في القرآن، وثمة حكم أخرى لا مجال لذكرها هنا.

تنبيه لرفع توهم

لقد كرّرنا القول في هذا البحث بخطأ تجزئة المجموعة القرآنية الواحدة وتفسير بعض آياتها على حدة.

وهذا القول لا يطرد في ما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) في بيان معنى آية جاءت ضمن ما نراها مجموعة قرآنية واحدة، فإن قولنا يخصّ اجتهادات فردية للمفسّرين في هذا المقام.

أمّا حديث الرسول (ص)، فإننا نُؤمن به، ونصدقه، وليس لاحد من المسلمين أن يجتهد ويعمل برأيه في مقام نصوص السنّة النبوية.

* * *

كان هذا نزرا يسيرا ممّا ينبغي البحث عنه في باب منسوخ الحكم دون التلاوة.

وفي ما يأتي نستعين الله وندرس الصنفين الاخرين اللذين ذكرتهما في بحث النسخ.

ثالث عشر - درجهم روايات نقصان القرآن - معاذ الله - في صنفى منسوخ التلاوة

أدرج العلماء روايات نقصان القرآن - معاذ الله - تحت صنفى منسوخ التلاوة وهما حسب تصنيفهم:

أ - ما نسخت تلاوته دون حكمه

أي النصّ القرآني الذي نسخت تلاوته من القرآن، وبقي حكمه في الشرع الاسلامي(٣٤).

ب - ما نسخت تلاوته وحكمه جميعا

أي النصّ القرآني الذي نسخت تلاوته من القرآن ونسخ حكمه من الشرع الاسلامي(٣٥).

إنّ ما ذكره في بحث النسخ بكلّ الصنفين بيتني على أساس ثبوت نصّ قرآني أوحى الله به إلى خاتم أنبيائه، ثمّ نسخ الله تلاوته وحكمه، وأنساه، أو نسخ تلاوته، وأبقى حكمه.

وقد قال العلماء في كيفية ثبوت النصّ القرآني ما يأتي:

قال الزركشي في علوم القرآن والسيوطي في الاتقان واللفظ للاؤلّ:

(لا خلاف أنّ كلّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا في أصله وأجزائه.

وأما في محلّه ووضعه وترتيبه، فعند المحققين من علماء أهل السنّة كذلك، أي: يجب أن يكون متواترا، فإنّ العلم اليقينيّ حاصل أنّ العادة قاضية بأنّ مثل هذا الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأيّ الهادي للخلق إلى الحقّ، المعجز الباقي على صفحات الدهر، الذي هو أصل الدين القويم، والصراط المستقيم، فمستحيل ألا يكون متواترا في ذلك كلّ، إذ الدواعي تتوافر على نقله على وجه التواتر، وكيف لا، وقد قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، والحفظ إنّما يتحقّق بالتواتر، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).

والبلاغ العام إنّما هو بالتواتر، فما لم يتواتر ممّا نقل أحادا، نقطع بأنّه ليس من القرآن(٣٦).

٢٤ سيأتي مثالهما بعيد هذا.

٢٥ سيأتي مثالهما بعيد هذا.

٣٦ البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٢٥، النوع التاسع والثلاثون: معرفة وجوب تواتره؛ والاتقان ١ / ٧٩، في (تنبيهات الاؤلّ) من النوع الخامس والثلاثون.

ثاني عشر - حكمة ذكر الحكم المنسوخ بوحى غير قرآني في القرآن

أولا - في عصر الرسول (ص)

لقد مرّ بنا التشويش العظيم الذي أُصيب به المجتمع الاسلامي يومذاك بعد نسخ حكم القبلة بوحى غير قرآني بفعل اليهود وغيرهم، ثمّ تساؤل المسلمين عن حكم ما مضى من صلاتهم، وكان فيصل القول في الامر ما فصله القرآن في هذا الصد، وأدحض أباطيل المشكّكين وأجاب عن تساؤل المتساثلين وأكد بوحى قرآني الحكم الموحى بوحى غير قرآني، وانتهى بما أنزله الله كلّ بلبلة وتشويش.

ثانيا - بعد الرسول (ص)

إنّ في حكاية حكم الناسخ والمنسوخ في القرآن بعد تبليغ الرسول (ص) إيّاهما للمسلمين رفع الالتباس الذي قد يحدث في الأمة بعد الرسول (ص) في بعض الحالات، فقد يقصّ بعض الصحابة - مثلا - لذريته بعد رسول الله (ص) أنّهم انتمّموا برسول الله (ص)، وصلّى بهم الفرائض مستقبلا بيت المقدس، ومع مرور الزمن يتوهّم الخلف جواز استقبال القبلتين في الصلاة، ويرتفع هذا الالتباس بما حكاه الله في قرآنه عن خبر تحويل القبلة.

هذه بعض حكم ذكر خبر الحكم المنسوخ في القرآن، وثمة حكم أخرى لا مجال لذكرها هنا.

تنبيه لرفع توهم

لقد كرّرنا القول في هذا البحث بخطأ تجزئة المجموعة القرآنية الواحدة وتفسير بعض آياتها على حدة.

وهذا القول لا يطرد في ما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) في بيان معنى آية جاءت ضمن ما نراها مجموعة قرآنية

واحدة، فإنّ قولنا يخصّ اجتهادات فردية للمفسّرين في هذا المقام.

أمّا حديث الرسول (ص)، فإنّنا نُؤمن به، ونصدقّه، وليس لاحد من المسلمين أن يجتهد ويعمل برأيه في مقام نصوص السنّة النبويّة.

* * *

كان هذا نزرا يسيرا ممّا ينبغي البحث عنه في باب منسوخ الحكم دون التلاوة.

وفي ما يأتي نستعين الله وندرس الصنفين الآخرين اللذين ذكرتهما في بحث النسخ.

ثالث عشر - درجهم روايات نقصان القرآن - معاذ الله - في صنف منسوخ التلاوة

أدرج العلماء روايات نقصان القرآن - معاذ الله - تحت صنف منسوخ التلاوة وهما حسب تصنيفهم:

أ - ما نسخت تلاوته دون حكمه

أي النصّ القرآني الذي نسخت تلاوته من القرآن، وبقي حكمه في الشرع الاسلامي(٣٤).

ب - ما نسخت تلاوته وحكمه جميعا

أي النصّ القرآني الذي نسخت تلاوته من القرآن ونسخ حكمه من الشرع الاسلامي(٣٥).

إنّ ما ذكره في بحث النسخ بكلّ الصنفين بيتني على أساس ثبوت نصّ قرآني أوحى الله به إلى خاتم أنبيائه، ثمّ نسخ الله تلاوته وحكمه، وأنساه، أو نسخ تلاوته، وأبقى حكمه.

وقد قال العلماء في كفيّة ثبوت النصّ القرآني ما يأتي:

قال الزركشي في علوم القرآن والسيوطي في الاتقان واللفظ للاؤل:

(لا خلاف أنّ كلّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا في أصله وأجزائه.

وأما في محلّه ووضعه وترتيبه، فعند المحققين من علماء أهل السنّة كذلك، أي: يجب أن يكون متواترا، فإنّ العلم اليقينيّ حاصل أنّ العادة قاضية بأنّ مثل هذا الكتاب العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأتته الهادي للخلق إلى الحقّ، المعجز الباقي على صفحات الدهر، الذي هو أصل الدين القويم، والصراط المستقيم، فمستحيل ألا يكون متواترا في ذلك كلّ، إذ الدواعي تتوافر على نقله على وجه التواتر، وكيف لا، وقد قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، والحفظ إنّما يتحقّق بالتواتر، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ).

والبلاغ العام إنّما هو بالتواتر، فما لم يتواتر ممّا نقل أحادا، نقطع بأنّه ليس من القرآن(٣٦).

٣٤ سيأتي مثالهما بعيد هذا.

٣٥ سيأتي مثالهما بعيد هذا.

٣٦ البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٢٥، النوع التاسع والثلاثون: معرفة وجوب تواتره؛ والاتقان ١ / ٧٩، في (تنبيهات الاؤل) من النوع الخامس والثلاثون.

رابع عشر - ردّ بعض علماء مدرسة الخلفاء القول بنسخ التلاوة

نقل الزركشي والسيوطي عن القاضي أبي بكر في الانتصار أنّه حكى عن قوم إنكار هذا القسم، لأنّ الاخبار فيه أخبار الاحاد، ولا

يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها(٣٧).

ويعرف - أيضا - شأن نسخ التلاوة بالقياس على ما قاله أبو الوليد الباجي في نسخ الحكم الشرعي، حيث قال:

(النسخ: إزالة حكم ثابت بشرع متقدم، بشرع متأخر عنه على وجه لولاه لكان ثابتاً)(٣٨).

وبالقياس على هذا القول، فإنّ نسخ التلاوة إزالة أي أو سور من القرآن بأي أو سور متأخرة عنها على وجه لولاها لكانت تلك الايات أو السور ثابتة في المصحف.

ونقل الزركشي عن ابن ظفر في كتاب الينبوع أنّ: (الخبر الواحد لا يثبت القرآن)(٣٩).

ومن المتأخرين، قال الدكتور صبحي الصالح ما موجه:

أمّا الجرأة العجيبة، ففي ما زعموا أنّها نسخت تلاوة آيات معينة إمّا مع نسخ الحكم وإمّا من دونه.

والناظر في صنيعهم هذا سرعان ما يكتشف فيه خطأً مركباً، فتقسيم المسائل إلى أضراب إنّما يصلح إذا كان لكلّ ضرب شواهد كثيرة أو كافية على الاقل ليتيسر استنباط قاعدة منها.

وما لعشاق النسخ إلاّ شاهد أو اثنان من هذين الضربين، وجميع ما ذكره منها أخبار آحاد ولا يجوز القطع على إنزال القرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها.

وبهذا الرأي الشديد أخذ ابن ظفر في كتاب الينبوع إذ أنكر أنّ هذا ممّا نسخت تلاوته، وقال: لأنّ الخبر الواحد لا يثبت القرآن(٤٠).

كان هذا أقوال بعض علماء مدرسة الخلفاء في روايات النسخ. وفي ما يأتي رأي بعض علماء مدرسة أهل البيت في ذلك.

خامس عشر - رأي مدرسة أهل البيت في نسخ القرآن بالسنة ونسخ التلاوة

إنّ القول بنسخ التلاوة - كما قلنا في حقيقته - قول بثبوت نصّ قرآني بروايات الاحاد، ونسخ النصّ القرآني - أيضا - بروايات الاحاد. وقد قال في ذلك الشيخ المفيد في أوائل المقالات:

(إنّ القرآن ينسخ بعضه بعضا ولا ينسخ شيئا من السنة، بل تنسخ السنة به كما تنسخ السنة بمثلها من السنة. قال الله عزّ وجلّ:

(مَا تَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا). وليس يصحّ أن يماثل كتاب الله تعالى غيره، ولا يكون في كلام أحد من خلقه خير منه(٤١).

يقصد أنّ حديث الرسول هو كلام الرسول (ص) الذي خلقه الله، ولا يصحّ أن يقال إنّ كلام الرسول (ص) مثل كلام الله أو خير من كلام الله - معاذ الله - لينسخ به القرآن وهو كلام الله.

وقال صاحب المعالم:

(ولا تنسخ الكتاب والسنة المتواترة بالاحاد عند أكثر العلماء، لأنّ خبر الواحد مظنون وهما معلومان، ولا يجوز ترك المعلوم بالمظنون)(٤٢).

ويقصد بغير الاكثر من العلماء: بعض العلماء من الاخباريين.

وقد أفصح القول في نسخ التلاوة متأخرو علماء مدرسة أهل البيت، فقد جاء في تفسير البيان وأصول المظفر واللفظلاؤن:

(إنّ القول بنسخ التلاوة عين القول بالتحريف)(٤٣).

وهذا هو معنى قول الامام الباقر (ع): (أمّا كتاب الله فحرفوا وأمّا العترة فقتلوا).

أمّا الكتاب، فقد حرّفوه في كتبهم بأقوالهم بالنسخ.

وأما العترة فقد قتلوهم بكرلاء بأنواع السلاح، ولكن الله حفظ كتابه من التحريف كما حفظ خليله إبراهيم من التحريق.

أولئك حرّقوا إبراهيم ولكن الله حفظه من لظى النار.

وهؤلاء حرّقوا القرآن ولكن الله حفظه من عبث التحريف.

* * *

بعد عرض ما تقدم، ندرس - بحوله تعالى - روايات نقصان القرآن - معاذ الله - والتي سمّيت بروايات النسخ والانساء في ما يأتي:

٣٧ البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٩ - ٤٠؛ والاتقان للسيوطي ٢ / ٣٦، ورجعنا إلى الأوّل في النقل؛ والانتصار لابي بكر محمّد بن الطيب الباقلائي (ت: ٥٤٠٣). انتهت إليه رئاسة الأشاعرة ببغداد. ردّ على المعتزلة والشيعة والخوارج والجهمية وغيرهم. من تأليفه: الانتصار وإعجاز القرآن. تذكرة الحفاظ ص ١٠٧٩؛ وهدية العارفين ٢ / ٥٩؛ وترجمة الانتصار من كشف الظنون.

٣٨ كتاب الحدود في الأصول، ط. الأولى، سنة ١٣٩٢، ص ٤٩. تأليف الحافظ أبي الوليد سليمان بن خلف الاندلسي، الباجي (ت: ٥٤٧٤) ترجمته في الوفيات وتذكرة الحفاظ ص ١١٧٨ - ١١٨٣ وطبقات المفسّرين للسيوطي.

٣٩ البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٦. وكتاب ينبوع الحياة في التفسير في مجلّدات لابي عبدالله بن ظفر محمّد بن محمّد الصقلي (ت: ٥٥٦٨). كشف الظنون ٢ / ٢٠٥٢، مادة ينبوع؛ وبهامش علوم القرآن ٢ / ٣٦، منه. أجزاء متفرقة خطية بدار الكتب المصرية، رقم ٣١٠ التفسير؛ وراجع مباحث علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، ص ٣٦٦.

٤٠ مباحث علوم القرآن ص ٣٦٥ - ٣٦٦.

٤١ أوائل المقالات، ط. النجف، سنة ١٣٩٣، ص ١٥٥ - ١٥٦ للشيخ المفيد (ت: ٥٤١٣).

٤٢ معالم الدين وملاذ المجتهدين للشيخ حسن بن زين الدين العاملي (ت: ٥١٠١)، ط. النجف، تحقيق البهبهاني، ص ٣٦٩، (أصل في نسخ الكتاب والسنة).

٤٣ البيان في تفسير القرآن لأستاذ الفقهاء السيّد الخوئي، ط. النجف، سنة ١٣٩٠، ص ٣٢٤ و ٣٢٥؛ وأصول الفقه للشيخ المظفر، ط. النجف ٢ / ٥٢، بحث نسخ الكتاب العزيز - حقيقة النسخ -.

سادس عشر - دراسة روايات النسخ والانساء

إنّ روايات النسخ والانساء شيء واحد. وقد قسموا النسخ في القرآن كما سبق ذكره على ثلاثة أصناف، درسنا منه منسوخ الحكم في ما سبق، وندرس الصنفين الآخرين في ما يأتي:

أوّلا - روايات منسوخ التلاوة والحكم جميعا:

وجدوا لهذا الصنف موردا واحدا على حسب قولهم، وهو ما روته أمّ المؤمنين عائشة، قال الزركشي:

إلّثالث: نسخهما جميعا، فلا تجوز قراءتها ولا العمل بها، كآية التحريم [بعشر رضعات]، فنسخن [بخمس]، قالت عائشة: كان ممّا أنزل [عشر رضعات معلومات]، فنسخن [بخمس معلومات]، فتوفى رسول الله (ص) وهي ممّا يقرأ من القرآن، رواه مسلم (٤٤).

وقال السيوطي: (ما نسخ تلاوته وحكمه معا، قالت عائشة: كان في ما أنزل، [عشر...]. رواه الشيخان) (٤٥).

وبما أنّ هذا المورد منحصر عندهم بالرواية عن أمّ المؤمنين عائشة، إذا نحن نسّميه بفتوى أمّ المؤمنين عائشة. وندرس أوّلا ظروف هذه الرواية وملابساتها ونقول:

فتوى أمّ المؤمنين عائشة في الرضاع وظروفها

كانت أمّ المؤمنين عائشة على أثر إرجاع الخلفاء إليها في السنن منذ عهد الشيخين حتّى عصر معاوية - عدا عليّ بن أبي طالب - أكثر أمّهات المؤمنين حاجة لملاقة المستفتين.

وقد شاركت في حوادث سياسية عنيفة مما لم نعهد لغيرها من أمهات المؤمنين أن شاركنَ في نظائرها.

ولعلّ هذا وذاك كان الباعث لها أن تتأول وتفتني بأنّ الرجل الكبير إذا أرضعته امرأة خمس رضعات تنتشر الحرمة بينه وبين المرضع. وتعمل بفتواها وترسل الرجل الذي (أحبّت أن يراها ويدخل عليها) إلى أخواتها وبنات أخيها، فيرضعنه كذلك، ويدخل عليها بتلك الرضاعة.

وكان سالم بن عبدالله بن عمر من أولئك، فقد بعثته إلى أختها أمّ كلثوم فأرضعته، وقالت في جواب إنكار أزواج الرسول عليها:

إنّ الرسول أمر سهلة زوجة أبي حذيفة أن ترضع مولاها سالما الذي كان متبناهم قبل ذلك أن ترضعه خمس رضعات، ويدخل عليها بذلك، وأبت أزواج الرسول أن يدخل عليهن أحد حتّى يرضع في المهد(٤٦).

وفي سنن أبي داود وفتح الباري في شرح صحيح البخاري واللفظ للأول:

(كانت عائشة (رض) تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبّت عائشة أن تراه، ويدخل عليها، وإن كان كبيرا، خمس رضعات، ثمّ يدخل عليها يتلك، وأبت أمّ سلمة وسائر أزواج النبيّ (ص) أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس حتّى يرضع في المهد، وقلن لعائشة والله ما ندري لعلها كانت رخصة من النبيّ (ص) لسالم دون الناس).

وفي لفظ النسائي:

(أبى سائر أزواج النبيّ (ص) أن يدخل عليهنّ بتلك الرضعة أحد من الناس، يريد رضاعة الكبير... وقلن: والله لا يدخل علينا أحد بهذه الرضعة ولا يرانا)(٤٧).

* * *

هكذا كانت القالة حول رضاع الكبير من أمهات المؤمنين واسعة. وكان خير علاج لها الرواية الاتية التي رواها إمام الحنابلة أحمد في مسنده(٤٨) وابن ماجه(٤٩):

عن أمّ المؤمنين عائشة قالت:

(لقد أنزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا)، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا، دخل علينا داجن فأكله.

وروت، أيضا:

كان في ما أنزل من القرآن [عشر رضعات يحرم من] ثمّ نسخن بـ[خمس معلومات]، فتوفي رسول الله وهنّ في ما يقرأ من القرآن(٥٠).

والحديث يكمل أحدهما الآخر على هذا النحو:

لقد نزلت رضاعة الكبير عشرا وآية الرجم التي أخبر عنها الخليفة على المنبر معا وأكلهما الداغن.

ونسخت رضاعة الكبير عشرا بخمس معلومات.

ومن ثمّ كانت تفتي أمّ المؤمنين بخمس رضعات للكبير يحرم من، وتعمل بفتواها.

ومن ثمّ قالوا: إنّها الآية الوحيدة التي نسخت تلاوتها وحكمها!

انحصرت هذه الروايات كلّها بأمر المؤمنين عائشة، وهي جميعا مخالفة لفطرة الانسان، فلم يسمع قبل فتوى أمّ المؤمنين عن إنسان رضع في الكبر. ولا تبديل لخلق الله.

ومخالف - أيضا - لقوله تعالى: (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) فإنّها تدلّ على أنّ إتمام الرضاعة في الحولين: سنتي الرضاعة.

ومخالف لسنة الرسول الجامعة لقوله (ص): ((الرضاعة من المجاعة))، وقوله: ((لا رضاع إلاّ ما فتق من الامعاء))، وقوله: ((لا رضاع إلاّ

ما شدَّ العظم، وأُنبت اللحم وأُنشز العظم)).

وانتبه البعض إلى هذا التناقض فردّه قسم كالاستاذ الساييس بقوله على حديث عائشة:

حديث لا يصح الاستدلال به لاتفاق الجميع على أنّه لا يجوز نسخ تلاوة شيء من القرآن بعد وفاة الرسول (ص) وهذا هو الخطأ الصراح (٥١).

وحاول علاجه آخرون بأوهى من بيت العنكيوت ولا يستحق الاطالة بإيراده، وإّما نحن بصدد مناقشة قولهم بصنفين من النسخ في القرآن استنادا إلى هذه الاحاديث.

* * *

كانت تلكم ظروف رواية أمّ المؤمنين عائشة وملابساتها، وسوف نناقش رواياتها ضمن مناقشتنا سائر روايات النسخ الاتية إن شاء الله تعالى.

٤٤ الزركشي في البرهان ٢ / ٣٩.

٤٥ السيوطي في الاتقان ٢ / ٢٢.

٤٦ طبقات ابن سعد ٨ / ٢٧١، بترجمة سهلة، وفيه خبر إفتاء عائشة بذلك وإرضاع أمّ كلثوم سالما. وفي ص ٤٦٢ منه بترجمة أمّ كلثوم ابنة أبي بكر، إرسال أمّ المؤمنين سالما إليها وإرضاعها إياها. وفي ٢ / ٨٧ منه بترجمة سالم مولى أبي حذيفة إباء سائر أزواج الرسول من ذلك.

٤٧ سنن أبي داود، كتاب النكاح ٢ / ٣٢٣، باب: في من حرم به، أي حرم برضاع الكبير، الحديث: ٢٠٦١؛ وفتح الباري ١١ / ٥٣، باب: لا رضاع بعد الحولين، وقال ابن حجر في شأن الحديث: (إسناده صحيح)؛ وسنن التيساني ٢ / ٨٤، باب: رضاع الكبير؛ وموطأ مالك، باب: الرضاع، الحديث: ٦٢٧؛ وروى - أيضا - مسلم: إباء أزواج الرسول (ص) من ذلك في صحيحه، باب: رضاعة الكبير، الحديث: ٣٠ و ٣١، ص ١٠٧٧ و ١٠٧٨ منه.

٤٨ مسند أحمد ٦ / ٢٦٩.

٤٩ سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب رضاع الكبير، الحديث ١٩٤٤، ص ٦٢٥.

٥٠ سبق ذكر اسناده في بحث (نقصان حكم رضاع الكبير) بأول الباب.

٥١ فتح المنان علي حسن العريض، ص ٢١٦ - ٢١٧.

أكثر أمّهات المؤمنين حاجة لملافاة المستفتين.

وقد شاركت في حوادث سياسيّة عنيقة ممّا لم نعهد لغيرها من أمّهات المؤمنين أن شاركنَ في نظائرها.

ولعلّ هذا وذاك كان الباعث لها أن تتأول وتفتي بأنّ الرجل الكبير إذا أرضعته امرأة خمس رضعات تنتشر الحرمة بينه وبين المرضع. وتعمل بفتواها وترسل الرجل الذي (أحبّت أن يراها ويدخل عليها) إلى أخواتها وبنات أخيها، فيرضعنه كذلك، ويدخل عليها بتلك الرضاعة.

وكان سالم بن عبدالله بن عمر من أولئك، فقد بعثته إلى أختها أمّ كلثوم فأرضعته، وقالت في جواب إنكار أزواج الرسول عليها:

إنّ الرسول أمر سهلة زوجة أبي حذيفة أن ترضع مولاها سالما الذي كان متبناهم قبل ذلك أن ترضعه خمس رضعات، ويدخل عليها بذلك، وأبّت أزواج الرسول أن يدخل عليهن أحد حتّى يرضع في المهد (٤٦).

وفي سنن أبي داود وفتح الباري في شرح صحيح البخاري واللفظ للؤلؤ:

(كانت عائشة (رض) تأمر بنات أخواتها وبنات إخوتها أن يرضعن من أحبّت عائشة أن تراه، ويدخل عليها، وإن كان كبيرا، خمس رضعات، ثمّ يدخل عليها يتلك، وأبّت أمّ سلمة وسائر أزواج النبيّ (ص) أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس حتّى يرضع في المهد، وقلن لعائشة والله ما ندري لعلها كانت رخصة من النبيّ (ص) لسالم دون الناس).

وفي لفظ النَّسائي:

(أبى سائر أزواج النبيّ (ص) أن يدخل عليهنّ بتلك الرضعة أحد من الناس، يريد رضاعة الكبير... وقلن: والله لا يدخل علينا أحد بهذه الرضعة ولا يرانا)(٤٧).

* * *

هكذا كانت القالة حول رضاع الكبير من أمّات المؤمنين واسعة. وكان خير علاج لها الرواية الآتية التي رواها إمام الحنابلة أحمد في مسنده(٤٨) وابن ماجه(٤٩):

عن أمّ المؤمنين عائشة قالت:

(لقد أنزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا)، ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا، دخل علينا داخن فأكله.

وروت، أيضا:

كان في ما أنزل من القرآن [عشر رضعات معلومات يحرمن] ثمّ نسخن ب[خمس معلومات]، فتوفي رسول الله وهنّ في ما يقرأ من القرآن(٥٠).

والحديث يكمل أحدهما الآخر على هذا النحو:

لقد نزلت رضاعة الكبير عشرا وآية الرجم التي أخبر عنها الخليفة على المنبر معا وأكلهما الداخن.

ونسخت رضاعة الكبير عشرا بخمس معلومات.

ومن ثمّ كانت تفتي أمّ المؤمنين بخمس رضعات للكبير يحرمن، وتعمل بفتواها.

ومن ثمّ قالوا: إنّها الآية الوحيدة التي نسخت تلاوتها وحكمها!

انحصرت هذه الروايات كلّها بأمّ المؤمنين عائشة، وهي جميعا مخالفة لفطرة الانسان، فلم يسمع قبل فتوى أمّ المؤمنين عن إنسان رضع في الكبر. ولا تبديل لخلق الله.

ومخالف - أيضا - لقوله تعالى: (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) فإنّها تدلّ على أنّ إتمام الرضاعة في الحولين: سنتي الرضاعة.

ومخالف لسنة الرسول الجامعة لقوله (ص): ((الرضاعة من المجاعة))، وقوله: ((لا رضاع إلاّ ما فتق من الامعاء))، وقوله: ((لا رضاع إلاّ ما شدّ العظم، وأنبت اللحم وأنشز العظم)).

وانتبه البعض إلى هذا التناقض فردّه قسم كالاستاذ الساييس بقوله على حديث عائشة:

حديث لا يصح الاستدلال به لاتفاق الجميع على أنّه لا يجوز نسخ تلاوة شيء من القرآن بعد وفاة الرسول (ص) وهذا هو الخطأ الصراح(٥١).

وحاول علاجه آخرون بأوهى من بيت العنكبوت ولا يستحق الاطالة بإيراده، وإنّما نحن بصدد مناقشة قولهم بصنغين من النسخ في القرآن استنادا إلى هذه الاحاديث.

* * *

كانت تلکم ظروف رواية أمّ المؤمنين عائشة وملابساتها، وسوف نناقش رواياتها ضمن مناقشتنا سائر روايات النسخ الآتية إن شاء الله تعالى.

٤٤ الزركشي في البرهان ٢ / ٣٩.

٤٥ السيوطي في الاتقان ٢ / ٣٢.

٤٦ طبقات ابن سعد ٨ / ٣٧١، بترجمة سهلة، وفيه خبر إفتاء عائشة بذلك وإرضاع أمّ كلثوم سالما. وفي ص ٤٦٢ منه بترجمة أمّ كلثوم ابنة أبي بكر، إرسال أمّ المؤمنين سالما إليها وإرضاعها إياه. وفي ٢ / ٨٧ منه بترجمة سالم مولى أبي حذيفة إباء سائر أزواج الرسول من ذلك.

٤٧ سنن أبي داود، كتاب التُّكَّاح ٢ / ٢٢٣، باب: في من حرم به، أي حرم برضاع الكبير، الحديث: ٢٠٦١؛ وفتح الباري ١١ / ٥٣، باب: لا رضاع بعد الحولين، وقال ابن حجر في شأن الحديث: (إسناده صحيح)؛ وسنن التِّسَانِي ٢ / ٨٤، باب: رضاع الكبير؛ وموطأ مالك، باب: الرضاع، الحديث: ٦٢٧؛ وروى - أيضا - مسلم: إباء أزواج الرسول (ص) من ذلك في صحيحه، باب: رضاعة الكبير، الحديث: ٣٠ و ٣١، ص ١٠٧٧ و ١٠٧٨ منه.

٤٨ مسند أحمد ٦ / ٣٦٩.

٤٩ سنن ابن ماجه، كتاب التُّكَّاح، باب رضاع الكبير، الحديث ١٩٤٤، ص ٦٢٥.

٥٠ سبق ذكر اسناده في بحث (نقصان حكم رضاع الكبير) بأول الباب.

٥١ فتح المنان علي حسن العريض، ص ٢١٦ - ٢١٧.

ثانيا - روايات منسوخة التلاوة وسائر روايات النسخ

أوردنا في ما سبق حديث الصحابي أبي موسى أنه أنسى سورتين كبيرتين، ونقل الطبري وابن كثير والسيوطي إضافة إليه أحاديث نظيرها في تفسير آية: (مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ...)، أربع منها رووها من الصحابة يعضد بعضها البعض الآخر.

إحداها - عن أبي إمامة، قال فيها ما موجزه:

(قام رجل من جوف الليل يريد أن يفتح سورة، فلم يقدر على شيء منها إلاّ اسم الله الرحمن الرحيم، ووقع ذلك لناس من أصحابه، فأصبحوا، فسألوا رسول الله (ص)، فقال: نسخت البارحة، فنسخت من صدورهم ومن كل شيء) (٥٢).

والثانية عن ابن عمر، قال: قرأ رجلان من الانصار سورة أقرأهما رسول الله (ص)، وكانا يقرآن بهما، فقاما يقرآن ذات ليلة يصليان، فلم يقدر منها على حرف، فأصبحا غاديين على رسول الله (ص)، فقال: إنهما ممّا نسخ أو نسي فالهوا عنه.

والروايتان الأخريان نظيرهما (٥٣).

لست أدري هل تعدّ مدرسة الخلفاء السورة أو السور المنسيّة المذكورة في هذه الروايات ضمن السور الأربع التي أوردناها سابقا أي: سورتى الحفد والخلع، وسورتى أبي موسى المنسيّتين، أنّها تضيف المنسيات في هذه الروايات إلى تلك الأربع، ويزداد بذلك عندهم عدد المنسيات!؟

وفي الدر المنثور - أيضا - عن ابن عباس قال: كان ممّا ينزل على النبيّ (ص) الوحي بالليل وينساه بالنهار، فأنزل الله (مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا) (٥٤).

وبناء على هذه الروايات رووا الرواية التالية:

قال السيوطي: أخرج البخاري والتِّسَانِي وابن الانباري في المصاحف والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: قال عمر أقرانا أبي، وأقضانا عليّ.

وإنّا لندع شيئا من قراءة أبيّ وذلك أنّ أبيّا يقول لا أدع شيئا سمعته من رسول الله (ص) وقد قال الله: (مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) (٥٥).

وفي لفظ رواية بمسند أحمد: وأبيّ يقول أخذت من فم رسول الله (ص).

ومدلول هذه الرواية أنّ أبيّا يعتمد كلّ ما سمع من القرآن من فم رسول الله (ص)، وقد يكون ما سمعه أبيّ من القرآن من فم رسول

اللَّه (ص)، ممَّا نسخ وأنسي رسول الله (ص)، وبقي علمه عند أبيّ.

إذا لا اعتبار بما سمعه أبيّ أقرأ الصحابة من فم رسول الله (ص)!!(٥٦).

ومن رواية النسيان أو الانساء ما رواها البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للاول عن أم المؤمنين عائشة أنّها قالت:

سمع النبيّ رجلا يقرأ آية، فقال: ((رحمه الله لقد أذكرني آية كنت نسيته)).

وفي رواية ثانية (سمع رجلا يقرأ من الليل فقال: ((رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا))).

وفي لفظ البخاري (... يقرأ في المسجد فقال: ((رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا)))(٥٧).

* * *

كانت تلكم خلاصة روايات النسخ والانساء، وقد ردّها بعض علماء مدرسة الخلفاء كما مرّ في البحث الرابع عشر.

أمّا مناقشتنا لها فكالآتي:

٥٢ في الدرّ المنثور ١ / ١٠٥، قال أخرج أبو داود في ناسخه، وابن المنذر وابن الانباري في المصاحف وأبوذر الهروي في فضائله، عن أبي إمامة. وفي رواية ثانية بعدها: وأخرج أبو داود في ناسخه والبيهقي في الدلائل من وجه آخر عن أبي إمامة، الحديث. وأبو إمامة، أسعد، وقيل سعد بن سهل بن حنيف الانصاري، معدود في الصحابة وله رؤية ولم يسمع النبيّ (ص)، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ٥١٠٠). تقريب التهذيب ١ / ٦٤. وأبوذر الحافظ عبد بن أحمد بن محمد شيخ الحرم. من تصانيفه: فضائل وتفسير القرآن (ت: ٥٤٣٤)، كما في تذكرة الحفاظ ص ١١٠٣ - ١١٠٥. واسم تأليفه في هدية العارفين ١ / ٤٣٧.

٥٣ في الدرّ المنثور ١ / ١٠٤، قال أخرج الطبراني عن ابن عمر... الحديث.

٥٤ في الدرّ المنثور ١ / ١٠٤، قال أخرج ابن أبي حاتم والحاكم في الكنى وابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس... الحديث. وابن عدي، الحافظ الكبير أبو أحمد عبدالله بن عدي بن عبدالله الجرجاني، ويعرف أيضا. بابن القطان. من تصانيفه: كتاب الانتصار على مختصر المزني في الفروع. (ت: ٥٣٦٥). تذكرة الحفاظ ص ٩٤٠؛ وهدية العارفين ١ / ٤٤٧.

٥٥ صحيح البخاري ٣ / ٦٧، بتفسير الآية، وفي أول تفسير أبيّ من مسند أحمد ٥ / ١٣، ثلاث روايات عن أبي مع اختلاف يسير في ألفاظ الروايات؛ وفي الدرّ المنثور ١ / ١٠٤.

٥٦ قم يا ناعي الاسلام فانه، إن صحت هذه الرواية أنّ الخليفة قال: لاناخذ من الصحابي الاقرأ الذي أخذ القرآن من فم رسول الله (ص).

٥٧ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، الحديث: ٢٣٤ و ٢٣٥؛ وصحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة الاعمى ٢ / ٩٦؛ ومسند أحمد ٦ / ٦٢.

سابع عشر - مناقشة روايات زيادة القرآن ونقصانه والتي تسمّى بالنسخ والانساء

أوردنا في البحث الرابع أمثلة من روايات مدرسة الخلفاء في زيادة القرآن ونقصانه - معاذ الله - والتي توصف بروايات نسخ التلاوة، ومهمّنا لمناقشتها البحوث الماضية. وأن ندرسها في ما يأتي بحوله تعالى، ونقول:

أولا - يرد عليّ تلكم الروايات أنّ جلّها تنسب للنسيان أو الانساء إلى رسول الله (ص) وحده أو مع أصحابه، وذلك ينافي عصمته في التبليغ، وقد أرسله الله بالقرآن ليبلغ به البشر كافة، فكيف لم يعصمه الله من النسيان كما تزعم الروايات؟

وكيف أسقط آيات من سور القرآن كما تصرّح به الرواية الموسومة بالصحة؟

وكيف لم يتداركه الوحي، ولم يذكره جبرائيل الذي كان يعارضه القرآن في كلّ سنة، وبقي ناسيا للآيات حتّى ذكرته قراءة صحابي إياها في مسجده؟

ثانيا - إنّ إنساء الرسول ونسيانه يناقض نصّ القرآن الكريم في محكم بيانه. فكيف تصحّ كلّ تلكم الاحاديث وقد قال الله سبحانه

وتعالى:

(سَنُقَرِّنُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ). (الاعلى / ٦ ، ٧)

إنّ هذه السورة مكيّة وكلّ أحاديث النسيان والانساء تتحدّث عن زمان كان الرسول (ص) فيها بالمدينة. فهي جميعا تعارض نصّ القرآن الكريم وتطرح، ولا يقال: إنّ الآية استثنت وقالت: (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)، وإنّ موارد إنسا الرسول (ص) من مصاديق مشيئة الله لانساؤه، فإنّ آيات أخرى نظيرها تفسّر معنى مشيئة الله فيها، مثل قوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَّبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا...). (الفرقان / ٤٥)

وقوله تعالى:

(وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ). (الحجّ / ٦٥)

بلى لو شاء الله لجعل الظلّ ساكنا، وانتقض نظام إضاءة الشمس وتدفتته للكون، وانعدمت حياة ذوي الاحياء على هذا الكوكب، ولكنّ الله لم يشأ ذلك لصالح عباده بمقتضى ربوبيته.

وكذلك أمسك السماء أن تقع على الارض وتدمر ما فيها ومن فيها رحمة منه لهم بمقتضى ربوبيته، إلى أجل مسمّى.

وكذلك لم ينس الرسول (ص) شيئا من القرآن بمقتضى ربوبيته، لئلاّ يخلّ ذلك بعصمته في التبليغ، وينتقض كون الرسول والكتاب حجّة على الخلق أبد الدهر.

ومن ثمّ نعلم أنّ الاستثناء بالمشيئة في هذه الموارد بمعنى أنّ الأمر المذكور في كلّ مورد ليس خروجا عن إرادة الله وقدرته ومشيئته، وإنّما هو بمقتضى مشيئته وإرادته وقدرته وحكمته، جلّت قدرته وعظمت حكمته التي شاء بموجبها ما شاء وأراد.

ثالثا - يرد عليها تناقض بعضها مع بعض ومع حكمة التشريع الالهي، كالاتي بيانه:

١ - إذا كان الله قد أنسى السورتين الصحابي أيا موسى وأنسى الايات من الاحزاب والتوبة بعض الصحابة، فلماذا الخلف في ما أنساهم الله إياها ليتذكروا بعض ما أنساهم الله إياها دون بعض.

٢ - إذا كان الانسا من الله، فكيف لم يُنسّ أبا موسى وأبيّا وغيرهما من الصحابة وأنسى نبيّه (ص) في بعضها دونهم، فتذكروا من السور والايات ما تحدّثت عنها الروايات السابقة.

رابعا - ما حكمة نسخ بعض ما ذكروا من أحكام الاسلام؟!

ما حكمة تبديل حكم عشر رضعات بخمس رضعات؟

هل كان حكم عشر رضعات محدودا بزمان وظرف خاصّ وانتهى أمد الحكم بانتهاء ذلك الظرف والزمان كما شاهدنا ذلك في سائر الاحكام المنسوخة في الاسلام، فنسخت العشر بالخمس؟

وما حكمة تشريع خمس رضعات للكبير؟

وهل من فطرة الانسان أن يرضع الانسان الكبير، ليترب عليه حكم إسلامي؟

وما حكمة نسخ تلكم الاحكام من الاسلام وتلكم الايات؟ والاسلام نظام قدره لحياء الانسان من قدر نظام سير الكهبريات للذرة وتناسق الذرات في الاجسام ونظام سير الكواكب والنجوم في المجموعات الشمسيّة والمجموعات الشمسيّة في المجرّات والمجرّات في الفضاء اللامتناهي، كلّ نظام متناسب مع فطرة ما خلق الله عليها ونظام الاسلام للانسان متناسب مع: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ). (الرّوم / ٣٠)

خامسا - لماذا كان الله يوحى إلى نبيّه (ص) ليلا وينسيه صباحا؟ أكان ذلك وحيا، أم لعبة من لعب الهواة؟!

* * *

كان ما ذكرناه أمثلة ممّا يرد على تلك وما يشاكلها وليس علاج المعضلة وحلّ المشكلة في ما وصفوه بنسخ التلاوة، فإنّه يأتي

بتسلسل من المتناقضات. والحلّ في نظرنا في ما يأتي بيانه بحوله تعالى:

ثامن عشر - شأن الروايات المتضاربة في نقصان القرآن وزيادته وعلاجها

إنّ تلکم الروايات تنقسم على ثلاثة أصناف:

أ - ما روي فيها تأويل القرآن عن رسول الله (ص) وتفسيره ولم يفسّر العلماء الحديث على الوجه الصحيح، وزعموا أنّ الرسول (ص) تلا نصّ القرآن، وليس قوله تفسيراً للقرآن.

ب - ما روي فيها سنّة الرسول (ص)، وفي لفظ بعض رواياته إيهام بأنّ ما في الرواية لفظ القرآن، وليس بسنّة الرسول (ص).

ج - روايات لا يصحّ محتواها بوجه من الوجوه ويجب طرحها جملة وتفصيلاً، لأنّها تخالف محكم الكتاب وسنّة الرسول (ص) الجامعة.

وفي ما يأتي أمثلة من الاصناف المذكورة:

أولاً ما روي فيها تأويل القرآن عن رسول الله (ص) وحسب العلماء أنّ الرسول (ص) كان قد تلا في حديثه نصّ القرآن، مثل ما روي عن أمّ المؤمنين عائشة وحفصة أنّهما أمرتا بكتابة (صلاة العصر) بعد (والصلاة الوسطى) في مصحفيهما، فإنّهما كانتا سمعتا من رسول الله (ص) (صلاة العصر) تفسيراً للصلاة الوسطى، وأمرتا بكتابتها في مصحفيهما على أنّه تفسير للصلاة الوسطى.

وإنّما التوهم ممّن ظنّ أنّهما أمرتا بكتابته على أنّه قرآن يتلى، راويا كان المتوهم أم عالماً، حسبه من قسم منسوخ التلاوة.

ثانياً - ما روي فيها سنّة الرسول (ص)، غير أنّ في لفظ بعض تلك الروايات ما يوهّم بأنّ المروي كان من سور القرآن أو من آيات القرآن، وفي بعض الروايات تصريح بذلك كالأمثلة الآتية:

أ - ما روي في شأن ما سمّي بسورتي الحفد والخلع. في دراسة هذه الروايات إذا جمعناها وقارنّا بعضها ببعض وجدنا أمرهما في الروايات كالآتي:

- في بعض الروايات لم يبدأ فيهما بالبسملة كما يبدأ بها في السور القرآنية.

- في بعض الروايات أنّ الامام عليّاً علّم الراوي إيّاهما كدعاء يقرأه في القنوت. وفي هذه الروايات لم تسميا باسم السورة.

- في بعض الروايات سميتا باسم السورة.

- وإلى جانب هذه الروايات روايات أخرى توهم بأنّهما كانتا من سور القرآن كالآتي:

- في بعض الروايات بدئت بالبسملة كما يبدأ بالسور القرآنية وفيها إيهام بأنّها سورتان.

- في لفظ بعض الروايات وزاد (أقرأني النبيّ)، وفي لفظ (أقرأ) إيهام بأنّهما سورتان أقرأهما النبيّ (ص) الصحابي كما كان يقرئهم

السور القرآنية.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى جمل أخرى التي جاء في لفظ روايتها: أنّ الصحابي قال: أقرأني رسول الله (ص) كذا.

ولعلّ ذكر أمثال هذه الالفاظ في الروايات كان من تسامح الرواة في التعبير، ونقل الحديث بالمعنى مع عدم تنبّه وعدم وعي لآثر التسامح في التعبير.

ويصحّ أن نفترض هكذا إذا أحسنّا الظنّ بالرواة.

وقد ذكرنا في ما سبق ان الزنادقة دسوا في كتب المحدثين أكاذيب عداء للإسلام.

ومن دراسة الروايات دراسة مقارنة تثبت لنا أنّ الخطأ في شأنهما من العلماء الذين سمّوهما وأمثالهما بمنسوخ التلاوة من القرآن، أي أنّهم زعموا أنّهما وأمثالهما كانت من النصوص القرآنية الثابتة وقد نسخت تلاوتها.

في مثل هذه الحالات نأخذ بلفظ الرواية التي ليس فيها لفظ (أقرأني) مثلاً. أو ما لم يبدأ فيها الدعاء بالبسملة، ونرى أنّ الخطأ في

عدم دراسة تلك الروايات دراسة مقارنة لتنجلي الحقيقة، ثم في تسميتها باسم قرآنٍ قد نسخت تلاوته.

وفي شأن ما سميتا بسورتَي الحفد والخلع أخطأ السيوطي خطأً فاحشاً حين سجّلها في تفسيره مشابهاً لتسجيله السور القرآنية.

وإثما الصحيح في أمرهما وأمر أمثالهما أن تسجل في عداد سنّة الرسول (ص) بعد التأكد من صحّة أسنادها، وليس في عداد السور القرآنية وآياتها مع وصفهم بأنّها منسوخة التلاوة.

وإذا لم تصحّ أسنادها، لنا أن نطرحها ولا نسجلها في عداد السور القرآنية، ولا في عداد روايات سنّة الرسول (ص).

ب - ما روي في شأن رجم الشيخ والشيخة، إذا قارنا بين ألفاظ رواياتها وجدنا في لفظ بعضها نصّاً على أنّه كان قرآناً يتلى واعتماداً على لفظ أمثال هذه الرواية حسبوا الجملة قرآناً كان يتلى، ولما كانت غير مكتوبة في المصحف قالوا: إنّ الجملة كانت قرآناً نسخت تلاوتها وبقي حكمها.

وإلى جانب هذه الروايات وجدنا روايات أخرى ليس في لفظها ما يوهم أنّه كان قرآناً يتلى.

وفي أمثال هذه الموارد نأخذ بالرواية التي ليس فيها ما يوهم أنّ الجملة كانت قرآناً يتلى ونسجلها في عداد سنّة الرسول (ص) إن صحّت أسنادها.

وكذلك الشأن في روايات سورتَي أبي موسى الأشعري وروايات كثيرة غيرها من مثيلاتها.

ولا يفوتنا أن نقول: أنّنا حين نطلب تسجيل أمثال تلك الروايات بعد دراستها دراسة مقارنة في عداد سنّة الرسول (ص)، نرى أنّ في بعض ألفاظها ما هو دون بلاغة كلام الرسول (ص).

وعلى هذا فينبغي اعتبار تلك الروايات في عداد سنّة الرسول (ص) في محتواها دون ألفاظها، أي أنّها رويت بالمعنى دون التقيد بروايتها بلفظ الرسول (ص).

ثالثاً - روايات تخالف محكم القرآن وسنّة الرسول (ص) الجامعة وكالموارد الآتية:

أ - ما روي عن ابن مسعود إسقاطه المعوذتين من مصحفه بزعم أنّهما ليستا من القرآن. ومغزى هذا القول والعمل أنّ المصحف المتداول بين المسلمين منذ العصر الإسلامي الأوّل إلى اليوم فيه سورتان زائدتان وليستا من القرآن معاذ الله.

وقد سبق أن قلنا في مثل هذه الموارد إنّ ذلك ممّا افتري به على الله وكتابه ورسوله وأصحابه. والصحيح هو المكتوب في المصاحف التي تداولها المسلمون منذ دوّنت المصاحف ودوّنت السور حتّى اليوم.

إذا فقد كان ذلك ممّا افتراه أمثال الزنادقة في مقابل نصّ الكتاب ورواية ما لا يحصى من أبناء الأمة كما درسنا ذلك في ما سبق.

ب - ما روي عن أمّ المؤمنين عائشة أنّها قالت: كان في ما أنزل من القرآن [عشر رضعات يحرمن] فنسخن بـ [خمس معلومات]، فتوفي رسول الله (ص)، وهنّ ممّا يقرأ من القرآن. وفي حديث آخر لها [ورضاع الكبير عشراً].

وفسرت الآية المزعومة بما روته هي من رضاع سالم مولى أبي حذيفة (٥٨) وإرسالها سالم بن عبد الله إلى أختها أمّ كلثوم لترضعه أمّ كلثوم خمس رضعات، فيحرم بتلك الرضعات الخمس، ومن ثم أوردتها ابن ماجه في باب: (رضاع الكبير). وكذلك مسلم وأبو داود والبيهقي جميعهم أوردوا روايتها في باب: رضاع الكبير.

ولعلها قصدت ان هذه الجملة كانت مكتوبة كبيان من الرسول (ص) في حكم الرضاع نظير أمرها بكتابة (وصلاة العصر) بعد (وَالصَّلَاةِ الوَسْطَى) من مصحفها تفسيراً للصلاة الوسطى.

ج - ما روي عن ابن عباس أنّه قال: كان ممّا ينزل على النبيّ الوحي بالليل وينسأه بالنهار!

لست أدري، هل كان وحي الله لنبيّه من قبيل: كلام الليل يمحوه النهار؟

د - ما روي عن الخليفة عمر أنّه قال: إنّ أقرؤنا أّبياً، وإنا لندع شيئاً من قراءة أبي وذلك أنّ أّبياً يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله (ص).

وفي رواية يقول: أخذت من فم رسول الله (ص) - وقد قال الله: (ما ننسخ من آية أو ننسأها...) .

وإذا لم يعتمد على الاقرأ الذي سمع القرآن من فم رسول الله فعلى من يعتمد؟!

مر بنا ان هذه الروايات ممّا افترى بها على الله وكتابه ورسوله وأصحابه.

* * *

هذه أربع روايات أتيت بها مثلا للروايات التي لا علاج لها، ويطول بنا المقام لو أردنا مناقشتها جميعا، ولذلك نقتصر على مناقشة واحدة منها وجدناها أقواها سندا وأكبرها أثرا.

ومناقشتنا إياها هنا خلاصة لدراستنا السابقة لها، وأخذ العبرة والنتيجة منهما كالآتي:

٥٨ وكان سالم وأبو حذيفة قد استشهدا قبل ذلك أي : يوم اليمامة وسبعة أشهر بعد استخلاف أبي بكر .

مناقشة رواية أم المؤمنين عائشة في الرضاع وبيان أثرها

استفاد عشاق النسخ في القرآن من روايتها:

[عشر رضعات معلومات] فنسخن بـ [خمس معلومات]، فصفنوا النسخ إلى ثلاثة أصناف: منها ما نسخ حكمه وتلاوته وله مورد واحد وهو قولها: [عشر رضعات معلومات] فقد نسخت حسب روايتها: بـ [خمس معلومات]، ونسخت تلاوتها - أيضا لأنها غير موجودة في المصحف.

وأما [خمس معلومات] فقد بقي حكمها حسب فتواها وعملها، ولمّا كانت أيضا غير مكتوبة في المصحف ذكرها في عداد ما نسخ تلاوتها دون حكمها. ووجدنا في رواية ابن ماجة وأحمد بن حنبل عنها، أنّها قالت:

(لقد نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشرا، ولقد كانت تحت سريري، فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها) (٥٩).

إنّ العلماء استفادوا من نصف هذا الحديث، وهو قولها [عشر رضعات] واعتبروها صنفا من أصناف النسخ وهو نسخ التلاوة والحكم، ولم يجدوا لها نظيرا. واستفادوا من النصف الآخر مثلا من أمثلة نسخ التلاوة دون الحكم.

ومن آثار هذا الحديث ما حصل عند فقهاء مدرسة الخلفاء من الاختلاف في رضاع الكبير، وأتت هل يحرم أم لا؟ وإذا كان يحرم، كيف يرضع الكبير؟ هل يلتقم الثدي أم يشرب اللبن من الاناء (٦٠)؟

مناقشة الحديث

إنّ حديث رضاع الكبير بمجموعه يخالف كتاب الله وسنة رسوله وفطرة الانسان.

أمّا كتاب الله، فلقوله - تعالى - : (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)، وعليه فإنّ الرضاع لا يكون إلا في الحولين.

وأما سنة الرسول، فلقوله (ص): ((إنّما الرضاعة من المجاعة)) وفسره (ص) في حديث آخر وقال: ((ولا يحرم الرضاع إلا ما فتحق

في الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام))، وقال في حديث آخر: ((لا رضاع إلا ما شدّ العظم وأنبت اللحم وأنشز العظم)).

وأما الفطرة، فقد ذكرنا أمرها سابقا.

وفي خصوص الآية التي أكلها الداجن لست أدري كيف انحصر علمها بأم المؤمنين عائشة، ولم يأت ذكرها على لسان أي إنسان آخر من أزواج الرسول (ص) وأصحابه وأهل بيته، مع قولها: (فتوفي رسول الله وهنّ ممّا يقرأ من القرآن).

وكيف ذهبت الآية بأكل داجن لها مع قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)؟!)

والصواب في القول ما ذكرناه من أنها قصدت أن الجملة كانت مكتوبة مع آية الرضاع في قوله تعالى: (حولين كاملين...) كبيان رسول الله (ص) ممّا أنزل الله عليه بوحي غير قرآني.

خلاصة القول

إن تلك الروايات التي كان فيها تهوين بأمر التشريع الاسلامي واستهانة بالوحي والقرآن والرسول وأمر الربّ تنقسم إلى قسمين: منها ما هي مخالفة لكتاب الله المجيد وسنة الرسول (ص) الجامعة وعلتها في متونها ومحتواها فهي تُرْفَضُ وتُطْرَحُ. ومنها ما في ألفاظها تشويش للادّهان وإبهام بما ذكرنا أعلاه.

وهذه إن صحّت أسنادها يؤخذ بمحتواها، ويُدرج منها ما ليس في ألفاظها اضطراب وتشويش في عداد سنة الرسول (ص)، ولا يقال لتبرير أيّ منها أنّ الله سبحانه كان قد أنزل قرآنا، ثمّ نسخه بعد أن تلاه المسلمون وعملوا به وأنساهم إيّاه.

وإنّ أمثال تلكم الروايات هي التي شوّشت على بعض الاخباريين من محدّثي الشيعة، مثل الشيخ النوري، واستدلّ بها وكتب:

(فصل الخطاب). وجوابه ما ذكرناه، فإن لم يقبل العلماء ما قلناه وأصروا على القول بنسخ التلاوة، فليسمّوا إذا كتاب المحدث النوري: (فصل الخطاب في بيان منسوخ التلاوة من كتاب ربّ الارباب) ولا مشاحة في التسمية والاصطلاح.

ولست أريد بقولي هذا أن أصوّب عمل صاحب (فصل الخطاب) ولا قوله، ولكنّي أقول: قد أخطأ من قبله من قال: أنّ الله كان أنزل قرآنا على نبيّه (ص)، ثمّ نسخ تلاوته وحكمه أو تلاوته دون حكمه، ثمّ أصرّ على قوله.

وأخطأ بعدهم من استدلّ على مدّعاه بتلكم الاجتهادات وتلكم الروايات.

وأخطأ المحدث النوري حين جمعها في كتاب، ولم يبيّن وجه الصواب فيها، وأخطأ ثانيا حين سمّاها (تحريف كتاب ربّ الارباب) - معاذ الله -، وفيصل القول ما قلناه، والحمد لله.

٥٩ سنن ابن ماجة، كتاب التُّكَّاح، باب رضاع الكبير، الحديث رقم ١٩٤٤؛ ومسنّد أحمد ٦ / ٣٦٩.

٦٠ راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١ / ٤٩ - ٥٣ و ص ٣٣ - ٣٦ منه، باب الاكفاء في الدّين من كتاب التُّكَّاح.

التاسع عشر - خلاصة بحوث النسخ في القرآن

في مقدّمة هذا البحث القرآني ينبغي التنبيه على الأمور الآتية:

١ - إنّ هذا القرآن بحسب مقتضى الحال يستعمل من فنون البلاغة ما يقتضيه المقام، وعليه قد يتحدّث عن المفرد بلفظ الجمع، ويخاطب المفرد وهو الرسول (ص) ويريد أمّته، ويخبر عن المستقبل بلفظ الماضي، ويكلم الحاضر بلفظ الغائب، وقد يعكس الامر في ما ذكرناه.

٢ - يخبر عن القصة الواحدة في موارد متعددة، يفصل في كلّ مورد ما يناسب أخذ العبرة من القصة لما يناسب المقام ويوجز الباقي، وقد يقطع من القصة ما لا جدوى لذكره في المقام ويأتي بالباقي المناسب ذكره للمقام.

وقد يأتي بتمام القصة موجزة، ثمّ يبدأ بتفصيل ذكر القصة من حيث يناسب المقام.

وفي مثل هذا المورد يأتي أحيانا ذكر المتأخر موجزا قبل ذكر المتقدم ذكره مفصلا بعده.

وقد يكرّر من الخبر أو الحكم مفصلا ما ينبغي التأكيد عليه، ويوجز ذكر باقي الخبر قبله أو بعده أو قبله وبعده.

أ - قد ترد مجموعة واحدة من الايات تبين مجموعها حكما إسلاميا واحدا، و تكشف عن حقيقة واحدة من حقائق الغيب أو الشهادة مع إيراد الكلام بما يناسب المقام بالكيفيات التي ذكرناها.

ب - وقد ترد آية واحدة تبين بمفردها حكما اسلاميا، أو تكشف عن حقيقة من حقائق الغيب أو الشهادة.

وبناء على ما ذكرناه ينبغي لدارسي القرآن الكريم أن يدرسوا الثانية على حدة ومنفصلة عما قبلها وما بعدها من الايات، ويدرسوا الايات التي في الأولى مجتمعة ولا يُجزّئوا بعضها عن بعض الاخر.

وينبغي في كلّ دراسة قرآنية أن يؤخذ بنظر الاعتبار كلّ ما ذكرناه عن الأسلوب القرآني. وكلّ ما ذكره في علوم القرآن من خصائص القرآن في فن التعبير والمحاورة.

بعد التنبيه على ما ذكرنا تأتي إلى درس بحث النسخ في القرآن، ونقول: صنّفوا النسخ في القرآن إلى ثلاثة أصناف:

أ و ب - ما نسخ تلاوته وحكمه، وما نسخ تلاوته وبقي حكمه، أي: أنّ الله - سبحانه - كان قد أنزل على نبيّه (ص) آيات وسورا، ثمّ نسخها، منها ما نسخها مع حكمها ومنها ما نسخ نصوص الايات والسور وأبقى أحكامها.

وبهذا القول عالجا رواياتهم التي ذكرت نقصان سور وآيات من القرآن المتداول بين المسلمين وقالوا: تلكم السور والايات منسوخة التلاوة.

ج - آيات موجودة في القرآن قالوا عنها إنّها منسوخة، أي: إنّ الله نسخ أحكامها إما بآيات قرآنية أخرى، أو بسنة الرسول (ص).

ونقول في الجواب:

استدلّوا على قولهم بوجود آيات منسوخة في القرآن:

أوّلا - بآيتي: (مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) و(وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ).

ثانيا - بآيات كثيرة في القرآن الكريم اعتبروها آيات منسوخة، أي أنّ تلكم الايات جاءت أوّلا بحكم اسلامي وعمل بها المسلمون، ثمّ نسخ الله تلك الايات أي أحكامها بآيات أخرى. وقال آحاد منهم: إنّها نسخت بسنة الرسول (ص) أي حديث الرسول (ص).

وفي ما يأتي ندرس بحوله تعالى الاستدلاليين على التوالي:

دراسة آيات مورد البحث في النسخ

أوّلا - دراسة الايتين:

أ - (مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (البقرة / ١٠٦)

ب - (وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ...!). (التحل / ١٠١)

لما كان محور الكلام في الايتين الآية ونسخها ندرس معنى الآية لغة واصطلاحا في ما يأتي:

الآية في اللغة بمعنى: العلامة الظاهرة على الشيء المحسوس، أو الامارة الدالة على أمر معقول.

وإذا قيل: آية من آيات الله، أي: أمانة تدلّ عليه أو على بعض صفاته.

والآية في المصطلح الاسلامي اسم لكل من المعاني الآتية:

أ - حكم من أحكام الشرع الالهي، والذي جاء في فصل أو فصول من كتب الله تبارك وتعالى.

ب - معجزة من معجزات الانبياء، كناقاة صالح، وعصا موسى (ع) وسائر الايات التسع التي جاء بها.

ج - جزء من السور القرآنية المشخص بالعدد - الرقم -

وقد تتبنا موارد استعمال الآية بهذا المعنى في القرآن الكريم، فوجدناها لم تأت بغير لفظ الجمع. وقد ثبت في محله أن اللفظ المشترك في عدة معاني لا يستعمل في الكلام دونما قرينة تدل على المعنى المقصود من تلك المعاني.

وإذا رجعنا إلى المجموعة التي جاء فيها جملة: (مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ...)، وجدناها تذكر قبلها خبر تعنت أهل الكتاب في قبول ما نزل على رسول الله (ص)، وبعدها تذكر خبر نسخ حكم استقبال بيت المقدس في الصلاة إلى الكعبة، ومجادلة أهل الكتاب في هذا الشأن.

ومع وجود هذه القرائن قبل جملة: (مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا...) وبعدها نعلم أن المقصود من الآية هاهنا هو تبديل حكم استقبال بيت المقدس في الصلاة بحكم استقبال الكعبة فيها، ومن ثم ندرک أن المقصود من تبديل آية مكان آية في قوله تعالى:

(وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ...) تبديل حكم استقبال الكعبة في الصلاة بحكم استقبال بيت المقدس أو نظائره مثل تبديل حكم عيد السبت بعيد الجمعة - مثلاً -

وله نظائر أخرى في ذكر قصة واحدة عدة مرّات في القرآن الكريم، موجزة تارة ومفصلة أخرى.

هذا ما كان من أمر الايتين وأما استدلالهم بالآيات التي رويوا أنها منسوخة أو منسّية، فسنتصر على دراسة مثال واحد من كلّ منها:

أ - مثال السورة المنسية

استدلوا على ذلك بسورة الصحابي أبي موسى الأشعري التي قال: إنّه نسيتها وإنّها كانت في الشدة والطول مثل سورة براءة. وقد مرّ بنا تفصيل القول في شأن نظائره.

ب - الآية المنسوخة:

استدلوا بالآية التي رويت عن أمّ المؤمنين عائشة في شأن رضاع الكبير والتي أكلها الداجن.

وحقيقة الامر أنّه كان اجتهادا خطأً منها في تفسير الآية في مقابل سائر أمّهات المؤمنين اللاتي خالفنها في شأن هذا الاجتهاد.

ولقائل أن يقول: إنّ الاحوال السياسيّة التي خاضتها أمّ المؤمنين عائشة للتحريض على قتل الخليفة عثمان، ثمّ قيادتها الجيش الضخم لقتال الخليفة الوصي الامام علي (ع) كانت قد ألجأتها إلى محادثة الرجال ممّن لم يكونوا من محارمها مثل سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، فاضطرت إلى أن تجتهد وتفتي بانتشار الحرمة من رضاع الكبير كما هو الشأن في رضاع الطفل الصغير.

واستشهدت لذلك بالخبر الذي روته عن امر رضاع سالم مولى أبي حذيفة في كبره، ولمّا خالفها سائر أمّهات المؤمنين في هذا الامر اجتهدت فروت خبراً عن الرسول (ص) في بيان حكم رضاع الكبير بيانا لآية الرضاع وقالت: إن الداجن أكل بيان الرسول (ص)، ونحن نرى انها اجتهدت، وأخبرت ذلك عن الرسول (ص) وأن الرسول (ص) لم يقل بانتشار الحرمة من رضاع الكبير (1).

وكذلك الشأن في قصة السورة المنسيّة، وبيان ذلك أن القرّاء في صدر الاسلام كانوا هم علماء الأمة ومورد احترام الجميع.

ونرى أنّ قرّاء البصرة كانوا يدلون بذلك على الناس أميرا كانوا أو سوقة فلم يرض ذلك أمير البصرة الصحابي أبا موسى، فجمعهم وروى لهم حديثاً عن الرسول (ص) لم يكن لاحدهم علم به ليفهمهم أن ما حفظوه وتدارسوه من بيان القرآن ليس كل ما جاء في بيان القرآن عن الرسول (ص) وإنّما كان من بيان القرآن ما لم يعلم به أحد منهم، وكان علمها عند الأمير وقد جهلوه جميعاً.

في هذه القصة - أيضا - اجتهد الصحابي أبو موسى وأخطأ، وإنّه لكلّ من أمّ المؤمنين عائشة والصحابي أبي موسى أجر لدى أتباع مدرسة الخلفاء على اجتهادهما الخطأ.

* * *

نكتفي بدراسه هذين الموردين من الآيات اللاتي رويوا أنّها منسيّة أو منسوخة - معاذ الله - لانه من العسير استقصاؤها وشرح زيفها.

ونقتصر هنا على القول بأن القرآن الذي بأيدي الناس اليوم هو القرآن الذي نزل على رسول الله (ص) وعلمه الرسول جميع من

عاشره واستطاع أن يتعلّمه كما سبق بيانه مفصلاً.

بعد إيراد البحوث السبعة الماضية نقوم باذنه تعالى بدراستها في البحوث الآتية.

١ راجع تفصيل ذلك في فصل مع الصهرين من كتاب أحاديث عائشة، وكذلك بحث رأيها في رضاع الكبير.

دراسة الروايات السابقة

و الاجتهادات الخاطئة

خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الخليفة أبي بكر

من أجل معرفة خصائص المجتمع بعد الرسول يلزمنا دراسة كيفية اقامة الحكومات المتعاقبة من بعده وما جرى في ظل تلك الحكومات في المجتمع.

ونبدأ بذكر اخبار اخذ البيعة لابي بكر وما بعدها.

اجتمع الانصار - الاوس والخزرج - بعد وفاة الرسول (ص) في سقيفة بني ساعدة وبينما هم يدورون الرأي، بلغ نبأهم فريقا من المهاجرين فأسرعوا إليهم وخطبوا فيهم.

وفي صحيح البخاري بسنده عن الخليفة عمر أنه قال:

إنّ كان من خبرنا حين توفّي الله نبيّه، أنّ الانصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عتّا عليّ والزبير ومن معهما، فقلت لابي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الانصار.

فانطلقنا حتّى أتيناهم، فإذا رجل مزمل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك، فلمّا جلسنا قليلا، تشهّد خطيبهم، فأثنى على الله، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط...

فأردت أن أتكلّم، فقال أبو بكر: على رسلك.

فتكلّم هو، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاّ قال في بديهته مثلها أو أفضل؛ قال: ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الامر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا(٢).

روى الطبري(٢) في تفصيل خبر السقيفة وبيعة أبي بكر وقال:

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله، فقالوا: نولّي هذا الامر بعد محمّد سعد بن عبادة.

وأخرجوا سعدا إليهم وهو مريض...

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الانصار في الدين وفضيلتهم في الاسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لاعدائه، حتّى استقامت العرب، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدّوا بهذا الامر دون التّاس.

فأجابوه بأجمعهم أن قد وقّفت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الامر.

ثمّ إنهم تراءوا الكلام بينهم، فقالوا: فإنّ آبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تراعونا هذا الامر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول إذا: منّا أمير ومنكم أمير. فقال سعد بن عبادة: هذا أول الوهن(٤).

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعوا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجراح وانحاز معهم أسيد بن حضير(٥) وعويم بن ساعدة(٦)

وعاصم بن عديّ (٧) من بني العجلان (٨).

تكلّم أبو بكر - بعد أن منع عمر عن الكلام - فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ ذكر سابقه المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، وقال: (فهم أول من عبد الله في الارض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الامر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم).

ثمّ ذكر فضيلة الانصار، وقال: (فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الامراء، وأنتم الوزراء).

فقام الحباب بن المنذر (٩) وقال: يا معشر الانصار! املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم. فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع إثنان في قرن... والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبئها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته (١٠) إلاّ مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورّط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر وقال: يا معشر الانصار، املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحقّ بهذا الامر منهم، فإنّه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جديّها المحكك (١١) وعديّتها المرّجّب (١٢). أما والله لو شئتم لتعيدنها جدّة (١٣).

قال عمر: إذا يقتلك الله.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الانصار! إنكم كنتم أول من نصر وأزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

فقام بشير بن سعد الخزرجيّ أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الانصار! إنّنا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلاّ أرضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيع على الناس بذلك، ولا ينبغي به من الدنيا عرضا، فإن الله وليّ النعمة علينا بذلك، ألا إن محمّدا (ص) من قريش، وقومه أحقّ به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الامر أبدا. فاتّقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولّي هذا الامر عليك... الخ (١٤).

وقام عبدالرحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الانصار! إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ.

وقام المنذر بن الارقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلا لو طلب هذا الامر لم ينازعه فيه أحد - يعني عليّ بن أبي طالب (١٥).

(فقال الانصار أو بعض الانصار: لا نبايع إلاّ عليا) (١٦).

قال عمر: فكثرت اللّغط وارتفعت الاصوات حتّى تخوّفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك لأبايعك (١٧).

فلما ذهبوا لبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عَقاق (١٨)! أنفست على ابن عمّك الامارة؟

فقال: لا والله، ولكنّي كرهت ان أنازع قوما حقّا جعله الله لهم.

ولما رأوا الاوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض - وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد الثقباء -: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر (١٩).

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم... فأقبل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطأون سعد بن عبادة.

فقال أناس من أصحاب سعد: اتّفوا سعدا لا تطأوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هممتُ أن أطأك حتى تنذر عَضُوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلا يا عمر! الرفق هاهنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر(٢٠).

وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرا يُجْرِكُ وأصحابك. أما والله إذا لالحفتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه في داره(٢١).

وروى أبو بكر الجوهري: أن عمر كان يومئذ - يعني يوم بويع أبو بكر - محتجزا يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إن الناس قد بايعوا أبا بكر... الخ(٢٢).

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه، فسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (ص).

فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رأيي مثل هذا قطاً!! أما قلت لك(٢٣)؟!

الذير:

وجاء البراء بن عازب، فضرب الباب على بني هاشم، وقال:

يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد.

فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة!

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكّون أنّ عليا هو صاحب الامر بعد رسول الله (ص)(٢٤).

وكان المهاجرون والانصار لا يشكّون في عليّ(٢٥).

روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السيّك فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول:

(ما هو إلا أن رأيتُ أسلم، فأيقنت بالنصر)(٢٦).

فلما بويع أبو بكر، أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زقا إليّ مسجد رسول الله (ص)، فصعد على المنبر - منبر رسول الله (ص) فبايعه الناس، حتى أمسى، وشغلوا عن دفن رسول الله (ص) حتى كانت ليلة الثلاثاء(٢٧).

٢ صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا ٤ / ١٢٠.

٣ نقلنا هذا الخبر ملخصا من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا إليها في الهامش. وقد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب عبدالله بن سبأ، الجزء الأول - بحث السقيفة.

٤ الطبري في ذكره لحوادث سنة ٥١١، ٢ / ٤٥٦، وط. أوربا ١ / ١٨٣٨، عن عبدالله ابن عبدالرحمن بن أبي عمرة الانصاري. وابن الاثير ٢ / ١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ / ٥، قريب منه، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح ابن أبي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الانصار) ٢ / ٢.

٥ جاء اسمه في سيرة ابن هشام ٤ / ٣٢٥، وأسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع ابن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن الحرث بن

الخرزج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصاري الاشهلي، شهد العقبة الثانية وكان ممّن ثبت في أحد، وشهد جميع مشاهد النبيّ، وكان أبو بكر لا يقدم أحدا من الانصار عليه. توفي سنة ٢٠ أو ٢١ فحمل عمر نعشه بنفسه. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨ حديثا. ترجمته في الاستيعاب ١ / ٢١ - ٢٣. والاصابة ١ / ٦٤. وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

٦ عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس الانصاري الاوسي: شهد العقبة وبدرا وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر وترجمته في النبلاء: أنّه كان أخا الخليفة عمر. وقال عمر على قبره: (لا يستطيع أحد من أهل الارض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر). الاستيعاب ٣ / ١٧٠ والاصابة ٣ / ٤٥ وأسد الغابة ٤ / ١٥٨.

٧ عاصم بن عدي بن الجدّ بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام البلويّ العجلاني، حليف الانصار وكان سيد بني عجلان. شهد أحدا وما بعدها. توفي سنة ٤٥ هجرية. الاستيعاب ٢ / ١٣٣. والاصابة ٢ / ٢٣٧ وأسد الغابة ٣ / ٧٥.

٨ سيرة ابن هشام، أخبار السقيفة ٤ / ٣٣٠ - ٣٣٩.

٩ الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري، شهد بدرا وما بعدها، وتوفي في خلافة عمر. الاستيعاب بهامش الاصابة ١ / ٣٥٢. والاصابة ١ / ٣٠٢. وأسد الغابة ١ / ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٥٩.

١٠ لمّا سمع عليّ بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. النهج وشرحه لابن أبي الحديد، ط. الأولى ٢ / ٢.

١١ جذيلها ، تصغير الجذل : أصل الشجرة . والمُحَكَّكُ : عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرس به الابل الجربى ، أي قد جربتني الأمور ولي رأي وعلم يُستغنى بهما كما تستغني هذه الابل الجربى بالجذل وصرغره على جهة المدح .

١٢ عذيق: تصغير العذق، وهي: النخلة. والمرجب. ما جعل له رجة، وهي: دعامة تتبني من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوفوا عليها أن تنقعر في الرياح العواصف.

١٣ أعدت الامر جذعا، أي جديدا كما بدأ، وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شتتم أعدناها جذعة، أي: أول ما يبتدأ فيها.

١٤ لم نسجّل هنا بفيّة الحوار وتعليقنا عليه طلبا للاختصار.

١٥ رواه اليعقوبي بعد ذكر ما تقدم في تاريخه ٢ / ١٠٢، والموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٧٩.

١٦ في رواية الطبري ٢ / ٢٠٨، وط. أوربا ١ / ١٨١٨ عن إبراهيم، وابن الاثير ٢ / ١٢٣: ((أن الانصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر)).

١٧ عن سيرة ابن هشام ٤ / ٢٣٦، وجميع من روى حديث الفلثة. راجع بعده حديث الفلثة في ذكر رأي عمر في بيعة أبي بكر.

١٨ الطبري ط. أوربا ١ / ١٨٤٢. وفي رواية ابن أبي الحديد: عقكّ عقاق.

١٩ وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لمّا رأت الاوس أنّ رئيسا من رؤساء الخرزج قد بايع، قام أسيد بن حضير - وهو رئيس الاوس - فبايع حسدا لسعد ومنافسة له أن يلي الامر. راجع شرح النهج ٢ / ٢، في شرحه (ومن كلام له في معنى الانصار).

٢٠ إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفين من شدة ولين.

٢١ الطبري ٣ / ٤٥٥ - ٤٥٩، وط. أوربا ١ / ١٨٤٣. (وتندر عضوك) كذا جاء ويعني تسقط أعضاؤك.

٢٢ في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد ١ / ١٣٣، وفي ص ٧٤ منه بلفظ آخر.

٢٣ ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٤ / ٢٥٨، وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ١ / ١٣٢، وبروي تفصيله في ص ٧٤ منه. والزبير بن بكار في الموفقيات ص ٥٧٧ - ٥٨٠ و ٥٨٣ و ٥٩٢. كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ / ٢ - ١٦، في شرحه: (ومن كلام له في معنى الانصار).

٢٤ الموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٨٠.

٢٥ اليعقوبي ٢ / ١٠٢، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٧٤.

٢٦ الطبري ٢ / ٤٥٨، وط. أوربا ١ / ١٨٤٣. وفي رواية ابن الاثير ٢ / ٢٢٤: (وجاءت أسلم فبايعت). وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج ٦ / ٢٨٧، ((فقوي بهم أبو بكر)) ولم يعيّن متى جاءت أسلم، ويقوى الظنّ أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه ((الجمل)): إن القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة، (الجمل ص ٤٣).

التبعة العامة:

ولمّا بويع أبو بكر في السقيفة وكان في الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه...، وذكر أن قوله بالامس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله، ولكنّه كان يرى أن الرسول سيديّر أمرهم ويكون آخرهم. ثمّ قال:

وانّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله.

فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له.

وانّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر ببعته العامة بعد بيعة السقيفة.

وفي البخاري: (وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة أبي بكر العامة على المنبر). قال أنس بن مالك: (سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: إصعد المنبر. فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامة).

ثمّ تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

(أمّا بعد، أيّها الناس! فإنّي قد وُلّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني - إلى قوله -:

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم، يرحمكم الله)(٢٨).

بعد بيعة أبي بكر العامة:

(توفّي رسول الله يوم الاثنين حين زاعت الشمس، فشغل الناس عن دفنه)(٢٩).

شجّل الناس عن رسول الله بقيّة يوم الاثنين حتّى عصر الثلاثاء:

أولاً: بخُطب السقيفة.

ثمّ: ببيعة أبي بكر الأولى ثمّ ببعته العامة وخُطبته وخُطبة عمر حتّى صلّى بهم.

قالوا: (فلمّا بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله يوم الثلاثاء)(٣٠). (ثمّ دخل الناس يصلّون عليه)(٣١). (وصلّي على رسول الله بغير إمام. يدخل عليه المسلمون زُمراً زُمراً يصلّون عليه)(٣٢).

٢٨ ابن هشام ٤ / ٣٤٠. والطبري ٣ / ٢٠٢ (وط. أوربا ١ / ١٨٢٩). وعيون الاخبار لابن قتيبة ٢ / ٣٢٤. والرياض النضرة ١ / ١٦٧. وابن كثير ٥ / ٢٤٨. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٧. وكنز العمال ٣ / ١٢٩، ح ٢٢٥٢. والحليّة ٣ / ٣٩٧. وذكر البخاري في صحيحه ٤ / ١٦٥، كتاب الاحكام، باب الاستخلاف عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير. وممن ذكر خطبة أبي بكر فقط، أبو بكر الجوهري في كتابه: السقيفة، حسب رواية ابن أبي الحديد عنه ١ / ١٣٤. وصفوة الصفوة ١ / ٩٨.

٢٩ طبقات ابن سعد ٢ / ٢ ق ٧٨ / ٢، ط. ليدن.

٣٠ سيرة ابن هشام ٤ / ٣٤٢. والطبري: ٢ / ٤٥٠. وط. أوربا ١ / ١٨٣٠. وابن الاثير ٢ / ١٢٦. وابن كثير ٥ / ٢٤٨. والحليّة ٣ / ٣٩٢ و ٣٩٤. وهذا الاخير لم يعين اليومانتها في بيعة أبي بكر واقبلوا على جهاز رسول الله (ص).

٣١ ابن هشام ٤ / ٣٤٣.

٣٢ طبقات ابن سعد ٢ / ٢ ق ٧٠ / ٢. والكامل لابن الاثير ج ٢ في ذكر حوادث سنة ١١ هـ.

بعد دفن الرسول (ص):

اندحر سعد ومرثيحوه، وبقي علي وجماعته - بعد أن أصبحوا أقلية - يتناحرون وحزب أبي بكر الطافر وكلّ يجتهد في جلب الانصار لحوزته.

قال الرُّبَيْر بن بكار: لَمَّا بُويع أبو بكر واستقرَّ أمره، ندم قوم كثير من الانصار على بيعته، ولامَ بعضهم بعضا، وذكروا عليّ بن أبي طالب، وهتفوا باسمه(٣٣).

قال اليعقوبي وابن أبي الحديد(٣٤):

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار، ومالوا مع عليّ بن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس، والرُّبَيْر بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو(٣٥)، وسلمان الفارسيّ، وأبوذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب(٣٦)، وأبي بن كعب(٣٧)، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة.

فقال: ما الرأي؟

قالوا(٣٨): الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب، فتجعل له في هذا الامر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب (وتكون لكما حجة)(٣٩) على عليّ إذا مال معكم.

فاينطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة، حتّى دخلوا على العباس ليلا(٤٠)، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله بعث محمّدا نبيا وللمؤمنين وليا، فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتّى اختار له ما عنده فخلّى على الناس أمورهم(٤١) ليختاروا لانفسهم في مصلحتهم مشفقين(٤٢). فاخثاروني عليهم واليا ولأمورهم راعيا.

فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهنا، ولا حيرة، ولا حُبنا، وما توفيقى إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وما انفكّ يبلّغني عن طاعن بقول الخلف على عامّة المسلمين يتخذكم لجا، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس في ما اجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه. ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيبا يكون لك، ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عمّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدّلوا الامر عنكم)(٤٣) على رسلكم بني هاشم، فإنّ رسول الله متّ ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: وأخرى إمّا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كُرّها أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لانفسكم!

فحمد العباس الله وأثنى عليه، وقال: إنّ الله بعث محمّدا كما وصفت نبيا، وللمؤمنين وليا، فمنّ على أمته به، حتّى قبضه الله إليه واختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين أمورهم، ليختاروا لانفسهم مصيبي الحق لا مائلين بزيغ الهوى.

فإن كنت برسول الله طلبت، فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم. فما تقدّمنا في أمرك قرّطا، ولا خللنا وسطا، ولا برحنا سخطا، وإن كان هذا الامر وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين.

ما أبعد قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك أنّهم اختاروك ومالوا إليك!

وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّى على الناس أمورهم ليختاروا فاخثاروك!

فأمّا ما قلت: إنك تجعله لي، فإن كان حقّا للمؤمنين فليس لك أن تحكم(٤٤) فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلك فإنّ رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.

نهاية أمر المعارضة

وروى مُعَمَّر عن الزُّهري عن أمّ المؤمنين عائشة في حديثها عمّا جرى بين فاطمة وأبي بكر حول ميراث النبيّ (ص) قالت:

فهجرته فاطمة، فلم تُكَلِّمه حتّى تُوفيت، وعاشت بعد النبيّ (ص) ستّة أشهر.

فلَمّا تُوفيت دفنها زوجها، ولم يؤذّن بها أبا بكر وصلّى عليها.

وكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة، فلما تُوفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ. ومكثت فاطمة ستّة أشهر بعد رسول الله (ص) ثمّ توفيت.

قال معمر:

فقال رجل للزُّهري: أفلم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟

قال: لا (٤٥)، ولا أحد من بني هاشم حتّى يبايعه عليّ. فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه صرّع إلى مصالحة أبي بكر الحديث (٤٦).

وقال البلاذري:

لما ارتدّت العرب، مشى عُثمان إلى عليّ فقال: يا ابن عمّ! أنّه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدو، وأنت لم تبايع.

فلم يزل به حتّى مشى إلى أبي بكر فبايعه. فسُرّ المسلمون، وجدّ الناس في القتال وقطعت البعوث (٤٧).

ضرع عليّ إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وانصراف وجوه الناس عنه، غير أنّه بقي يشكو ممّا جرى عليه بعد وفاة النبيّ حتّى في أيّام خلافته. وذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشّقيفة (٤٨).

٣٣ الموفقيات ص ٥٨٣.

٣٤ في تاريخه ٢ / ١٢٤ - ١٢٥. والسّقيفة لابي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ٢ / ١٣، والتفصيل في ١ / ٧٤ منه. وبلفظ قريب منه في الامامة والسياسة ١ / ١٤.

٣٥ المقداد بن الاسود الكندي: هو ابن عمّو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني. أصاب دما في قومه، فلحق بحضرموت، فحالف كنده، وتزوَّج امرأة، فولدت له المقداد. فلما كبر المقداد، وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي، فحُرب رجله بالسيف، وهرب إلى مكة فحالف الاسود بن عبد يغوث الزُّهري فتبّاه الاسود، فصار يقال له: المقداد بن الاسود الكندي. فلما نزلت: (أدعُوهم لِأبَائِهِم) الاحزاب / ٥ قيل له: المقداد بن عمّو. وقال الرسول: ((إن الله عزّ وجلّ أمرني بحبّ أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم)) فقيل: من هم؟ فقال: ((عليّ والمقداد وسلمان وأبوذر)). توفي سنة ٥٣٣هـ. الاستيعاب بهامش الاصابة ٣ / ٤٥١، والاصابة ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٤.

٣٦ أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن مالك ابن الاوس الانصاري الاوسي: كان ممّن استصغره الرسول يوم بدر وردّه. وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع عليّ الجمل وصفين والتَّهروان. سكن الكوفة وابتنى بها دارا وتوفي بها في إمارة مصعب بن الزُّبير. الاستيعاب بهامش الاصابة ١ / ١٤٣ - ١٤٤. والاصابة ١ / ١٤٦.

٣٧ أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمّو بن مالك بن النّجّار: وهو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الاكبر. شهد العقبة الثانية وبايع النبيّ فيها وشهد بدر وما بعدها، وكان من كتّاب النبيّ. مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان. الاستيعاب ١ / ٣٧ - ٣٠. والاصابة ١ / ٣٢ - ٣١.

٣٨ في نص الجوهري أنّ قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، وهذا هو الاقرب إلى الصواب.

٣٩ هذه الزيادة في نسخة الامامة والسياسة ١ / ١٤.

٤٠ في رواية ابن أبي الحديد أنّ ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبيّ.

٤١ إن ضمير (هم) موجود في رواية ابن أبي الحديد.

٤٢ في نسخة الامامة والسياسة وابن أبي الحديد ١ / ٧٤: (متفقين) وهو الاشبه بالصواب.

٤٣ الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد والامامة والسياسة.

٤٤ في نسخة الجوهري والامامة والسياسة: فإن يكن حقّا لك فلا حاجة لنا فيه.

٤٥ في تيسير الوصول ٢ / ٤٦: (قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم).

٤٦ قد أوردت هذا الحديث مختصرا من كل من الطبري ٢ / ٤٤٨ (وط. أوروبا ١ / ١٨٢٥). وصحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٣ / ٣٨. وصحيح مسلم ١ / ٧٢، ٥ / ١٥٣، باب قول رسول الله: ((نحن لا نورث؛ ما تركناه صدقة))، وابن كثير ٥ / ٢٨٥ - ٢٨٦، وابن عبد ربّه ٤ / ٣٦٠. وقد ذكره ابن الأثير ٢ / ١٣٦ مختصرا. والكنجي في كفاية الطالب ص ٢٢٥ - ٢٢٦. وابن أبي الحديد ١ / ١٢٢. والمسعودي ٢ / ٤١٤ من مروج الذهب. وفي التنبيه والاشراف له ص ٢٥٠: (ولم يبايع علي حتى توفيت فاطمة). والصواعق ١ / ١٢. وتاريخ الخميس ١ / ١٩٢. وفي الامامة والسياسة ١ / ١٤: أن بيعة علي كانت بعد وفاة فاطمة. وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوما وفي الاستيعاب ٢ / ٣٤٤: أن عليا لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة. وأبو الفداء ١ / ١٥٦. والبدء والتاريخ ٥ / ٦٦. وأنساب الاشراف ١ / ٥٨٦. وفي أسد الغاية ٣ / ٢٢٢ بترجمة أبي بكر: (كانت بيعتهم بعد ستة أشهر علي الأصح). وقال البيهقي ٢ / ١٢٦ (لم يبايع علي إلا بعد ستة أشهر). وفي الغدير ٣ / ١٠٢ عن الفصل لابن حزم ص ٩٦ - ٩٧ (وجدنا عليا رضي الله عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر).

٤٧ أنساب الاشراف ١ / ٥٨٧.

٤٨ راجع الخطبة رقم ٣ من نهج البلاغة؛ وابن أبي الحديد ١ / ٥٠.

المنافرة بين القبيلتين بعد بيعة أبي بكر:

ونتج مما وقع بين الانصار والمهاجرين(٤٩) ان تهاجت الفئتان فقال ابن أبي عزة القرشي:

قل للألى طلبوا الخلافة زلّة

لم يخط مثل خطاهم مخلوق

إن الخلافة في قريش ما لكم

فيها ورب محمد معروق(٥٠)

ولمّا بلغ قوله الانصار طلبوا إلى شاعرهم النعمان بن عجلان الزرقبي أن يجيب، فقال شعرا منه:

فقل لقريش نحن أصحاب مكة

ويوم حنين والفوارس في بدر

إلى قوله:

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم

عتيق بن عثمان حلال أبا بكر(٥١)

الابيات

ثم اجتمع سفهاء قريش، وخطبوا في ذلك وهاجوا، فبلغ الخبر عليا، فأتى المسجد مغضبا، وخطب فيه وقال:

(يا معشر قريش! ان حبّ الانصار إيمان، وبغضهم نفاق، وقد قضا ما عليهم وبقي ما عليكم...) الخطبة.

ثم أمر ابن عمه الفضل أن ينصر الانصار بشعره، فأنشد أبياتا منها:

إنّما الانصار سيف قاطع

من تصبه طبة السيف هلك(٥٢)

فطلب الانصار من حسان أن يجيبه، فقال:

جزى الله عتّا والجزاء بكفه

أبا حسن عتّا ومن كأبي حسن

الابيات

وخطب علي بعد ذلك في المسجد وقال في خطبته:

((فوالله لو زالت الانصار لزلت معهم)) لان رسول الله قال: ((لو زالت الانصار لزلت معهم)).

فقال المسلمون جميعا: رحمك الله يا أبا الحسن! قلت قولاً صادقا، وبذلك هدأ الامام علي الثائرة في الثانية كما هدأها في الأولى ابن عمّه الرسول(ﷺ).

وكانت هذه أوّل بادرة لانقسام الأمة على قسمين: مضري، وفيهم الامرة حتّى الخلافة العباسية، ويماني، وقد حرموا منها أبد الدهر، والتحق بكل قبيلة حلفاء نسبوا إليها، ونسي نسبهم ممّن انتسلوا منهم، وموالي دعوا بنسب العشيرة والتحقوا به، وكان هذا الدخيل وذلك اللصيق يشاركان في سرّاء القبيلة وضرائها، ويدافعان عن القبيلة كالاصيل، والقبيلة تحتضنهما كأحد أبنائها.

وبقيت الحالة في المجتمع الاسلامي كذلك إلى عصر الخلافة العباسية.

أمّا سياسة الخلافة، فقد بقي الحكم قرشياً على عهد الخليفين أبي بكر وعمر، فلم يولّيا على الاجناد: الكوفة والبصرة والشام ومصر(٥٤) من الانصار أحدا، وكذلك لم يؤمروهم على الجيوش الغازية. وفي هذا الصدد قال اليعقوبي عن خبر تجهيز أبي بكر الجيوش وتأميره الأمراء في تاريخه:

(لما عقد لخالد بن الوليد قام ثابت بن قيس بن الشّمّاس فقال: يا معشر قریش! أمّا كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له؟

أمّا والله ما نحن عميا عما نرى، ولا صما عما نسمع، ولكن أمرنا رسول الله (ص) بالصبر فنحن نصبر.

وقام حسان بن ثابت فقال:

يا للرجال لخلفة الاطوار

ولما أراد القوم بالانصار

لم يدخلوا منا رئيسا واحدا

يا صاح في نقض ولا إمرار(٥٥)

فعظم على أبي بكر هذا القول، فجعل على الانصار ثابت بن قيس، وانفذ خالدًا على المهاجرين، وولى - أيضا - لقتال من تخلف عن بيعته ومنع الزكاة من أهل اليمن زياد بن لبيد البياضي من ذوي ارومتهم، وقد ذكرنا خبره في آخر الجزء الثاني من عبدالله بن سبأ.

* * *

بناء على ما أوردناه اتّضح أنّ قریشا استولت على الحكم بعد الرسول (ص) على أساس قبلي وأصبح طابع الحكم قبلياً قرشياً اسلامياً، وعلى أساس العرف القبلي أبعدت الانصار من الحكم وتولية الجيوش المقاتلة والبلاد المفتوحة.

وكان هذا وذاك خصيصة الحكم وخصيصة المجتمع على عهد الخليفة أبي بكر، وفي ما يأتي ندرس خصيصة المجتمع على عهد الخليفة عمر بإذنه تعالى.

٤٩ تاريخ الطبري ط. أوروبا (١ / ١٨٣٨ - ١٨٤٩)؛ وابن أبي الحديد ٢ / ٧، ٨، ١٢، ١٣.

٥٠ المعروف: ذو العرق أي الاصل والنسب.

٥١ عتيق: اسم أبي بكر واسم أبيه عثمان.

٥٢ طبة السيف: حده. راجع أخبار السقيفة في الموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٧٩ - ٦٠١.

٥٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٩.

٥٤ في فجر الاسلام كان يقال للبلد الذي فيه معسكر المسلمين: الجند.

٥٥ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٩ - ١٣٠.

لشورى وبيعة عثمان:

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد:

لَمَّا طعن الخليفة عمر قيل له: لو استخلفت. فقال:

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًا لاستخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: نبيك يقول: إنّه أمين هذه الأمة.

ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًا لاستخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: إنّ سالما ليحبّ الله حبًا لو لم يخف الله ما عساه(٦٠).

وإنهم قالوا له: يا أمير المؤمنين! لو عهدت.

فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أولي رجلا أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ - ثم رأيت أن لا أتحمّلها حيًا وميتًا... الخ.

وفي تاريخ الطبري أنهم عادوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! لو عهدت عهدًا!

فقال: قد كنت أجمعت بعد مقاتلي لكم أن أنظر فأوليّ رجلا أمركم؛ هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ ورهقتني عشيّة، فرأيت رجلا دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غصّة ويانعة، فيضمّه إليه ويصبره تحته؛ فعلمت أنّ الله غالب أمره، ومتوفّي عمر؛ فما أريد أن أتحمّلها حيًا وميتًا؛ عليكم هؤلاء الرّهط... (٦١).

وروى البلاذري في أنساب الاشراف(٦٢) قال عمر: أدعوا لي عليّ وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن أبي وقاص، فلم يكلم أحدا منهم غير عليّ وعثمان، فقال: يا عليّ! لعلّ هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبيّ(ص) وصرحك وما أنالك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الامر فاتق الله فيه.

ثمّ دعا عثمان وقال: يا عثمان، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنّك، فإن وليت هذا الامر فاتق الله ولا تحمل آل أبي معيط على رقاب الناس.

ثمّ قال: ادعوا لي صهيبيًا. فدُعِيَ، فقال: صلّ بالناسي ثلاثًا، وليخل هؤلاء نفر في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلَمَّا خرجوا من عند عمر قال: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق(٦٣).

وفي الرّياض النّصرة: (لله درهم إن ولّوها الأصيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن كان السيف على عنقه)(٦٤).

وروى البلاذري في أنساب الاشراف: أنّ عمر بن الخطّاب أمر صهيبيًا مولى عبدالله بن جدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والأنصار. فلَمَّا دخلوا عليه.

قال: إنّي جعلت أمركم شوري إلى سنة نفر من المهاجرين الأوّلين الذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راض ليختاروا أحدهم لامامتكم وسماهم. ثمّ قال لابي طلحة زيد بن سهل الخزرجي: اختر خمسين رجلا من الانصار يكونوا معك، فإذا توفيت فاستجثّ هؤلاء نفر حتّى يختاروا لانفسهم وللأمة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث.

وأمر صهيبيًا أن يصلّي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام.

وكان طلحة بن عبيدالله غائبا في ماله بالسرّة(٦٥)، فقال عمر: إن قدم طلحة في الثلاثة الايام، وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الامر

واصرموه، وبايعوا من تتفقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه.

قال: فبعثوا إلى طلحة رسولا يستحثونه ويستعجلونه بالقدوم، فلم يرد المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان. فجلس في بيته وقال: أعلى مثلي يُفئات!

فأتاه عثمان، فقال له طلحة: إن رددت أتردّه؟ قال: نعم. قال: فآتي أمصيته. فبايعه. وقريب منه ما في العقد الفريد ٢ / ٧٢. وط.

دار التأليف، القاهرة، سنة ١٣٦٣هـ، ٤ / ٢٧٥ - ٢٨٠.

وروى في ص ٢٠ منه، قال:

فقال عبدالله بن سعد بن أبي سرح: ما زلت خائفا لان ينتقض هذا الامر حتى كان من طلحة ما كان، فوصلته رجم ولم يزل عثمان مكرما لطلحة حتى حُصر فكان أشد الناس عليه.

وروى البلاذري في ٥ / ١٨ من كتابه أنساب الاشراف بسند ابن سعد قال:

(قال عمر: ليتبع الاقل الاكثر، فمن خالفكم فاضربوا عنقه).

وروى في ص ١٩ منه: عن أبي مخنف أنه قال:

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثا، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل، رجعوا في الشورى، فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد كانوا مع الاربعة، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف إذ كان الثقة في دينه، ورأيه المأمون على الاختيار للمسلمين). وقريب منه ما في العقد الفريد ٣ / ٧٤، وط. دار التأليف، القاهرة، سنة ١٣٦٣هـ، ٤ / ٢٧٦.

وروى أيضا عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر قال: (إن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فاتبعوا صف عبدالرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا) وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣ / ١ / ٤٣.

وفي تاريخ يعقوبي ٢ / ١٦٠: وروى البلاذري في أنساب الاشراف ٥ / ١٥ أن عمر قال:

(إن رجلا يقولون إن بيعة أبي بكر فلنته وقى الله شرها، وإن بيعة عمر كانت عن غير مشورة والامر بعدي شوري، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبع الاثنان الاربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فاتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا وأطيعوا، وإن صفق عبدالرحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتبعوه).

وروى المتقي في كنز العمال ٣ / ١٦٠، عن محمد بن جبير عن أبيه، أن عمر قال:

(إن ضرب عبدالرحمن بن عوف إحدى يديه على الأخرى فبايعوه).

وعن أسلم أن عمر بن الخطاب قال:

(بايعوا لمن بايع له عبدالرحمن بن عوف، فمن أبى فاضربوا عنقه).

إذا فالخليفة عمر قد نبأ سعيد بن العاص أنه سيلي بعده ذو رحم سعيد وهو عثمان وطلب منه أن يخبئ الامر عنده؛ ويتضح من هذه المحاوره أن أمر تولية عثمان الخلافة كان قد بُت فيه في حياة الخليفة عمر، وتعيين الستة في الشورى كان من أجل تمرير هذا الامر بصورة مرضية لدى الجميع.

٦٠ العقد الفريد ٤ / ٢٧٤، أوردناه ملخصا.

٦١ تاريخ الطبري ط. أوروبا ١ / ٢٧٧٧.

٦٢ أنساب الاشراف ٥ / ١٦.

٦٣ وقريب منه ما في طبقات ابن سعد ج ٤ ق ١ ص ٢٤٧. وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب ومنتخب الكنز ٤ / ٤٢٩، وجليح فلان سار سيرا شديدا،

وجلح في الامر اقدم ومضى وركب رأسه فيه ويقصد منه الامام عليا.

٦٤ الرياض النضرة ط. ٢ بمصر ١٣٧٣هـ، ٢ / ٩٥. والاصلع: المنحسر شعر رأسه، وكان الامام عليّ اصلع الرأس.

٦٥ السراة: الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لاماكن أخرى. معجم البلدان.

الامام عليّ (ع) يعلم بأن الخلافة زويت عنه

كان الامام عليّ يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه وإتّما اشترك معهم في الشورى كي لا يقال: هو الذي زهد في الخلافة. ويدلّ على أنّه كان يعلم ما بيّت له، الحديث الاتي:

روى البلاذري في ٥ / ١٩ من كتابه أنساب الاشراف:

إنّ عليّاً شكّا إلى عمّه العباس ما سمع من قول عمر: كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وقال: واللّه لقد ذهب الامر منّا. فقال العباس: وكيف قلت ذلك يا ابن أخي؟ فقال: إن سعدا لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة. وإن كان الزبير وطلحة معي فلن انتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الاخرين.

وقال ابن الكلبي: عبد الرحمن بن عوف زوج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط وأمّها أروى بنت كرز وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره. وقريب منه ما في العقد الفريد ٣ / ٧٤. وفي ط. لجنة التأليف ٤ / ٣٧٦.

وفي تاريخ الطبري أن عمارا قال قبل بيعة عبد الرحمن لعثمان: إن أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع عليا.

فقال المقداد بن الاسود: صدق عمار؛ إن بايعت عليّاً قلنا: سمعنا وأطعنا.

قال ابن أبي سرح: إن أردت ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبدالله ابن أبي ربيعة: صدق؛ إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتّم عمار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين!

فتكلم بنو هاشم وبنو أميّة، فقال عمار: أيّها الناس! إنّ الله عزّ وجلّ أكرمنا بنبيّه، وأعزّنا بدينه، فأتّى تصرفون هذا الامر عن أهل بيت نبيكم!

فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوتَ طورك يا بن سميّة؛ وما أنت وتأمير قريش لانفسهما!

فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبدالرحمن! افرغ قبل أن يفتتن الناس.

فقال عبدالرحمن: إنّي قد نظرت وشاورت، فلا تجعلنّ أيّها الرهط على أنفسكم سبيلاً.

ودعا عليّاً، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده؟

قال: أرجو أن افعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي.

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ، قال: نعم، فبايعه.

فقال عليّ: حيوتّه حبّو دهر؛ ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا؛ فصير جميل والله المستعان على ما تصفون؛ والله ما وليت عثمان إلا ليردّ الامر إليك؛ والله كلّ يوم هو في شأن.

فقال عبدالرحمن: يا عليّ! لاتجعل على نفسك سبيلاً؛ فإنّي قد نظرت وشاورتُ الناس؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان.

فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال المقداد: يا عبدالرحمن! أمّا والله لقد تركته من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون.

فقال: يا مقداد؛ والله لقد اجتهدتُ للمسلمين؛ قال: إن كنتَ أردتَ بذلك الله فأتابك الله ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيتُ مثل

ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبئهم. إنني لاعجب من قريش أنهم تركوا رجلا ما أقول إنَّ أحدا أعلم ولا أقضى منه بالعدل.

أما والله لو أجد عليه أعوانا!

فقال عبد الرحمن: يا مقداد؛ اتق الله؛ فإني خائف عليك الفتنة.

فقال رجل للمقداد: رحمك الله! من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل؟

قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل علي بن أبي طالب.

فقال علي: إنَّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول: إن وُلِّيَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم (٦٦).

وروى البلاذري - أيضا - وقال:

(لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يؤمهم فلم يحدنوا شيئا، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال.

وكان دفن عمر يوم الاحد وهو الرابع من يوم طعين، وصلّى عليه صهيب ابن سنان.

قال: فلما رأى عبدالرحمن تناجى القوم وتناظرهم، وأنَّ كلَّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أخرج نفسي وسعدا علي أن أختار يا معشر الاربعة أحذكم، فقد طال التناجى وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم.

فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلا عليا، فإته قال: أنظر.

وأتهم أبو طلحة، فأخبره عبدالرحمن بما عرض وبإجابة القوم إياه إلا عليا فأقبل أبو طلحة على علي فقال: يا أبا الحسن إنَّ أبا محمد ثقة لك وللمسلمين، فما بالك تخالف وقد عدل الامر عن نفسه، فلن يتحمل المأثم لغيره؟

فأحلف علي عبدالرحمن بن عوف أن لايميل إلى هوى، وأن يؤثر الحقَّ وأن يجتهد للامة، وأن لا يُجابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسددا.

وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة.

ثم إنَّ عبدالرحمن أحلف رجلا رجلا منهم بالايمان المغلظة، وأخذ عليهم الموثيق والعهود أنهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلا، وأن يكونوا معه على من يناويه، فحلفوا على ذلك، ثم أخذ بيد علي، فقال له: عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس، ولتسيرن بسيرة رسول الله (ص) لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها.

فقال علي: لا أحمل عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحد. من ذا يطبق سيرة رسول الله (ص) ولكنني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد مني، وبما يمكنني ويقدر علمي.

فأرسل عبد الرحمن يده.

ثم أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والموثيق أن لا يحمل بني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئا من ذلك، فحلف له.

فقال علي: قد أعطاك أبو عبدالله الرضا فشأنك فبايعه، ثم إنَّ عبد الرحمن عاد إلى علي فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر.

فقال علي: علي الاجتهاد، وعثمان يقول نعم، علي عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على أنبيائه أن لا أخالف سيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها.

فبايعه عبد الرحمن وصافقه وبايعه أصحاب الشورى، وكان علي قائما، فقعده، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك.

ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره، فيقال: إنَّ عليًّا خرج مغضبا فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلاَّ جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتَّى بايع عثمان(٦٧).

وفي هذا الخبر حذف من أوَّله قول عبد الرَّحمن (وسيرة الشيخين) ونقل أوَّل كلام الامام عليٍّ بتصرُّف وحذف آخره؛ وتمام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ اليعقوبي ط. بيروت ٢ / ١٦٦: أنَّ عبد الرحمن خلا بعليِّ بن أبي طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الامر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر.

فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت.

فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الامر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر.

فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر.

ثم خلا بعليِّ فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الاول.

ثم خلا بعثمان، فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم خلا بعلي فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إنَّ كتاب الله

وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجري(٦٨) أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الامر عنِّي.

فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده.

دراسة الاخبار السابقة:

في خبر عبدالله بن أبيّ وأبي عامر الفاسق اللذين جاءا في المجلد الأوَّل وإن كان الدافع ممَّا فعلاه الحسد على الرسول (ص) بسبب أن الأوَّل منهما كان الاوس والخزرج اتفقوا على تتويجه ملكا عليهم وبعد هجرة الرسول (ص) إلى المدينة أهمل أمره.

والثاني منهما كان ينتظر أن يكون هو النبي الذي بشرت اليهود ببعثته، فلما رأى أن المبعوث بالرسالة غيره - أيضا - قام مما قام به. غير أن أفراد قبائلهما الذين التفوا حولهما كان ذلك منهم تعصبا لرئيس قبيلتهم ولم يكن له سبب آخر.

والامر بالنسبة إلى المهاجرين من قريش أوضح فان تعصب الصحابي أبي بكر لرئيس من قبيلته قريش وهو كافر واضح لا غموض فيه.

وخبر عبدالله بن عمرو بن العاص في نهى قريش إياه أن يكتب حديث الرسول (ص) معللين نهيم إياه بأنَّ الرسول (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب يدلُّ إضافة إلى الدلالة على تعصبهم القبلي أن عبدالله كان قد كتب من حديث الرسول (ص) ما فيه إيضاح لمواقف بعض قريش من الرسول (ص) والرسالة ومواقف آخرين في تأييد الرسول والرسالة، وكان ذلك وصمة على قبيلة قريش في مقابل إثبات فضائل الآخرين، وأنهم لدفع ذلك اجترأوا على الرسول (ص)، وقالوا: إنَّه بشر يتكلم في الرضا والغضب ليمنعوا عبدالله عن كتابة حديث الرسول (ص) أوَّلا، ويسقطوا ما ينتشر من حديث الرسول في هذا الباب عن الاعتبار ثانيا، وإن جميع الاطراف الذين ذكرناهم اتخذت تلك المواقف بسبب التعصب القبلي.

وفي ضوء ما ذكرناه ندرس ما وقع بعد حياة الرسول (ص) في السقيفة:

توفي الرسول (ص)، وانصرف علي والعباس ومن معهما بتجهيزه ودفنه فاجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة وتركوا جنازة الرسول (ص) بين أهله وخطب فيهم ساعد بن عباد الخزرجي وهو مريض وقال: استبدوا بهذا الامر دون الناس فأجابوه بأجمعهم أن وفقت في الرأي وأصبت في القول، نوليك هذا الامر!!

من الواضح ان الانصار لم يستندوا في ما فعلوا إلى كتاب الله ولا سنة رسوله بل كان باعثهم إلى ذلك التعصب القبلي الجاهلي، وصدق الله حيث يقول:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران / ١٤٤)

وكذلك كان شأن المهاجرين من قريش كما يتضح ذلك - أيضا - من أقوالهم.

فقد قال أبو بكر: (لن يعرف هذا الامر إلا لهذا الحي من قريش هم اوسط العرب نسبا ودارا).

وقال عمر:

من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته.

وقال الحباب بن المنذر:

لاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصبيكم من هذا الامر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد.

ولمّا تمّت بيعة أبي بكر تهاجت القبيلتان فقال ابن أبي عزة القرشي:

قل للألى طلبوا الخلافة زلّة

لم يخط مثل خطاهم مخلوق

إنّ الخلافة في قريش ما لكم

فيها وربّ محمّد معروق

فطلب الانصار من شاعرهم النعمان بن عجلان ان يجيب فقال شعرا منه قوله:

فقل لقريش نحن أصحاب مكّة

ويوم حنين والفوارس في بدر

الابيات

ثمّ اجتمع سفهاء قريش وخطبوا في ذلك وهاجوا فبلغ الخبر عليّاً فأتى المسجد مغضبا وخطب فيه وقال:

يا معشر قريش! إنّ حبّ الانصار إيمان وبغضهم نفاق... الخطبة.

فقال المسلمون جميعا: (رحمك الله يا أبا الحسن قلت قولا صادقا).

وهكذا هدأ الامام علي الثائرة بين الحيين.

وبعد ذلك لمّا جهز أبو بكر الجيوش للقتال لم يؤمر أحدا من الانصار فقام ثابت بن قيس الشّمّاس فقال: يا معشر قريش! أمّا كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له؟

أمّا والله ما نحن عميا عمّا نرى، ولا صمّا عمّا نسمع ولكن أمرنا رسول الله بالصبر فنحن نصبر.

وقام حسان بن ثابت فقال:

يا للرجال لخلفة الاطوار

ولمّا أراد القوم بالانصار

لم يدخلوا منا رئيسا واحدا

يا صاح في نقض ولا إمرار

فجعل أبو بكر على الانصار - من الجيش - ثابت بن قيس، واستمرّت بعد ذلك سياسة الحكم القرشيّ على ما أسس عليه دونما تغيير، ومن ثمّ عين الخليفة أبو بكر من بعده الصحابي القرشيّ عمر للحكم وقام الخليفة الثاني بتنفيذ السياسة القرشية على

عهدة بكل شدّة وعنف كما ندرس اخبارها في بحث من تاريخ القرآن الاتي إن شاء الله تعالى، وكان من أصول سياسة الخلافة القرشية تداول الحكم في بطون قريش دون بطن هاشم كما مرّ بنا في محاوره الخليفة مع ابن عباس.

٦٦ تاريخ الطبري ط. أوروبا ١ / ٢٧٨٦ - ٢٧٨٧.

٦٧ أنساب الاشراف ٥ / ٢١ - ٢٢.

٦٨ الأجيال بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

خلاصة البحوث:

كانت قبيلة قريش في الجاهلية بحكم أحوالها الاجتماعية والجغرافية ذات طبيعة استكبارية استعلائية، فقد كانت ترى في نسيها أنّها من سلالة نبي الله إسماعيل وإبراهيم ٨ دون جميع قبائل العرب، وأنّها في أحسابها تتشرف بسدانة بيت الله الحرام والقيام باطعام ضيوف الله من جميع قبائل العرب في الحج وارتوائهم، وتقام حوالى بلدهم أسواق العرب.

وتضيف إلى حسابها اهلاك الله جيش ابرهة الغازي لبلدها، وازدادت تعاليا وبغيا وطغيانا بامتلاكها ثروات ضخمة بسبب تجارتها في رحلتها الشتاء والصيف، وصدق الله العظيم حيث يقول: (إِنَّ الْأُنثَىٰ لَطَيْفَىٰ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْثَىٰ).

وبسبب ما أنعم الله عليها من الامن والدعة لمكان بيت الله الحرام في بلدهم في حين ان الانسان العربي كان من حولهم يتخطف في غير الاشهر الحرم ويغزو بعضهم البعض الاخر ويقتل ويسبي ويسلب.

أدّى كل ذلك بهم إلى التماذي في أنواع الدعارة والفجور، في هذه الاحوال ومن هذه القبيلة المستكبرة المتعترسة أرسل الله من أوسطها نسبا وأشرفها حسبا خاتم أنبيائه محمدا (ص) إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا فقابلته قريش، وقاومته بكل ما أوتيت من حول و قوة وعدّبت المستضعفين ممّن آمن به إلى حد الموت كما مرّ بنا بعض أخبارهم في بحث المجتمع الذي نزل فيه القرآن. فأوعز النبي إلى المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة بعيدا عن بلدهم وعن كل ما يملكون فيه من وسائل الحياة وحفظ الله نبيّه بحماية شيخ مكة وسيدها أبي طالب إياه، حتّى إذا توفي ناصره وحاميّه تأمرت قريش على قتله بعد ان التقى به رجال من الاوس والخزرج في الحج في عامين متواليين وبايعوه على القيام بنصرته وتسلسل إلى المدينة متدرّجا من استطاع ممّن بقي من المؤمنين به، وخرج هو في ليلة تأمرهم على قتله من مكة والتحق بهم في المدينة وأشاد فيها أول مجتمع إسلامي أسس بنيانه على التأخي بين أهله من الاوس والخزرج ومن هاجر إليهم من قريش والتآلف والتحالف مع مواطني المدينة من اليهود فلم تتركه قريش وشأنه في مهجره، بل جهّزت لقتاله جيشا بعد جيش، فأذن الله لرسوله قتالهم وقال - سبحانه :-

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...). (الحجّ / ٣٩ ، ٤٠)

وواجهت قريش رسول الله (ص) في معارك أشهرها: بدر وأحد والخندق وفي خلال حروبه مع قريش قلبت له حلفاؤه اليهود ظهر المجنّ، ونقضت ما عاهدوا الله عليه، وحاولوا اغتياله فأجلى منهم قبيلتين من المدينة.

وفي غزوة الخندق تأمرت عليه آخر قبيلة بقيت منهم في المدينة مع قريش وحلفائها فأخزاهم الله جميعا ورجعت قريش خائبة وفضى الله ورسوله على شان اليهود في المدينة.

وفي السنة السادسة من الهجرة وقعت مناظرة بين الانصار والمهاجرين بسبب شجار وقع بين أجيرين: القرشي المهاجري والانصاري القحطاني أظهر بسببه عبدالله بن أبي أحد زعماء الانصار نفاقه وقال: (لئن رجعتا إلى المدينة ليخرحن الأعرس منها الأذلّ). (المنافقون / ٨)

قصد من الاعزّ نفسه ومن الاذلّ المهاجرين من قريش، فأخزاه الله وأذله، وكشف عن نفاقه في ما أنزل على نبيه من القرآن في سورة المنافقين.

كان ذلكم مثلا واحدا يكشف عما يدور في خلد ضعاف النفوس من أفراد قبائل اليمانيين في المدينة.

ومثال آخر منه ما جرى في خبر أبي عامر الفاسق كما سبق ذكره.

وإلى هذا المجتمع انتقل المهاجري القرشي بأحسابه وأنسابه كما ينجلي ذلك:

أولاً: في قول أبي بكرٍ لسلمان وصهيب وبلال عندما قالوا في شأن أبي سفيان: واللّه ما أخذت سيوف اللّه من عنق عدوّ اللّه مأخذها. قال أبو بكر: اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

ثانياً: في ما رواه عبد اللّه بن عمرو بن العاص وقال: نهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول اللّه (ص) ورسول اللّه بشر يتكلم في الرضا والغضب... الحديث، كما مرّ تفصيل الخبرين في ما سبق.

وفي السنة السابعة من الهجرة وادع رسول اللّه (ص) قريشا، وتفرغ بعد ذلك لليهود، واتّجه إلى مراكز التأمّر على المسلمين في خيبر وفتح حصونهم حصنا بعد حصن وقراهم في وادي القرى قرية بعد قرية، ولم يبق بعد ذلك في الحجاز قوّة يهودية تتأمّر على الاسلام والمسلمين.

وعاهدت نصارى نجران الرسول (ص) وعلى أثر ذلك بدأت قبائل العرب ترسل وفودها إلى الرسول (ص) تعلن إسلامها، وفي هذا الحال نقضت قريش عهدها في صلح الحديبية مع الرسول (ص)، وقتلت من خزاعة حلفاء الرسول (ص) فسار الرسول إلى مكة في السنة الثامنة من الهجرة مع عشرة آلاف من المسلمين فاستسلمت قريش، ودخلوا في الاسلام زرافات ووحدانا.

وبعد ذلك انتقل أبو سفيان وغيره من سادة قريش إلى عاصمة الاسلام المدينة واجتمعوا مع أفراد قبائلهم من مهاجرة قريش وتكاثر عددهم وامتهنوا التجارة ونمت ثرواتهم.

وهكذا انقسم سكان المدينة على اليمانيين من قبائل الانصار والعدنانيين من قبائل قريش.

أخبار القرآن بعد الرسول (ص)

أوردنا في ما سبق أخبار القرآن في حياة الرسول، ونذكر في ما يأتي أخبار القرآن بعد وفاة الرسول بدءا بما يتصل خبره بحياة الرسول (ص) بحوله تعالى.

من المؤسف حقا: أن العلماء لم يفكروا في ان الرسول (ص) الذي بعث لتبليغ القرآن وجمعه وبيانه كما شيرحناه في أول البحث كان يستكتب أربعين كاتباً لما يعنيه من أمر، وكان كلما نزلت آية أمر بعضهم أن يكتبها في مكانها من السورة التي عينها الله كذلك، هل حفظ هذا الرسول (ص) نسخة من القرآن خاصة به في بيته أم لم يفعل؟

إنّ العلماء لم يفكروا في هذا الامر ليجثوا في مضامين الاخبار والاحاديث لعلمهم يجدون في هذا الشأن خيرا وأثرا، ووفقنا الله تعالى ذكره لذلك وتوصلنا إلى النتيجة الآتية بمنه وكرمه:

أمر الرسول (ص) الامام عليا أن يجمع القرآن الذي كان في بيته(٦٩):

أ - روى النديم في الفهرست / ص ٤١ بسنده عن علي (ع) وقال: أتت رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي (ص)، فأقسم الله لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه... (٧٠).

ب - في حلية الاولياء لابن نعيم بسنده عن الامام علي أنه قال: لما قبض رسول الله (ص) أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن(٧١).

ج - روى السيوطي في الاتقان بسنده عن ابن سيرين أنه قال عن الامام علي (ع): (أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وأنه قال: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه)(٧٢).

د - روى - أيضا - ابن سعد في الطبقات عن ابن سيرين أنه كتبه على تنزيله فلو اصاب ذلك الكتاب كان فيه علم(٧٣).

هـ - في كتاب سليم بن قيس قال: روى عن الصحابي سلمان أنه أخبر عن الامام (ع) بعد وفاة النبي (ص) وقال:

لزم بيته، وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه، فكان في الصحف والشظاظ والاسيار والرقاع، فلما جمعه كله وكتبه بيده، تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر أن أخرج فيبيع.

فبعث إليه علي (ع) إني لمشغول، وقد آليت على نفسي ان لا أرتدي رداء إلا للصلاة، حتى أولف القرآن وأجمعه. فسكتوا عنه أياما،

فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله (ص)، فنادى علي (ع) بأعلى صوته: أيتها الناس! إني لم أزل منذ قبض رسول الله (ص) مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد، فلم ينزل الله على رسول الله آية إلا وقد جمعتها، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله وعلمني تأويلها، ثم قال لهم علي (ع) لنلاً تقولوا غداً إننا كنا عن هذا غافلين، ثم قال لهم علي (ع): لا تقولوا يوم القيامة إني لم أدعكم إلى نصرتي، ولم أذكركم حقّي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته.

فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن ممّا تدعونا إليه، ثم دخل علي(ع) بيته(٧٤).

وانفرد اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٢٤) وجاء عن بعضهم أنّه قال: (ان علي ابن أبي طالب كان جمعه - أي القرآن - لما قبض النبي (ص) وأتى به يحمله على جمل، فقال: هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء فالجزء الأوّل...).

وقال الكلبي:

لمّا توفي رسول الله (ص) قعد عليّ بن أبي طالب (ع) في بيته فجمعه على ترتيب نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير(٧٥).

وقال عكرمة:

لو اجتمعت الانس والجن على أن يأفوه كتأليف علي بن أبي طالب (ع) ما استطاعوا(٧٦).

وأرى الصحيح في ذلك ما رواه الشهرستاني من أنّه حملة وغلّامه، وأنّه كان حمل بعير، في مقدمة تفسيره مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار في تفسير القرآن:

أنّه كان في مصحفه المتن والحواشي.

ويروي أنّه لما فرغ من جمعه أخرجه هو وغلّامه قنبر إلى الناس، وهم في المسجد يحملانه ولا يقلّانه.

وقيل أنّه كان حمل بعير، وقال لهم هذا كتاب الله كما انزل الله على محمّد(ص) جمعه بين اللوحين.

فقالوا: ارفع مصحفك لا حاجة بنا إليه.

فقال: والله لا ترونه بعد هذا أبداً، إنما كان عليّ ان اخبركم به حين جمعته. فرجع إلى بيته... (٧٧).

إذا فقد حملة الامام مع غلامه قنبر، وكان حمل بعير، وليس حملة على جمل وذلك لان بيت الامام علي كان بابه يفتح إلى المسجد.

وينبغي لنا أن ندرس خبر سليم بن قيس وأصله.

٦٩ كما سيأتي في بحث: ابن كان القرآن الذي جمعه الامام علي الاتي.

٧٠ الفهرست للنديم ص ٤١ - ٤٢ وقريب منه في الاتقان للسيوطي ١ / ٥٩ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٢٨. وما جاء في بعض الروايات: (جمع فيه القرآن من قلبه) وفي أخرى: (وكتبه بيده) إمّا أن يكون من أوهام الرواة أو من أوهام النساخ فإنّه لا يتيسر كتابة القرآن عن ظهر قلب في ثلاثة أيّام، ثمّ إنهم اتفقوا على أنّه كان في تلك النسخة علم أي تفسير الايات وعليه فلا يتيسر كتابته في ثلاثة أيّام وإنّما الذي قام به الامام علي (ع) ربط ما كتب من أي السور بعضها ببعض الآخر بخيط.

٧١ حلية الاولياء لابي نعيم ١ / ٦٧؛ وتاريخ القرآن للباري ص ٨٤.

٧٢ الاتقان للسيوطي ١ / ٥٩؛ ومناهل العرفان ١ / ٢٤٧؛ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٢٨؛ والصواعق المحرقة ص ١٢٦؛ وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٨.

٧٣ طبقات ابن سعد ٢ / ٣٢٨؛ وط. أوروبا ٢ / ق ١٠١؛ وتاريخ الخلفاء ص ١٨٥؛ وكنز العمال ٢ / ٣٧٣؛ والصواعق المحرقة ص ١٢٦.

٧٤ كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٨ - ١٩، وذكر ابن كثير موجز هذه الاخبار في (فضائل القرآن من ذيل تفسيره) ص ٢٨.

٧٥ التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٤.

أصل سليم أو كتاب سليم:

لابي صادق سليم بن قيس الهلالي العامري صاحب الامام علي (ع) كتاب. وأدرك سائر الائمة إلى الامام الباقر - (ع) - .

روى الكتاب عنه مناولة أبان بن أبي عياش كما رواه عنه النديم في أخبار فقهاء الشيعة وما صنّفه من الكتب وقال:

قال محمّد بن إسحاق (ت: ٥١٥١هـ): من أصحاب أمير المؤمنين (ع) سليم ابن قيس الهلالي، وكان هاربا من الحجاج، لآته طلبه ليقتله، فلجأ إلى أبان بن أبي عياش، فأواه، فلما حضرته الوفاة، قال لابان: إن لك عليّ حقا، وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي، إنّه كان من أمر رسول الله (ص) كيت وكيت وأعطاه كتابا، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه أبان بن أبي عياش لم يروه عنه غيره.

وقال أبان في حديثه: وكان - سليم بن - قيس شيخا له نور يعلوه... الحديث (٧٨).

روى عنه المسعودي في التنبيه والاشراف (٧٩) وقال:

(... ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش ان النبي (ص) قال لامير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (ع) (... الحديث.

وروى الفضل بن شاذان (ت: ٥٢٦٠هـ) وقال: حدثنا محمّد بن إسماعيل بن بزيع قال حدثنا ابن عيسى (ت: ٥٢٠٨هـ).. ذكرت هذا

الحديث عند مولاي أبي عبدالله أي الصادق (ع) فبكي، وقال: صدق سليم.

ويروي الكتاب عن سليم بغير مناولة جمع من الرواة ذكرهم الشيخ آغا بزرك في الذريعة (٢ / ١٥٢).

وقد روى عن الكتاب جمع من علماء الامامية مثل الكليني والصدوق ومن جاء بعدهم.

وينبغي مقابلة الكتاب المتداول بيننا باسم (اصل سليم) بما رواه أولئك الاعلام عنه، فان الكتاب المطبوع والمتداول بين أيدينا غير سليم عن التحريف، شأنه شأن مقتل أبي مخنف، فان ما رواه عنه الطبري سليم، والكتاب المطبوع باسم مقتل أبي مخنف فيه بعض التحريف.

٧٨ الفهرست، الفن الخامس من المقالة السادسة، أخبار فقهاء الشيعة وأسماء ما صنّفه من كتب ص ٣٠٧ وط. طهران ص ٢٧٥. وفي الاصل (قيس) ونراه من غلط الناسخ والصحيح ما أثبتناه.

٧٩ كتاب التنبيه والاشراف ص ١٩٨ - ١٩٩.

ينبغي أن ندرس من خبر تدوين الامام علي القرآن ما يأتي:

١ - اهتمام الامام علي (ع) بجمع القرآن:

من أجل أن نفهم مغزى هذا العمل من الامام ينبغي ان ندرسه مقارنا باهتمامه تجهيز جثمان الرسول في حين ان الصحابة اهتموا بأمر الخلافة وانصرفوا.

ذكرنا في أخبار السقيفة الانفة:

أن الانصار عندما توفي الرسول (ص) اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وتبعهم المهاجرون يتجادلون على أمر الخلافة، وتركوا جثمان الرسول (ص) بين أهله يُغسله الامام علي (ع) ومن معه، ولما انتهى اليهم خير السقيفة أراد العباس أن يبايع الامام، فأبى، وقال: لنا بجهاز رسول الله شغل.

ولم يفارق جثمان الرسول (ص) حتى صلى المسلمون عليه بقية يوم الاثنين وتمام يوم الثلاثاء ثم دفنه (ص) ليلة الاربعاء بعد ان تمت البيعة لابي بكر.

وكان عملهم ذلك بعد وفاة الرسول نظير عملهم في حياته كما أخبر الله - تعالى - عنه وقال في سورة الجمعة:

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفِصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللّٰهُوَ وَمِنَ التِّجَارَةِ...). (الجمعة / ١١)

وروى الطبري والقرطبي والسيوطي في شأن نزول هذه الاية بتفاسيرهم وقالوا:

قدمت المدينة تجارة معها طبل - فانصرفوا إليها - وتركوا رسول الله (ص) قائما على المنبر ، وبقي منهم في المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة أو أقل من ذلك يخطب خطبة صلاة الجمعة، فقال رسول الله (ص): لو تتابعتم لتأجج الوادي نارا(٨٠).

* * *

كان ذلك موقف الامام علي من جثمان الرسول ومن القرآن بعد وفاة الرسول(ص)، وقد درسنا خبره مع جثمان الرسول في أخبار السقيفة، وتدرس في ما يأتي عمل الامام في جمعه للقرآن بعد وفاة الرسول.

٢ - كيف جمع الامام القرآن مع تأويله وتنزيله بعد وفاة الرسول (ص):

قالوا ما موجه: لما انتهى الامام علي من جهاز رسول الله (ص) جلس في بيته وانكب على القرآن يجمعه مع تنزيله وتأويله وما فيه من ذكر الحكم الناسخ والحكم المنسوخ فبعث إليه أبو بكر بعد ان تمت البيعة له يدعوه إلى بيعة، فاجابه أني لمشغول بالقرآن أجمعه، وأليت على نفسي ألا أرتدي رداء إلا للصلاة.

خلاصة الروايات:

أ - اتفقت الروايات على ما ذكر مع اختلاف في التعبير، وشيخ من روى مثل ابن أبي داود في ص ١٠ من المصاحف أن أبا بكر أرسل إلى الامام فقال: (أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله...)(٨١).

فقد أوردنا في خبر السقيفة عن صحيح البخاري وغيره ان الامام لم يبايع حتى توفيت ابنة رسول الله (ص).

ب - اتفق محتوى الروايات على ان الامام كان قد جمع القرآن جمعا كما نسميه اليوم بالتفسير، فقد قال ابن سيرين: كتب فيه الناسخ والمنسوخ، وليس المقصود الايات التي تسمى بالناسخة والمنسوخة، وإلا لقال: الناسخ والمنسوخة، ثم إن إيراد الايات المسماة بالناسخة والمنسوخة لا يخص ما كتبه الامام بل إنه عام لكل من كتب القرآن.

ويؤيد ذلك قول ابن سيرين ((فلو اصيب ذلك الكتاب كان فيه علم)) فآته لو كان ما كتبه الامام مجردا عن التفسير كما دون القرآن بعد ذلك وتناولته الايدي إلى عصرنا لما خص ابن سيرين القول في ما كتبه الامام بأن فيه علما(٨٢).

ج - اتفق محتوى الروايات بان أحدا لم ير ما كتبه الامام علي فما خبره؟

نجد تمام الخير عند سليم حين يروي عن سلمان أن الامام جاء به إلى المسجد، وعرضه عليهم، فامتنعوا من قبوله، فدخل علي بيته مع ما كتب.

د - وبناء على ما أثبتناه من روى شيئا عن ذلك الكتاب غير الائمة من أولاد الامام علي كان عمله رجما بالغيب ولا يصدق.

٨٠ أخرج الروايات مسلم في كتاب الجمعة ٢ / ٥٩٠ من صحيحه مفصلا، والبخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الامام ١ / ١١٦.

٨١ تاريخ الخلفاء ص ١٦٥؛ والصواعق المحرقة ص ١٢٦؛ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٢٨؛ وكنز العمال ٢ / ٢٧٣؛ وأنساب الاشراف ١ / ٥٨٧.

٣ - ابن كان القرآن الذي جمعه الامام عليّ:

كل الروايات الماضية لم تعين أين كان القرآن الذي جمعه الامام بعد وفاة الرسول (ص)، وقد عيّن الامام الصادق جعفر بن محمد من أين أخذ الامام ذلك القرآن، وقال: إن رسول الله (ص) قال لعليّ: يا عليّ القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقراطيس، فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة.

فانطلق عليّ فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم عليه في بيته. وقال: لا أرثدي حتى أجمعه.

وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه.

قال: وقال رسول الله (ص): لو أنّ الناس قرأوا القرآن كما أنزل ما اختلف اثنان (٨٣).

وفي البحار - ايضاً - عن أبي رافع أنّه قال: إن النبيّ (ص) قال في مرضه الذي توفّي فيه لعليّ: يا عليّ! هذا كتاب الله خذّه إليك.

فجمعه عليّ في ثوب، فمضى إلى منزله، فلمّا قبض النبيّ (ص) جلس عليّ فألفه كما أنزله الله، وكان به عالماً (٨٤).

وقال السيوطي: (كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله (ص) لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور) (٨٥).

وأصدق القول في هذا الخبر وأجمعه قول الامام الذي رواه الطبرسي وغيره، قال:

ولقد جئتهم بالكتاب كمالاً مشتملاً على التأويل والتنزيل (٨٦).

دراسة الخبر:

أ - التنزيل: المراد بالتنزيل هنا القرآن الذي أنزل الله لفظه على الرسول (ص) كما يظهر ذلك من قوله تعالى:

(حم * تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). (فصلت / ١ - ٣)

ب - التأويل: ما يؤول إليه اللفظ، والمراد منه هنا بيان الايات التي بلغها الرسول (ص).

ج - الكتاب: جاء تفسيره في قوله بعده: (كلاماً مشتملاً على التأويل والتنزيل) أي كان الكتاب الذي حمله الامام إليهم كاملاً مشتملاً على القرآن الذي أوحى الله لفظه إلى رسوله (ص) مع بيان الايات وتفسيرها، التي أوحى الله إلى الرسول (ص) معناها وبلغها الرسول (ص) بلفظه إلى أصحابه عامة وإلى ابن عمّه خاصّة. وكذلك كانت مصاحف الصحابة قبل أن يجردها عن حديث الرسول (ص).

وعلى هذا فإنّ في كلام الامام تعريضا بالمصاحف التي جردت من حديث الرسول (ص) بعد الرسول (ص) وتصريحاً بأن المصحف الذي جاء به إليهم كان كاملاً لم ينقص منه حديث الرسول (ص) في بيان الايات. وفي ضوء كلام الامام يجوز لنا أن نفسر اختلاف مصاحف الصحابة بوجود بيان الرسول (ص) في تفسير الايات ببعض مصاحف الصحابة دون بعض الاخر، وأنّه لم يكن الاختلاف بينها في النص القرآني.

ولولا أنّ القرآن الذي جمعه الامام عليّ بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة كان في بيت رسول الله (ص) ولم يكن قبل ذلك في بيت الامام عليّ لما اقتضى الامر أن يهتم الامام بأمر جمعه بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة وأن لا يغادر بيته ولا يرتدي رداءه، حتى يجمعه.

وبناء عليه فإنّ القرآن الذي أخذه الامام عليّ من بيت رسول الله (ص) وجمعه هو القرآن الذي كان رسول الله (ص) يأمر كتّابه بتدوين آياته عند نزولها بإشرافه، غير ان ذلك القرآن كان موزّعاً في صحف ورقاع وما شابههما فجمعهها الامام بضم بعضها إلى بعض في ثلاثة أيام.

ولابدّ أن يكون مع الايات التي دونت بأمر الرسول (ص) ما أوحى الله - تعالى - إليه في شرحها يحتاج إلى الشرح والبيان مثل بيان عدد ركعات الصلاة وإدكارها وشأن نزول الايات وفي أي مناسبة نزلت، ولذلك كانوا يقولون (لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه علم).

ولو كان مكتوباً فيه الآيات دون شرح لما قالوا ذلك، وبما أن عصبة الخلافة كانوا يعلمون أن في ما دون في ذلك المصحف في بيان الآيات بأمر الرسول (ص) ومما أوحى إليه يخالف سياسة الحكم أبوا أن يقبلوا ذلك المصحف فرجعه الامام إلى بيته، وورثه من بعده الأئمة من بنيه كابرا بعد كابر.

وينبغي أن نشير هنا أن الرسول (ص) كان قد أعد وصيّه الامام عليّاً (ع) في حياته للقيام بهذا العمل، فقد روى ابن سعد في طبقاته بسنده عن الامام عليّ (ع) أنّه قال: واللّه ما نزلت آية إلاّ وقد علمت في ما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي أعطاني قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً.

وقال: سلوني عن كتاب اللّه فانه ليس من آية إلاّ وقد عرفت ليل نزلت أم بنهار في سهل نزلت أم في جبل (٨٧).

وقد تأتي له ذلك بما اختصّ به من قربي رسول اللّه (ص) وقربه.

روى التّيسائي وابن ماجه وأحمد واللفظ للاول بسندهم عن الامام عليّ أنّه قال: كانت لي منزلة من رسول اللّه (ص) لم تكن لاحد من الخلائق، فكنت آتية كل سحر، فأقول: السلام عليك يا نبي الله، فان تنحنح انصرفت إلى أهلي، وإلاّ دخلت عليه.

وقال: كان لي من رسول اللّه (ص) ساعة آتية فإذا أتيت فيها استأذنت، ان وجدته يصلي تنحنح، وان وجدته فارغاً أذن لي.

وقال: كان لي من رسول اللّه (ص) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار، فكنت إذا دخلت بالليل تنحنح (٨٨).

وقد روى زيد بن عليّ بن الحسين (ع) هذا الخبر عن جده وقال:

قال أمير المؤمنين (ع) : ما دخل في رأسي نوم ولا عهد إليّ رسول اللّه (ص) حتّى علمت من رسول اللّه (ص) ما نزل به جبرائيل في ذلك اليوم من حلال أو حرام أو سنة أو أمر أو نهى في ما نزل فيه وفي من نزل.

قال الراوي: فخرنا، فلقينا المعتزلة، فذكرنا ذلك لهم، فقالوا: ان هذا الامر عظيم كيف يكون هذا وقد كان أحدهما يغيب عن صاحبه فكيف يعلم هذا؟

قال : فرجعنا إلى زيد فأخبرناه بردهم علينا، فقال: يتحفظ على رسول اللّه (ص) عدد الايام التي غاب بها، فاذا التقيا، قال له رسول اللّه (ص): يا عليّ! نزل عليّ يوم كذا: كذا وكذا وفي يوم كذا: كذا وكذا، حتى يعدهما إلى آخر اليوم الذي وافى فيه ما خبرناهم بذلك (٨٩).

وقد يوجه إلينا في هذا المقام سؤال آخر وهو:

إنّ كان في ما جمعه الامام (ع) من بيت الرسول (ص) ما يحتاجه الناس في فهم القرآن فما جدواه بعد أن أخذه الامام إلى بيته وأخفاه؟

والجواب: ان اللّه - سبحانه - بمقتضى وعده في قوله: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) وقوله: (تُؤْتِيهِمُ إِنَّا عَلَيْنَا بَيِّنَاتٌ) جمع في صدر الرسول (ص) وبينه له، والرسول (ص) بمقتضى رسالته بلغ من حضرة ما احتاجوها منها وأمر وصيه الذي كان قد أعده لذلك يجمعه في مصحف بعد وفاته، ففعل ذلك، ثمّ أخرجهم إلى الناس، وعرضه عليهم، ولما امتنعوا من قبوله أخفاه يومذاك كي لا يصيب ما جمعه ما أصاب مصاحف سائر الصحابة من الحرق كما سنيبه في ما يأتي إن شاء اللّه تعالى، وبفعله ذلك حفظ ما جمعه من بيت الرسول من التلف آنذاك، ثمّ ورثه الأئمة من ولده، ليفيضوا من علمه طوال القرون على من شاء أن يأخذ منهم علوم القرآن، وقد قال اللّه - سبحانه -: (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ) وقال - تعالى -: (أَنْتُمْ كُفْرًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) حتّى إذا ظهر المهدي (ع) من ولده وحكم الناس أظهره بأمر اللّه - جل اسمه - وأمر بتعليم الناس إياه في مسجد الكوفة: كما سنشرحه في المجلد الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

لا ينافي ما ذكرناه حول هذه النسخة من القرآن وتفسيره الخاص بالرسول (ص) وجود نسخ أخرى لدى الصحابة ومن ضمنهم الامام عليّ (ع) يكون مع بعضها ما انتهى إليهم من بيان من الرسول حول بعض الآيات كما سندرسه في البحث الاتي إن شاء الله تعالى.

* * *

وقع ما ذكرناه بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة، ولما استقام الامر للخلفاء بعد الرسول (ص) كانت لهم سياسة خاصة بشأن القرآن نذكرها في ما يأتي بحوله تعالى.

٨٢ في البحار ٩٢ / ٤٨ و٥٢ نقلا عن تفسير القمي ص ٧٤٥؛ وعمدة القاري ٢٠ / ١٦؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٦؛ والمناقب لابن شهر آشوب ٢ / ٤١؛ والاتقان للسيوطي ١ / ٥٩.

٨٤ في البحار ٩٢ / ٥١ - ٥٢. أبو رافع مولى رسول الله واختلفوا في اسمه فقيل: أسلم وقيل إبراهيم وقيل صالح، توفي في خلافة الامام علي، راجع ترجمته في تراجم الاسماء المذكورة في أسد الغابة. ومناقب آل أبي طالب ٢ / ٤١.

٨٥ الاتقان للسيوطي ١ / ٥٩؛ ومناهل العرفان للزرقاني ١ / ٢٤٠.

٨٦ الاحتجاج للطبرسي ط. النجف الاشرف سنة ١٣٨٦هـ / ١ / ٣٨٢؛ والبحار للمجلسي ط. طهران ٩٣ / ١٢٥ - ١٢٦.

٨٧ طبقات ابن سعد ط. بيروت ٢٥١٣٧٦ / ٣٣٨.

٨٨ الروايات الثلاث في سنن النيسائي ١ / ١٧٨، كتاب السهو، باب التنح في الصلاة، وفي طبعة دار إحياء التراث العربي في بيروت ٢ / ١٢، والرواية الثالثة في سنن ابن ماجة (ج٣٧٠٨) من باب الاستئذان بكتاب الادب، والرواية الأولى بمسند أحمد ١ / ٨٥ والثالثة في ١ / ٨٠.

٨٩ بصائر الدرجات ص ١٩٧.

أخبار القرآن على عهد الخليفة أبي بكر

تمهيد في بيان سياسة الحكم مع القرآن بعد الرسول (ص) كانت سياسة جمع القرآن من قبل الخلفاء الثلاثة نابعة عن سياستهم مع حديث الرسول كما درسناه في بحث اختلاف المصاحف، وفي ما عدا ذلك اتبع الحكام والمسلمون الانظمة التي سنّها الرسول في شأن اقراء القرآن وتدوينه من حيث مواضع الايات في السور وترتيب السور كما هو عليه القرآن في عصرنا الحاضر. وانتشر الاقراء والتدوين في كل بلد حل فيه المسلمون، ونبدأ في ما يأتي أولا بايراد بعض أخبار التقارؤ والقراء ثم نتبعها بخبر تدوين القرآن إن شاء الله تعالى.

سياسة الحكم في شأن القرآن:

مرّ بنا في ذكر نظام الاقراء على عهد رسول الله أنّه (ص) كان يقرئهم عشر آيات فلا يجاوزونها حتّى يعلمهم ما فيها من العلم والعمل، ولفظ الرسول (ص) الذي كان يعلمهم به ما في الايات من العلم والعمل يسمى في المصطلح الاسلامي بحديث الرسول، فانهم كانوا يتعلمون من الرسول (ص) القرآن وحديث الرسول الذي يفسر القرآن.

هذا ما كان على عهد الرسول (ص)، ووجد في عصر أبي بكر ما رواه الذهبي وقال: أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: انكم تحدثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله (ص) شيئا، فمن سألكم فقولوا: بينا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه(١).

نظرة في هذا الخبر وهذه التوصية:

إنّ هذه التوصية وردت بلفظ آخر من الخليفة عمر حين قال: (جرّدوا القرآن...) كما يأتي بيانه في خبر القرآن على عهده، وهو مؤدّى الشعاررفعه عمر يوم وفاة الرسول (ص) عندما طلب منهم الرسول (ص) وقال ((هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده)).

فقال عمر: عندنا كتاب الله حسبنا كتاب الله.

إذا فالغاية من كلّ هذه المحاولات منع انتشار حديث الرسول (ص) سواء كان تفسيرا للقرآن، أم كان في بيان أمر آخر.

ترى ما السبب في ذلك؟!

أما الخليفة أبو بكر، فقد علّل نهيّه عن التحديث عن رسول الله (ص) بانهم سوف يختلفون فيها.

* * *

وسوف نرى في ما يأتي - إن شاء الله تعالى - ونذكر ان سبب نهيهم عن نشر حديث الرسول (ص) تخوفهم من انتشار ما يخالف سياسة الحكم عندهم.

وكان من جملة حديث رسول الله (ص) المنهي عن نشره ما كان تفسير الآيات من القرآن التي فيها فضيلة لمنافسي سلطة الخلفاء أو منافسي قبيلتهم قريش، ولهذا السبب أصدر الخليفة أبو بكر مرسوم (لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه).

ورفع قبله عمر شعار حسبنا كتاب الله.

وسوف نرى في ما يأتي كيف أصبح الكلامان شعاراً لسياسة الخلفاء في شأن القرآن وحديث الرسول وكيف نفذوهما بكل اتقان مصحوباً - غالباً ما - بشدة وعنف في عهد الخليفين عمر وعثمان خاصة.

وندرس كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

١ تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢ - ٣ بترجمة أبي بكر.

تدوين القرآن:

أمر الخليفة أبو بكر بتدوين القرآن مجرداً من حديث الرسول (ص) على عهده، وتم العمل على عهد عمر، كما سندرسه في أخبار التدوين على عهد الخليفة عمر إن شاء الله تعالى.

من أخبار القراء في عصر أبي بكر:

من أخبار القراءة والقراء في عصر أبي بكر ما أورده ابن كثير في باب جمع القرآن من فضائل القرآن ذيل تفسيره وقال:

((ان مسيلمة التف مع من المرتدين قريب من مائة الف، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفاً، فالتقوا معهم فانكشف الجيش الاسلامي لكثرة من فيه من الاعراب.

فنادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا. يقولون: ميزنا من هؤلاء الاعراب.

فتميزوا منهم، وانفردوا، فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف.

ثم صدقوا الحملة، وقتلوا قتالاً شديداً، وجعلوا يتنادون يا أصحاب سورة البقرة.

فلم يزل ذلك دأبهم، حتى فتح الله...

وفي تاريخ خليفة بن خياط: كان جميع القتلى من المسلمين أربعمئة وخمسين رجلاً أو خمسمئة رجل وكان ممن قتل من المهاجرين والانصار مائة وأربعون رجلاً فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن(٢).

دراسة الخبر:

في هذا الخبر في الجيش كثرة من الاعراب، والاعراب هم سكان البوادي والذين قال الله تعالى فيهم في سورة التوبة: (الاعراب أشد كُفراً وبنافاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله... الآية / ٩٧.

وعلى هذا كان عدد غيرهم أقل منهم ولا يتعدون ستة آلاف من أهل المدن لا سيما مدينة الرسول، وكان ثلاثة آلاف منهم من القراء وكان شعارهم: يا أصحاب سورة البقرة أي يا من كسبتم فضيلة حفظ أكبر سورة في القرآن. وإذا كان هذا عدد من اشترك منهم في القتال فكم كان عدد من لم يشارك من الشبية والنساء والفتيان من القراء القاعدين عن القتال في المدينة وحواليها؟

وكم كان عدد الشيوخ والمرهقين من القراء ومن كان منهم في مكة وسائر البلدان الاسلامية؟

٢ فضائل القرآن ص ٨، تفسير ابن كثير، الجزء الرابع؛ وتاريخ خليفة بن خياط (ت: ٢٣٠ أو ٥٢٤٠) ط. النجف ١٣٨٦ ص ٧٧ - ٨٣. ذكر أسماء من استشهد وقبائلهم فردا فردا.

أخبار القرآن على عهد الخليفة عمر

أ - أمر الخليفة عمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص):

نُفذ الخليفة عمر الشعار الذي رفعه الخليفة أبو بكر وأمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص)، ومن ذلك ما رواه الطبري في ذكر سيرة عمر من تاريخه وقال:

كان عمر - إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول... جَرَدُوا الْقُرْآنَ وَأَقْلَوْا الرّوَايَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ (ص) وَأَنَا شَرِيكُمْ(٣).

في تذكرة الحفاظ عن قَرظَةَ بن كعب الانصاري قال: لما سيرنا عمر إلى العراق...

وفي طبقات ابن سعد قال: أردنا الكوفة فشيّعنا عمر إلى صرار، فتوضّأ، فغسل مرّتين، وقال: تَدْرُونَ لِمَ شَيَّعْتُمْ؟

فقلنا: نعم، نكرمة نحن أصحاب رسول الله (ص).

فقال: إِيَّاكُمْ تَأْتُونَ أَهْلَ قَرْيَةٍ لَهُمْ دَوِيٌّ بِالْقُرْآنِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَلَا تَصَدُّوهُمْ بِالْحَادِيثِ فَتَشْغَلُوهُمْ، جَرَدُوا الْقُرْآنَ وَأَقْلَوْا الرّوَايَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، امضوا وأنا شريككم.

وفي مستدرک الحاكم قال قرظة: فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا، قال نهانا ابن الخطاب.

وفي جامع بيان العلم وفضله قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله (ص)(٤).

ومن موارد ما رواه الطبري وابن كثير وقالوا:

لَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى إِلَى الْعِرَاقِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا لَهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ دَوِيٌّ بِالْقُرْآنِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ فَدَعِهِمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ وَلَا تَشْغَلِهِمْ بِالْحَادِيثِ وَأَنَا شَرِيكَكَ فِي ذَلِكَ(٥).

وان قول الخليفة عمر (جَرَدُوا الْقُرْآنَ عَنْ حَدِيثِ الرَّسُولِ (ص)) يدلّ على أنّه كان لدى الصحابة إلى ذلك العصر مصاحف كُتِبَ فِيهَا مَعَ آيِ الْقُرْآنِ حَدِيثِ الرَّسُولِ (ص) فِي بَيَانِ آيِ الْقُرْآنِ وَالَّذِي قَلْنَا فِي مَا سَبَقَ أَنَّهُ كَانَ يَتَلَقَّى الرَّسُولَ (ص) مَا يَبِينُهُ فِي مَعَانِي الْآيَاتِ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ.

وكان الخليفة يطلب منهم ان يعلّموا المسلمين تلاوة القرآن، ولا يعلّموهم حديث الرسول (ص) في تفسير الآيات كما كان ذلك شأن الاقراء في عصر الرسول (ص).

وقد بدأ بهذا الامر الخليفة الاول أبو بكر عندما قال: (... فلا تحدثوا عن رسول الله (ص) شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه).

غير أن الخليفة الثاني كان أكثر صراحة في هذا الشأن من قول الخليفة الأوّل، كما ذكرنا ذلك في بحث جمع القرآن.

هكذا كان الخليفة يمنع من إقراء القرآن كما كان على عهد الرسول (ص).

وكان الخليفة أحيانا يظهر عدم اهتمامه بتفسير القرآن، ومن مصاديقه ما روى المفسرون في تفسير سورة عبس واللفظ للسيوطي عن أنس:

(أَنَّ عُمَرَ قَرَأَ عَلَى الْمَنْبَرِ (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَصْبًا - إِلَى قَوْلِهِ - وَأَبًا) قَالَ كُلُّ هَذَا عَرَفْنَاهُ فَمَا الْآبُ ثُمَّ رَفَعَ عَصَا كَانَتْ فِي يَدِهِ فَقَالَ: هَذَا لِعَمْرِ اللَّهِ هُوَ التَّكْلُفُ، فَمَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَدْرِي مَا الْآبُ، اتَّبِعُوا مَا بَيْنَ لَكُمْ هِدَاةً مِنَ الْكِتَابِ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوهُ فَكُلُوهُ إِلَى رَبِّهِ(٦)).

* * *

كان ذلكم في ما يخص نفسه وأما مع الآخرين ممّن يسأل عن تفسير القرآن فكان شأنه كالآتي خبره.

ونهي عن السؤال عن تفسير القرآن وضرب عليه كما روى السيوطي بتفسير (وفاكهة وأبًا) وقال: (إنّ رجلا سأل عمر عن قوله ((وأبًا)) فلما رآهم يقولون كذا أقبل عليهم بالدرة)، والدرة سوط يضرب به وقد جلد عليه وأدمى وسجن ونفى كما نقرأ كل ذلك في الخبر الآتي.

ب - تنكيل الخليفة بمن يسأل عن تفسير القرآن:

جاء في سنن الدارمي وتفسير القرطبي والاكمال لابن ماکولا وتاريخ ابن عساکر خبر صبيغ بن عسل:

قال ابن ماکولا في الاكمال: صبّغ بفتح الصاد وكسر الباء، وعسل بكسر العين وسكون السين، وعسيل بضم العين وفتح السين. وكان يسأل عن المشكلات التي في القرآن فنفاه عمر من المدينة إلى العراق، وأمر أن لا يجالس.

وفي تاريخ ابن عساکر:

(صبيغ) بن عسل ويقال: ابن عسيل، ويقال: صبيغ بن شريك بن عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي اليربوعي البصري الذي سأل عمر بن الخطاب عما سأل فجلده وكتب إلى أهل البصرة: لا تجالسوه.

وفي رواية فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبدالله صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه وقال: أنا عبدالله عمر، وما زال يضربه حتى أدمى رأسه فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي.

وفي رواية أخرى:

أنه جعل يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ أبصر لا يكون ذهب فتصبيك مني العقوبة الوجيعة؟ فأنتى به فقال عمر: سبيل محدثة، فأرسل إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برئ، ثم عاد له ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسن أمره، فكتب إليه عمر أن ائذن للناس بمجالسته. وروى الخطيب هذه الحكاية بنحوها والحافظ ابن عساکر أيضا عن أبي عثمان النهدي، وروى عنه الخطيب أنه قال: كتب إلينا عمر لا تجالسوا صبيغا، فلو جاءنا ونحن مائة لتفرقنا عنه، وروي عن ابن سيرين أمر أن يحرم من عطائه ورزقه، وروي أيضا عن زرعة أنه قال: رأيت صبيغا كأنه بغير أجنب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه فتناديهم الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين عمر فيقومون ويدعونه. وفي رواية الخطيب: أن عمر أمر أن يقوم خطيب فيقول: ألا إن صبيغا طلب العلم فأخطأه فلم يزل وضعا في قومه بعد أن كان سيذا فيهم(V).

* * *

ما ذكرناه آنفا يوضح بجلاء سياسة الخليفة في تجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) ويوافق هذه السياسة سياسته في منع نشر حديث الرسول (ص) كالآتي خبره.

٣ تاريخ الطبري ط. أوروبا ٥ / ٢٧٤١ وط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م ٤ / ٢٠٤.

٤ جامع بيان العلم للخطيب البغدادي ط. المدينة المنورة سنة ١٢٨٨هـ / ٢ / ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ١ / ٧، وسنن الدارمي ١ / ٨٥، وسنن ابن ماجة، المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله (ص) ١ / ١٢، ومستدرک الحاكم ١ / ١٠٢، طبقات ابن سعد ط. بيروت ٦ / ٧. وكنز العمال ٢ / ١٨٣. وقرظة بن كعب أنصاري خزرجي، في أسد الغابة هو أحد العشرة الذين وجههم عمر مع عمار بن ياسر إلى الكوفة. شهد أحدا وما بعدها، وفتح الري سنة ٢٣. وولاه علي على الكوفة لما سار إلى الجمل، وتوفي بها في خلافته. أسد الغابة ٤ / ٢٠٣.

٥ الطبري ١ / ٢٧٤١، وتاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

٦ تفسير الطبري ٣٠ / ٣٨، وتفسير السورة في مستدرک الصحيحين وتلخيصه ٢ / ٥١٤ وقالوا: صحيح على شرط الشيخين، وتفسير

الدّر المنثور ٦ / ٣١٧، والاتقان ١ / ١١٥، وفتح الباري ١٧ / ٣٠. وتفسير ابن كثير ٤ / ٤٧٣.

٧ ترجمته بمصورة مخطوطة ابن عساكر (٨ / ١، ١١٦ - ١١٨) سنن الدارمي ١ / ٥٤، ٥٥ - ٥٦. تفسير ابن كثير ٤ / ٢٣١ - ٢٣٣. تفسير الدر المنثور ٦ / ١١١. تفسير القرطبي ١٧ / ٢٩. والكمال لابن ماكولا ٥ / ٢٢١. واخترنا لفظ ابن عساكر في المتن.

ج - سياسة الخليفة في منع نشر حديث الرسول (ص) وإحراقه ما كتب

منه:

في طبقات ابن سعد قال: إنّ الاحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتيوه بها فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها(٨).

في كينز العمال: عن عبدالرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب، حتّى يبعث إلى أصحاب رسول الله، فجمعهم من الافاق عبدالله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذرّ وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الاحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الافاق؟

قالوا: أئنهانا؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ - منكم - ونردّ عليكم، فما فارقه حتّى مات(٩).

وروى الذهبي أنّ عمر حبس ثلاثة ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الانصاري، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله(١٠).

وأخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه قال:

بعث عمر بن الخطاب إلى عبدالله بن مسعود وإلى أبي الدرداء وإلى أبي مسعود الانصاري فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله (ص)! فحبسهم بالمدينة حتى استشهد(١١).

وقال ابن كثير: وهذا معروف عن عمر(١٢).

* * *

كانت تلکم سياسة الخليفة عمر في منع نشر حديث الرسول (ص) وتجريد القرآن منه وكان أثر تلکم السياسة كالاتي اخبارها.

د - أثر تنكيل الخليفة بمن يحدّث عن رسول الله (ص) في تفسير القرآن

وغيره:

عن السائب بن يزيد قال: صحبت سعد بن مالك - أبي وقاص - من المدينة إلى مكة، فما سمعته يحدث عن النبيّ (ص) يحدث واحد(١٣).

وفي تاريخ ابن كثير عن أبي هريرة قال: ما كُنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله (ص) حتى قبض عمر(١٤).

وكان لتلك السياسة استثناء محدود كالاتي خبره.

٨ طبقات ابن سعد ط. بيروت ٥ / ١٤٠ بترجمة القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

٩ الحديث رقم ٤٨٦٥ من الكنز. ط الأولى ٥ / ٣٣٩، والطبعة الثانية ١٠ / ١٨٠ الحديث ١٣٩٨ ومنتخبه ج ٤ / ٦٢. وعبدالرحمن بن عوف القرشي الزهري، أخی الرسول بينه وبين عثمان من المهاجرين، وجعل عمر تعيين الخليفة بيده في الشورى فصفق على يد عثمان، توفي بالمدينة عام ٣١ أو ٥٣٢. روى عنه أصحاب الصحاح ٦٥ حديثاً. راجع فصل الشورى من كتاب: (عبدالله بن سبأ) الجزء الأول. وجوامع السيرة ص ٣٧٩. وعبدالله بن حذيفة لم أجد ترجمته ولعله عبدالله بن حذافة القرشي السهمي، من قدماء المهاجرين، مات بمصر في خلافة عثمان. تقريب التهذيب ١ / ٤٠٩. وأبو الدرداء عويمر أو عامر بن مالك الانصاري الخزرجي، وأمّه

محبّة بنت واقد بن الاطنابة، تأخر إسلامه وشهد الخندق وما بعدها، أخي النبيّ بينه وبين سلمان، وُلِّي قضاء دمشق على عهد عثمان، وتوفي بها عام ٣٣ أو ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٧٩ حديثاً. أسد الغابة ٥ / ١٥٩ - ١٦٠ و ١٨٧ و ١٨٨، وجوامع السيرة ص ٢٧٧. وعقبه بن عامر اثنان: جهني وروى عنه أصحاب الصحاح ٥٥ حديثاً، وأنصاري سلمى، أسد الغابة ٣ / ٤١٧، وجوامع السيرة ص ١٧٩.

١٠ تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٧.

١١ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٨٧؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكبينة الشهابي ٣١ / ٢٨٠.

١٢ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

١٣ سنن ابن ماجه ١ / ١٢، وسنن الدارمي ١ / ٨٥.

١٤ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

هـ استثناء بعض الصحابة وبعض علماء أهل الكتاب عن نهى نشر الحديث:

أذن الخليفة عمر لعدد معيّن في المدينة ان يسألوا عن تفسير القرآن وغيره فيجيبوا مثل أمّ المؤمنين عائشة في زوجات الرسول (ص) وابن عباس في حاشيته.

أولاً: أمّ المؤمنين عائشة.

روى ابن سعد وقال: (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلمّ جرّاً إلى أن ماتت).

وروى - أيضا - وقال: كانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت (ره)، وكان الاكابر من أصحاب رسول الله عمر وعثمان بعده يرسلان إليها، فيسألانها عن السنن(١٥).

استقلت: أي انفردت بالفتوى.

وقد درسنا أحاديثها في المجلد الثاني من كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة.

ثانياً: عبدالله بن عباس.

قال ابن كثير في ترجمة ابن عباس: ثبت عن عمر بن الخطاب أنّه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول: نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس(١٦).

وروى البخاري وغيره في تفسير سورة النصر واللفظ للبخاري(١٧):

عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر: أنّه من حيث علمتم. فدعاهم في ذات يوم فادخله معهم فما رُئيت أنّه دعاني يومئذ إلا ليربهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ).

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله (ص) أعلمه له قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره أنّه كان تواباً فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وروى ابن كثير في تفسيره:

قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمّد (ص)، فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنّها في العشر الاواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر: إنّي لأعلم - أو إنّي لا أظن - أي ليلة القدر هي. فقال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت سابعة تمشي تمضي - أو سابعة تبقى - من العشر الاواخر، فقال عمر: من أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس: فقلت: خلق الله سبع سماوات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الشهر يدور على سبع وخلق الانسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لاشياء ذكرها فقال عمر: لقد فطنت لامر ما فطنا له(١٨).

وفي المستدرك: فقال عمر لابن عباس: ما لك يا ابن عباس لا تتكلم؟

قال: إن شئت تكلمت.

قال: ما دعوتك إلا لتكلم.

فقال: أقول برأيي.

فقال: عن رأيك أسألك، فقلت: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إن الله تبارك وتعالى أكثر ذكر السبع... الحديث.

فقال عمر: أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه؟

ثم قال: إني كنت نهيته أن تكلم فإذا دعوتك معهم فتكلم(١٩).

قال ابن كثير في ترجمة ابن عباس: كان إذا أقبل يقول عمر: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول، والقلب العقول(٢٠).

وفي سير اعلام النبلاء قال المهاجرون لعمر: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟

فقال: ذاكم فتى الكهول... (٢١).

وروى عن ابن عباس وقال: قال لي أبي: إن عمر يُدنيك، ويُجلسك مع أكابر الصحابة، فاحفظ عني ثلاثا: لاتفشين له سرا، ولا تغتابن عنده أحدا، ولا يجربن عليك كذبا(٢٢).

وروى ابن كثير وقال: إن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات(٢٣).

وروى الذهبي في ترجمته عن طلحة بن عبيد الله أنه قال: وما كنت أرى عمر يقدم عليه أحدا.

وروى الذهبي - أيضا - وقال: كان عمر يستشير ابن عباس في الامر اذا هممه، ويقول غصّ غواص.

وروى عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: لقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات، ثم لا يجاوز قوله، وان حوله لاهل بدر(٢٤).

هكذا استطاع عمر الخليفة أن يروض كبار الصحابة، ليقتروا القرآن عند هذا الفتى، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس أنه قال:

(كنت أفرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع عبد الرحمن...) (٢٥).

وكل ما مر بنا من اسئلة الخليفة عمر من ابن عباس كان عن تفسير القرآن وسموا ذلك بالافتاء.

إذا فان الافتاء كان يستعمل في كلامهم، ويقصد به كل بيان رأي في أمر ديني، وكذلك الافتاء في أخبار أم المؤمنين كما مر بنا ذكره.

ويظهر ممّا سئل عن ابن عباس في ذلك العصر، وأجاب عنه ان ابن عباس كان يعلم ما ينبغي أن يحدث به، فقد روى ابن كثير وقال:

ان عمر كان يقول: أقلوا الرواية عن رسول الله (ص) إلا في ما يعمل به(٢٦).

دراسة في أمر الاستثناءين:

ولد ابن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة، وتوفي الرسول (ص) وقد ناهز الحلم.

ولدت أم المؤمنين عائشة في السنة الرابعة من البعثة ودخلت بيت الرسول (ص) بعد غزوة بدر، وتوفي الرسول (ص) وعمرها ثماني عشر سنة وبقيت في بيته ثماني سنوات وخمسة أشهر.

وتزوج الرسول (ص) سودة قبلها، ودخلت بيت الرسول (ص) قبلها، وتوفيت سنة أربع وخمسين.

وتزوج الرسول (ص) أمّ سلمة بعد غزوة أحد، وتوفيت في خلافة يزيد بعد استشهاد الامام الحسين (ع).

وعلى هذا أدرك ابن عباس حياة الرسول (ص) وهو صبيّ لم يبلغ الحلم بينما أدرك كبار الصحابة حياة الرسول وهم في سنّ الرشد الفكري والنضوج العقلي.

كما أدركت عائشة حياته وهي فتاة صغيرة تلعب مع أترابها باللعب كما حدثت هي بذلك (٢٧) بينما أدركت سودة حياة الرسول (ص) قبلها وأمّ سلمة مقارنا لزمانها وقد بلغت من جلال السنّ والنضوج العقلي ما يؤهلها لتفقه سنّة الرسول (ص) أكثر من عائشة. ويا ترى ما السبب في أن يبلغ ابن عباس مقام المشير من الخليفة عمر، ولم تحنكه التحارب في الحرب والسلام؟ وما الذي أهله ليتربّع على دست الفتيا على عهد الخليفين عمر وعثمان إلى يوم مات؟!؟

ما السبب في أن تنفرد أمّ المؤمنين عائشة بالافتاء على عهد عمر وعثمان وتستمر في الفتيا إلى يوم وفاتها؟!؟

والجواب: أن ما كان من قيامهما بالافتاء بعد عهد عمر فهو امتداد لعملهما بالافتاء على عهد عمر وبارجاع الخليفة المهيب إليهما!

وما كان من سبب ارجاع الخليفة عمر إلى أمّ المؤمنين عائشة وهي فتاة في مقتبل العمر فقد بيناه مفصلاً في كتابنا أحاديث أمّ المؤمنين عائشة ونشير إليه هنا.

وأما ابن عباس فهل كان عنده من علم الرسول (ص) وسنته ما لم يكن عند الصحابة السّابقين إلى الاسلام في مكة أمثال الامام علي (ع) وابن مسعود وعمار بن ياسر وخبّاب بن الارت ونظرائهم؟

وهل كان عنده ما رشحه لمقام المشير عند الخليفة من راحة العقل ما لم تكن عند الامام علي ومن الجنكة ما لم تكن عند عبدالرحمن بن عوف ومن الدراية في الأمور ما لم تكن عند عثمان ومن الخبرة في الحروب ما لم تكن عند أبي عبيدة وخالد بن الوليد ومن الدهاء ما لم يكن عند عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة!

ولنا أن نقول: كان في تعريف الخليفة ابن عباس إلى ملا من المسلمين حكمة، فقد كان المنافس القوي للخلافة عليّ بن أبي طالب ابن عم الرسول الذي قال فيه رسول الله (ص): ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها)) (٢٨) وكان بمنزلة من العلم يعلمها العلماء وأهل البحث وكانوا يرجعون إليه في ما احتاجوا إلى معرفته.

وترشيح ابن عباس لمقام الافتاء وهو ضمن حاشية الخليفة فيه سدّ لهذه الخلّة.

إضافة إلى أنّه كان يتجمل بابن عم الرسول في حاشيته، وان ابن عباس وأمّ المؤمنين عائشة كانا يعلمان كيف يفتيان ما لا يخالف سياسة الخلافة ويدل على هذا الامر ما رواه ابن كثير وقال: كان يقول للصحابة (أقلوا الرواية عن رسول الله (ص) إلا في ما يعمل به) (٢٩).

وما أوردناه عن عبد الرحمن بن عوف أنّه قال ما موجزه:

ما مات عمر بن الخطاب حتّى بعث إلى أصحاب رسول الله (ص) فجمعهم من الافاق فقال: ما هذه الاحاديث التي أفشيتم عن رسول الله (ص) في الافاق؟

قالوا: تنهانا؟!؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم ونرد عليكم.

فما فارقه حتى مات (٣٠).

فقد كان عند الصحابة أحاديث عن رسول الله محظورا عليهم روايتها وإذاعتها كما درسناها في بحث اختلاف المصاحف، ولا بدّ أن يكون عند كل من أمّ المؤمنين عائشة وابن عباس علم بالحديث المحظور روايته وإذاعته. واعتمادا على درايتهما سياسة الخلافة كان الخليفة يستفتيها، ويرجع الاخرين اليهما.

١٧ صحيح البخاري ٣ / ١٤٨ وتفسير القرطبي ٣٠ / ٣٣٣. وتفسير ابن كثير ٤ / ٥٦١. وتاريخه ٨ / ٢٩٩، والمستدرک للحاکم ٣ / ٥٣٩. وأنساب الاشراف للبلاذري ٣ / ٣٣٠ - ٣٣١ وفي لفظة: (كان ناس من المهاجرين قد وجدوا على عمر في ادنائه ابن عباس دونهم)، تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ٣٢، ٣٣، سير اعلام النبلاء ٣ / ٣٤٣ ط. مصر.

١٨ تفسير ابن كثير ٤ / ٥٣٣، وتاريخه ٨ / ٢٩٩، تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ٣٣.

١٩ المستدرک: ٣ / ٥٣٩.

٢٠ تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩، تاريخ الاسلام للذهبي ٣١ / ٣٣.

٢١ سير اعلام النبلاء ٣ / ٣٤٥.

٢٢ تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ٣٣، وتاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩.

٢٣ تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩؛ وسير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٥ - ٣٤٧؛ وفي ط. دار المعارف مصر، ٣ / ٢٢٤ - ٢٤١. وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٦ - ٣٧٠.

٢٤ سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٦ - ٣٤٧.

٢٥ صحيح البخاري ٤ / ١١٩، باب رجم الحيلى من الزنا من كتاب الحدود.

٢٦ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧ في ترجمة أبي هريرة.

٢٧ البخاري ٤ / ٤٧، كتاب الادب، باب الانبساط؛ وطبقات ابن سعد ط. اوربا ٨ / ٤٠ - ٤٥؛ ومسند أحمد ٦ / ١٦٦ و ٢٣٣ و ٢٣٤.

٢٨ أسد الغابة، ترجمة الامام عليّ (ع) ٤ / ٣٢.

٢٩ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

٣٠ كنز العمال، كتاب العلم، باب في آداب العلم والعلماء، فصل في رواية الحديث، طبعة حيدر آباد ١٠ / ١٨٠، الحديث رقم ١٣٩٨؛ ومنتخبه بهامش مسند أحمد ٤ / ٦٢.

الشورى وبيعة عثمان:

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد:

لمّا طعن الخليفة عمر قيل له: لو استخلفت. فقال:

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّاً لاستخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأمة.

ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً ليحبّ الله حبّاً لو لم يخف الله ما عساه (٦٠).

وإنّهم قالوا له: يا أمير المؤمنين! لو عهدت.

فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أولي رجلا أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ - ثمّ رأيت أن لا أنحمّلها حيّاً وميتاً... الخ.

وفي تاريخ الطبري أنّهم عادوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! لو عهدت عهداً!

فقال: قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّي رجلاً أمركم؛ هو أحراكم أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ ورهقنتني

عَشِيَّةً، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كل غصّة ويأنعه، فيضمّه إليه ويصيرّه تحته؛ فعلمتُ أنّ الله غالب أمره، ومتوفّي عمر؛ فما أريد أن أحمّلها حيّاً وميتاً؛ عليكم هؤلاء الرّهط... (٦١).

وروى البلاذري في أنساب الاشراف (٦٢) قال عمر: ادعوا لي عليّاً وعثمان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فلم يكلم أحدا منهم غير عليّ وعثمان، فقال: يا عليّ! لعلّ هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبيّ (ص) وصرّك وما أنالك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الامر فاتّق الله فيه.

ثمّ دعا عثمان وقال: يا عثمان، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسيتك، فإن وليت هذا الامر فاتّق الله ولا تحمل آل أبي مُعيط على رقاب الناس.

ثمّ قال: ادعوا لي صهيباً. فدُعِيَ، فقال: صلّ بالناس ثلاثاً، وليخل هؤلاء النفر في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلمّا خرجوا من عند عمر قال: إن ولّوها الاجلح سلك بهم الطريق (٦٣).

وفي الرياض النضرة: (لله درهم إن ولّوها الأصيلع كيف يحملهم على الحقّ وإن كان السيف على عنقه) (٦٤).

وروى البلاذري في أنساب الاشراف: أنّ عمر بن الخطّاب أمر صهيباً مولى عبدالله بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والانصار. فلمّا دخلوا عليه.

قال: إيّي جعلت أمركم شورى إلى سنة نفر من المهاجرين الاولين الذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راض ليختاروا أحدهم لامامتكم وسماهم. ثمّ قال لابي طلحة زيد بن سهل الخزرجي: اختر خمسين رجلاً من الانصار يكونوا معك، فإذا توفيت فاستجثّ هؤلاء النفر حتّى يختاروا لانفسهم وللأمة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث.

وأمر صهيباً أن يصلّي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام.

وكان طلحة بن عبيدالله غائباً في ماله بالسرّاء (٦٥)، فقال عمر: إن قدم طلحة في الثلاثة الايام، وإلاّ فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الامر واصرموه، وبايعوا من تتفقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه.

قال: فبعثوا إلى طلحة رسولا يستحثونه ويستعجلونه بالقدوم، فلم يرد المدينة إلاّ بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان. فجلس في بيته وقال: أعلى مثلي يُفنت!

فأتاه عثمان، فقال له طلحة: إن رددت أتردّه؟ قال: نعم. قال: فآني أمصيته. فبايعه. وقريب منه ما في العقد الفريد ٢ / ٧٢. وط.

دار التأليف، القاهرة، سنة ١٣٦٣هـ، ٤ / ٢٧٥ - ٢٨٠.

وروى في ص ٢٠ منه، قال:

فقال عبدالله بن سعد بن أبي سرح: مازلت خائفاً لان ينتقض هذا الامر حتّى كان من طلحة ما كان، فوصلته رجم ولم يزل عثمان مكرماً لطلحة حتّى حُصر فكان أشدّ الناس عليه.

وروى البلاذري في ٥ / ١٨ من كتابه أنساب الاشراف بسند ابن سعد قال:

(قال عمر: ليتبع الاقل الاكثر، فمن خالفكم فاضربوا عنقه).

وروى في ص ١٩ منه: عن أبي مخنف أنّه قال:

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثاً، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل، رجعوا في الشورى، فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد كانوا مع الاربعة، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف إذ كان الثقة في دينه، ورأيه المأمون على الاختيار للمسلمين). وقريب منه ما في العقد الفريد ٣ / ٧٤، وط. دار التأليف، القاهرة، سنة ١٣٦٣هـ، ٤ / ٢٧٦.

وروى أيضاً عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنّ عمر قال: (إن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فاتّبِعوا صفّ عبدالرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا) وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٣ / ق ١ / ٤٣.

وفي تاريخ يعقوبي ٢ / ١٦٠: وروى البلاذري في أنساب الاشراف ٥ / ١٥ أنّ عمر قال:

(إنّ رجالا يقولون إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرها، وإنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة والامر بعدي شوري، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتبّع الاثنان الاربعة، وإذا اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة، فأتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا وأطيعوا، وإن صدّق عبدالرحمن بإحدى يديه على الأخرى فأتبعوه).

وروى المتقي في كنز العمال ٣ / ١٦٠، عن محمد بن جبير عن أبيه، أنّ عمر قال:

(إن ضرب عبدالرحمن بن عوف إحدى يديه على الأخرى فبايعوه).

وعن أسلم أنّ عمر بن الخطاب قال:

(بايعوا لمن بايع له عبدالرحمن بن عوف، فمن أبى فاضربوا عنقه).

إذا فالخليفة عمر قد نبأ سعيد بن العاص أنّه سيلبي بعده ذو رحم سعيد وهو عثمان وطلب منه أن يخبئ الامر عنده؛ ويتّضح من هذه المحاورّة أنّ أمر تولية عثمان الخلافة كان قد بُتّ فيه في حياة الخليفة عمر، وتعيين الستّة في الشورى كان من أجل تمرير هذا الامر بصورة مرضية لدى الجميع.

٦٠ العقد الفريد ٤ / ٢٧٤، أوردناه ملخصا.

٦١ تاريخ الطبري ط. أوروبا ١ / ٢٧٧٧.

٦٢ أنساب الاشراف ٥ / ١٦.

٦٣ وقریب منه ما في طبقات ابن سعد ج ٤ ق ١ ص ٢٤٧. وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب ومنتخب الكنز ٤ / ٤٢٩، وجليح فلان سار سيرا شديدا، وجليح في الامر اقدم ومضى وركب رأسه فيه ويقصد منه الامام عليا.

٦٤ الرياض النضرة ط. ٢ بمصر ١٣٧٣هـ، ٢ / ٩٥. والاصلع: المنحسر شعر رأسه، وكان الامام عليّ اصلع الرأس.

٦٥ السراة: الجبل الذي فيه طرف الطائف ويقال لاماكن أخرى. معجم البلدان.

الامام عليّ (ع) يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه

كان الامام عليّ يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه وإنّما اشترك معهم في الشورى كي لا يقال: هو الذي زهد في الخلافة. ويدلّ على أنّه كان يعلم ما بيّنت له، الحديث الاتي:

روى البلاذري في ٥ / ١٩ من كتابه أنساب الاشراف:

إنّ عليّا شكّا إلى عمّه العباس ما سمع من قول عمر: كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وقال: والله لقد ذهب الامر منّا. فقال العباس: وكيف قلت ذلك يا ابن أخي؟ فقال: إن سعدا لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة. وإن كان الزبير وطلحة معي فلن انتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الاخرين.

وقال ابن الكلبي: عبدالرحمن بن عوف زوج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأمّها أروى بنت كزيز وأروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره. وقریب منه ما في العقد الفريد ٣ / ٧٤. وفي ط. لجنة التأليف ٤ / ٢٧٦.

وفي تاريخ الطبري أن عمارا قال قبل بيعة عبد الرحمن لعثمان: إن أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع عليا.

فقال المقداد بن الاسود: صدق عمار؛ إن بايعت عليّا قلنا: سمعنا وأطعنا.

قال ابن أبي سرح: إن أردت ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان. فقال عبدالله ابن أبي ربيعة: صدق؛ إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا. فشتتم عمار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين!

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، فقال عمار: أيها الناس! إن الله عز وجل أكرمنا بنبيّه، وأعزنا بدينه، فأتى تصرفون هذا الامر عن أهل بيت نبيكم!

فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوتَ طورَكَ يا بن سميّة؛ وما أنت وتأمير قريش لانفسهما!

فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبدالرحمن! افرغ قبل أن يفتتن الناس.

فقال عبدالرحمن: إنّي قد نظرت وشاورت، فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً.

ودعا عليّاً، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده؟

قال: أرجو أن افعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي.

ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعليّ، قال: نعم، فبايعه.

فقال عليّ: حبوتّه حَبَوَ دهر؛ ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا؛ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون؛ والله ما وليت عثمان إلا ليردّ الامر إليك؛ والله كلّ يوم هو في شأن.

فقال عبدالرحمن: يا عليّ! لاتجعل على نفسك سبيلاً؛ فإنّي قد نظرت وشاورتُ الناس؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان.

فخرج عليّ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال المقداد: يا عبدالرحمن! أمّا والله لقد تركته من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون.

فقال: يا مقداد؛ والله لقد اجتهدتُ للمسلمين؛ قال: إن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين. فقال المقداد: ما رأيتُ مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم. إنني لاعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول إن أحدا أعلم ولا أفضى منه بالعدل.

أما والله لو أجد عليه أعواناً!

فقال عبد الرحمن: يا مقداد؛ اتق الله؛ فإنني خائف عليك الفتنة.

فقال رجل للمقداد: رحمك الله! من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل؟

قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل عليّ بن أبي طالب.

فقال عليّ: إنّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول: إن وُلِّيَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم (٦٦).

وروى البلاذري - أيضاً - وقال:

(لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يؤمهم فلم يحدثوا شيئاً، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال.

وكان دفن عمر يوم الاحد وهو الرابع من يوم طُعينَ، وصلّى عليه صهيب ابن سنان.

قال: فلما رأى عبدالرحمن تناجي القوم وتناظرهم، وأنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أخرج نفسي وسعدا عليّ أن أختار يا معشر الاربعة أحدكم، فقد طال التناجى وتطلع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم.

فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلاّ عليّاً، فإنّه قال: أنظر.

وأتاهم أبو طلحة، فأخبره عبدالرحمن بما عرض وبإجابة القوم إياه إلاّ عليّاً فأقبل أبو طلحة على عليّ فقال: يا أبا الحسن إنّ أبا محمّد ثقة لك وللمسلمين، فما بالك تخالف وقد عدل الامر عن نفسه، فلن يتحمّل المأثم لغيره؟

فأحلف عليّ عبدالرحمن بن عوف أن لايميل إلى هوى، وأن يؤثر الحقّ وأن يجتهد للامّة، وأن لا يُحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسدّداً.

وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسوّر بن مخزّمة.

ثمّ إنّ عبدالرحمن أحلف رجلاً رجلاً منهم بالايمان المغلظة، وأخذ عليهم الموائيق والعهود أنّهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلاً، وأن يكونوا معه على من يناويه، فحلفوا على ذلك، ثمّ أخذ بيد عليّ، فقال له: عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطلب على رقاب الناس، ولتسيرن بسيرة رسول الله (ص) لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها.

فقال عليّ: لا أحمل عهد الله وميثاقه على ما لا أدركه ولا يدركه أحد. من ذا يطبق سيرة رسول الله (ص) ولكّني أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد منّي، وبما يمكنني ويقدر علمي.

فأرسل عبد الرحمن يده.

ثمّ أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والموائيق أن لا يحمل بني أميّة على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له.

فقال عليّ: قد أعطاك أبو عبدالله الرضا فشأنك فبايعه، ثمّ إنّ عبد الرحمن عاد إلى عليّ فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبي بكر وعمر.

فقال عليّ: عليّ الاجتهاد، وعثمان يقول نعم، عليّ عهد الله وميثاقه وأشدّ ما أخذ على أنبيائه أن لا أخالف سيرة رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها.

فبايعه عبد الرحمن وصافقه وبايعه أصحاب الشورى، وكان عليّ قائماً، ففعد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلاّ ضربت عنقك.

ولم يكن مع أحد يومئذ سيف غيره، فيقال: إنّ عليّاً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلاّ جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتّى بايع عثمان(٦٧).

وفي هذا الخبر حذف من أوّله قول عبد الرحمن (وسيرة الشيخين) ونقل أوّل كلام الامام عليّ بتصرّف وحذف آخره؛ وتمام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ البيهقي ط. بيروت ٢ / ١٦٦: أنّ عبد الرحمن خلا بعليّ بن أبي طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الامر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر.

فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيّه ما استطعت.

فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الامر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر.

فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيّه وسيرة أبي بكر وعمر.

ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الاول.

ثمّ خلا بعثمان، فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إنّ كتاب الله

وسنة نبيّه لا يحتاج معهما إلى إجيري(٦٨) أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الامر عنيّ.

فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده.

دراسة الاخبار السابقة:

في خبر عبدالله بن أبيّ وأبي عامر الفاسق اللذين جاءا في المجلّد الأوّل وإن كان الدافع ممّا فعلاه الحسد على الرسول (ص) بسبب أن الأوّل منهما كان الاوس والخزرج اتفقوا على تنويجه ملكاً عليهم وبعد هجرة الرسول (ص) إلى المدينة أهمل أمره.

والثاني منهما كان ينتظر أن يكون هو النبي الذي بشرت اليهود ببعثته، فلما رأى أن المبعوث بالرسالة غيره - أيضا - قام مما قام به. غير أن أفراد قبائلهما الذين التفوا حولهما كان ذلك منهم تعصبا لرئيس قبيلتهم ولم يكن له سبب آخر.

والامر بالنسبة إلى المهاجرين من قريش أوضح فان تعصب الصحابي أبي بكر لرئيس من قبيلته قريش وهو كافر واضح لا غموض فيه.

وخبر عبدالله بن عمرو بن العاص في نهى قريش إياه أن يكتب حديث الرسول (ص) معللين نهيم إياه بأن الرسول (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب يدلّ إضافة إلى الدلالة على تعصبهم القبلي أن عبدالله كان قد كتب من حديث الرسول (ص) ما فيه إيضاح لمواقف بعض قريش من الرسول (ص) والرسالة ومواقف آخرين في تأييد الرسول والرسالة، وكان ذلك وصمة على قبيلة قريش في مقابل إثبات فضائل الآخرين، وأنهم لدفع ذلك اجترأوا على الرسول (ص)، وقالوا: إنّه بشر يتكلم في الرضا والغضب ليمنعوا عبدالله عن كتابة حديث الرسول (ص) أوّلا، ويسقطوا ما ينتشر من حديث الرسول في هذا الباب عن الاعتبار ثانيا، وإن جميع الاطراف الذين ذكرناهم اتخذت تلك المواقف بسبب التعصب القبلي.

وفي ضوء ما ذكرناه ندرس ما وقع بعد حياة الرسول (ص) في السقيفة:

توفي الرسول (ص)، وانصرف علي والعباس ومن معهما بتجهيزه ودفنه فاجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة وتركوا جنازة الرسول (ص) بين أهله وخطب فيهم سعد بن عبادة الخزرجي وهو مريض وقال: استبدوا بهذا الامر دون الناس فأجابوه بأجمعهم أن وفقت في الرأي وأصبت في القول، نوليك هذا الامر!!

من الواضح ان الانصار لم يستندوا في ما فعلوا إلى كتاب الله ولا سنة رسوله بل كان باعثهم إلى ذلك التعصب القبلي الجاهلي، وصدق الله حيث يقول:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). (آل عمران / ١٤٤)

وكذلك كان شأن المهاجرين من قريش كما يتّضح ذلك - أيضا - من أقوالهم.

فقد قال أبو بكر: (لن يعرف هذا الامر إلا لهذا الحي من قريش هم اوسط العرب نسبا ودارا).

وقال عمر:

من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته.

وقال الحباب بن المنذر:

لاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد.

ولما تمت بيعة أبي بكر تهاجت القبيلتان فقال ابن ابي عزة القرشي:

قل للألى طلبوا الخلافة زلّة

لم يخط مثل خطاهم مخلوق

إنّ الخلافة في قريش ما لكم

فيها وربّ محمد معروق

فطلب الانصار من شاعرهم النعمان بن عجلان ان يجيب فقال شعرا منه قوله:

فقل لقريش نحن أصحاب مكّة

ويوم حنين والفوارس في بدر

الابيات

ثم اجتمع سفهاء قريش وخطبوا في ذلك وهاجوا فبلغ الخبر عليًا فأتى المسجد مغضبا وخطب فيه وقال:

يا معشر قريش! إنَّ حبَّ الانصار إيمان وبغضهم نفاق... الخطبة.

فقال المسلمون جميعا: (رحمك الله يا أبا الحسن قلت قولاً صادقا).

وهكذا هدأ الامام علي الثائرة بين الحيين.

وبعد ذلك لما جهز أبو بكر الجيوش للقتال لم يؤمر أحدا من الانصار فقام ثابت بن قيس الشَّمَّاس فقال: يا معشر قريش! أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له؟

أما والله ما نحن عميا عمّا نرى، ولا صمّا عمّا نسمع ولكن أمرنا رسول الله بالصبر فنحن نصبر.

وقام حسان بن ثابت فقال:

يا للرجال لخلفة الاطوار

ولمّا أراد القوم بالانصار

لم يدخلوا منا رئيسا واحدا

يا صاح في نقض ولا إمرار

فجعل أبو بكر علي الانصار - من الجيش - ثابت بن قيس، واستمرت بعد ذلك سياسة الحكم القرشيّ على ما أسس عليه دونما تغيير، ومن ثمّ عين الخليفة أبو بكر من بعده الصحابي القرشيّ عمر للحكم وقام الخليفة الثاني بتنفيذ السياسة القرشية على عهده بكل شدّة وعنّف كما ندرس اخبارها في بحث من تاريخ القرآن الاتي إن شاء الله تعالى، وكان من أصول سياسة الخلافة القرشية تداول الحكم في بطون قريش دون بطن هاشم كما مرّ بنا في محاوره الخليفة مع ابن عباس.

٦٦ تاريخ الطبري ط. أوروبا ١ / ٢٧٨٦ - ٢٧٨٧.

٦٧ أنساب الاشراف ٥ / ٢١ - ٢٢.

٦٨ الاجيري بالكسر والتشديد: العادة والطريقة.

خلاصة البحوث:

كانت قبيلة قريش في الجاهلية بحكم أحوالها الاجتماعية والجغرافية ذات طبيعة استكبارية استعلائية، فقد كانت ترى في نسيها أنّها من سلالة نبي الله إسماعيل وإبراهيم ٨ دون جميع قبائل العرب، وأنّها في أحسابها تتشرف بسدانة بيت الله الحرام والقيام باطعام ضيوف الله من جميع قبائل العرب في الحج وارتوائهم، وتقام حوالي بلدهم أسواق العرب.

وتضيف إلى حسابها اهلاك الله جيش ابرهة الغازي لبلدها، وازدادت تعاليا وبغيا وطغيانا بامتلاكها ثروات ضخمة بسبب تجارتها في رحلتي الشتاء والصيف، وصدق الله العظيم حيث يقول: (إِنَّ الْأُنثَىٰ لَطِيفَةٌ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلِي).

وبسبب ما أنعم الله عليها من الامن والدعة لمكان بيت الله الحرام في بلدهم في حين ان الانسان العربي كان من حولهم يتخطف في غير الاشهر الحرم ويغزو بعضهم البعض الاخر ويقتل ويسبي ويسلب.

أدّى كل ذلك بهم إلى التماذي في أنواع الدعارة والفجور، في هذه الاحوال ومن هذه القبيلة المستكبرة المتغترسة أرسل الله من أوسطها نسبا وأشرفها حسبا خاتم أنبيائه محمدا (ص) إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا فقابلته قريش، وقاومته بكل ما أوتيت من حول وقوة وعدّبت المستضعفين ممّن آمن به إلى حد الموت كما مرّ بنا بعض أخبارهم في بحث المجتمع الذي نزل فيه القرآن. فأوعز النبي إلى المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة بعيدا عن بلدهم وعن كل ما يملكون فيه من وسائل الحياة وحفظ الله نبيّه بحماية

شيخ مكة وسيدها أبي طالب إياه، حتى إذا توفي ناصره وحاميه تأمرت قريش على قتله بعد ان التقى به رجال من الاوس والخزرج في الحج في عامين متواليين وابعوه على القيام بنصرته وتسلل إلى المدينة متدرجا من استطاع ممن بقي من المؤمنين به، وخرج هو في ليلة تأمرهم على قتله من مكة والتحق بهم في المدينة وأشاد فيها أول مجتمع إسلامي أسس بنيانه على التأخي بين أهله من الاوس والخزرج ومن هاجر إليهم من قريش والتألف والتحالف مع مواطني المدينة من اليهود فلم تتركه قريش وشأنه في مهجره، بل جهزت لقتاله جيشا بعد جيش، فأذن الله لرسوله قتالهم وقال - سبحانه :-

(أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...). (الحجّ / ٣٩ ، ٤٠)

وواجهت قريش رسول الله (ص) في معارك أشهرها: بدر وأحد والخندق وفي خلال حروبه مع قريش قلبت له حلفاؤه اليهود ظهر المجن، ونقضت ما عاهدوا الله عليه، وحاولوا اغتياله فأجلى منهم قبيلتين من المدينة.

وفي غزوة الخندق تأمرت عليه آخر قبيلة بقيت منهم في المدينة مع قريش وحلفائها فأخزاهم الله جميعا ورجعت قريش خائبة وقضى الله ورسوله على شأن اليهود في المدينة.

وفي السنة السادسة من الهجرة وقعت مناظرة بين الانصار والمهاجرين بسبب شجار وقع بين أجيبرين: القرشي المهاجري والانصاري القحطاني أظهر بسببه عبدالله بن أبي أحد زعماء الانصار نفاقه وقال: (لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنهَا الْأَذَلَّ). (المنافقون / ٨)

قصد من الاعز نفسه ومن الاذل المهاجرين من قريش، فأخزاه الله وأذله، وكشف عن نفاقه في ما أنزل على نبيه من القرآن في سورة المنافقين.

كان ذلكم مثالا واحدا يكشف عما يدور في خلد ضعاف النفوس من أفراد قبائل اليمانيين في المدينة.

ومثال آخر منه ما جرى في خبر أبي عامر الفاسق كما سبق ذكره.

وإلى هذا المجتمع انتقل المهاجري القرشي بأحسابه وأنسابه كما ينجلي ذلك:

أولا: في قول أبي بكر لسلمان وصهيب وبلال عندما قالوا في شأن أبي سفيان: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟

ثانيا: في ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص وقال: نهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله بشر يتكلم في الرضا والغضب... الحديث، كما مرّ تفصيل الخبرين في ما سبق.

وفي السنة السابعة من الهجرة وادع رسول الله (ص) قريشا، وتفرغ بعد ذلك لليهود، واتجه إلى مراكز التآمر على المسلمين في خيبر وفتح حصونهم حصنا بعد حصن وقراهم في وادي القرى قرية بعد قرية، ولم يبق بعد ذلك في الحجاز قوة يهودية تتآمر على الاسلام والمسلمين.

وعاهدت نصارى نجران الرسول (ص) وعلى أثر ذلك بدأت قبائل العرب ترسل وفودها إلى الرسول (ص) تعلن إسلامها، وفي هذا الحال نقضت قريش عهدها في صلح الحديبية مع الرسول (ص)، وقتلت من خزاعة حلفاء الرسول (ص) فسار الرسول إلى مكة في السنة الثامنة من الهجرة مع عشرة آلاف من المسلمين فاستسلمت قريش، ودخلوا في الاسلام زرافات ووحदानا.

وبعد ذلك انتقل أبو سفيان وغيره من سادة قريش إلى عاصمة الاسلام المدينة واجتمعوا مع أفراد قبائلهم من مهاجرة قريش وتكاثر عددهم وامتنعوا التجارة ونمت ثرواتهم.

وهكذا انقسم سكان المدينة على اليمانيين من قبائل الانصار والعدنانيين من قبائل قريش.

أخبار القرآن بعد الرسول (ص)

أوردنا في ما سبق أخبار القرآن في حياة الرسول، ونذكر في ما يأتي أخبار القرآن بعد وفاة الرسول بدءا بما يتصل خبره بحياة الرسول (ص) بحوله تعالى.

من المؤسف حقاً: أن العلماء لم يفكروا في ان الرسول (ص) الذي بعث لتبليغ القرآن وجمعه وبيانه كما شيرحناه في أول البحث كان يستكتب أربعين كاتباً لما يعنيه من أمر، وكان كلما نزلت آية أمر بعضهم أن يكتبها في مكانها من السورة التي عينها الله كذلك، هل حفظ هذا الرسول (ص) نسخة من القرآن خاصة به في بيته أم لم يفعل؟

إنّ العلماء لم يفكروا في هذا الامر لبيحثوا في مضامين الاخبار والاحاديث لعلهم يجدون في هذا الشأن خبراً وأثراً، ووفقنا الله تعالى ذكره لذلك وتوصلنا إلى النتيجة الآتية بمنه وكرمه:

أمر الرسول (ص) الامام علياً أن يجمع القرآن الذي كان في بيته(٦٩):

أ - روى النديم في الفهرست / ص ٤١ بسنده عن علي (ع) وقال: أتت رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي (ص)، فأقسم الله لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قبله... (٧٠).

ب - في حلية الاولياء لابي نعيم بسنده عن الامام علي أنه قال: لما قبض رسول الله (ص) أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن(٧١).

ج - روى السيوطي في الاتقان بسنده عن ابن سيرين أنه قال عن الامام علي (ع): (أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وأتته قال: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه)(٧٢).

د - روى - أيضا - ابن سعد في الطبقات عن ابن سيرين أنه كتبه على تنزيله فلو أصيب ذلك الكتاب كان فيه علم(٧٣).

هـ في كتاب سليم بن قيس قال: روى عن الصحابي سلمان أنه أخبر عن الامام (ع) بعد وفاة النبي (ص) وقال:

لزم بيته، وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه، فكان في الصحف والشظاظ والاسيار والرقاع، فلما جمعه كله وكتبه بيده، تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر أن أخرج فبايع.

فبعث إليه علي (ع) إتي لمشغول، وقد آليت على نفسي ان لا أرتدي رداء إلا للصلاة، حتى أولف القرآن وأجمعه. فسكنوا عنه أياماً، فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله (ص)، فنادى علي (ع) بأعلى صوته: أيها الناس! إتي لي أزل منذ قبض رسول الله (ص) مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد، فلم ينزل الله على رسول الله آية إلا وقد جمعتها، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله وعلمني تأويلها، ثم قال لهم علي (ع) لنلاً تقولوا غداً إننا كنا عن هذا غافلين، ثم قال لهم علي (ع): لا تقولوا يوم القيامة إتي لم أدعكم إلى نصرتي، ولم أذكركم حقي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته.

فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن مما تدعونا إليه، ثم دخل علي(ع) بيته(٧٤).

وانفرد اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٢٤) وجاء عن بعضهم أنه قال: (ان علي بن أبي طالب كان جمعه - أي القرآن - لما قبض النبي (ص) وأتى به يحمله على جمل، فقال: هذا القرآن قد جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء فالجزء الأوّل...).

وقال الكلبي:

لما توفي رسول الله (ص) قعد علي بن أبي طالب (ع) في بيته فجمعه على ترتيب نزوله. ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير(٧٥).

وقال عكرمة:

لو اجتمعت الانس والجن على أن يألفوه كئأليف علي بن أبي طالب (ع) ما استطاعوا(٧٦).

وأرى الصحيح في ذلك ما رواه الشهرستاني من أنه حملة وغلماه، وأنه كان حمل بعير، في مقدمة تفسيره مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار في تفسير القرآن:

أنه كان في مصحفه المتن والحواشي.

ويروي أنه لما فرغ من جمعه أخرجه هو وغلماه قنبر إلى الناس، وهم في المسجد يحملانه ولا يقلانه.

وقيل أنه كان حمل بعير، وقال لهم هذا كتاب الله كما انزل الله على محمد(ص) جمعته بين اللوحين.

فقالوا: ارفع مصحفك لا حاجة بنا إليه.

فقال: والله لا ترونه بعد هذا أبداً، إنما كان عليّ أن أخبركم به حين جمعته. فرجع إلى بيته... (٧٧).

إذا فقد حملة الامام مع غلامه قنبر، وكان حمل بعير، وليس حملة على جمل وذلك لان بيت الامام علي كان بابه يفتح إلى المسجد.

وينبغي لنا أن ندرس خبر سليم بن قيس وأصله.

٦٩ كما سيأتي في بحث: اين كان القرآن الذي جمعه الامام علي الاتي.

٧٠ الفهرست للنديم ص ٤١ - ٤٢ وقريب منه في الاتقان للسيوطي ١ / ٥٩ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨. وما جاء في بعض الروايات: (جمع فيه القرآن من قلبه) وفي أخرى: (وكتبه بيده) إمّا أن يكون من أوهام الرواة أو من أوهام النساخ فآته لا يتيسر كتابة القرآن عن ظهر قلب في ثلاثة أيام، ثم إنهم اتفقوا على أنه كان في تلك النسخة علم أي تفسير الآيات وعليه فلا يتيسر كتابته في ثلاثة أيام وإمّا الذي قام به الامام علي (ع) ربط ما كتب من أي السور بعضها ببعض الآخر بخيط.

٧١ حلية الاولياء لابي نعيم ١ / ٦٧؛ وتاريخ القرآن للباري ص ٨٤.

٧٢ الاتقان للسيوطي ١ / ٥٩؛ ومناهل العرفان ١ / ٣٤٧؛ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨؛ والصواعق المحرقة ص ١٣٦؛ وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٨.

٧٣ طبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨؛ وط. أوربا ٢ / ق ١٠١؛ وتاريخ الخلفاء ص ١٨٥؛ وكنز العمال ٢ / ٣٧٣؛ والصواعق المحرقة ص ١٣٦.

٧٤ كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٨ - ١٩، وذكر ابن كثير موجز هذه الاخبار في (فضائل القرآن من ذيل تفسيره) ص ٢٨.

٧٥ التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٤.

٧٦ الاتقان للسيوطي ١ / ٥٩.

٧٧ تفسير الشهرستاني، المقدمة، الورقة ١٥.

أصل سليم أو كتاب سليم:

لابي صادق سليم بن قيس الهلالي العامري صاحب الامام علي (ع) كتاب. وأدرك سائر الائمة إلى الامام الباقر - (ع) - .

روى الكتاب عنه مناوله أبان بن أبي عياش كما رواه عنه النديم في أخبار فقهاء الشيعة وما صنّفوه من الكتب وقال:

قال محمّد بن إسحاق (ت: ٥١٥): من أصحاب أمير المؤمنين (ع) سليم بن قيس الهلالي، وكان هاربا من الحجاج، لأنّه طلبه ليقتله، فلجأ إلى أبان بن أبي عياش، فأواه، فلما حضرته الوفاة، قال لابان: إن لك عليّ حقا، وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي، إنّه كان من أمر رسول الله (ص) كيت وكيت وأعطاه كتابا، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور رواه عنه أبان بن أبي عياش لم يروه عنه غيره.

وقال أبان في حديثه: وكان - سليم بن - قيس شيخا له نور يعلوه... الحديث (٧٨).

روى عنه المسعودي في التنبيه والاشراف (٧٩) وقال:

(... ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش ان النبي (ص) قال لامير المؤمنين عليّ بن ابي طالب (ع) (... الحديث.

وروى الفضل بن شاذان (ت: ٥٢٦٠) وقال: حدثنا محمّد بن إسماعيل بن بزيع قال حدثنا ابن عيسى (ت: ٥٢٠٨).. ذكرت هذا

الحديث عند مولاي أبي عبدالله أي الصادق (ع) فيكى، وقال: صدق سليم.

ويروي الكتاب عن سليم بغير مناولة جمع من الرواة ذكرهم الشيخ آغابزرک في الذريعة (٢ / ١٥٢).

وقد روى عن الكتاب جمع من علماء الامامية مثل الكليني والصدوق ومن جاء بعدهم.

وينبغي مقابلة الكتاب المتداول بيننا باسم (اصل سليم) بما رواه أولئك الاعلام عنه، فان الكتاب المطبوع والمتداول بين أيدينا غير سليم عن التحريف، شأنه شأن مقتل أبي مخنف، فان ما رواه عنه الطبري سليم، والكتاب المطبوع باسم مقتل أبي مخنف فيه بعض التحريف.

٧٨ الفهرست، الفن الخامس من المقالة السادسة، أخبار فقهاء الشيعة وأسماء ما صنّفه من كتب ص ٣٠٧ وط. طهران ص ٢٧٥. وفي الاصل (قيس) ونراه من غلط الناسخ والصحيح ما أثبتناه.

٧٩ كتاب التنبيه والاشراف ص ١٩٨ - ١٩٩.

ينبغي أن ندرس من خير تدوين الامام علي القرآن ما يأتي:

١ - اهتمام الامام علي (ع) بجمع القرآن:

من أجل أن نفهم مغزى هذا العمل من الامام ينبغي ان ندرسه مقارنا باهتمامه تجهيز جثمان الرسول في حين ان الصحابة اهتموا بأمر الخلافة وانصرفوا.

ذكرنا في أخبار السقيفة الانفة:

أن الانصار عندما توفي الرسول (ص) اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وتبعهم المهاجرون يتجادلون علي أمر الخلافة، وتركوا جثمان الرسول (ص) بين أهله يُغسله الامام علي (ع) ومن معه، ولما انتهى اليهم خبر السقيفة أراد العباس أن يبايع الامام، فأبى، وقال: لنا بجهاز رسول الله شغل.

ولم يفارق جثمان الرسول (ص) حتى صلى المسلمون عليه بقية يوم الاثنين وتمام يوم الثلاثاء ثم دفنه (ص) ليلة الاربعاء بعد ان تمت البيعة لابي بكر.

وكان عملهم ذلك بعد وفاة الرسول نظير عملهم في حياته كما أخبر الله - تعالى - عنه وقال في سورة الجمعة:

(وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ...). (الجمعة / ١١)

وروى الطبري والقرطبي والسيوطي في شأن نزول هذه الاية بتفاسيرهم وقالوا:

قدمت المدينة تجارة معها طبل - فانصرفوا إليها - وتركوا رسول الله (ص) قائما على المنبر ، وبقي منهم في المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة أو أقل من ذلك يخطب خطبة صلاة الجمعة، فقال رسول الله (ص): لو تتابعتم لتأجج الوادي نارا(٨٠).

* * *

كان ذلك موقف الامام علي من جثمان الرسول ومن القرآن بعد وفاة الرسول(ص)، وقد درسنا خبره مع جثمان الرسول في أخبار السقيفة، وندرس في ما يأتي عمل الامام في جمعه للقرآن بعد وفاة الرسول.

٢ - كيف جمع الامام القرآن مع تأويله وتنزيله بعد وفاة الرسول (ص):

قالوا ما موجه: لما انتهى الامام علي من جهاز رسول الله (ص) جلس في بيته وانكب على القرآن يجمعه مع تنزيله وتأويله وما فيه من ذكر الحكم الناسخ والحكم المنسوخ فبعث إليه أبو بكر بعد ان تمت البيعة له يدعوه إلى بيعة، فاجابه أني لمشغول بالقرآن

أجمعه، وآليت على نفسي ألا أرتدي رداء إلا للصلاة.

خلاصة الروايات:

أ - اتفقت الروايات على ما ذكر مع اختلاف في التعبير، وشيخ من روى مثل ابن أبي داود في ص ١٠ من المصاحف أن أبا بكر أرسل إلى الامام فقال: (أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله...) (٨١).

فقد أوردنا في خير السقيفة عن صحيح البخاري وغيره ان الامام لم يبايع حتى توفيت ابنة رسول الله (ص).

ب - اتفق محتوى الروايات على ان الامام كان قد جمع القرآن جمعا كما نسميه اليوم بالتفسير، فقد قال ابن سيرين: كتب فيه الناسخ والمنسوخ، وليس المقصود الايات التي تسمى بالناسخة والمنسوخة، وإلا لقال: الناسخ والمنسوخة، ثم إن إيراد الايات المسماة بالناسخة والمنسوخة لا يخص ما كتبه الامام بل إنه عام لكل من كتب القرآن.

ويؤيد ذلك قول ابن سيرين ((فلو اصيب ذلك الكتاب كان فيه علم)) فآته لو كان ما كتبه الامام مجردا عن التفسير كما دون القرآن بعد ذلك وتناولته الايدي إلى عصرنا لما خص ابن سيرين القول في ما كتبه الامام بأن فيه علما (٨٢).

ج - اتفق محتوى الروايات بان أحدا لم ير ما كتبه الامام علي فما خبره؟

نجد تمام الخبر عند سليم حين يروي عن سلمان أن الامام جاء به إلى المسجد، وعرضه عليهم، فامتنعوا من قبوله، فدخل علي بيته مع ما كتب.

د - وبناء على ما أثبتناه من روى شيئا عن ذلك الكتاب غير الائمة من أولاد الامام علي كان عمله رجما بالغيب ولا يصدق.

٨٠ أخرج الروايات مسلم في كتاب الجمعة ٢ / ٥٩٠ من صحيحه مفعلا، والبخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الامام ١ / ١١٦.

٨١ تاريخ الخلفاء ص ١٦٥؛ والصواعق المحرقة ص ١٢٦؛ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٢٨؛ وكنز العمال ٢ / ٢٧٣؛ وأنساب الاشراف ١ / ٥٨٧.

٨٢ تاريخ القرآن ص ١٨٥؛ وأعيان الشيعة ١ / ٨٩ عن عدّة الرجال للعرجي؛ وأوائل المقالات ص ٥٥؛ وبحر الفوائد ص ٩٩.

٢ - اين كان القرآن الذي جمعه الامام علي:

كل الروايات الماضية لم تعين أين كان القرآن الذي جمعه الامام بعد وفاة الرسول (ص)، وقد عيّن الامام الصادق جعفر بن محمد من أين أخذ الامام ذلك القرآن، وقال: إن رسول الله (ص) قال لعلي: يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقراطيس، فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيعت اليهود التوراة.

فانطلق علي فجمعه في ثوب أصفى، ثم ختم عليه في بيته. وقال: لا أرتدي حتى أجمعه.

وإن كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه.

قال: وقال رسول الله (ص): لو أن الناس قرأوا القرآن كما أنزل ما اختلف اثنان (٨٣).

وفي البحار - ايضا - عن أبي رافع أنه قال: إن النبي (ص) قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي: يا علي! هذا كتاب الله خذهُ إليك.

فجمعه علي في ثوب، فمضى إلى منزله، فلما قبض النبي (ص) جلس علي فآلفه كما أنزله الله، وكان به عالما (٨٤).

وقال السيوطي: (كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله (ص) لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور) (٨٥).

وأصدق القول في هذا الخبر وأجمعه قول الامام الذي رواه الطبرسي وغيره، قال:

ولقد جئتهم بالكتاب كَمَلاً مشتملاً على التأويل والتنزيل (٨٦).

دراسة الخبر:

أ - التنزيل: المراد بالتنزيل هنا القرآن الذي أنزل الله لفظه على الرسول (ص) كما يظهر ذلك من قوله تعالى:

(حم * تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). (فصلت / ١ - ٣)

ب - التأويل: ما يؤول إليه اللفظ، والمراد منه هنا بيان الآيات التي بلغها الرسول (ص).

ج - الكتاب: جاء تفسيره في قوله بعده: (كَمَلاً مشتملاً على التأويل والتنزيل) أي كان الكتاب الذي حملة الامام إليهم كاملاً مشتملاً على القرآن الذي أوحى الله لفظه إلى رسوله (ص) مع بيان الآيات وتفسيرها، التي أوحى الله إلى الرسول (ص) معناها وبلغها الرسول (ص) بلفظه إلى أصحابه عامة وإلى ابن عمه خاصة. وكذلك كانت مصاحف الصحابة قبل أن يجردها عن حديث الرسول (ص).

وعلى هذا فإن في كلام الامام تعريضا بالمصاحف التي جردت من حديث الرسول (ص) بعد الرسول (ص) وتصريحا بأن المصحف الذي جاء به إليهم كان كاملاً لم ينقص منه حديث الرسول (ص) في بيان الآيات. وفي ضوء كلام الامام يجوز لنا أن نفسر اختلاف مصاحف الصحابة بوجود بيان الرسول (ص) في تفسير الآيات ببعض مصاحف الصحابة دون بعض الآخر، وأنه لم يكن الاختلاف بينها في النص القرآني.

ولولا أنّ القرآن الذي جمعه الامام علي بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة كان في بيت رسول الله (ص) ولم يكن قبل ذلك في بيت الامام علي لما اقتضى الامر أن يهتم الامام بأمر جمعه بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة وأن لا يغادر بيته ولا يرتدي رداءه، حتى يجمعه.

وبناء عليه فإن القرآن الذي أخذه الامام علي من بيت رسول الله (ص) وجمعه هو القرآن الذي كان رسول الله (ص) يأمر كتابه بتدوين آياته عند نزولها بإشرافه، غير ان ذلك القرآن كان موزعاً في صحف ورقاع وما شابههما فجمعه الامام بضم بعضها إلى بعض في ثلاثة أيام.

ولابد أن يكون مع الآيات التي دونت بأمر الرسول (ص) ما أوحى الله - تعالى - إليه في شرحها يحتاج إلى الشرح والبيان مثل بيان عدد ركعات الصلاة واذكارها وشأن نزول الآيات وفي أي مناسبة نزلت، ولذلك كانوا يقولون (لو أصيب ذلك الكتاب كان فيه علم).

ولو كان مكتوباً فيه الآيات دون شرح لما قالوا ذلك، وبما أن عصبة الخلافة كانوا يعلمون أن في ما دون ذلك المصحف في بيان الآيات بأمر الرسول (ص) ومما أوحى إليه يخالف سياسة الحكم أبوا أن يقبلوا ذلك المصحف فرجعه الامام إلى بيته، وورثه من بعده الأئمة من بنيه كابراً بعد كابر.

وينبغي أن نشير هنا أن الرسول (ص) كان قد أعد وصيه الامام علياً (ع) في حياته للقيام بهذا العمل، فقد روى ابن سعد في طبقاته بسنده عن الامام علي (ع) أنه قال: واللّه ما نزلت آية إلا وقد علمت في ما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي أعطاني قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً.

وقال: سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل نزلت أم في جبل (٨٧).

وقد تأنى له ذلك بما اختص به من قربى رسول الله (ص) وقربه.

روى النسائي وابن ماجه وأحمد واللفظ للاول بسندهم عن الامام علي أنه قال: كانت لي منزلة من رسول الله (ص) لم تكن لاحد من الخلائق، فكنت أتبه كل سحر، فأقول: السلام عليك يا نبي الله، فان تتحنح انصرفت إلى أهلي، وإلا دخلت عليه.

وقال: كان لي من رسول الله (ص) ساعة أتبه فإذا أتيته فيها استأذنت، ان وجدته يصلي تتحنح، وان وجدته فارغاً أذن لي.

وقال: كان لي من رسول الله (ص) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار، فكنت إذا دخلت بالليل تتحنح (٨٨).

وقد روى زيد بن علي بن الحسين (ع) هذا الخبر عن جده وقال:

قال أمير المؤمنين (ع) : ما دخل في رأسي نوم ولا عهد لي رسول الله (ص) حتى علمت من رسول الله (ص) ما نزل به جبرائيل

في ذلك اليوم من حلال أو حرام أو سنة أو أمر أو نهي في ما نزل فيه وفي من نزل.

قال الراوي: فخرجنا، فلقينا المعتزلة، فذكرنا ذلك لهم، فقالوا: ان هذا الامر عظيم كيف يكون هذا وقد كان أحدهما يغيب عن صاحبه فكيف يعلم هذا؟

قال : فرجعنا إلى زيد فأخبرناه بردهم علينا، فقال: يتحفظ على رسول الله (ص) عدد الايام التي غاب بها، فاذا التقيا، قال له رسول الله (ص): يا علي! نزل علي يوم كذا: كذا وكذا وفي يوم كذا: كذا وكذا، حتى بعدهما إلى آخر اليوم الذي وافى فيه ما خبرناهم بذلك (٨٩).

وقد يوجه إلينا في هذا المقام سؤال آخر وهو:

إن كان في ما جمعه الامام (ع) من بيت الرسول (ص) ما يحتاجه الناس في فهم القرآن فما جدواه بعد أن أخذه الامام إلى بيته وأخفاه؟

والجواب: ان الله - سبحانه - بمقتضى وعده في قوله: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) وقوله: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) جمع في صدر الرسول (ص) وبينه له، والرسول (ص) بمقتضى رسالته بلغ من حضره ما احتاجوها منها وأمر وصيه الذي كان قد أعده لذلك يجمعه في مصحف بعد وفاته، ففعل ذلك، ثم أخرجه إلى الناس، وعرضه عليهم، ولما امتنعوا من قبوله أخفاه يومذاك كي لا يصيب ما جمعه ما أصاب مصاحف سائر الصحابة من الحرق كما سنيبه في ما يأتي إن شاء الله تعالى، وبفعله ذلك حفظ ما جمعه من بيت الرسول من التلف آنذاك، ثم ورثه الأئمة من ولده، ليفيضوا من علمه طوال القرون على من شاء أن يأخذ منهم علوم القرآن، وقد قال الله - سبحانه -: (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ) وقال - تعالى -: (أَنْلِزْمُكُمُوهَا وَأَنْثُمْ لَهَا كَارِهُونَ) حتى إذا ظهر المهدي (ع) من ولده وحكم الناس أظهره بأمر الله - جل اسمه - وأمر بتعليم الناس إياه في مسجد الكوفة: كما سنشرحه في المجلد الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

لاينافي ما ذكرناه حول هذه النسخة من القرآن وتفسيره الخاص بالرسول (ص) وجود نسخ أخرى لدى الصحابة ومن ضمنهم الامام علي (ع) يكون مع بعضها ما انتهى إليهم من بيان من الرسول حول بعض الايات كما سندرسه في البحث الاتي إن شاء الله تعالى.

* * *

وقع ما ذكرناه بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة، ولما استقام الامر للخلفاء بعد الرسول (ص) كانت لهم سياسة خاصة بشأن القرآن نذكرها في ما يأتي بحوله تعالى.

٨٣ في البحار ٩٢ / ٤٨ و٥٢ نقلًا عن تفسير القمي ص ٧٤٥؛ وعمدة القاري ٢٠ / ١٦؛ وفتح الباري ١٠ / ٣٨٦؛ والمناقب لابن شهر آشوب ٢ / ٤١؛ والاتقان للسيوطي ١ / ٥٩.

٨٤ في البحار ٩٢ / ٥١ - ٥٢. أبو رافع مولى رسول الله واختلفوا في اسمه فقيل: أسلم وقيل إبراهيم وقيل صالح، توفي في خلافة الامام علي، راجع ترجمته في تراجم الاسماء المذكورة في أسد الغابة. ومناقب آل أبي طالب ٢ / ٤١.

٨٥ الاتقان للسيوطي ١ / ٥٩؛ ومناهل العرفان للزرقاني ١ / ٢٤٠.

٨٦ الاحتجاج للطبرسي ط. النجف الاشرف سنة ١٣٨٦ هـ / ١ / ٣٨٣؛ والبحار للمجلسي ط. طهران ٩٣ / ١٢٥ - ١٢٦.

٨٧ طبقات ابن سعد ط. بيروت ٢٥١٣٧٦ / ٣٣٨.

٨٨ الروايات الثلاث في سنن النيسابري ١ / ١٧٨، كتاب السهو، باب التنحيح في الصلاة، وفي طبعة دار إحياء التراث العربي في بيروت ٣ / ١٢، والرواية الثالثة في سنن ابن ماجة (٣٧٠٨) من باب الاستئذان بكتاب الادب، والرواية الأولى بمسند أحمد ١ / ٨٥ والثالثة في ١ / ٨٠.

٨٩ بصائر الدرجات ص ١٩٧.

أخبار القرآن على عهد الخليفة أبي بكر

تمهيد في بيان سياسة الحكم مع القرآن بعد الرسول (ص) كانت سياسة جمع القرآن من قبل الخلفاء الثلاثة نابعة عن سياستهم

مع حديث الرسول كما درسناه في بحث اختلاف المصاحف، وفي ما عدا ذلك اتبع الحكام والمسلمون الانظمة التي سنّها الرسول في شأن اقراء القرآن وتدوينه من حيث مواضع الايات في السور وترتيب السور كما هو عليه القرآن في عصرنا الحاضر. وانتشر الاقراء والتدوين في كل بلد حل فيه المسلمون، ونبدأ في ما يأتي أولاً بايراد بعض أخبار التقارؤ والقراء ثم نتبعها بخبر تدوين القرآن إن شاء الله تعالى.

سياسة الحكم في شأن القرآن:

مرّ بنا في ذكر نظام الاقراء على عهد رسول الله أنّه (ص) كان يقرئهم عشر آيات فلا يجاوزونها حتّى يعلمهم ما فيها من العلم والعمل، ولفظ الرسول (ص) الذي كان يعلمهم به ما في الايات من العلم والعمل يسمى في المصطلح الاسلامي بحديث الرسول، فانهم كانوا يتعلمون من الرسول (ص) القرآن وحديث الرسول الذي يفسر القرآن.

هذا ما كان على عهد الرسول (ص)، ووجد في عصر أبي بكر ما رواه الذهبي وقال: أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: انكم تحدثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله (ص) شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بينا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه(١).

نظرة في هذا الخبر وهذه التوصية:

إنّ هذه التوصية وردت بلفظ آخر من الخليفة عمر حين قال: (جرّدوا القرآن...) كما يأتي بيانه في خبر القرآن على عهده، وهو مؤدّى الشعاررفعه عمر يوم وفاة الرسول (ص) عندما طلب منهم الرسول (ص) وقال ((هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده)).

فقال عمر: عندنا كتاب الله حسبنا كتاب الله.

إذا فالغاية من كلّ هذه المحاولات منع انتشار حديث الرسول (ص) سواء كان تفسيراً للقرآن، أم كان في بيان أمر آخر.

ترى ما السبب في ذلك؟!

أما الخليفة أبو بكر، فقد علّل نهيّه عن التحديث عن رسول الله (ص) بانهم سوف يختلفون فيها.

* * *

وسوف نرى في ما يأتي - إن شاء الله تعالى - ونذكر ان سبب نهيهم عن نشر حديث الرسول (ص) تخوفهم من انتشار ما يخالف سياسة الحكم عندهم.

وكان من جملة حديث رسول الله (ص) المنهي عن نشره ما كان تفسير الايات من القرآن التي فيها فضيلة لمنافسي سلطة الخلفاء أو منافسي قبيلتهم قريش، ولهذا السبب أصدر الخليفة أبو بكر مرسوم (لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بينا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه).

ورفع قبله عمر شعار حسبنا كتاب الله.

وسوف نرى في ما يأتي كيف أصبح الكلامان شعاراً لسياسة الخلفاء في شأن القرآن وحديث الرسول وكيف نفذوهما بكل اتقان مصحوباً - غالباً ما - بشدة وعنف في عهد الخليفتين عمر وعثمان خاصة.

وندرس كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

١ تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢ - ٢ بترجمة أبي بكر.

تدوين القرآن:

أمر الخليفة أبو بكر بتدوين القرآن مجرداً من حديث الرسول (ص) على عهده، وتم العمل على عهد عمر، كما سندرسه في أخبار

التدوين على عهد الخليفة عمر إن شاء الله تعالى.

من أخبار القراء في عصر أبي بكر:

من أخبار القراءة والقراء في عصر أبي بكر ما أورده ابن كثير في باب جمع القرآن من فضائل القرآن ذيل تفسيره وقال:

((ان مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة الف، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفاً، فالتقوا معهم فانكشف الجيش الاسلامي لكثرة من فيه من الاعراب.

فنادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا. يقولون: ميزنا من هؤلاء الاعراب.

فتميزوا منهم، وانفردوا، فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف.

ثم صدقوا الحملة، وقاتلوا قتالا شديدا، وجعلوا يتنادون يا أصحاب سورة البقرة.

فلم يزل ذلك دأبهم، حتى فتح الله...

وفي تاريخ خليفة بن خياط: كان جميع القتلى من المسلمين أربعمائة وخمسين رجلا وأخمسمائة رجل وكان ممن قتل من المهاجرين والانصار مائة وأربعون رجلا فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن(٢).

دراسة الخبر:

في هذا الخبر في الجيش كثرة من الاعراب، والاعراب هم سكان البوادي والذين قال الله تعالى فيهم في سورة التوبة: (الاعرابُ أشدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ...) الآية / ٩٧.

وعلى هذا كان عدد غيرهم أقل منهم ولا يتعدون ستة آلاف من أهل المدن لا سيما مدينة الرسول، وكان ثلاثة آلاف منهم من القراء وكان شعارهم: يا أصحاب سورة البقرة أي يا من كسبتم فضيلة حفظ أكبر سورة في القرآن. وإذا كان هذا عدد من اشترك منهم في القتال فكم كان عدد من لم يشارك من الشبية والنساء والفتيان من القراء القاعدين عن القتال في المدينة وحواليها؟

وكم كان عدد الشيوخ والمرهقين من القراء ومن كان منهم في مكة وسائر البلدان الاسلامية؟

٢ فضائل القرآن ص ٨، تفسير ابن كثير، الجزء الرابع؛ وتاريخ خليفة بن خياط (ت: ٢٣٠ أو ٥٢٤٠) ط. النجف ١٣٨٦ ص ٧٧ - ٨٣. ذكر أسماء من استشهد وقاتلهم فردا فردا.

خبر القرآن على عهد الخليفة عمر

أ - أمر الخليفة عمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص):

نُفذ الخليفة عمر الشعار الذي رفعه الخليفة أبو بكر وأمر بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص)، ومن ذلك ما رواه الطبري في ذكر سيرة عمر من تاريخه وقال:

كان عمر - اذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول... جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد (ص) وانا شريككم(٣).

في تذكرة الحفاظ عن قزطه بن كعب الانصاري قال: لما سيرنا عمر إلى العراق...

وفي طبقات ابن سعد قال: أردنا الكوفة فشيعنا عمر إلى صرار، فتوصاً، فغسل مرتين، وقال: تدرن لِمَ شيعتكم؟

فقلنا: نعم، تكرمنا نحن أصحاب رسول الله (ص).

فقال: إني أتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تصدّوهم بالاحاديث فتشغلوهم، جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله (ص)، امضوا وأنا شريككم.

وفي مستدرک الحاكم قال قرظة: فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا، قال نهانا ابن الخطاب.

وفي جامع بيان العلم وفضله قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله (ص) (ع).

ومن موارد ما رواه الطبري وابن كثير وقالوا:

لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي قوما لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كدويّ النحل فدعهم على ما هم عليه ولا تشغلهم بالاحاديث وأنا شريكك في ذلك (ع).

وان قول الخليفة عمر (جرّدوا القرآن عن حديث الرسول (ص)) يدلّ على أنّه كان لدى الصحابة إلى ذلك العصر مصاحف كتبت فيها مع أي القرآن حديث الرسول (ص) في بيان أي القرآن والذي قلنا في ما سبق أنّه كان يتلقّى الرسول (ص) ما يبينه في معاني الآيات عن طريق الوحي من الله.

وكان الخليفة يطلب منهم ان يعلّموا المسلمين تلاوة القرآن، ولا يعلّموهم حديث الرسول (ص) في تفسير الآيات كما كان ذلك ذلك شأن الاقراء في عصر الرسول (ص).

وقد بدأ بهذا الامر الخليفة الاول أبو بكر عندما قال: (... فلا تحدثوا عن رسول الله (ص) شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه).

غير أن الخليفة الثاني كان أكثر صراحة في هذا الشأن من قول الخليفة الأوّل، كما ذكرنا ذلك في بحث جمع القرآن.

هكذا كان الخليفة يمنع من إقراء القرآن كما كان على عهد الرسول (ص).

وكان الخليفة أحيانا يظهر عدم اهتمامه بتفسير القرآن، ومن مصاديقه ما روى المفسرون في تفسير سورة عبس واللفظ للسيوطي عن أنس:

(أنّ عمر قرأ على المنبر (فَأَنْتَبْتَا فِيهَا حَبًّا * وَعَتَبَا وَقَضَبًا - إلى قوله - وَأَبَا) قال كل هذا عرفناه فما الأب ثمّ رفع عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك ان لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه) (٦).

* * *

كان ذلكم في ما يخص نفسه وأمّا مع الآخرين ممّن يسأل عن تفسير القرآن فكان شأنه كالاتي خبره.

ونهي عن السؤال عن تفسير القرآن وضرب عليه كما روى السيوطي بتفسير (وفاكهة وأب) وقال: (إنّ رجلا سأل عمر عن قوله ((وَأَبَا)) فلما رآهم يقولون كذا أقبل عليهم بالدرّة، والدرّة سوط يضرب به وقد جلد عليه وأدمى وسجن ونفى كما نقرأ كل ذلك في الخبر الاتي.

ب - تنكيل الخليفة بمن يسأل عن تفسير القرآن:

جاء في سنن الدارمي وتفسير القرطبي والاكمال لابن ماكولا وتاريخ ابن عساكر خبر صبيغ بن عسل:

قال ابن ماكولا في الاكمال: صبيغ بفتح الصاد وكسر الباء، وعسل بكسر العين وسكون السين، وعسيل بضم العين وفتح السين. وكان يسأل عن المشكلات التي في القرآن فنجاه عمر من المدينة إلى العراق، وأمر أن لا يجالس.

وفي تاريخ ابن عساكر:

(صبيغ) بن عسل ويقال: ابن عسيل، ويقال: صبيغ بن شريك بن عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي اليربوعي البصري الذي سأل عمر بن الخطاب عما سأل فجلده وكتب إلى أهل البصرة: لا تجالسوه.

وفي رواية فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين

فضربه وقال: أنا عبدالله عمر، وما زال يضربه حتى أدمى رأسه فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي. وفي رواية أخرى:

أنه جعل يسأل عن متشابه القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ أبصر لا يكون ذهب فتصبيك مني العقوبة الوجيعة؟ فأتى به فقال عمر: سبيل محدثة، فأرسل إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برئ، ثم عاد له ثم تركه حتى برئ، فدعا به ليعود، فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسن أمره، فكتب إليه عمر أن ائذن للناس بمجالسته. وروى الخطيب هذه الحكاية بنحوها والحافظ ابن عساكر أيضا عن أبي عثمان النهدي، وروى عنه الخطيب أنه قال: كتب إلينا عمر لا تجالسوا صبيغا، فلو جاءنا ونحن مائة لتفرقنا عنه، وروي عن ابن سيرين أمر أن يحرم من عطائه ورزقه، وروي أيضا عن زرعة أنه قال: رأيت صبيغا كأنه يعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه فتناديهم الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين عمر فيقومون ويدعونه. وفي رواية الخطيب: أن عمر أمر أن يقوم خطيب فيقول: ألا إن صبيغا طلب العلم فأخطأه فلم يزل وضعا في قومه بعد أن كان سيدا فيهم(٧).

* * *

ما ذكرناه أنفا يوضح بجلاء سياسة الخليفة في تجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) ويوافق هذه السياسة سياسته في منع نشر حديث الرسول (ص) كالاتي خبره.

٢ تاريخ الطبري ط. أوروبا ٥ / ٢٧٤١ وط. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م ٤ / ٢٠٤.

٤ جامع بيان العلم للخطيب البغدادي ط. المدينة المنورة سنة ١٣٨٨هـ / ٢ / ١٤٧، وتذكرة الحفاظ ١ / ٧، وسنن الدارمي ١ / ٨٥، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب التوقي في الحديث عن رسول الله (ص) ١ / ١٢، ومستدرک الحاكم ١ / ١٠٢. طبقات ابن سعد ط. بيروت ٦ / ٧. وكنز العمال ٢ / ١٨٣. وقرظة بن كعب أنصاري خزرجي، في أسد الغابة هو أحد العشرة الذين وجههم عمر مع عمار بن ياسر إلى الكوفة. شهد أحدا وما بعدها، وفتح الري سنة ٢٣. وولاه علي على الكوفة لما سار إلى الجمل، وتوفي بها في خلافته. أسد الغابة ٤ / ٢٠٣.

٥ الطبري ١ / ٢٧٤١، وتاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

٦ تفسير الطبري ٢٠ / ٢٨، وتفسير السورة في مستدرک الصحيحين وتلخيصه ٢ / ٥١٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وتفسير الدر المنثور ٦ / ٣١٧، والاتقان ١ / ١١٥، وفتح الباري ١٧ / ٣٠. وتفسير ابن كثير ٤ / ٤٧٣.

٧ ترجمته بمصورة مخطوطة ابن عساكر (٨ / ١، ١١٦ - ١١٨) سنن الدارمي ١ / ٥٤، ٥٥ - ٥٦. تفسير ابن كثير ٤ / ٣٣١ - ٣٣٢. تفسير الدر المنثور ٦ / ١١١. تفسير القرطبي ١٧ / ٢٩. والاكمل لابن ماكولا ٥ / ٢٢١. واخترا لفظ ابن عساكر في المتن.

ج - سياسة الخليفة في منع نشر حديث الرسول (ص) وإحراقه ما كتب

منه:

في طبقات ابن سعد قال: إن الاحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتيه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها(٨).

في كينز العمال: عن عبدالرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب، حتى يعث إلى أصحاب رسول الله، فيجمعهم من الافاق عبدالله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الاحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الافاق؟

قالوا: أئنهانا؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفرقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ - منكم - ونردّ عليكم، فما فارقه حتى مات(٩).

وروى الذهبي أنّ عمر حبس ثلاثة ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الانصاري، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله (ص) (١٠).

وأخرج الخطيب البغدادي وابن عساكر عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه قال:

بعث عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود وإلى أبي الدرداء وإلى أبي مسعود الانصاري فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرّون عن رسول الله (ص)! فحبسهم بالمدينة حتى استشهد (١١).

وقال ابن كثير: وهذا معروف عن عمر (١٢).

* * *

كانت تلكم سياسة الخليفة عمر في منع نشر حديث الرسول (ص) وتجريد القرآن منه وكان أثر تلكم السياسة كالاتي اخبارها.

د - أثر تنكيل الخليفة بمن يحدّث عن رسول الله (ص) في تفسير القرآن

وغيره:

عن السائب بن يزيد قال: صحبت سعد بن مالك - أبي وقاص - من المدينة إلى مكة، فما سمعته يحدث عن النبي (ص) بحديث واحد (١٣).

وفي تاريخ ابن كثير عن أبي هريرة قال: ما كنّا نستطيع أن نقول: قال رسول الله (ص) حتى قبض عمر (١٤).

وكان لتلك السياسة استثناء محدود كالاتي خبره.

٨ طبقات ابن سعد ط. بيروت ٥ / ١٤٠ بترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر.

٩ الحديث رقم ٤٨٦٥ من الكنز. ط الأولى ٥ / ٢٣٩، والطبعة الثانية ١٠ / ١٨٠ الحديث ١٣٩٨ ومنتخبه ج ٤ / ٦٢. وعبدالرحمن بن عوف القرشي الزهري، أخى الرسول بينه وبين عثمان من المهاجرين، وجعل عمر تعيين الخليفة بيده في الشورى فصفق على يد عثمان، توفي بالمدينة عام ٣١ أو ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ٦٥ حديثاً. راجع فصل الشورى من كتاب: (عبدالله بن سبأ) الجزء الأول. وجوامع السيرة ص ٣٧٩. وعبدالله بن حذيفة لم أجد ترجمته ولعله عبدالله بن حذافة القرشي السهمي، من قدماء المهاجرين، مات بمصر في خلافة عثمان. تقريب التهذيب ١ / ٤٠٩. وأبو الدرداء عويمر أو عامر بن مالك الانصاري الخزرجي، وأمّه محبة بنت واقد بن الاطنابة، تأخر إسلامه وشهد الخندق وما بعدها، أخى النبي بينه وبين سلمان، ولي قضاء دمشق على عهد عثمان، وتوفي بها عام ٣٣ أو ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٧٩ حديثاً. أسد الغابة ٥ / ١٥٩ - ١٦٠ و ١٨٧ و ١٨٨، وجوامع السيرة ص ٢٧٧. وعقبه بن عامر اثنان: جهني وروى عنه أصحاب الصحاح ٥٥ حديثاً، وأنصاري سلمى، أسد الغابة ٣ / ٤١٧، وجوامع السيرة ص ١٧٩.

١٠ تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٧.

١١ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٨٧؛ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكبينة الشهابي ٣١ / ٢٨٠.

١٢ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

١٣ سنن ابن ماجه ١ / ١٢، وسنن الدارمي ١ / ٨٥.

١٤ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

هـ استثناء بعض الصحابة وبعض علماء أهل الكتاب عن نهي نشر الحديث:

أذن الخليفة عمر لعدد معيّن في المدينة ان يسألوا عن تفسير القرآن وغيره فيجيبوا مثل أم المؤمنين عائشة في زوجات الرسول

(ص) وابن عباس في حاشيته.

أولاً: أمّ المؤمنين عائشة.

روى ابن سعد وقال: (كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهلمّ جرّاً إلى أن ماتت).

وروى - أيضاً - وقال: كانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت (ره)، وكان الاكابر من أصحاب رسول الله عمر وعثمان بعده يرسلان إليها، فيسألانها عن السنن (١٥).

استقلت: أي انفردت بالفتوى.

وقد درسنا أحاديثها في المجلد الثاني من كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة.

ثانياً: عبدالله بن عباس.

قال ابن كثير في ترجمة ابن عباس: ثبت عن عمر بن الخطاب أنّه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول: نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس (١٦).

وروى البخاري وغيره في تفسير سورة النصر واللفظ للبخاري (١٧):

عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر: أنّه من حيث علمتم. فدعاهم في ذات يوم فدخله معهم فما رُئيت أنّه دعاني يومئذ إلا ليربهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ).

فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أذكاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله (ص) أعلمه له قال: إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره أنّه كان تواباً فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

وروى ابن كثير في تفسيره:

قال ابن عباس: دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمّد (ص)، فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنّها في العشر الاواخر، قال ابن عباس: فقلت لعمر: إني لأعلم - أو إني لا أظن - أي ليلة القدر هي. فقال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت سابعة تمشي تمضي - أو سابعة تبقى - من العشر الاواخر، فقال عمر: من أين علمت ذلك؟ قال ابن عباس: فقلت: خلق الله سبع سماوات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الشهر يدور على سبع وخلق الانسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لاشياء ذكرها فقال عمر: لقد فطنت لامر ما فطنا له (١٨).

وفي المستدرک: فقال عمر لابن عباس: ما لك يا ابن عباس لا تتكلم؟

قال: إن شئت تكلمت.

قال: ما دعوتك إلا لتكلم.

فقال: أقول برأيي.

فقال: عن رأيك أسألك، فقلت: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: إنّ الله تبارك وتعالى أكثر ذكر السبع... الحديث.

فقال عمر: أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه؟

ثم قال: إني كنت نهيتك أن تكلم فإذا دعوتك معهم فتكلم (١٩).

قال ابن كثير في ترجمة ابن عباس: كان إذا أقبل يقول عمر: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول، والقلب العقول (٢٠).

وفي سير اعلام النبلاء قال المهاجرون لعمر: ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟

فقال: ذاكم فتى الكهول... (٢١).

وروى عن ابن عباس وقال: قال لي أبي: إنَّ عمر يُدنيك، ويُجلسك مع أكابر الصحابة، فاحفظ عني ثلاثاً: لاتفشيّن له سرّاً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً، ولا يجربنَّ عليك كذبا (٢٢).

وروى ابن كثير وقال: إن عمر وعثمان كانا يدعوان ابن عباس فيسير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات (٢٣).

وروى الذهبي في ترجمته عن طلحة بن عبيد الله أنّه قال: وما كنت أرى عمر يقدم عليه أحداً.

وروى الذهبي - أيضاً - وقال: كان عمر يستشير ابن عباس في الامر اذا هممه، ويقول غصّ غواص.

وروى عن سعد بن أبي وقاص أنّه قال: لقد رأيت عمر يدعو للمعضلات، ثمّ لا يجاوز قوله، وان حوله لاهل بدر (٢٤).

هكذا استطاع عمر الخليفة أن يروض كبار الصحابة، ليقرئوا القرآن عند هذا الفتى، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس أنّه قال:

(كنت أفرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع عبد الرحمن...) (٢٥).

وكل ما مرّ بنا من اسئلة الخليفة عمر من ابن عباس كان عن تفسير القرآن وسمّوا ذلك بالافتاء.

إذا فان الافتاء كان يستعمل في كلامهم، ويقصد به كلّ بيان رأي في أمر ديني، وكذلك الافتاء في أخبار أمّ المؤمنين كما مرّ بنا ذكره.

ويظهر ممّا سئل عن ابن عباس في ذلك العصر، وأجاب عنه ان ابن عباس كان يعلم ما ينبغي أن يحدث به، فقد روى ابن كثير وقال:

ان عمر كان يقول: أقلوا الرواية عن رسول الله (ص) إلاّ في ما يعمل به (٢٦).

دراسة في أمر الاستثناءين:

ولد ابن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة، وتوفي الرسول (ص) وقد ناهز الحلم.

ولدت أمّ المؤمنين عائشة في السنة الرابعة من البعثة ودخلت بيت الرسول (ص) بعد غزوة بدر، وتوفي الرسول (ص) وعمرها ثمانى عشر سنة وبقيت في بيته ثمانى سنوات وخمسة أشهر.

وتزوج الرسول (ص) سودة قبلها، ودخلت بيت الرسول (ص) قبلها، وتوفيت سنة أربع وخمسين.

وتزوج الرسول (ص) أمّ سلمة بعد غزوة أحد، وتوفيت في خلافة يزيد بعد استشهاد الامام الحسين (ع).

وعلى هذا أدرك ابن عباس حياة الرسول (ص) وهو صبيّ لم يبلغ الحلم بينما أدرك كبار الصحابة حياة الرسول وهم في سنّ الرشد الفكري والنضوج العقلي.

كما أدركت عائشة حياته وهي فتاة صغيرة تلعب مع أترابها باللعب كما حدثت هي بذلك (٢٧) بينما أدركت سودة حياة الرسول (ص) قبلها وأمّ سلمة مقارنا لزمانها وقد بلغتا من جلال السنّ والنضوج العقلي ما يؤهلهما لتفقه سنّة الرسول (ص) أكثر من عائشة. ويا ترى ما السبب في أن يبلغ ابن عباس مقام المشير من الخليفة عمر، ولم تحنكه التحارب في الحرب والسلم؟ وما الذي أهله ليتربّع على دست الفتيا على عهد الخليفين عمر وعثمان إلى يوم مات؟!؟

ما السبب في أن تنفرد أمّ المؤمنين عائشة بالافتاء على عهد عمر وعثمان وتستمر في الفتيا إلى يوم وفاتها؟!؟

والجواب: أن ما كان من قيامهما بالافتاء بعد عهد عمر فهو امتداد لعملهما بالافتاء على عهد عمر وارجاع الخليفة المهيب إليهما!

وما كان من سبب ارجاع الخليفة عمر إلى أمّ المؤمنين عائشة وهي فتاة في مقتبل العمر فقد بيناه مفصّلاً في كتابنا أحاديث أمّ المؤمنين عائشة ونشير إليه هنا.

وأما ابن عباس فهل كان عنده من علم الرسول (ص) وسنته ما لم يكن عند الصحابة السّباقيين إلى الاسلام في مكة أمثال الامام

علي (ع) وابن مسعود وعمار بن ياسر وخبّاب بن الارت ونظرائهم؟

وهل كان عنده ما رشحه لمقام المشير عند الخليفة من راحة العقل ما لم تكن عند الامام علي ومن الحنكة ما لم تكن عند عبدالرحمن بن عوف ومن الدراية في الأمور ما لم تكن عند عثمان ومن الخبرة في الحروب ما لم تكن عند أبي عبيدة وخالد بن الوليد ومن الدهاء ما لم يكن عند عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة!

ولنا أن نقول: كان في تعريف الخليفة ابن عباس إلى ملا من المسلمين حكمة، فقد كان المنافس القوي للخلافة عليّ بن أبي طالب ابن عم الرسول الذي قال فيه رسول الله (ص): ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها)) (٢٨) وكان بمنزلة من العلم يعلمها العلماء وأهل البحث وكانوا يرجعون إليه في ما احتاجوا إلى معرفته.

وترشيح ابن عباس لمقام الافتاء وهو ضمن حاشية الخليفة فيه سدّ لهذه الخلّة.

إضافة إلى أنّه كان يتجمل بابن عم الرسول في حاشيته، وان ابن عباس وأمّ المؤمنين عائشة كانا يعلمان كيف يفتيان ما لا يخالف سياسة الخلافة ويدل على هذا الامر ما رواه ابن كثير وقال: كان يقول للصحابة (أقلوا الرواية عن رسول الله (ص) إلا في ما يعمل به) (٢٩).

وما أوردناه عن عبد الرحمن بن عوف أنّه قال ما موجزه:

ما مات عمر بن الخطاب حتّى بعث إلى أصحاب رسول الله (ص) فجمعهم من الافاق فقال: ما هذه الاحاديث التي أفشيتم عن رسول الله (ص) في الافاق؟

قالوا: تنهاننا؟!

قال: لا، أقيموا عندي، لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم ونرد عليكم.

فما فارقه حتى مات (٣٠).

فقد كان عند الصحابة أحاديث عن رسول الله محظورا عليهم روايتها وإذاعتها كما درسناها في بحث اختلاف المصاحف، ولا بدّ أن يكون عند كل من أمّ المؤمنين عائشة وابن عباس علم بالحديث المحظور روايته وإذاعته. واعتمادا على درايتهما سياسة الخلافة كان الخليفة يستفتيها، ويرجع الاخرين اليهما.

١٥ طبقات ابن سعد ٨ / ٣٧٥.

١٦ تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩.

١٧ صحيح البخاري ٣ / ١٤٨ وتفسير القرطبي ٢٠ / ٢٣٢. وتفسير ابن كثير ٤ / ٥٦١. وتاريخه ٨ / ٢٩٩، والمستدرک للحاكم ٣ / ٥٣٩. وأنساب الاشراف للبلاذري ٣ / ٢٣٠ - ٢٣١ وفي لفظة: (كان ناس من المهاجرين قد وجدوا على عمر في ادنائه ابن عباس دونهم)، تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ٣٢، ٣٣، سير اعلام النبلاء ٣ / ٢٤٣ ط. مصر.

١٨ تفسير ابن كثير ٤ / ٥٣٣، وتاريخه ٨ / ٢٩٩، تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ٣٣.

١٩ المستدرک: ٣ / ٥٣٩.

٢٠ تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩، تاريخ الاسلام للذهبي ٣١ / ٣٣.

٢١ سير اعلام النبلاء ٣ / ٣٤٥.

٢٢ تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ٣٣، وتاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩.

٢٣ تاريخ ابن كثير ٨ / ٢٩٩؛ وسير اعلام النبلاء ٣ / ٣٤٥ - ٣٤٧؛ وفي ط. دار المعارف مصر، ٣ / ٢٢٤ - ٢٤١. وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٦٦ - ٣٧٠.

٢٤ سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٤٦ - ٣٤٧.

٢٥ صحيح البخاري ٤ / ١١٩، باب رجم الحبلى من الزنا من كتاب الحدود.

٢٦ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧ في ترجمة أبي هريرة.

٢٧ البخاري ٤ / ٤٧، كتاب الادب، باب الانبساط؛ وطبقات ابن سعد ط. اوربا ٨ / ٤٠ - ٤٥؛ ومسند أحمد ٦ / ١٦٦ و ٢٣٣ و ٢٣٤.

٢٨ أسد الغابة، ترجمة الامام عليّ (ع) ٤ / ٢٢.

٢٩ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

٣٠ كنز العمال، كتاب العلم، باب في آداب العلم والعلماء، فصل في رواية الحديث، طبعة حيدر آباد ١٠ / ١٨٠، الحديث رقم ١٣٩٨؛ ومنتخبه بهامش مسند أحمد ٤ / ٦٢.

و - عمل الاثنى المذكورين بسياسة الخلافة في رواية الحديث:

إذا تدبرنا في نوع الايات التي كان الخليفة يوجّه الاسئلة عن تفسيرها إلى ابن عباس، وجدناها تدور حول آيات ليس فيها مدح أو قدح لانسان عملاً بسياسة قريش في نهيمهم عن نشر حديث الرسول لما فيه مدح أو قدح لانسان لزعيمهم أنها صدرت في حال رضا الرسول أو سخطه على ذلك الانسان.

كان ذلكم في العلن.

أمّا في الخفاء فكان أحياناً ونادراً ما يجري الحديث المحظور، ومن حملتها ما رواه الطبري والبخاري ومسلم وغيرهم عن ابن عباس واللفظ للاول قال: قال ابن عباس:

مكنت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المتظاهرتين المذكورتين في سورة التحريم فما أجد له موضعاً أسأله فيه، حتى خرج حاجاً وصحبته حتى إذا كان يمرّ الظهران - على مرحلة من مكة - ذهب لحاجته، وقال: أدركني باداوة من ماء، فلما قضى حاجته ورجع أتيت به بالاداوة أصبها عليه فرأيت موضعاً، فقلت:....(٣١).

كان في حمل ابن عم الرسول الاداوة للخليفة تجمل له وفي مثل هذا المقام وجد الفتى الذكي فرصة مناسبة ليسأل الخليفة في معزل عن الناس عن خبر محظور الحديث حوله.

وجلّ ما روي عن ابن عباس في التفسير تفسير لفظي لايات القرآن الكريم.

كان ذلكم شأن ابن عباس وأحاديثه حول القرآن الكريم.

وإذا تدبرنا أحاديث أمّ المؤمنين عائشة وجدنا كثيراً مما روي في فضائل الخليفتين ينتهي أسنادها إليها ووجدنا في أحاديثها انكاراً لبعض فضائل الامام علي كما مرّ بنا شيء منها في بحث الوصية من المجلد الاول من كتاب معالم المدرستين، والدراسة المفصلة لاحاديثها منشورة في كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) والحمد لله.

والحقّ أنّ كلا من أمّ المؤمنين عائشة وعبدالله بن عباس كانا يمتازان بذكاء مفرط يستفيد منهما الخليفة في حسن تنفيذ سياسة الخلافة، ويدرك ذلك بوضوح في ما روي عن ابن عباس في تفسير القرآن على عهد الخليفة عمر وما روي عن أمّ المؤمنين عائشة في عامة أيام حياتها.

* * *

كان ذلكم شأن ابن عباس وأمّ المؤمنين عائشة في أمر الافتاء وتفسير القرآن ممّن صحب الرسول.

أمّا من علماء أهل الكتاب، فكان شأنهما في ذلك كالآتي.

٣١ تفسير الآية بتفسير الطبري ٢٨ / ١٠٤ - ١٠٥ وصحيح البخاري ٣ / ١٣٧ - ١٣٨ و ج ٤ / ٢٢ وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، الحديث ٣١ - ٣٤، ٢ / ١١٠٨ ومسند أحمد ١ / ٤٨.

ز - السماح لكعب الاحبار برواية الاخبار:

أبو إسحاق كعب بن ماته الملقب بكعب الاحبار وكعب الخبر، واشتهر بكعب الاحبار، والخبر عالم اليهود، وأحيانا يقال لغير علماء اليهود أيضا. الخبر وكان اليهود يسمونه بكعب الاحبار لأنه كان عنده جميع كتب اليهود أو لأنه أحد كبار علمائهم، قالوا في ترجمته:

أ - كان من كبار علماء أهل الكتاب(٣٢).

ب - كان من أحبار اليهود في اليمن، وجاء إلى المدينة في عصر الخليفة عمر، ويظهر ممّا ذكروا في ترجمته أنّه سافر من اليمن إلى المدينة، ليذهب منها إلى الارض الموعودة لليهود الشام(٣٣).

يظهر ممّا ذكروا من أخبار كعب الاحبار مع الخليفة عمر أنّ الخليفة تدرّج في الركون إلى أقوال كعب في تفسير القرآن.

فقد روى السيوطي عن ابن عمر أنّه قال: تلا رجل عند عمر (كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا) فقال كعب: عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الاسلام.

فقال: هاتها يا كعب، فان جئت بها كما سمعت من رسول الله (ص) صدفناك.

قال: أني قرأتها قبل الاسلام (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) في الساعة الواحدة عشرين ومائة مرّة.

فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله (ص)(٣٤).

وفي رواية أخرى قال : ان عمر بن الخطاب قال: يا كعب ما عدن؟

قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصدّيقون وأئمة العدل.

وفي قوله (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) قال العذاب(٣٥).

وارتفع مقامه عند الخليفة على حسب ما يظهر من الرواية الآتية:

عن كعب قال: كنت عند عمر بن الخطاب، فقال: خوفنا يا كعب، فقلت: يا أمير المؤمنين! أوليس فيكم كتاب الله وحكمة رسوله؟ قال: بلى ولكن خوفنا، قلت: يا أمير المؤمنين! لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبيا لازدرت عملك مما ترى، قال: زدنا، قلت: يا أمير المؤمنين ان جهنم قدر منخر نور بالمشرق ورجل بالمغرب لغللا دماغه حتى يسيل من حرها، قال: زدنا، قلت: يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرّ جاثيا على ركبتيه حتى إن إبراهيم خليله ليخر جاثيا على ركبتيه فيقول رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، فأطرق عمر مليا، قلت: يا أمير المؤمنين! أوليس تجدون هذا في كتاب الله؟ قال: كيف قلت قول الله في هذه الآية: (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(٣٦).

وقال عمر لكعب: ما أوّل شيء ابتدأه الله من خلقه؟

فقال كعب: كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد، ولكن كتب باصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي(٣٧).

وسأل كعبا فقال: أخبرني عن هذا البيت ما كان أمره؟

فقال: إن هذا البيت أنزله الله من السماء ياقوتة حمراء مجوفة مع آدم فقال يا آدم ان هذا بيتي فطف حوله وصل حوله كما رأيت ملائكتي تطوف حول عرشي وتصلني، ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعد من حجارة، ثم وضع البيت على القواعد فلما أغرق الله

قوم نوح رفعه الله إلى السماء وبقيت قواعده(٣٨).

وسأل عمر بن الخطاب كعبا عن الحجر، فقال: مروة من مرو الجنة(٣٩).

وعلى أثر اعتماد الخليفة عليه ركن الآخرون إلى كعب كما يظهر ذلك ممّا رواه أيضا السيوطي وقال:

وعن عبدالله بن الحارث قال: كنت عند عائشة، وعندها كعب، فذكر إسرائيل (ع) فقالت عائشة: اخبرني عن إسرائيل (ع).

قال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء، وجناح قد تسرول به، وجناح على كاهله والقلم على أذنه. فإذا نزل الوحي كتب القلم ودرست الملائكة وملك الصور أسفل منه جاث على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى، فالتقم الصور فحنى ظهره وطرفه إلى إسرائيل ضمّ جناحيه ان ينفخ في الصور(٤٠).

روى كعب عن النبي (ص) مرسلًا، وعن عمر وصهيب وعائشة، وروى عنه من الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية ومن كبار التابعين أبو رافع الصائغ ومالك بن عامر وسعيد بن المسيب وابن امرأته تبع الحميري وممن بعدهم عطاء وعبدالله بن ضمرة السلولي وعبدالله بن رباح الأنصاري وآخرون(٤١).

وقال رأس الجالوت لهم: إن كل ما تذكرون عن كعب بما يكون أنّه يكون إن كان قال لكم أنّه مكتوب في التوراة، فقد كذبكم، إنما التوراة كتابكم إلا أن كتابكم جامع يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض وفي التوراة يسبح لله الطير والشجر وكذا وكذا.

وإنّما الذي يحدث به كعب عمّا يكون من كتب أنبياء بني إسرائيل وأصحابهم كما تحدثون أنتم عن نبيكم وعن أصحابه.

وأحيانا كان الصحابة يردّون على كعب ما يرويه كالخبر الآتي:

قال: بلغ حذيفة أن كعبا يقول: إن السماء تدور على قطب كالرحى، فقال كذب كعب إن الله يقول (إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا)، ووقع ذكره في عدّة مواضع في الصحيح منها عند مسلم في حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي (ص) قال: ((إذا أدّى العبد حقّ الله وحق مواليه كان له أجران))، قال أبو هريرة فحدثت به كعبا فقال ليس عليه حساب ولا على مؤمن زهد(٤٢).

وذكر أبو الدرداء كعبا فقال: إنّ عند ابن الحميريّة لعلما كثيرا(٤٣).

٣٢ تذكرة الحفاظ ١ / ٥٢.

٣٣ تاريخ مدينة دمشق ١ / ١٠٩.

٣٤ تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٢ / ١٧٤ تفسير سورة النّساء / ٥٦ وتفسير سورة الرعد الآية ٢٣.

٣٥ تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٥ / ٢٤٧ تفسير سورة غافر / ٧.

٣٦ الدرّ المنثور للسيوطي ٤ / ١٣٣ تفسير سورة النّحل / ١١١.

٣٧ نفس المصدر ٣ / ٦.

٣٨ نفس المصدر ١ / ١٣٢.

٣٩ نفس المصدر ١ / ٣٥.

٤٠ الدرّ المنثور للسيوطي ٥ / ٣٣٨ تفسير سورة الزّمر / ٦٨.

٤١ تهذيب التهذيب بترجمة كعب الاحبار ٨ / ٤٢٨.

٤٢ الاصابة ٣ / ٢٩٨ - ٢٩٩ في القسم الثالث تهذيب التهذيب لابن حجر ٨ / ٤٢٨ ومصورة مخطوطة ابن عساكر ١٤ / ٢ / ٢٨٤ (ب).

٤٣ طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦ من الطبقة الثانية، وقصد من العلم روايات كعب الانفة.

ح - أخبار القراءة والاقراء وتدوين القرآن:

روى ابن أبي داود في باب كتابة المصاحف حفظا من كتابه المصاحف ص ١٣٧ بسنده وقال ما موجزه:

جاء رجل إلى عمر وهو يعرفه، فقال: يا أمير المؤمنين! جئتك من الكوفة وتركت بها رجلا يُملّي المصاحف عن ظهر قلبه.

قال: فغضب عمر، وقال: من هو ويحك!؟

قال: هو عبدالله بن مسعود.

فتسرّى عنه الغضب وعاد إلى حالته.

وإذا علمنا ان ابن مسعود كان الموفد من قبل الخليفة لاقراء القرآن في الكوفة وأن الاقراء كان في حالة كهذه في مسجد البلد أدركنا أن عدد تلاميذه كان يبلغ الالوف ممّن يكتبون في مصاحفهم ما يُملّي عليهم ابن مسعود من القرآن.

وروى السيوطي بسنده في الاتقان ٢ / ١٧٠ وقال: ان الخليفة عمر وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق، فكره ذلك وضربه، وقال: عظّموا كتاب الله تعالى.

قال: وكان عمر إذا رأى مصحفا عظيما سرّ به.

من أخبار القراء في عصر عمر:

في مصاحف ابن أبي داود السجستاني عن عطية بن قيس قال: انطلقَ ركبٌ من أهل الشام إلى المدينة يكتبون مُصحفا لهم، فانطلقوا معهم بطعام وإدام وكانوا يطعمون الذين يكتبون لهم، فكان أبي يمرّ عليهم يقرأ القرآن فقال عمر: يا أبي! كيف وجدت طعام الشام؟ قال لأوشك إذا ما نسيت أمر القوم ما أصبت لهم طعاما ولا إداما(٤٤).

وروى البخاري وقال: كان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أم شبانا(٤٥).

وروى المتقي في كنز العمال وقال: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الاجناد أن ارفعوا إليّ كلّ من حمل القرآن حتى الحقههم في الشرف من العطاء وأرسلهم في الافاق يعلمون الناس فكتب إليه الاشعري انه بلغ من قبلي من حمل القرآن ثلاثمائة وبضع رجال(٤٦).

عن محمّد بن كعب القرظي، قال: جمع القرآن في زمان النبي (ص) خمسةً من الانصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء.

فلما كان زمان عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان، ان أهل الشام قد كثروا وربّلا وملاوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن، ويفقههم فاعين يا أمير المؤمنين برجالٍ يعلمونهم.

فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فاعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أحببتم، فاستهموا، وإن انتدب منكم ثلاثة فليخرجوا.

فقالوا: ما كنا لنسأهم، هذا شيخ كبير لابي أيوب، وأما هذا، فسقيم لأبي ابن كعب.

فخرج معاذ بن جبل وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر ابدأوا بجمص، فاتّكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقي، فاذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فاذا رضيتم منهم فليقيم بها واحدٌ، وليخرج واحدٌ إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين.

فقدموا حمص، فكانوا بها حتى اذا رضا من الناس أقام بها عبادة، ورجع أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين.

فاما معاذ، فمات عام طاعون عمّواس، وأما عبادة، فسار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتّى مات (٤٧).

دراسة الاخبار:

أ - كان القراء يشاركون جنود المسلمين في سكنى مراكز الجنود مثل الكوفة والبصرة، فأراد الخليفة أن يوظف القراء للقراء في آلاف البلاد التي فتحت على عهده.

ب - كان الخليفة دوّن دواوين للعتاء، وفضل فيه بعضهم على بعض الآخر فقد فرض - مثلا - لاهل بدر خمسة آلاف درهم ولمن حضر أحدا بعد أهل بدر أربعة آلاف ولمن بعدهم أقل من ذلك إلى ثلاثمائة درهم ومائتين (٤٨) وعليه يكون الشرف من العطاء الذي رفع إليه الخليفة عمر القراء خمسة آلاف درهم.

وبعث القراء للقراء في البلاد الاسلامية مثل ابن مسعود الذي بعثه للقراء في الكوفة.

وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء للشام ونصب عبد الرحمن ابن ملجم مقرنا لمصر.

وكان يضيف لبعضهم مع الاقراء وظيفة اخرى كما روى ابن الاثير في أسد الغابة بترجمة عبادة وقال: ((أرسله عمر بن الخطاب وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام ويفقهوهم في الدين وأقام عبادة بحمص وأقام أبو الدرداء بدمشق ومضى معاذ إلى فلسطين (٤٩).

وقال: ان عبادة تولى قضاء فلسطين.

وبلغ كثرة القراء في البلاد الاسلامية إلى حد أنه خرج على الامام بعد تحكيم الحكمين ثمانية آلاف من قراء الناس من بلد الكوفة (٥٠).

وبسبب كل ما ذكرناه لم يكن يولد مولود في أي بقعة أرض من أراضي المسلمين ولا يعتنق الاسلام إنسان ما على وجه الارض منذ عصر الرسول حتى عصر الامام عليّ (ع) إلا ويشترك مع سائر المسلمين في حلبة السباق في تقارؤ القرآن مؤمنا كان أو منافقا، فالمؤمن طلبا لرضا الله والمنافق طلبا للشهرة في مجتمع كان القرآن فيه ميزانا للمفاضلة بين أهله.

ولذلك لما انتشرت الفتوح في عصر الخليفة عمر بلغ عدد القراء بين المسلمين ما لا يحصى غير الله سبحانه.

٤٤ كنز العمال ٢ / ٢٤٢ رقم الحديث ٤١٩٦ عن مصاحف ابن أبي داود. وعطية بن قيس الكلبي: أبو يحيى الحمصي ويقال الدمشقي، وقال عبد الواحد بن قيس كان الناس يصلحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس وتوفي سنة ٥١٠هـ. تهذيب التهذيب ٧ / ٢٢٨.

٤٥ البخاري، كتاب الاعتصام باب (٢٨) ٤ / ١٨١ وباب الاقتداء بسنن رسول الله (ص) ٤ / ١٧١. وكتاب التفسير باب خذ العفو وأمر بالمعروف ٣ / ٨٩.

٤٦ كنز العمال ٢ / ١٨٣، الحديث ٢٠٣٧.

٤٧ كنز العمال ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٦ الحديث رقم ١٨٨٣ ط. حيدر آباد سنة ١٣٦٤هـ وطبقات ابن سعد ط. أوروبا ٢ / ٢ ق ١١٤ / ٢ وط. بيروت ٢ / ٣٥٧.

٤٨ راجع ذكر العطاء في خلافة عمر بفتوح البلدان للبلاذري ٦٢٩ - ٦٤٦.

٤٩ أسد الغابة ٣ / ١٠٦.

٥٠ تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ١٨٥ في ذكر حوادث سنة ٣٢٨هـ.

كثرة القراءة في عصر عمر:

ومن أخبار القراءة في هذا العصر ما رواه أبو نعيم بسنده عن أبي الاسود الدؤلي أنه قال (٥١): جمع أبو موسى القراءة، فقال: لا تدخلوا عليّ إلا من جمع القرآن.

قال: فدخلنا عليه زهاء ثلاثمائة فوعظنا، وقال: أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولن عليكم الامد...

وأيضاً روى عن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعري: أنه جمع الذين قرأوا القرآن فإذا هم قريب من ثلاثمائة، فعظم القرآن وقال: إن هذا القرآن كائن لكم أجراً...

وقال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد مسجد البصرة يقعد حلماً، فكأنني أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن ومنه أخذت هذه السورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) قال أبو رجاء: فكانت أول سورة نزلت على محمد رسول الله (ص).

* * *

كان ذلكم بعض أخبار القراء في هذا العصر، وفي ما يأتي نذكر بحوله تعالى خبر اثنين منهم أكثر تفصيلاً في ما يأتي:

أ - عبدالرحمن بن ملجم المرادي:

قال ابن حجر في ترجمته من الإصابة:

(أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر وقرأ على معاذ بن جبل).

وقال في ترجمته بلسان الميزان:

شهد فتح مصر واختطّ بها.

وان عمرو بن العاص أمره بالنزول بالقرب منه، لانه كان من قراء القرآن وان عمر - الخليفة - كتب إلى عمرو أن قرب دار عبد الرحمن بن ملجم من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقهاء (٥٢).

ب - أبو الدرداء:

مثال عن كيفية الاقراء بعد الصحابة:

قال الذهبي في معرفة القراء الكبار ص ٣٨ - ٣٩ ما موجزه:

أبو الدرداء: عويمر الانصاري الخزرجي، اختلفوا في اسم أبيه، قرأ القرآن على عهد النبي (ص) تأخر إسلامه عن بدر، وأخى الرسول بينه وبين سلمان، وقال:

كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك.

قال: طلب أبو الدرداء أن يعدّوا من يقرأ عنده القرآن، فعدّوهم ألفاً وستمائة ونيفاً، وكان لكل منهم مقرئ.

وكان أبو الدرداء قائماً عليهم، وكان إذا حكم الرجل منهم تحوّل إلى أبي الدرداء (٥٣).

حصيلة الاخبار:

نجحت سياسة الخليفة في توجيه المسلمين إلى الاقتصار على ترديد النص القرآني دون معرفة شأن نزوله في جميع الموارد واتباعه المسلمون في الرجوع عما تعودوه في عصر الرسول (ص) من تعلم جميع ما في الايات من علم وعمل إلى قراءة النص القرآني وحده (٥٤).

ونشأ على أثر تلكم السياسة جيل من القراء فضلتهم الخلافة على سائر المسلمين بمنحهم شرف العطاء، وكان كل ما لدى هؤلاء

القراء، حفظ النص القرآني عن ظهر قلب وتكراره صباح مساء دون التفقه في الدين، ونشأ بذلك في كل بلد اسلامي طبقة متميزة من سائر المسلمين يتمتعون باحترام خاص وكان لهذه السياسة أثر بعيد كما بينا ذلك في بحث القراء، وأثر قريب سوف ندرسه في بحث تاريخ القرآن في عصر علي - إن شاء الله تعالى -.

* * *

كانت تلكم سياسة الخليفة عمر في عمله بسياسة الخليفة أبي بكر وتجريده القرآن والاقراء عن حديث الرسول، وفي ما يأتي ندرس بإذنه تعالى خصائص المجتمع الاسلامي وأخبار القرآن على عهد الخليفة عثمان.

٥١ حلية الاولياء لابي نعيم ١ / ٢٥٦ و ٢٥٧.

٥٢ الاصابة ٢ / ٩٩ ط. مصر سنة ١٣٥٨هـ، لسان الميزان ٣ / ٤٣٩ - ٤٤٠.

٥٣ معرفة القراء الكبار للذهبي ص ٢٨ - ٣٩.

٥٤ راجع قبله نظام تعلم القرآن في عصر الرسول في المدينة.

خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الخليفة عثمان

بما ان فهم كثير من روايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم متوَّفَّ على دراسة ما جرى في الحكم الاموي لا سيما ما جرى من قبل الخليفين عثمان ومعاوية والامير الحجاج ندرس بإذنه تعالى في ما يأتي ما جرى على عهدهم بشيء من التفصيل بعدما بويح لعثمان مستهلَّ محرَّم عام ٥٢٤.

في الاغانى:

وعندما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان، فقال: يا معشر بني أمية! إنَّ الخلافة صارت في تيم وعديَّ حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الصبي الكرة؛ فوالله ما من جنة ولا نار؛ فصاح به عثمان: ((قم عني، فعل الله بك وفعل)) (٥٥).

وفي رواية أخرى أنه قال: يا بني أمية! تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنَّ إلى صبيانكم ورائة، فانتهره عثمان وساءه ما قال (٥٦).

وفي رواية أخرى: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كَفَّ بصره، فقال: هل علينا من عين؟ قال: لا. فقال: يا عثمان! إنَّ الامر أمرٌ عالمية، والملك ملكٌ جاهلية، فاجعل أوتاد الارض بني أمية (٥٧).

وفي هذا العصر كان ما روي عنه: أنه مرَّ بقبر حمزة، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة! إنَّ الامر الاذي جتلدنا عليه بالسيف أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعبون به (٥٨).

قال المؤلّف:

سوف نرى في ما يأتي من بحوث إن شاء الله تعالى كيف نفذ بنو أمية وصية شيخهم وعميد أسرتهم في مدّة حكمهم بكلّ اتقان.

أمّا الخليفة الاموي عثمان فقد أدنى أقرباه، بدءاً بعمّه الحكم بن أبي العاص الذي استقدمه من الطائف إلى المدينة وكان الرسول (ص) لعنه وطرده إليها لما كان يتجسّس على الرسول (ص) ويغمزه باصبعه كما في ترجمته في الاصابة.

وكان أبو بكر وعمر قد رفضا طلب عثمان ولم يأذنا له بالعودة إلى المدينة (٥٩).

روى اليعقوبي في تاريخه في هذا الصدد وقال:

كان على الحكم يوم قدم المدينة فرز خلق (فرز الثوب: انشقّ وتقطّع وبلي) وهو يسوق تيسا حتى دخل دار عثمان والناس ينظرون

إلى سوء حاله وحال من معه، ثم خرج وعليه جبة خزّ وطيلسان(٦٠).

وقال ابن قتيبة في المعارف اعطاه مائة ألف درهم(٦١).

وقال البلاذري في الانساب: ولّاه صدقات قضاة - حيّ في اليمن - فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها، وكان يجلسه على سريره، ولما مات بالمدينة ضرب على قبره فسطاطا(٦٢).

وإدنى مروان بن الحكم صهره من ابنته أم أبان واتّخذها كاتبا واعطاه خمسمائة الف دينار (خمس غنائم أفريقية)(٦٣).

واقطع الحارث بن الحكم صهره من ابنته عائشة سوق مهزور بالمدينة وكان تصدق بها رسول الله (ص) على المسلمين(٦٤).

واعطاه ثلاثمائة ألف درهم وقدمت ابل الصدقة، فوهبها له(٦٥).

واعطى سعيد بن العاص بن أمية مائة ألف درهم(٦٦).

واعطى لعبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ثلاثمائة ألف درهم ولكل رجل من قومه الف درهم(٦٧)، اعطى عبدالله أربعمائة ألف درهم، وزوج ابنته من عبدالله بن خالد بن اسيد وأمر له بستمائة ألف درهم(٦٨).

واعطى أبا سفيان مائتي الف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال(٦٩). قال البلاذري:

كان في بيت المال سغط فيه حليّ وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض اهله، فإظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكلام شديد حتى أغضبه، فقال:

هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت فأرغم الله أنف من رغم.

وفي لفظ: لناخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وان رغمت أنوف أقوام... (٧٠).

وجاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة، فقسمها بين نسائه وبناته وانفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره(٧١).

وقال ابن سعد:

كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار.

وترك ألف بعير بالريذة وصدقات بيرايس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار(٧٢).

وفي ترجمة عثمان من انساب الاشراف للبلاذري وغيره: عن سليم، أبي عامر، قال: رأيت على عثمان بردا ثمنه مائة دينار.

وفي رواية أخرى عن محمد بن ربيعة بن الحارث قال: رأيت على عثمان مطرف خز ثمنه مائة دينار فقال: هذا لثلاثة كسوتها إياها فأنا اليسه لاسرها بذلك(٧٣).

وقال الذهبي: كان قد صار له أموال عظيمة (رض) وله ألف مملوك(٧٤).

وقال المسعودي: بنى في المدينة دارا وشيّد بها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والععر، واقتنى أموالا وجناتا وعيونا بالمدينة.

وذكر عبدالله بن عتبة أنّ عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار وخلف خيلا كثيرا وابلا(٧٥).

وبتلخص ما جرى في مدة خلافته ما رواه ابن سعد وقال: لمّا ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميرا يعمل ست سنين لاينقم الناس عليه شيئا، وأتته لاحق إلى قريش من عمر بن الخطاب، لأن عمر كان شديدا عليهم، فلمّا وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثمّ توانى في أمرهم واستعمل أقباءه وأهل بيته في السنّ الاواخر، وكتب لمروان بخمس مصر، واعطى أقباءه المال، وتآول في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الاموال، واستسلف من بيت المال، وقال: ان أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وتني اخذته، فقسمته في أقبائي، فأنكر الناس عليه ذلك.

وروى - أيضا - وقال:

إنَّ عثمان كان يقول: أيُّها الناس! إنَّ أبا بكر وعمر كانا يتأوَّلان في هذا المال ظلَّفَ أنفسهما - يريدان المشقة لأنفسهما - وذوي أرحامهما، واتِّي تأوَّلت فيه صلة رحمي(٧٦).

وروى ابن عساکر في ترجمة عثمان عن الزهري وقال:

إنَّ عثمان لما ولي كره ولايته نفر من الصحابة، لأنَّ عثمان كان يحبُّ قومه، فولِّي الناس اثنتي عشرة سنة، وكان كثيرا ما يولِّي بني أمية ممَّن لم يكن له مع النبي - عليه الصلاة والسلام - صحبة، فكان يجيء من امرائه ما ينكره أصحاب محمد - عليه الصلاة والسلام - وكان عثمان يُسْتَعْتَبُ فيهم فلا يعزلهم، وذلك في سنة خمس وثلاثين، فلما كان في الستِّ الاواخر استأثر بني عمِّه، فولَّاهم وما اشرك معهم، وامرهم بتقوى الله فولِّي عبدالله بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء اهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كان قبل ذلك من عثمان هتاة إلى عبدالله بن مسعود، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لابي ذر في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر(٧٧).

٥٥ الاغاني ٦ / ٣٣٤ - ٣٣٥، والاستيعاب ص ٦٩٠، راجع النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٢٠ ط. النجف.

٥٦ مروج الذهب بهامش ابن الاثير ٥ / ١٦٥ - ١٦٦.

٥٧ الاغاني ٦ / ٣٣٥، وفي تهذيب ابن عساکر (٦ / ٤٠٩)، وهذا لفظه: ((وعن أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي، فقال: هل هاهنا أحد؟ فقالوا: لا. فقال: اللهم اجعل الامر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الارض لبني أمية.

٥٨ شرح النهج ٤ / ٥١، الطبعة المصرية الأولى. وطبعة دار إحياء الكتب العربية تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٦ / ١٣٦.

٥٩ الاصابة ١ / ٣٤٤ - ٣٤٥، والاستيعاب ١ / ١١٨ - ١١٩.

٦٠ تاريخ يعقوبي (٢ / ١٦٤).

٦١ المعارف لابن قتيبة ص ٨٤.

٦٢ أنساب الاشراف ٥ / ٢٨.

٦٣ المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ٨٤، والنهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٦، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٣، وأنساب الاشراف ٥ / ٢٥ و٨٨، ومخطوطة تاريخ ابن عساکر مصورة المجمع العلمي بطهران ١١ / ١ / ١١٤٠.

٦٤ المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ٨٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٦٧، العقد الفريد ٤ / ٢٨٣.

٦٥ أنساب الاشراف ٥ / ٢٨.

٦٦ أنساب الاشراف ٥ / ٢٨.

٦٧ أنساب الاشراف ٥ / ٢٨.

٦٨ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٦٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٦٦، والعقد الفريد (٤ / ٢٨٣).

٦٩ ابن أبي الحديد ١ / ٦٧.

٧٠ أنساب الاشراف ٥ / ٥٨.

٧١ الصواعق المحرقة ص ٦٨، والسيرة الحلبية ٢ / ٧٨.

٧٢ طبقات ابن سعد ٣ / ٥٣.

٧٣ أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ٣ ط. بغداد، والرواية الثانية في طبقات ابن سعد ٣ / ٤٠ مع اختلاف في اللفظ.

٧٤ دول الاسلام ١ / ٢٤ ط. مصر سنة ١٩٧٤م.

٧٥ مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٣٢.

٧٦ طبقات ابن سعد ٣ / ٤٤.

٧٧ تاريخ دمشق لابن عساكر مخطوطة مصورة المجمع العلمي الاسلامي طهران ١١ / ١ / ١٤٠، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٧، وأنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ٣٦.

تولية بني أمية على رقاب المسلمين:

كانت تلکم أمثلة من سيرة الخليفة الامويّ عثمان في الاموال، وكانت سيرته في توليته بني عمومته على رقاب المسلمين كما يأتي

بيانه:

قال الذهبي في دول الاسلام ص ٢٤:

ثم أخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان لكونه يعطى المال لاقاربه ويولّيهم الولايات الجليّة، فتكلّموا فيه.

وفي ما يأتي تفصيل الخبر:

أ - اتّخذ مروان كاتباً ووزيراً وكان مروان يقطع الأمور دونه، قال اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٧٣): وكان الغالب عليه مروان بن الحكم وأبو سفيان بن حرب.

ب - أقطع الحارث بن الحكم سوق المدينة(٧٨).

ج - جمع بلاد الشام لمعاوية بن أبي سفيان(٧٩).

د - جمع البصرة وبلاد فارس لابن خاله عبدالله بن عامر بن كريز(٨٠).

هـ - ولّى على الكوفة أخاه لأمّه الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثمّ سعيداً(٨١).

و - ولّى على مصر وافريقيا أخاه من الرضاة عبدالله بن سعد بن العاص ابن أبي سرح(٨٢).

وبذلك اصبح جميع المدن الشامية وأجنادها تحت حكم معاوية، والبصرة وجندها وما تبعها من المدن الخليجية تحت حكم عبدالله بن عامر، والكوفة وجندها والولايات الشرقية في إيران التابعة لها تحت حكم الوليد وسعيد، ومصر وجميع قارة افريقية تحت حكم عبدالله بن سعد بن أبي سرح(٨٣).

ونحن نورد اختصار أخبار ولاته على الشام والكوفة والبصرة ومصر بإذن الله تعالى:

أ - الشام:

كان واليه على الشام معاوية، وهذا خبره قبل ان يلي الشام وبعده:

(أسلم معاوية بعد فتح مكة)(٨٤) واخباره قبل اسلامه مع أبيه في حروبه لرسول الله مشهورة ورأى رسول الله (ص) ذات يوم أبا

سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فقال: (لعن الله الراكب والقائد والسائق)(٨٥).

وتأخر إسلامه بعد الفتح عن إسلام أبيه ولام أباه على إسلامه وأنشد قائلاً:

يا صخر لا تُسَلِّمَن يوماً فتفضَّحنا

بعد الذين بيدر أصبحوا مِرَقًا

خالي وعمِّي(٨٦) وعم الأمّ ثالثهم

وحنظل الخير قد أهدى لنا الارقا

لا تَرَكَتَنَّ إلى أمرٍ تكلفنا

والرافضات به في مكة الخرقا

فالموتأهوئمنقولالعداةلقد

((حاديبنحربعنالعزّياذافرقا))(٨٧)

ولمّا أسلم أعطاه الرسول (ص) (سهم المؤلّفة قلوبهم في غزوة حنين)(٨٨) ثمّ استكتبه أشهراً قبل وفاته وبعث إليه ذات يوم ابن عباس يدعوهُ ليكتب له فوجده يأكل، فأعاده النبيّ في طلبه، فوجده يأكل إلى ثلاث مرّات، فقال النبيّ (لا أشبع الله بطنه)(٨٩).

وخرج رسول الله في سفره، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر وهو يقول:

يزال حوارِي تلوح عظامه

زوى الحرب عنه أن يُجنَّ فيقبِرا

فقال النبيّ: ((انظروا من هما؟))، فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص، فرفع رسول الله (ص) يديه، فقال: (اللهمّ اركسهما في الفتنة ركسا ودّعهما إلى النار دعّا)(٩٠).

وقال: (إذا رأيتموهما اجتماعاً، ففرّقوا بينهما، فإنّهما لن يجتمعا على خير)(٩١).

ولمّا استخلف أبو بكر بعد الرسول وارسل في السنة الثالثة عشرة من الهجرة أخاه يزيد بن أبي سفيان مع الأمراء لغزو الشام سار معاوية تحت لواء أخيه يزيد.

(وعلى عهد عمر لمّا طعن يزيد سنة ثمانٍ عشرة بالطاعون واحتضر استعمل أخاه معاوية على عمله دمشق وجندها، فأقرّه الخليفة عليها)(٩٢).

٧٨ المعارف لابن قتيبة الدينوري ص ٨٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٦٧، والعقد الفريد ٤ / ٢٨٣.

٧٩ تاريخ الكامل لابن الاثير ٣ / ٤٤، والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٢٤.

٨٠ أنساب الاشراف ٥ / ٣٠، تاريخ الكامل لابن الاثير ٣ / ٣٧، البداية والنهاية لابن كثير ٧ / ١٥٣ - ١٥٤.

٨١ أنساب الاشراف (٥ / ٢٩ و ٣٩)، وتاريخ الكامل لابن الاثير ٣ / ٣٩، وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٦٥، وتاريخ الطبري ٤ / ٣١٧، والاعاني (٤ / ١٧٥)، والبداية والنهاية لابن كثير ٧ / ١٥١.

٨٢ أنساب الاشراف ٥ / ٣٦ - ٢٨، وأسد الغابة ٣ / ١٧٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٧ / ٢٥٠، وتاريخ الكامل لابن الاثير ٣ / ٣٣، وتاريخ

اليقوبي ٢ / ١٦٥، وذكر تفصيل أسماء عماله في تاريخ الكامل لابن الاثير (٣ / ٤٢).

٨٣ تاريخ دمشق لابن عساكر مخطوطة مصورة المجمع العلمي الاسلامي طهران (١١ / ١ / ١٤٠ ب).

٨٤ أنساب الاشراف ١ / ٥٣٣.

٨٥ تذكرة الخواص ص ٢٠١، وجمهرة خطب العرب ٢ / ٢٣، شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٣.

٨٦ لم نعرف لمعاوية ((عما)) قتل يوم بدر ولعل الصواب ((جدي)) بدل ((عمي)) ومن الجائر أنه يقصد بقوله ((عمي)) أحد أبناء عمومة أبيه الذين قتلوا ببدر.

٨٧ رواه الزبير بن بكار في المفارقات، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١٠٢، وجمهرة خطب العرب ٢ / ٢٣، وفي تذكرة الخواص ص ٢٠١ البيت الأول والثالث حيث قال ((طوعا)) بدل ((يوما)) و((بنعمان به الحرقا)) بدل ((به في مكة الحرقا))، والخرق: ضعف الرأي بسوء التصرف، الجهل والحمق، وحاد عنه: مال عنه، والفرق: الفزع.

٨٨ تاريخ اليقوبي ٢ / ٦٣.

٨٩ أنساب الاشراف ١ / ٥٣٣، وفيه هذه التهمة: فكان معاوية يقول: لحقني دعوة رسول الله (ص)، وكان يأكل في كل يوم مرات أكلاً كثيراً، وراجع صفين، ومسلم في صحيحه ٤ / ٢٠١٠، حديث ٩٦ في باب (من لعنه النبي (ص)) وشرح نهج البلاغة ١ / ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٢٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١١٩.

٩٠ في مسند أحمد ٤ / ٤٢١ عن أبي برزة الاسلمي ولفظه ((فقالوا فلان وفلان)) وفي صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٤٦ الحديث عن أبي برزة كذلك، وفيه تصريح باسميهما - معاوية وعمرو ابن العاص - وأخرجه ابن عقيل في ص ٥٩ من النصائح الكافية عن أبي يعلى بهذا السند، وعن الطبراني في الكبير بسنده إلى ابن عباس. وأخرجه السيوطي في اللآلئ المصنوعة، باب مناقب سائر الصحابة عن أبي يعلى عن أبي برزة، وأخرجه أيضا عن الطبراني في الكبير عن ابن عباس وأخرجه عن سيف بعد أن مسخه راجعه في ١ / ٤٢٧. و((يزال)) حذف منه ((لا)) كما يقال ((زلت أفعل)) أي: ما زلت أفعل، و((الحواري)): صاحب الناصح، وأنصار الانبياء و((زوى عنه)) منع عنه و((يجن)): يكفن ويدفن وفي بعض النسخ ((يحس)) والمعنى في البيت لا يزال الناصر الناصح تلوح عظامه منع الحرب عن كفنه ودفنه. و((أركسه)): اعاده إلى الحالة السيئة و((أركسه)): نكسه، وفي القرآن الكريم ((والله أركسهم بما كسبوا)) و((الدع)): الدفع الشديد، العنيف.

٩١ في العقد الفريد ٤ / ٣٤٥ - ٣٤٦ أن معاوية بعث إلي عيادة بن الصامت يستنصره في حرب علي؛ فلما جاء جلس بين عمرو ومعاوية وحدثهما بهذا الحديث. في صفين ٢٤٥ - ٢٤٦ أن زيد بن أرقم دخل على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالس معه على السرير فلما رأى ذلك حتى رمى بنفسه بينهما وحدثهما بهذا الحديث: ((إذا رأيت معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين، ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير)).

٩٢ سير أعلام النبلاء ١ / ٣٣٠ ط. بيروت، وتاريخ الطبري ٤ / ٢٠٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٢٤.

سيرة معاوية على عهد عمر:

(لما دخل عمر الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فقال عمر: هذا كسرى العرب، فلما دنا منه سأله عمر عن ذلك مع وقوف ذوي الحاجات ببابه فاعتذر معاوية أنهم بأرض جواسيس العدو بها كثير ولذلك ينبغي ان يعيش كذلك)(٩٣).

وارسل الخليفة عمر عيادة بن الصامت مقرئاً لاهل الشام فغزا معاوية غزاة، فغنموا أنية من فضة، فامر معاوية ان تباع في اعطية الناس بمثلي ما فيه من الفضة فتسارع الناس إلى شرائها فبلغ عيادة بن الصامت فقال: إني سمعت رسول (ص) ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة... إلا سواء بسواء وعينا بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى.

فردّ الناس ما أخذوه؛ فبلغ ذلك معاوية، فقام خطيباً فقال: ألا ما بال رجال يتحدثون عن رسول الله أحاديث قد كُنا نشهده ونصحه فلم نسمعها منه.

فقام عبادة بن الصامت، فأعاد القصة، ثم قال: لنجدّثن بما سمعنا رسول الله (ص) وإن كره معاوية أو قال: وإن رغم ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلةً سوداء(٩٤)؛ وفي مسند أحمد ٥ / ٣١٩؛ واليسائي ٧ / ٢٧٤ إني والله لا أبالي أن لا أكون بأرض يكون بها معاوية.

وفي أسد الغابة والنبلاء بترجمه عبادة: أنّ عبادة أنكر على معاوية شيئاً فقال: لا أساكنك بأرض، فرحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره بفعل معاوية؛ فقال له: ارحل إلى مكانك، ففبّح الله أرضا لست فيها وأمثالك فلا إمرة له عليك(٩٥).

* * *

كان ذلكم في عصر عمر، ولما استخلف عثمان الاموي ولاة على جميع بلاد الشام وأرعى له زمامه فانطلق معاوية على سجيته لايردع عمّا يشتهي رادع.

وفي هذا العصر جرى له مع عبادة بن الصامت ما رواه ابن عساكر والذهبي(٩٦) وقالوا:

إنّ عبادة بن الصامت مرّت عليه قطارة(٩٧) وهو بالشام تحمل الخمر؛ فقال: ما هذه؟ أزيّت؟

قيل: لا، بل خمر يباع لفلان.

فأخذ شفرة من السوق، فقام إليها، فلم يذر فيها راوية إلا بقرها - وأبو هريرة إذ ذاك بالشام - فأرسل فلان إلى ابي هريرة، فقال: أتمسك عنا أخاك عبادة؛ أمّا بالعدوات فيغدو إلى السوق يفسد على أهل الدّمة متاجرهم، وأمّا بالعشيّ فيقعّد في المسجد ليس له عمل إلا شتم أعراسنا وعيبننا!

قال: فأتاه أبو هريرة فقال: يا عبادة! ما لك ولمعاوية؟ ذره وما حمل.

فقال: لم تكن معنا إذ بايعنا على السمع والطاعة؛ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا تأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة.

وكتب معاوية إلى عثمان: أنّ عبادة بن الصامت قد أفسد عليّ الشام وأهله، فإمّا أن تكفّه إليك، وإمّا أن أخلّي بينه وبين الشام. فكتب إليه: أن رحّل عبادة حتى ترجعه إلى داره بالمدينة.

قال: فدخل على عثمان، فلم يفجأه إلا وهو معه في الدار؛ فالتفت إليه فقال: ما لنا ولك؟

فقام عبادة بين ظهرايّ الناس؛ فقال: سمعت رسول الله (ص) يقول: سيلي أموركم بعدي رجالٌ يعرّفونكم ما تنكرون؛ وينكرون عليكم ما تعرفون؛ فلا طاعة لمن عصى ولا تضارّوا بربكم.

وفي رواية ابن عساكر بعد هذا: فوالذي نفس عبادة بيده إنّ فلانا يعني معاوية لمن أولئك فما راجعه عثمان بحرف؛ انتهى.

وقصة معاوية مع الصحابة في شربه الخمر لم يقتصر على ما كان بين معاوية وعبادة؛ فقد رواه أبو عبد الرحمن بن سهل بن زيد

الانصاري غزا في زمن عثمان ومعاوية أمير على الشام، فمرّت به روايا خمر، فقام إليها برمحه، فيقر كلّ راوية منها؛ فناوشه الغلمان؛

حتى بلغ شأنه معاوية؛ فقال: دعوه فإنّه قد ذهب عقله، فبلغه فقال: كلاًّ والله ما ذهب عقلي؛ ولكن رسول الله (ص) نهانا أن ندخل بيوتنا وأسقيتنا خمرا وأحلف بالله لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله (ص) لا يقرن بطنه أو لاموتنّ دونه(٩٨).

وأخرج ابن حنبل في مسنده ج ٥ / ٣٤٧ عن عبد الله بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثمّ أتينا بالطعام، فأكلنا، ثمّ أتينا بالشراب، فشرب معاوية، ثمّ ناول أبي، ثمّ قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله (ص)... الحديث.

وله قصصٌ أخرى في الخمر أخرجها ابن عساكر في تاريخه(٩٩).

وفي هذا العصر - عصر عثمان - كان لمعاوية مع أبي ذرّ قصصٌ يطول شرحها ونحن نوردّها هنا بإيجاز من ترجمة عثمان في انساب الاشراف (٥ / ٥٤ - ٥٥)، قال البلاذري:

لمّا ولي عثمان، واعطى مروان بن الحكم ما أعطاه، واعطى الحارث بن الحكم ثلاثمائة ألف درهم، وزيد بن ثابت الانصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يتلو:

(وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). (التوبة / ٣٤)

وجرى بينه وبين عثمان في ذلك محاورات فأمره ان يلتحق بالشام، فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، وبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار، فقال: ان كان من عطائي الذي حرمتومنيه عامي هذا قبلتها، وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها.

وبنى معاوية قصره الخضراء بدمشق، فقال: يا معاوية ان كانت هذه الدار من مال الله فهي الخيانة، وان كانت من مالك فهذا الاسراف، فسكت معاوية.

وكان أبوذر يقول: واللّه لقد حدثت اعمال ما أعرفها، واللّه ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، واللّه إني لارى حقاً يطفأ وباطلاً يحيى، وصادقاً يكذب، وأثرة بغير تقى، وصالحا مستأثراً عليه(١٠٠). وكان الناس يجتمعون عليه، فنادى منادي معاوية ألا يجالسه أحد(١٠١).

وفي رواية ان معاوية بعث إليه بألف دينار في جنح الليل فأنفقها، فلما صلى معاوية الصبح، دعا رسوله فقال: اذهب إلى أبي ذر، فقل انقذ جسدي من عذاب معاوية، فإنني أخطأت. قال: يا بني، قل له: يقول لك أبو ذر: واللّه ما أصبح عندنا منه دينار ولكن أنظرنا ثلاثاً حتى نجمع لك دنائرك.

فلمّا رأى معاوية أن قوله صدق فعله؛ كتب إلى عثمان: أما بعد؛ فإن كان لك بالشام حاجة أو بأهله؛ فابعث إلى أبي ذر فإنه وغل صدور الناس... الحديث(١٠٢).

وفي أنساب الاشراف: فكتب عثمان إلى معاوية: أمّا بعد، فاحمل جندبا على أغلظ مركب وأوعره.

فوجه معاوية من سار به الليل والنهار(١٠٣).

وفي تاريخ اليعقوبي(١٠٤): فكتب إليه أن احمله على قتب بغير وطاء؛ فقدم به إلى المدينة وقد ذهب لحم فخذيه.

وفي مروج الذهب(١٠٥): فحمله على بعير عليه قتب يابس. معه خمس من الصقالبة يطيطون به حتى أتوا به المدينة وقد تسلخت أفخاذه وكاد أن يتلف.

وفي الانساب: فلمّا قدم أبوذر المدينة جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء فسيره إلى الربذة، فلم يزل بها حتى مات.

وكان مكث أبيض في الشام سنة واحدة، فقد ذكر المؤرخون أن تسفيره من المدينة إلى الشام كان سنة تسع وعشرين؛ وفي سنة ثلاثين شكاه معاوية إلى عثمان، فجلبه إلى المدينة، ثم نفاه إلى الربذة، فتوفي بها سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين(١٠٦).

ولمعاوية - أيضا - قصص طويلة مع قراء أهل الكوفة الذين سيرهم عثمان إلى الشام أوردتها البلاذري في أنساب الاشراف(١٠٧) وقال في آخر خبرهم ما موجه:

بلغ معاوية أن قوما من أهل دمشق يجالسونهم فكتب إلى عثمان انك بعثت إلي قوما أفسدوا مصرهم وانغلوهم، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلموهم ما لايجيدونه حتى تعود سلامتهم غائلة واستقامتهم اعوجاجا.

فكتب - عثمان - إلى معاوية يأمره أن يسيرهم إلى حمص، ففعل.

وإنما كان معاوية يشكو من بقاء صحابة النبي كأبي ذر، وعبادة بن الصامت وغيرهما من التابعين وقراء المسلمين وأخيارهم في الشام خشية أن يعرّفوا أهل الشام ما خفي عنهم من الاسلام وأحكامه، فلا يستطيع معاوية أنذاك أن يعيش فيهم عيشة كسرى وفيصر.

وكان الخليفة عثمان عند حسن ظن أبناء عمومته الذين ولاهم على المسلمين كما شرحنا ذلك في فصل (في عصر الصهرين) من كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة، وأطلق لهم العنان، ففعلوا في ولاياتهم ما شاؤوا، وكان منهم معاوية استطاع أن يربي أهل الشام مدة اثنتي عشرة سنة (٢٤ - ٥٣٦) زمان خلافة عثمان كما شاء أن يكونوا.

وعندما قتل عثمان كان أهل الشام أطوع له من بنائه واستطاع أن يقاتل بهم الامام علياً كما سندرسه في ما يأتي إن شاء الله

٩٣ البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٢٤ ولكنّه لم يذكر كلمة (هذا كسرى العرب).

٩٤ في صحيح مسلم ٣ / ١٢١٠ حديث ٨٠ كتاب المساقاة ط. بيروت سنة ١٣٧٥هـ، وتهذيب ابن عساكر ٧ / ٢١٥ ط. بيروت سنة ١٣٩٩هـ، وقد أوردته ملخصاً من صحيح مسلم. وعبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي، شهد عبادة مشاهد رسول الله كلها وعاش إلى سنة أربع وثلاثين، وتوفي بالرملة أو بالبيت المقدس، ودفن هناك، ترجمته في الاستيعاب ص ٤١٢، وأسد الغابة ٣ / ١٦٠، وتهذيب ابن عساكر ٧ / ٢٠٩ - ٢١٧، والاصابة ٢ / ٢٦٠، وسير اعلام النبلاء ٢ / ٥ - ١١.

٩٥ أسد الغابة ٣ / ١٦٠ رقم الترجمة ٢٧٨٩، وسير اعلام النبلاء (٢ / ٥).

٩٦ تهذيب ابن عساكر ٧ / ٢١٤، وسير اعلام النبلاء ٢ / ١٠، ومسند أحمد ٥ / ٣٢٥ عن ابن خيثم حدثني إسماعيل بن عبيد الانصاري، غير أنّ الحديث حذف من أوله في مسند أحمد، وجاء هكذا: ((حدثني إسماعيل بن عبيد الانصاري)) فذكر الحديث ((فقال عبادة يا أبا هريرة أنّك لم تكن معنا إذ بايعنا)) ثم ساق الحديث إلى آخره.

٩٧ ((القطارة)): الأبل تسير على نسق واحد خلف واحد.

٩٨ بترجمته في الاصابة ٢ / ٣٩٤، وفي أسد الغابة ٣ / ٢٩٩ إلى قوله و((أسقيتنا)) ثم قال: وأخرجه الثلاثة، وفي الاستيعاب ص ٤٠٠ ذكره ميتورا، وأشار إليه في آخر ترجمته في تهذيب التهذيب ٦ / ١٩٢.

٩٩ منها قصة أخرى له مع عبادة بن الصامت عندما كان بانطرسوس، أخرجها في تهذيب ابن عساكر ٧ / ٢١٣؛ ومنها قصته مع عبدالله بن الحارث بن أمية بن عبد شمس (٧ / ٣٤٦)، وأشار إليه ابن حجر بترجمته في الاصابة ٢ / ٢٨٢.

١٠٠ أنساب الاشراف ٥ / ٥٤ - ٥٥ ط. بغداد.

١٠١ طبقات ابن سعد ٤ / ٢٢٩.

١٠٢ سير اعلام النبلاء ٢ / ٦٩ - ٧٠ ط. بيروت سنة ١٤٠١هـ.

١٠٣ ترجمة عثمان في الجزء الخامس من أنساب الاشراف ٥ / ٥٤ - ٥٥.

١٠٤ تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٢.

١٠٥ مروج الذهب ٢ / ٣٤٠ ط. بيروت سنة ١٣٨٥هـ، وقد ذكر هناك تفصيل قصة أبيذر. ((والصقالبة)): قوم كانت بلادهم تتاخم بلاد الخزر.

١٠٦ أنساب الاشراف ٥ / ٤٣.

١٠٧ أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ٤٣.

ب - الكوفة:

عزل الخليفة عثمان في السنة الثانية من خلافته سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولّى عليها الوليد بن عقبة.

وكان سعد هو الذي كوف الكوفة بأمر عمر واسكنها جيوش المسلمين وكان هو قائدهم في فتح إيران فكانوا يحيونه ويحترمونه فلما قدم الوليد الكوفة واليا قال له سعد: والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك؟

فقال: لاتجرعن أبا إسحاق، فأنما هو الملك يتغده قوم، ويتعشاه آخرون (١٠٨).

فقال سعد: أراكم والله ستجعلوها ملكا.

قال له ابن مسعود: ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس بعدك!

ترجمة الوليد (١٠٩):

الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان جد أبيه ذكوان علجا من صفورية وعيدا لأمية، فتبناه واستلحقه بنسبه، وكان أبوه من أشد أعداء النبي بمكة، وقتله صبرا في غزوة بدر، وأسلم الوليد بعد فتح مكة وبعثه النبي (ص) مصدقا إلى بني المصطلق، فعاد وأخبر النبي إنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة فبعث إليهم الرسول (ص) من استعلم حالهم فاخبروه بانهم متمسكون بالاسلام ونزلت فيه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ تَادِمِينَ). (الحجرات / ٦)

وقال البلاذري:

واستقرض من بيت المال مائة ألف، وكان على بيت المال عبدالله بن مسعود، ولما اقتضاه المال، كتب الوليد إلى عثمان، فكتب عثمان إلى ابن مسعود (إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد في ما أخذ من المال) فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن أنني خازن للمسلمين فاما إذا كنت خازنا لكم، فلا حاجة لي في ذلك (١١٠).

قال صاحب الاغانى:

وقدم عليه أبو زيد الشاعر النصراني فوهب له دارا كانت لعقيل بن أبي طالب على باب مسجد الكوفة، فكان يخرج من منزله حتى يشق الجامع إلى الوليد، فيسمر عنده، ويشرب معه، ويعود إلى بيته يشق المسجد وهو سكران.

واجرى عليه وظيفة من خمر وخنازير في كل شهر فاستنكروا عليه ذلك فقوم ما كان وظف له دراهم وضمها إلى رزق كان يجري عليه.

واعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة جعله له حمى (١١١).

وقال المسعودي:

بلغه عن رجل يهودي في قرية من قرى الكوفة أنه يعمل أنواعا من السحر والشعوذة يعرف بطروني، فأحضره، فأراه في المسجد الاعظم ضربا من التخيل: اظهر له في الليل فيلا (١١٢) عظيما على فرس يركض في صحن المسجد ثم صار اليهودي ناقة يمشي على حبل ثم اراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده ورأسه، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل وكان جماعة من أهل الكوفة حضورا منهم جندب بن كعب الأزدي فخرج إلى السوق ودنا من بعض الصائقة وأخذ سيفا واشتمل عليه، وجاء إلى الساحر فضربه ضربة فقتله، ثم قال: أحي نفسك وقرأ (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا).

فأنكر عليه الوليد ذلك وأراد ان يقيده به - أي يقتله به - فمنعه الازد فحبسه واراد قتله غيلة فسجنه ولما رأى السجنان قيامه بالعبادة في الليل قال له: انج بنفسك فقال له جندب تقتل بي.

قال: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن ولي من اولياء الله.

فلما اصبح الوليد دعا به وقد استعد لقتله، فلم يجده، فسأل السجنان، فأخبره بهربه، فضرب عنق السجنان وصلبه بالكناسة (١١٣).

وقال المؤرخون (١١٤):

كان الوليد يشرب مع ندمائه ومغنيه من اول الليل إلى الصبح، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج في غلائله - شعار يلبس تحت الثوب - فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح وصلى بهم أربعاً وقال: أتريدون أن ازيدكم قرأ بهم:

علق القلب الربابا بعد ان شابا وشابا

وأطال سجوده وقال في سجوده: اشرب واسقني.

فقال له من كان بالصف الاول:

ما تريد لا زادك الله مزيد الخير، والله لا أعجب إلا ممن بعثك البنا واليا وعلينا أميرا، فحصبه الناس بحصاء المسجد، فدخل قصره يترنح، ويتمثل:

ولست بعيدا عن مُدامٍ وقينَةٍ

ولا بصفا صلد عن الخير معزل

الابيات

وأخذوا خاتمته من يده وهو سكران ما يعقل وقاء خمرا وذهب خمسة من أهل الكوفة للشهادة عليه عند الخليفة، فضرب بعضهم، ودفع في صدر بعضهم وأوعدهم وتهدهم فذهبوا إلى الامام عليّ وأخبروه بالقصة فاتى عثمان وقال له: دفعت الشهود وابطلت الحدود...

وأراد الخليفة أن ينكّل بهم، فاستجاروا بعائشة، فسمع عثمان من حجرتها صوتا وكلاما فقال: أما يجد مُراق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة فسمعت فرفعت نعلا وقالت: تركت سنة رسول الله (ص) صاحب هذا النعل؟

فتسامع الناس فجأؤوا حتّى ملأوا المسجد فمن قائل: ما للنساء ولهذا؟ حتّى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال...

وفي رواية: ان عائشة أغلظت لعثمان، وأغلظ لها.

وأناه طلحة والزبير وقالوا له: قد نهيناك عن تولية الوليد شيئا من أمور المسلمين فأبيت وقد شهد عليه بشرب الخمر والسكر فاعزله.

وقال له علي: اعزله وحده إذا شهد عليه الشهود في وجهه.

فولّى عثمان سعيد بن العاص بن امية الكوفة واستقدم الوليد، ولما شهد الشهود في وجه الوليد أنّه شرب الخمر، وأراد عثمان ان يحده البسه جبة خز ضرب من برود اليمد وقال من يضربه فأحجم الناس لقرابته من الخليفة، فقام علي وضربه، وبعد اجراء الحد عليه لم يحلقه الخليفة كما كان يفعل مع من يجري عليه الحد، وولاه بعد ذلك على جباية صدقات قبيلتي كلب وبلقين، وغزا الوليد زمان ولايته على الكوفة اذربيجان إلى ارمينية، ففتح، وقتل، وسبى، وملا يديه من الغنائم.

ولمّا قدم سعيد الكوفة ابى ان يصعد منبر المسجد الجامع حتى غسلوه، وعزل عثمان أبا موسى الاشعري عن البصرة وجندها، وعثمان بن ابي العاص الثقفي عن عمان والبحرين وجندهما، وولي عليهما ابن خاله عبدالله بن عامر بن كريب وكتب عثمان إلى عبدالله بن عامر وسعيد بن العاص ايكما سبق إلى خراسان فهو أمير عليها فسبق إليها ابن عامر وافتتح نيسابور وبرشهر وهراة ومرو الروذ، وصالح اهل تلك البلاد على ثلاثة آلاف درهم وخمسة وسبعين ألف درهم ومائتي ألف أوقية.

وبلغه ان اهل مرو يريدون الوثوب عليه فجرّد فيهم السيف حتّى افناهم.

تولية سعيد بن العاص وتسيير قراء أهل الكوفة:

روى البلاذري بسنده وقال(١١٥):

عزل عثمان (رض) الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاه سعيد بن العاص وأمره بمداواة أهلها، فكان يجالس قراءها ووجوه أهلها ويسامرهم فيجتمع عنده منهم: مالك بن الحارث الاشتهر النخعي، وزيد وضعفة إبن صوحان العبداني، وحرقوق بن زهير السعدي، وجندب بن زهير الأزدي، وشريح ابن أوفى بن يزيد بن زاهر العبسي، وكعب بن عبة النهدي، وكان يقال لعبد بن سعد ذو الحكمة - وكان كعب ناسكا وهو الذي قتله بسر بن أبي أرطاة بتثليث - وعدي بن حاتم الجواد الطائي ويكنى أبا طريف، وكدام بن حضري ابن عامر، ومالك بن حبيب بن خراش، وقيس بن عطار بن حاجب، وزباد ابن خصفة بن ثقف، ويزيد بن قيس الارجبي، وغيرهم فأنهم لعنده وقد صلوا العصر إذ تذكروا السواد والجبل ففضلوا السواد وقالوا: هو يبيت ما يبيت الجبل وله هذا النخل، وكان حسيان بن محدوج الذهلي الاذي بدأ الكلام في ذلك، فقال عبد الرحمن بن خنيس الاسدي صاحب الشرطة: لوددت أنّه للامير وانّ لكم أفضل منه. فقال له الاشتهر: تمنّ للامير أفضل منه، ولا تمنّ له أموالنا.

فقال عبد الرحمن: ما يضرك من تمنّي حتى تزوي ما بين عينيك، فوالله لو شاء كان له.

فقال الاشتهر: والله لو رام ذلك ما قدر عليه.

فغضب سعيد وقال: إنّما السواد بستان لقريش.

فقال الاشتهر: أنجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بستاننا لك ولقومك؟ والله لو رامه أحد لقرع قرعا يتصأصأ منه.

ووثب بآبن خنيس فأخذته الأيدي.

فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إني لا أملك من الكوفة مع الاشتهر وأصحابه الذين يُدعون الفرّاء وهم السفهاء شيئاً. فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام. وكتب إلى الاشتهر: إني لاراك تضمّر شيئاً لو أظهرته لجلّ دمك وما أظنك منتهياً حتى يصيبك قارعة لا بُقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لافسادك من قبلك وإني لا تألوهم خبالاً. فسيّر سعيد الاشتهر ومن كان وثب مع الاشتهر وهم: زيد وضعصة ابناً صوحان، وعائذ بن حملة الطهوي من بني تميم، وكميل بن زياد النخعي، وحنديب بن زهير الأزدي، والحرث بن عبدالله الأعور الهمداني، ويزيد بن المكفّف النخعي، وثابت بن قيس بن المنقّع النخعي، وأصغر (١١٦) بن قيس بن الحرث الحرثي.

فخرج المسيرون من فرّاء أهل الكوفة، فاجتمعوا بدمشق نزّلوا مع عمرو ابن زرارّة فبرّهم معاوية وأكرمهم، ثمّ أتته جرى بينه وبين الاشتهر قولٌ حتى تغالطاً فحبسه معاوية فقام عمرو بن زرارّة فقال: لئن حبسته لتجدنّ من يمنعه. فأمر بحبس عمرو فتكلم سائر القوم فقالوا: أحسن جوارنا يا معاوية! ثمّ سكتوا فقال معاوية: ما لكم لا تكلمون؟ فقال زيد بن صوحان: وما نصنع بالكلام؟ لئن كُنّا ظالمين فنحن نتوب إلى الله، وإن كُنّا مظلومين فإنّنا نسال الله العافية. فقال معاوية: يا أبا عائشة! أنت رجل صدق.

وأذن له في اللحاق بالكوفة، وكتب إلى سعيد بن العاص: أمّا بعد: فإني قد أذنت لزيد بن صوحان في المسير إلى منزله بالكوفة لما رأيت من فضله وقصده وحسن هديه، فأحسن جواره، وكفّ الأذى عنه وأقبل إليه بوجهك وودك، فإنّه قد أعطاني موثقاً أن لا ترى منه مكروهاً.

فشكر زيد معاوية وسأله عند وداعه إخراج من حبس، ففعل.

وبلغ معاوية أنّ قوماً من أهل دمشق يجالسون الاشتهر وأصحابه، فكتب إلى عثمان: إنك بعثت إليّ قوماً أفسدوا مصرهم وأنغلوه، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلي ويعلموهم ما لا يحسنونه، حتّى تعود سلامتهم غائلة، واستقامتهم اعوجاجاً.

فكتب إلى معاوية يأمره أن يسيّرهم إلى حمص، ففعل وكان واليها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة، ويقال: إنّ عثمان كتب في ردّهم إلى الكوفة فضجّ منهم سعيد ثانية، فكتب في تسييرهم إلى حمص فنزلوا الساحل.

وذكر الواقدي والطبري (١١٧) وغيرهما ما دار بينهم وبين معاوية من كلام حول قريش وسياستهم على الناس وان معاوية كتب اثر ذلك إلى عثمان:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان أمّا بعد، يا أمير المؤمنين! فإنك بعثت إليّ أقواماً يتكلمون بالسنة الشياطين وما يملون عليهم ويأتون الناس - زعموا - من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كلّ الناس يعلم ما يريدون وإنّما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الاسلام وأضرّهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممّن كانوا بين ظهرانيتهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن قاموا وسط أهل الشام أن يعرّوهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتنك دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم، والسلام.

فكتب إليه عثمان يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم إليه فلم يكونوا إلاّ أطلق السنة منهم حين رجعوا.

وكتب سعيد إلى عثمان يضحّ منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان أميراً على حمص

وهم: الاشتهر، وثابت ابن قيس الهمداني (١١٨) وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان وأخوه صعصعة، وحنديب بن زهير الغامدي، وحيب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد (١١٩) وعمرو بن الحمق الخزاعي.

وكتب عثمان إلى الاشتهر وأصحابه: أمّا بعد، فإني قد سيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها فإنكم لستم تأتون الاسلام وأهله شراً والسلام.

فلما قرأ الاشتهر الكتاب قال: اللهم أسوأنا نظراً للرعية، وأعلمنا فيهم بالمعصية، فعجلّ له النعمة.

فكتب بذلك سعيد إلى عثمان، وسار الاشتهر وأصحابه إلى حمص فأنزلهم عبد الرحمن بن خالد الساحل، وأجرى عليهم رزقاً.

وروى الواقدي إنّ عبد الرحمن بن خالد جمعهم بعد أن أنزلهم أيّاماً وفرض لهم طعاماً ثمّ قال لهم: يا بني الشيطان! لا مرحباً بكم ولا أهلاً، قد رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد في بساط ضلالكم وغيكم، جزى الله عبد الرحمن إن لم يؤذكم، يا معشر من لا أدري

أعرّب هم أم عجم، أتراكم تقولون لي ما قلت لمعاوية؟ أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فائق عين الردة، والله يا ابن صوحان! لا طيرن بك طيرة بعيدة المهوى إن بلغني أن أحداً ممّن معي دقّ أنفك فأقنعت (١٢٠) رأسك.

قال: فأقاموا عنده شهرا كلِّما ركب أمشاهم معه ويقول لصعصعة: يا ابن الخطية! إنَّ من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ما لك لا تقول كما كنت تقول لسعيد ومعاوية؟

فيقولون: نتوب إلى الله، أفلنا أقالك الله، فما زال ذاك دأبه ودأبهم حتى قال: تاب الله عليكم، فكتب إلى عثمان يسترضيه عنهم ويسأله فيهم فردهم إلى الكوفة (١٢١).

نرى ان معاوية اجتهد حتى أَرْضَى الخليفة باعادة القراء المذكورين إلى الكوفة ومن ذلك ما رواه ابن أبي شيبة بسنده وقال: إنَّ رجلا من حمص يقال له كريب بن سيف - أو سيف بن كريب - جاء إلى عثمان فقال: ما جاء بك؟ أياذن جئت أم عاص؟

قال: بل نصيحة أمير المؤمنين، قال: وما نصيحتك؟ قال: لا تكل المؤمن إلى إيمانه حتى تعطيه من المال ما يصلحه - أو قال: ما يعيشه - ولا تكل ذا الامانة إلى أمانته حتى تطالعه في عملك، ولا ترسل السقيم إلى البريء لبيئته، فإن الله يبرئ السقيم، وقد يسقم السقيم البريء، قال: ما أردت إلا الخير، قال: فردهم وهم زيد بن صوحان وأصحابه (١٢٢).

نرى أن معاوية هو الذي أرسل الرجل الحمصي المذكور إلى الخليفة وعلمه أن يقول للخليفة ما قاله.

تراجم المذكورين في الخبر:

أصغر بن قيس بن الحارث الحارثي له ادراك. كان صاحب راية قومه يوم القادسية، الاصابة ١ / ١١٧.

ثابت بن قيس بن منقع النخعي أبو المنقع. من الطبقة الوسطى من التابعين روى له النسائي حديثا واحدا. من الثقات، تهذيب التهذيب ٢ / ١٢. وتقريب التهذيب ١ / ١١٧.

جندب بن زهير الأزدي ثم الغامدي. كان فيمن سيره عثمان عنه من الكوفة إلى الشام. وكان على رجالة علي في صفين وقتل فيها. الاصابة ١ / ٢٤٩ تهذيب التهذيب ٢ / ١٨، أسد الغابة ١ / ٣٠٣.

الحارث بن عبدالله الاعور الهمداني. ثقة. أفقه الناس أحسبُ الناس وأفرض الناس (ت: ٥٦٥)، تهذيب التهذيب ٢ / ١٤٥.

زيد بن صوحان بن حجر الربيعي العبدي. كان فاضلاً ديناً سيداً في قومه وصحب النبي (ص)، أسد الغابة (٢ / ٢٣٣ - ٢٣٤).

سعيد بن العاص بن أمية. أمه أم كلثوم بنت عمرو العامرية كتب المصحف لعثمان وكان عامله على الكوفة ولي المدينة لمعاوية (ت: ٥٥٩)، أسد الغابة ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠.

صعصعة بن صوحان بن حجر العبدي. ثقة. كان سيداً فصيحاً خطيباً ديناً، أسلم على عهد رسول الله (ص)، وشهد صفين مع علي، نجاه معاوية إلى البحرين فمات بها (ت: ٥٣٧)، الاستيعاب بهامش الاصابة ٢ / ١٨٩، وأسد الغابة (٣ / ٢٠)، والاصابة ٢ / ١٩٢.

١٩٢.

عدي بن حاتم الطائي، أسلم سنة سبع للهجرة نزل الكوفة، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. شهد مع علي الجمل وصفين، توفي بالكوفة زمن المختار سنة ٥٨، طبقات ابن سعد ٦ / ٢٢، الاستيعاب بهامش الاصابة (٣ / ١٤٢) وأسد الغابة (٣ / ٣٩٢ - ٣٩٤).

(٣٩٤)، وتهذيب التهذيب ٧ / ١٦٦، والاصابة ٢ / ٤٦١.

عروة بن عياض بن أبي الجعد البارقي. استعمله عمر قاضياً على الكوفة. أخرج حديثه أصحاب الصحاح الستة. كان فيمن سيره عثمان من الكوفة إلى الشام، الاستيعاب ص: ٤٩١، أسد الغابة ٣ / ٤٠٤، الاصابة ٢ / ٤٦٨.

كميل بن زياد بن نهيك. كان شريفاً مطاعاً في قومه. شهد مع علي صفين ولما قدم الحجاج الكوفة قتله سنة: ٥٨٢، ابن سعد ٦ / ١٧٩، تهذيب التهذيب ٨ / ٤٤٧ - ٤٤٨.

عمرو بن الحمق الخزاعي. صحب الرسول (ص) بعد الحديبية. شهد مع علي الجمل وصفين والنهروان رحل إلى الموصل هرباً وخوفاً من زياد، فقطع عامل الموصل رأسه وحمله إلى زياد، وزياد إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الاسلام من بلد إلى بلد، وكان ذلك سنة ٥٠ هجرية. الاستيعاب (٢ / ٤٠٤)، وأسد الغابة ٤ / ١٠٠ - ١٠١، والاصابة ٢ / ٥٢٦.

مالك بن الحارث النخعي. أدرك الرسول (ص). كان رئيس قومه شهد اليرموك فشترت عينه بها ولقب بالاشتر، شهد الجمل وصفين مع علي وولاه علي مصر فدس إليه معاوية السم بالعتل. وتوفي متأثراً منه سنة ٥٢٨، أسد الغابة والاصابة ٣ / ٤٥٩.

يزيد بن قيس الارجي، أدرك حياة الرسول (ص) كان رئيسا كبيرا عند الناس شهد مع علي صفيين. الاصابة ٣ / ٦٧٥.

١٠٨ وروى البلاذري ٥ / ٢٩، قال له سعد: يا أبا وهب أمير أم زائر؟ قال: بل أمير فقال سعد: ما أدري أحمقت بعدك قال ما حمقت بعدي ولا كسنت بعدك ولكن القوم ملكوا فاستأثروا فقال سعد: ما أراك إلا صادقا.

١٠٩ أسد الغابة ٥ / ٩٠ - ٩١، الاستيعاب ٢ / ٦٠٣، تهذيب التهذيب ١١ / ١٤٢ - ١٤٣، وشرح نهج البلاغة ١ / ٣٦٤، والبلاذري ٥ / ٣٥، ومروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٣٦.

١١٠ أنساب الاشراف ٥ / ٣٠ - ٣١.

١١١ الاغاني ٤ / ١٨٠ - ١٨١، والبلاذري ٥ / ٣١ - ٣٢.

١١٢ وفي الاصل قيدا ولعله تصحيف.

١١٣ مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٣٨ - ٣٣٩، وترجمة جندب من أسد الغابة ١ / ٣٠٥، والاغاني ٤ / ١٨٣، والبلاذري ٥ / ٣١.

١١٤ الاغاني ٤ / ١٧٦ - ١٧٨، المسعودي ٢ / ٣٣٥ - ٣٣٦، والبلاذري ٥ / ٣٢ - ٣٥.

١١٥ أنساب الاشراف ٥ / ٣٩ - ٤٣.

١١٦ في أنساب الاشراف اصغر وفي الاصابة أصغر.

١١٧ تاريخ الطبري ٤ / ٣١٧ - ٣٢٦ ط. القاهرة دار المعارف.

١١٨ في تاريخ الطبري: النخعي. بدل: الهمداني.

١١٩ أسد الغابة ٣ / ٤٠٣ كان ممن سيره عثمان إلى الشام من أهل الكوفة، وتاريخ الطبري ٥ / ٨٨ - ٩٠، والكامل لابن الاثير ٣ / ٥٧ - ٦٠ طبعة بولاق ٢ / ٥٥، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ١٥٨ - ١٦٠ ورأى هذه الصورة أصح ما ذكر في القضية، وتاريخ ابن خلدون ٢ / ٣٨٧ - ٣٨٩، وتاريخ أبي الفداء ١ / ١٦٨ في حوادث سنة ٣٣٣.

١٢٠ قنع رأسه بالسيف: علاه به.

١٢١ ابن أبي الحديد ١ / ١٦٠ وط. القاهرة تصحيح محمد أبو الفضل إبراهيم (٢ / ١٣٤)، وتاريخ الطبري ط. أوربا ١ / ٣٩١٤.

١٢٢ مصنف ابن أبي شيبة ١١ / ٣٣٤ رقم الحديث ٢٠٦٩٥.

ج - البصرة:

عزل عن البصرة وما تبعها من بلاد إيران الصحابي أبا موسى الأشعري مقرئ أهل البصرة وفتح جنوب إيران وعثمان بن أبي العاص عن فارس وولى عليهما ابن خاله عبدالله بن عامر بن كريز العبشمي وكان عمره أربع وعشرون أو خمس وعشرون سنة، روى الطبري وابن عساكر واللفظ لابن عساكر قال:

وفد يزيد بن خرشة الضبي إلى عثمان فقال: ما فيكم وضع فترفعونه أو فقير فتجبرونه عمدتم إلى نصف سلطانكم فأطعمتموه هذا الأشعري فاستعمل عثمان عبدالله بن عامر بن كريز وكان ابن خاله... (١٢٣).

دراسة الخبر:

لعل التعصب القبلي العدناني كان دافع يزيد إلى ما قال فان ضبة من تميم وتميم من العدنانيين والاشعريين من اليمانيين القحطانيين وإنما قال (نصف سلطانكم) لأن أبا موسى كان قد فتح من بلاد إيران كوري الاهواز: سوق الاهواز ونهر تيري وغيرهما ثم فتح مناذر والسوس ورامهرمز وتستر وجنديسابور وقم وكاشان ودينور وماسبذان وكورمهر جانقذف (١٢٤).

إكرام آخر من الخليفة لابن خاله:

مرّ بنا في بحث جمع القرآن أنّ الرسول (ص) ولّى عثمان بن أبي العاص على قومه بالطائف لانه كان أقرأهم للقرآن فكان يصلّي بهم ويقرئهم القرآن إلى عهد الخليفة عمر حين كتب إليه أن يستخلف على الطائف ويقبل إليه فاستخلف أخاه فولاه على البحرين وعمان والبلاد الخليجية الأخرى ثمّ أمره أن يغزو فارس فاستخلف أخاه وغزا بجيشه فارس وفتح في طريقه بعض الجزر في البحر ثمّ استولى على سواحل البلاد وفتح البلاد بلدة بعد أخرى حتّى انتهى إلى توج بلدة قريبة من كازرون شديدة الحرّ بينها وبين شيراز ثلاثون فرسخا فجعلها دارا للمسلمين وبنى بها المساجد يشتهي فيها، وفي غير الشتاء يغزو البلاد ويفتتحها. وأمر الخليفة عمر أبا موسى أن يعينه فتعاونوا على فتح البلاد حتى اتصلت في ما بينهما، وعلى عهد الخليفة عثمان أراد أن يكرم ابن خاله عبدالله بن أبي سرح فعزل عثمان بن سعيد وجمع لابن خاله الولاية على ما افتتحها عثمان بن سعيد وأبا موسى الأشعري وكان عبدالله بن عامر من فتيان قريش جوادا من بيت مال المسلمين ومن أخباره في ذلك ما رواه ابن عساکر بترجمته من تاريخه وقال:

ارتجّ على عبدالله بن عامر بالبصرة يوم أضحي فمكث ساعة ثمّ قال: واللّه لا أجمع عليكم عيّاً ولؤماً. من أخذ شاة من السوق فهي له وثمنها عليّ، (ولم تحمله البصرة فكتب إلى عثمان يستأذنه الغزو فأذن له)(١٢٥).

لعلّ المراد: لم يحتمل بيت مال البصرة نفقاته في العطاء لمن أمر فاته بعدما فتح بلاد كثيرة حج فأفشى في قريش والانصار الصلات والكساء فأثنوا عليه.

وبسبب ذلك لما استعنت عثمان من عماله كان في ما شرطوا عليه أن يقرّ ابن عامر على البصرة لتحبّبه إليهم وصلته هذا الحي من قريش، وبعد قتل الخليفة عثمان حمل بيت مال البصرة وذهب إلى مكة ثمّ إلى الشام ومات قبل معاوية بسنة.

* * *

كان ذلكم أمثلة من أخبار بعض الولاة على عهد الخليفة عثمان وكان لسرواة قريش والصحابة مواقف في تلك الاحداث نذكر بعضها في ما يأتي:

١٢٣ تاريخ الطبري ط. أوربا ١ / ٢٨٢٨ في أول ذكره أخبار سنة سبع وعشرين، وترجمة عبدالله بن عامر من تاريخ ابن عساکر مصورة مخطوطة مكتبة الظاهرية بدمشق (٩ / ٢ / ٢٣٣ ب) وقد حذف الخبر ابن منظور في ترجمة عبدالله بن عامر من مختصر تاريخ دمشق.

١٢٤ راجع أخبار فتوح هذه البلاد بفتوح البلدان للبلاذري، ص ١٧٧. وط. بيروت سنة ١٣٧٧هـ. القسم الخامس، ص ٥٣١ - ٥٣٨.

١٢٥ تاريخ ابن عساکر مخطوطة الظاهرية مصورة المجمع العلمي ٩ / ق ٢ / ٢٣١ ب و ٢٣٣ ب.

موقف الصحابي المقرئ ابن مسعود ومآل أمره:

أمّا ابن مسعود فهو أبو عبد الرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي وأمّه أمّ عبد ودّ الهذلي. وكان أبوه حليف بني زهرة أسلم قديما وأجهر بالقرآن في مكة ولم يكن قد أجهر به أحد من المسلمين قبله فضربته قريش حتى أدموه ولما أسلم أخذه رسول الله (ص) إليه وكان يخدمه، وقال له: ((اذنك عليّ أن تسمع سوادى(١٢٦) ويرفع الحجاب حتّى أنهاك)) فكان يلج عليه ويلبسه نعليه ويمشي معه وأمامه ويستتره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك.

هاجر الهجرتين جميعا إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدرًا وما بعدها.

وقالوا فيه: كان أشبه الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله(١٢٧).

سبّيه عمر في عهده إلى الكوفة، وكتب إلى أهل الكوفة: وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي(١٢٨) فكان ابن مسعود يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

وكان ابن مسعود في بادئ أمره من عصبة الخلافة وانتقل بعد ذلك إلى جماعة المعارضين، ووقع بينه وبين أمير الكوفة الاموي ما ذكرنا تفصيله في كتابنا أحاديث عائشة باب (مع الصهرين) وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو:

(إنّ أصدق القول كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد (ص)، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار).

فكتب الامير الاموي الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنّه يعيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره باشخاصه فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: (إنّها ستكون أمور وفتن لا أحب أن أكون أول من فتحها). فردّ الناس وخرج إليه (١٢٩).

وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن (١٣٠).

فقالوا له: جزيت خيرا فلقد علّمت جاهلنا، وثبّت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتينا في الدين، فنعّم أخو الاسلام أنت ونعم الخليل، ثمّ ودّعوه وانصرفوا، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله (ص) فلما رآه قال:

ألا إنّه قد قدمت عليكم ذوية سوء من يمشي على طعامه يقىء ويسلج.

فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكني صاحب رسول الله (ص) يوم بدر ويوم بيعة الرضوان (١٣١).

ونادت عائشة: ((أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله)).

- وفي رواية بعده: ((فقال عثمان أسكتني)) - ثمّ أمر عثمان به فأخرج من المسجد اخراجا عنيفا، وضرب به عبدالله بن زمعة الارض، ويقال: بل احتمله ((يحموم)) غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الارض فدق ضلعه.

وقام عليّ يأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد حين برئ الغزو فمنعه من ذلك.

وقال له مروان: إنّ ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد أن يفسد عليك الشام؟

فلم يبرح المدينة حتى توفّي قبل مقتل عثمان بسنتين.

وكان مقيما بالمدينة ثلاث سنين.

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائدا، فقال:

ما تشتكى؟

قال: ذنوبي.

قال: فما تشتهي؟

قال: رحمة ربي.

قال: ألا أدعو لك طبيبا؟

قال: الطبيب أمرضني.

قال: فلا أمر لك بعطائك - وكان قد تركه سنتين - (١٣٢)؟

قال: منعني وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه.

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم على الله.

قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.

وأوصى أن يصلّي عليه عمار بن ياسر، وأن لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم فلماً علم غضب، وقال: سبقتموني به.

فقال عمار بن ياسر: الله أوصى أن لا تصلّي عليه.

فقال ابن الزبير:

لاعرفنك بعد الموت تندبني

وفي حياتي ما زوّدتني زادي

وتوفي ابن مسعود سنة ٣٢ ودفنه الزبير ليلا ولم يؤذن به عثمان وكان عمره بضعا وستين(١٢٣).

كان ذلك شأن الخليفة ووالي الكوفة مع مقرئ أهل الكوفة ابن مسعود وسوف يأتي في محلّه من هذا البحث شأنهم معه عند حرق المصاحف.

١٢٦ ساوده سوادا أي: ساوره مساورة ولذلك كان يقال له: صاحب سر رسول الله.

١٢٧ راجع مسند أحمد ٥ / ٣٨٩؛ ومناقبه في البخاري والمستدرک ٣ / ٣١٥ و٣٢٠؛ وحلية أبي نعيم ١ / ١٢٦ و١٢٧؛ وكنز العمال ٧ / ٥٥.

١٢٨ راجع ترجمته في أسد الغابة ٣ / ٢٥٨.

١٢٩ الاستيعاب، ترجمة ابن مسعود.

١٣٠ رجعنا إلى رواية البلاذري.

١٣١ في كلامه هذا تعريض عثمان حيث غاب عن بدر وبيعة الرضوان.

١٣٢ تاريخ ابن كثير ٧ / ١٦٣؛ وراجع اليعقوبي ٢ / ١٩٧؛ ومستدرک الحاكم ٣ / ١٣.

١٣٣ لقد رجعنا في ما ذكرنا من قصّة ابن مسعود إلى البلاذري في أنساب الاشراف ٥ / ٣٦، وفي بعضه إلى ترجمته في طبقات ابن سعد ٣ / ١٥٠ - ١٦١ طبعة دار صادر بيروت؛ والاستيعاب ١ / ٣٦١؛ وأسد الغابة ٣ / ٣٨٤، رقم الترجمة ٣١٧٧؛ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٠؛ وراجع تاريخ الخميس ٢ / ٢٦٨؛ وابن أبي الحديد طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

موقف الصحابي المقرئ ابن مسعود ومآل أمره:

أمّا ابن مسعود فهو أبو عبد الرحمن عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي وأمّه أمّ عبد ودّ الهذلي. وكان أبوه حليف بني زهرة أسلم قديما وأجهر بالقرآن في مكة ولم يكن قد أجهر به أحد من المسلمين قبله فضربه قريش حتى أدموه ولمّا أسلم أخذه رسول الله (ص) إليه وكان يخدمه، وقال له: ((إذنك عليّ أن تسمع سوادا(١٢٦) ويرفع الحجاب حتّى أنهاك)) فكان يلج عليه ويلبسه نعليه ويمشي معه وأمّامه ويستتره إذا اغتسل ويوظفه إذا نام وكان يعرف في الصحابة بصاحب السواد والسواك.

هاجر الهجرتين جميعا إلى الحبشة وإلى المدينة وشهد بدرا وما بعدها.

وقالوا فيه: كان أشبه الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله(١٢٧).

سيّره عمر في عهده إلى الكوفة، وكتب إلى أهل الكوفة: وقد آثرتكم بعبدالله على نفسي(١٢٨) فكان ابن مسعود يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.

وكان ابن مسعود في بادئ أمره من عصبة الخلافة وانتقل بعد ذلك إلى جماعة المعارضين، ووقع بينه وبين أمير الكوفة الاموي ما ذكرنا تفصيله في كتابنا أحاديث عائشة باب (مع الصهرين) وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو:

(إنّ أصدق القول كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد (ص)، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار).

فكتب الامير الاموي الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إته يعيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمره باشخاصه فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه، فقال: (إتها ستكون أمور وقتن لا أحب أن أكون أول من فتحها). فردّ الناس وخرج إليه (١٢٩).

وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن (١٣٠).

فقالوا له: جزيت خيرا فلقد علّمت جاهلنا، وثبّت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتينا في الدين، فنعم أخو الاسلام أنت ونعم الخليل، ثمّ ودّعوه وانصرفوا، وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله (ص) فلمّا رآه قال:

ألا إته قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشي على طعامه يقبيء ويسلح.

فقال ابن مسعود: لست كذلك ولكنني صاحب رسول الله (ص) يوم بدر ويوم بيعة الرضوان (١٣١).

ونادت عائشة: ((أي عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله)).

- وفي رواية بعده: ((فقال عثمان أسكتي)) - ثمّ أمر عثمان به فأخرج من المسجد اخراجا عنيفا، وضرب به عبدالله بن زمعة الارض، ويقال: بل احتمله ((يحموم)) غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الارض فدق ضلعه.

وقام عليّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد حين برئ الغزو فمنعه من ذلك.

وقال له مروان: إن ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد أن يفسد عليك الشام؟

فلم يبرح المدينة حتى توفّي قبل مقتل عثمان بسنتين.

وكان مقيما بالمدينة ثلاث سنين.

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أناه عثمان عائدا، فقال:

ما تشتكي؟

قال: ذنوبي.

قال: فما تشتهي؟

قال: رحمة ربي.

قال: ألا أدعو لك طبيبا؟

قال: الطبيب أمرضي.

قال: فلا أمر لك بعطائك - وكان قد تركه سنتين - (١٣٢)؟

قال: معنتيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه.

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم على الله.

قال: استغفر لي يا أبا عبدالرحمن.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.

وأوصى أن يصلّي عليه عمار بن ياسر، وأن لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبييع وعثمان لا يعلم فلمّا علم غضب، وقال: سبقتموني به.

فقال عمار بن ياسر: الله أوصى أن لا تصلّي عليه.

فقال ابن الزبير:

لاعرفنك بعد الموت تندبني

وفي حياتي ما زوّدتني زادي

وتوفي ابن مسعود سنة ٣٢ ودفنه الزبير ليلا ولم يؤذن به عثمان وكان عمره بضعا وستين(١٣٣).

كان ذلك شأن الخليفة ووالي الكوفة مع مقرئ أهل الكوفة ابن مسعود وسوف يأتي في محلّه من هذا البحث شأنهم معه عند حرق المصاحف.

١٢٦ ساوده سوادا أي: ساوره مساورة ولذلك كان يقال له: صاحب سر رسول الله.

١٢٧ راجع مسند أحمد ٥ / ٣٨٩؛ ومناقبه في البخاري والمستدرک ٣ / ٣١٥ و٣٢٠؛ وحلية أبي نعيم ١ / ١٢٦ و١٢٧؛ وكنز العمال ٧ / ٥٥.

١٢٨ راجع ترجمته في أسد الغابة ٣ / ٢٥٨.

١٢٩ الاستيعاب، ترجمة ابن مسعود.

١٣٠ رجعا إلى رواية البلاذري.

١٣١ في كلامه هذا تعريض عثمان حيث غاب عن بدر وبيعة الرضوان.

١٣٢ تاريخ ابن كثير ٧ / ١٦٣؛ وراجع اليعقوبي ٢ / ١٩٧؛ ومستدرک الحاكم ٣ / ١٣.

١٣٣ لقد رجعا في ما ذكرنا من قصّة ابن مسعود إلى البلاذري في أنساب الاشراف ٥ / ٣٦، وفي بعضه إلى ترجمته في طبقات ابن سعد ٣ / ١٥٠ - ١٦١ طبعة دار صادر بيروت؛ والاستيعاب ١ / ٣٦١؛ وأسّد الغابة ٣ / ٣٨٤، رقم الترجمة ٣١٧٧؛ وتاريخ اليعقوبي ٣ / ١٧٠؛ وراجع تاريخ الخميس ٢ / ٢٦٨؛ وابن أبي الحديد طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر ١ / ٣٣٦ - ٣٣٧.

موقف عمار بن ياسر:

من أخباره مع عمار:

أ - ما رواه البلاذري وقال: الله لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالريذة قال: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر: نعم، فرحمه الله من كل أنفسنا، فقال عثمان: يا عاص أير أبيه! أتاني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفن في قفاه وقال: الحق بمكانه فلمّا تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه. فقال له عليّ: يا عثمان! اتق الله فانك سيرت رجلا صالحا من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الان تريد أن تنفي نظيره، وجرى بينهما كلام حتّى قال عثمان: أنت أحق بالنفي منه. فقال علي: رم ذلك ان شئت ، واجتمع المهاجرون فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته فإنّ هذا شيء لايسوغ. فكفّ عن عمار(١٣٤).

ب - ما رواه البلاذري وغيره في حملة كتاب استنكار الصحابة على عثمان وقالوا:

إن المقداد بن عمرو، وعمّار بن ياسر، وطلحة، والزبير في عدة من أصحاب رسول الله (ص) كتبوا كتابا عددوا فيه أحداث عثمان وخوفوه ربّه وأعلموه أنّهم موثبوه إن لم يقلع؛ فأخذ عمار الكتاب وأتاه به فقراً صدرا منه فقال له عثمان: أعليّ تقدم من بينهم؟ فقال عمار: لاّني أنصحهم لك. فقال: كذبت يا ابن سميّة! فقال: أنا والله ابن سميّة وابن ياسر، فأمر غلماناه فمدّوا بيديه ورجليه ثمّ ضربه عثمان برجليه وهي في الخُفين على مذاكيره فاصابه الفتق، وكان ضعيفا كبيرا فغشي عليه(١٣٥). وفي خبر آخر:

فضربه حتى غشي عليه ثمّ أخرج فحُمِلَ حتى أُتي به منزل أمّ سلمة زوج رسول الله (ص) فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب فلما توضّأ وصلى قال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا فيه في الله. وبلغ عائشة ما صنع بعمار فغضبت وأخرجت شعرا من شعر رسول الله (ص) وثوبا من ثيابه ونعلا من نعاله ثمّ قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيكم وهذا شعيره وثوبه ونعله لم يبيل بعد، فغضب عثمان غضبا شديدا حتى ما درى ما يقول، فالتج المسجد وقال الناس: سبحان الله، سبحان الله، وكان عمرو بن العاص واجدا على عثمان لعزله إيّاه عن مصر فجعل يكثر التعجّب والتسبيح(١٣٦).

موقف عمرو بن العاص:

في تاريخ الطبري وأنسب الاشراف ما موجزه والسياق للطبري:

(... فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتفد عليه يأتي عليا مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي الزبير مرّة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر عثمان الأوّل خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبيع فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول العجب ما يأتينا عن ابن عفان، قال فبينما هو جالس في قصره ذلك إذ مرّ بهم راكب فناده عمرو من أين قدم الرجل؟ فقال من المدينة، قال ما فعل الرجل - يعني عثمان - ؟ قال تركته محصورا شديد الحصار، قال عمرو أنا أبو عبدالله قد بضطّ العير والمكواة في النار، فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر فناده عمرو ما فعل الرجل - يعني عثمان - ؟ قال قتل، قال أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكاتها إن كنت لأحرض عليه حتى إني لأحرض عليه الراعي في غنمه على رأس الجبل(١٣٧).

موقف معاوية:

بعد أن بلغ السيل الزبي، وثار المسلمون بعثمان في المدينة كتب عثمان إلى معاوية فيمن كتب إليه من ولاته يستمدّه ويقول:

بسم الله الرّحمن الرّحيم أمّا بعد فإنّ أهل المدينة كفروا، وأخلفوا الطاعة، ونكثوا البيعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كلّ صعب ودلول.

فلما جاء معاوية الكتاب ترصّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله (ص)، وقد علم اجتماعهم، فلما أبطأ أمره على عثمان كتب إلى أهل الشام يستنفرهم... (١٣٨) الحديث.

قال البلاذري: ولما أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه بعث يزيد بن أسد القسري(١٣٩) وقال له: إذا أتيت ذا خُشب(١٤٠) فأقم بها، ولا

تتجاوز، ولا تقل: يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، فإتّني أنا الشاهد وأنت الغائب، قال: فأقام بذي خُشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه؛ وإّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان، فيدعو إلى نفسه(١٤١). انتهى. وجاء في تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٥:

فكتب عثمان إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه، فتوجّه إليه في اثني عشر ألفا، ثمّ قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشأم، حتى أتى أمير المؤمنين لاعرف صحّة أمره، فأتى عثمان، فسأله عن المدّة، فقال: قد قدمت لاعرف رأيك وأعود إليهم فأجيتك بهم. قال:

لا والله، ولكنّك أردت أن أقتل فتقول: أنا وليّ الثأر. ارجع، فجتني بالناس! فرجع، فلم يعد إليه حتى قُتل.

ولما بويع لعليّ ندم معاوية على ما فرط في جنب عثمان؛ ورأى أنّ الخلافة قد زويت عنه، فكتب لطلحة والزبير يمتّيهما الخلافة، ويدفعهما إلى قتال عليّ، حتى قُتلا بالبصرة(١٤٢).

١٣٦ نفس المصدر السابق.

١٣٧ الطبري ١ / ٢٩٦٧ - ٣٩٧٢؛ وأنساب الاشراف ٤ / ق ١ / ٥٦٤ - ٥٦٩ و ٥٩٨.

١٣٨ الطبري ٥ / ١١٥ - ١١٦ .

١٣٩ اختلفوا في ادراكه صحبة النبي، راجع ترجمته بأسد الغابة ٥ / ١٠٣.

١٤٠ ((حُشْب)) بضم أوله وثانيه: واد على مسير ليلة من المدينة. معجم البلدان.

١٤١ شرح النهج ٤ / ٥٧ - ٥٨.

١٤٢ صفين لنصر بن مزاحم ص ٥٢؛ وشرح النهج ٢ / ٥٨٠ - ٥٨١.

موقف عبدالرحمن بن عوف:

روى البلاذري بسنده في أنساب الاشراف:

أ - قال: لما تُوفي أبوذر بالرّيزة تذاكر عليّ وعبدالرحمن بن عوف فعل عثمان فقال عليّ: هذا عمّك، فقال عبدالرحمن: إذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي، إنّه قد خالف ما أعطاني.

ب - قال: ذكر عثمان عند عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي مات فيه فقال عبد الرحمن: عاجلوه قبل أن يتمادى في ملكه، فيلغ ذلك عثمان، فيبعث إلى بئر كان يسقى منها نَعَمُ عبد الرحمن بن عوف فمنعه إياها فقال عبدالرحمن: اللهم اجعل ماءها غُورًا، فما وُجدت فيها قَطْرَةٌ.

ج - إنّ عبدالرحمن بن عوف كان حلف ألا يكلم عثمان أبداً.

د - إنّ عبدالرحمن أوصى أن لا يصليّ عليه عثمان، فصلىّ عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص، وتُوفي سنة اثنتين وثلاثين (١٤٣).

موقف أم المؤمنين عائشة من تكلم الاحداث:

قال البلاذري في أنساب الاشراف:

أنّه وصلت من أم المؤمنين (كتب إلى البلاد تحرض المسلمين على الخروج عليه) (١٤٤).

وذكر اليعقوبي في تاريخه وقال:

كان عثمان يخطب إذ دلّت عائشة قميص رسول الله ونادت ((يا معشر المسلمين! هذا جلاب رسول الله لم يبل وقد أبلى عثمان سنته)) فقال عثمان: ((ربّ اصرف عيني كيدهنّ إن كيدهنّ عظيم)) (١٤٥).

وقال ابن أعمش:

ولمّا رأت أم المؤمنين اتّفاق الناس على قتل عثمان، قالت له:

أي عثمان! خصّصت بيت مال المسلمين لنفسك، وأطلقت أيدي بني أمية على أموال المسلمين، وولّيتهم البلاد، وتركت أمّة محمّد في ضيق وعسر، قطع الله عنك بركات السماء وحرّمك خيرات الارض، ولولا أنك تصليّ الخمس لنحروك كما تنحر الابل (١٤٦).

فقرأ عليها عثمان: (صَرََبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَاتَتَاهُمَا فَلَمَّ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ) (١٤٧) انتهى.

إنّ هذه الكلمات القارصة من الخليفة في أم المؤمنين عائشة ذات الطبع الحادّ والتي لم تكن لتمك نفسها عند سورة الغضب، والكتاب الذي عثر عليه أخوها محمّد في طريقه إلى مصر والذي فيه أمر صريح بقتله وآخرين من رفقته ممّن أدركوا صحبة النبيّ

وغيرهم من المسلمين؛ قد دفعت أمّ المؤمنين - التي كانت تذهب نفسها في سبيل الدفاع عن ذوي قرباها - أن تصدر الفتوى الصريحة بقتل الخليفة عثمان وكفره، فتقول فيه: أقتلوا نعتلا فقد كفر.

وقالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط(١٤٨).

انطلقت هذه الكلمة من فم أمّ المؤمنين، فانتشرت بين الناس(١٤٩).

ولما اشتدّ الامر على عثمان أمر مروان بن الحكم وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد فأتيا عائشة وهي تريد الحجّ فقالا لها:

لو أقمت، فلعلّ الله يدفع بك عن هذا الرجل، ((وقال مروان: ويدفع لك بكل درهم أنفقتيه درهمين)) (١٥٠).

فقال: قد قرنت ركائبي وأوجبت الحج على نفسي ووالله لا أفعل! فنهض مروان وصاحبه، ومروان يقول:

وحرق قيس عليّ البلاد

فلما اضطرت أحجما

ورد البيت في الانساب ٥ / ٧٥ هكذا:

وحرق قيس عليّ البلا

د حتى إذا اضطرت أجدما

فقال: عائشة! يا مروان! ((لعلك ترى في شك من صاحبك)) (١٥١) والله لوددت أنه في غرارة من غرائري هذه وأني طوقت حملة حتى أقيه في البحر(١٥٢).

خرجت أمّ المؤمنين من المدينة متوجهة إلى مكة وخرج ابن عباس أميرا عليّ الحاج من قبل عثمان فمرّ بعائشة في الصلصل وهي في طريقها إلى مكة فقالت: يا ابن عباس! أشدك الله فأنك أعطيت لسانا أزعيلاً أن تخذل عن هذا الرجل. وفي الانساب:

إياك أن تردّ عن هذه الطاغية(١٥٣) وأن تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار وتجلّبوا من البلدان لامر قد جم، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الاموال والخزائن مفاتيح، فان يلى يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر.

قال قلت: يا أمّة لو حدث بالرجل ما حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا.

فقال: ايها عنك إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك(١٥٤).

تراجم المذكورين في الخبر:

أ - عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس قتل يوم الجمل تحت راية عائشة وقطعت يده فاختطفها نسر وفيها خاتمه فطرحها ذلك اليوم باليمامة، فعرفت يده بخاتمه، (جمهرة نسب قريش، ص: ١٨٧ - ١٩٣).

ب - عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي، كني بأبيه العباس وهو أكبر ولده، وأمّه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ولد والنبي بالشعب من قبل الهجرة بثلاث. شهد مع عليّ الجمل وصفين والنهروان ثم ولاة البصرة، وترك البصرة في آخر خلافة عليّ وذهب إلى مكة، ولما وقعت الفتنة بين عبدالله بن الزبير وعبدالملك الح ابن الزبير عليه وعلى محمد بن الحنفية أن يبایعا فأبى، فجمع الحطب على دورهم حتى بلغ رؤوس الجدر، ليحرقهم فجاءتهم أربعة آلاف فارس من الكوفة وأنقذتهم، وخاف ابن الزبير فتعلق بأستار الكعبة وقال: أنا عائد بالبيت فمنعهم عنه ابن عباس. وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين أو سبعين كما ذكره ابن الاثير - وهو ابن سبعين أو إحدى وسبعين سنة، (الاستيعاب ٣٧٢ - ٣٧٤، الترجمة رقم ١٥٩١؛ وأسد الغابة ٢ / ١٩٢ - ١٩٥؛ والاصابة ٢ / ٢٢ - ٢٦).

١٤٣ أنساب الاشراف ط. بيروت ١٤٠٠هـ (ق ٤ / ١ / ٥٤٦ - ٥٤٧).

١٤٤ أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ١٠٣.

١٤٥ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٥.

١٤٦ كتاب الفتوح، ص ١١٥، وينبغي أن تكون هذه المجاورة قبل عثور أخيها محمد على كتاب عثمان في طريق مصر يأمر فيه بقتلهم، فإنها بعد ذلك كانت تفتي بقتله غير مبالية بصلاته.

١٤٧ الآية العاشرة من سورة التحريم وكان عثمان يعرض بها إلى ما أطبق عليه المفسرون من أن منشأ قصة التحريم ما قامت به أم المؤمنين عائشة وأخرى معها من أمهات المؤمنين فنزلت فيهما سورة التحريم.

١٤٨ الطبري ٤ / ٤٧٧، ط. القاهرة سنة ١٣٥٧، وط. أوربا ١ / ٣١١٢؛ وابن أعثم ص ١٥٥؛ وابن الاثير ٣ / ٨٧؛ وابن أبي الحديد ٢ / ٧٧؛ ونهاية ابن الاثير ٤ / ١٥٦؛ وشرح النهج ٤ / ٤٥٨. وراجع لغة نعتل في النهاية لابن الاثير وتاج العروس ولسان العرب.

١٤٩ راجع خبر انتشار كلمة أم المؤمنين في بحث على عهد عثمان من المجلد الأول من كتابنا أحاديث أم المؤمنين عائشة.

١٥٠ الزيادة ما بين القوسين في تاريخ يعقوبي ٢ / ١٢٤، وط. بيروت ٢ / ١٧٦.

١٥١ نفس المصدر السابق.

١٥٢ أخرج هذه الرواية كل من البلاذري في الانساب ٥ / ٧٥؛ وابن أعثم ص ١٥٥؛ وابن سعد في الطبقات ط. ليدن ٥ / ٢٥ بترجمة مروان، وذكر من أتى عائشة زيد بن ثابت. والغرارة: الجوالق.

١٥٣ وفي الانساب ٥ / ٧٥.

١٥٤ الطبري ٥ / ١٤٠، وط. أوربا ١ / ٣٠٤٠؛ وابن أعثم ص ١٥٦، واللفظ للطبري والبلاذري. والصلصل: من نواحي المدينة على مسيرة أميال منها. معجم البلدان. والازعيل: الذلق، وفي القاموس: النشيط.

د - مصر وتولية عبدالله بن سعد بن أبي سرح عليها:

كان عمرو بن العاص فاتح مصر عاملا عليها حتى عزله الخليفة عثمان عن الخراج واستعمله على الصلاة، واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج ثم جمعهما لعبدالله بن سعد (١٥٥).

روى البلاذري أن محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر حين أكثر الناس في أمر عثمان قدما مصر وعليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ووافقا بمصر محمد بن طلحة بن عبيد الله وهو مع عبدالله بن سعد؛ وإن ابن أبي حذيفة شهد صلاة الصبح في صبيحة

الليلة التي قدم فيها، ففاته الصلاة فجهر بالقراءة فسمع ابن أبي سرح قراءته فأمر إذا صلى أن يؤتى به. فلما رآه قال: ما جاء بك إلى بلدي؟ قال: جئت غازيا، قال: ومن معك؟ قال: محمد بن أبي بكر، فقال: واللّه ما جئتما إلا لتفسدا الناس، فأمر بهما فسجنا، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلمه فيهما لئلا يمنعهما من الغزو، فأطلقهما ابن أبي سرح وغزا ابن أبي سرح أفريقية فأعدّ لهما سفينة مفردة لئلا يفسدا عليه الناس فمرض ابن أبي بكر فتخلف، وتخلف معه ابن أبي حذيفة، ثم اتّهما خرجا في جماعة الناس فما رجعا من غزاتهما إلا وقد أوغرا صدور الناس على عثمان.

وقال في حديث آخر وكانت غزوة ذات الصواري في المحرم سنة ٣٤ (١٥٦).

وفي تاريخ الطبري وأنسب الاشراف (١٥٧):

خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خرج عبدالله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر وأن دم عثمان حلال، ويقولان: استعمل عبدالله بن سعد رجلا كان رسول الله (ص) أباح دمه، ونزل القرآن بكفره [حين قال: سأنزل مثل ما أنزل الله] (١٥٨) وأخرج رسول الله (ص) قوما وأدخلهم (١٥٩) - إلى قوله - فأفسدا أهل تلك الغزاة وعابا عثمان أشد العيب.

وقال: (ومحمد بن أبي حذيفة يقول للرجل: أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقًا فيقول الرجل: وأيّ جهاد؟! فيقول: عثمان بن عفان فعل كذا وكذا حتى أفسد الناس، فقدموا بلدهم وقد أفسدهم، وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به).

ومما ساعد المحمّدين في أمرهم تدمر المصريين من سيرة ابن أبي سرح فيهم، وظلمه إياهم، وقد بلغ الامر به معهم أن يضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتى يتوفى، وقد أورد قصة قدوم المصريين على عثمان في شكواهم من ابن أبي سرح كل من الطبري

وابن الاثير في حديثهما عن شكوى المصريين من ابن أبي سرح، وقال:

(وقد قدّموا في كلامهم ابن عديس فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمة واستثنارا منه في غنائم المسلمين، فإذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إلي...)(١٦٠).

تراجم المذكورين في الخبر:

أ - عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي العامري. وهو أخو عثمان من الرضاعة، أرضعت أمه عثمان.

أسلم قبل الفتح وهاجر إلى المدينة وكتب الوحي لرسول الله ثم ارتد مشركا وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمدا حيث أريد؛ كان يملئ عليّ: ((عزيز حكيم)) فأقول: ((عليم حكيم))! فيقول: نعم، كل صواب؛ فأنزل الله تعالى فيه:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ).

(الانعام / ٩٣)

فلما كان يوم الفتح أهدر رسول الله دمه وأمر بقتله ولو وُجِدَ متعلِّقا بأستار الكعبة. ففرَّ عبدالله إلى عثمان فغيبه حتى أتى به إلى رسول الله (ص) فاستأمنه له، فصمت رسول الله (ص) طويلا ثم قال: نعم، فلما انصرف عثمان قال لمن حوله: ما صمتُ إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقالوا: هلا أومات إلينا، فقال: إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الاعين.

ولاه عثمان مصر سنة ٥٢٥ وعزل عنها عمرو بن العاص ففتح أفريقية فأعطاه عثمان خمس غنائم الغزوة الأولى، وبقي أميرا على

مصر حتى سنة ٣٤ حيث ثار ابن أبي حذيفة في مصر فمضى إلى عسقلان فأقام بها حتى قُتِلَ عثمان. وتوفي سنة ٥٧ هـ (١٦١).

ب - محمد بن أبي بكر عبدالله بن أبي قحافة عثمان، وأمّه أسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر وتزوجها أبو بكر بعد وفاة جعفر بن أبي طالب فولدت له محمدا في طريقهم إلى مكة في حجة الوداع، ولما توفي أبو بكر تزوجها عليّ فنشأ محمداً في حجر عليّ وكان ربيبه، شهد مع عليّ الجمل وصفين، ثم ولاه مصر فدخلها في الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٣٧ فجهز معاوية عمرو بن العاص إلى مصر سنة ٣٨ فتغلب عليه وقتله معاوية ابن خديج صبيرا وأدخلوا جثته في بطن حمار ميت وأحرقوه (١٦٢).

ج - أبو القاسم محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي العبشمي، وأمّه سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية، ولد بأرض الحبشة على عهد رسول الله (ص) واستشهد أبوه أبو حذيفة باليمامة فضمَّ عثمان ابنه هذا إليه ورثاه. استأذن عثمان في أن يذهب إلى مصر للغزو فأذن له فأخذ هناك يولب الناس على عثمان ثم وثب على خليفة عبدالله بن سعد بمصر وأخرجه منها وبايعه أهل مصر بالامارة، ولما استخلف عليّ أقره عليها فبقي عليها حتى سار إليه معاوية عند مسيره إلى صفين، فخرج إليهم محمد ومنعه من دخول الفسطاط ثم تصالحوا على أن يخرج محمد بن أبي حذيفة ومن معه آمنين فخرج محمد وثلاثون رجلا فغدر بهم معاوية وحبسه في سجن دمشق ثم قتله رشدين مولى معاوية! وكان محمد ممن أدركوا صحبة الرسول (١٦٣).

د - محمد بن طلحة بن عبيدالله، وأمّه حمنة بنت جحش، كنيته أبو سليمان، ولد في عصر الرسول (ص)، وقتل يوم الجمل فمّر عليه عليّ وقال: أبوه صرعه هذا المصرع ولولا أبوه وبرّه به ما خرج ذلك المخرج (١٦٤).

عود على بدء

قال ابن أعثم: جاء إلى المدينة وفد من أشرف مصر يشكون عاملهم عبدالله بن أبي سرح، فدخلوا مسجد الرسول فرأوا فيها جماعة من أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين والأنصار، فسألهم الصحابة عما أقدمهم من مصرهم، فقالوا: ظلم والينا، وفساده، فقال لهم عليّ: لا تعجلوا في أمركم، واعرضوا على الامام شكواكم، فلعل عاملكم عمل برأيه فيكم.

إذهبوا إلى الخليفة واشرحوا له ما ساءكم من عاملكم، فإن أنكر عليه وعذله أصبتم بغيتكم، وإن لم يفعل وأقره عليّ ما هو عليه؛ رأيتم أمركم، فدعا له المصريون وقالوا: أصبت القول فخرجوا أن تحضر مجلسنا عنده، فقال: لا حاجة في ذلك فالامر يتم بحضوركم عنده، فقالوا: وإن كان الامر كذلك غير إنا نرغب أن تحضر وتشهد، فقال عليّ: يشهدكم من هو أقوى منّي وأعظم من جميع المخلوقين وأرحم على عبادته.

فذهب أشيراف مصر إلى دار عثمان واستأذنوا للدخول عليه، فلما أذن لهم ودخلوا عليه أكرمهم وأجلسهم إلى جنبه، ثم سألهم وقال: ما الذي أقدمكم؟ وماذا دهاكم فقدمتم دونما رخصة منّي أو من عاملي؟!

فقالوا: جئنا نستنكر منك ما يصدر منك، ونؤاخذك بما يصدر من عاملك.

ثم ذكر ابن أعمش ما جرى بينهم من حجاج وأقوال (١٦٥).

١٥٥ الطبري ٥ / ١٠٨، وط. أوربا ١ / ٢٢٦٦.

١٥٦ أنساب الاشراف ٥ / ٥٠.

١٥٧ الطبري ٥ / ٧٠ - ٧١، في ذكره غزوة ذات الصواري في سنة ٣١، وط. أوربا ١ / ٢٨٧٠ - ٢٨٧١.

١٥٨ هذه الجملة في أنساب الاشراف ٥ / ٥٠.

١٥٩ يقصد بهم الحكم بن أبي العاص وولده.

١٦٠ الطبري ٥ / ١١٨، وط. أوربا ١ / ٢٩٩٤؛ وابن الاثير ٣ / ٥٩ - ٧٠.

١٦١ الاستيعاب ٢ / ٣٦٧ - ٣٧٠؛ والاصابة ٢ / ٣٠٩ - ٣١٠ و ١ / ١١ - ١٢؛ وأسد الغابة ٣ / ١٧٣ - ١٧٤؛ وأنساب الاشراف ٥ / ٤٩؛ والمستدرک ٣ / ١٠٠؛ والمفسرون كالقرطبي وغيره في تفسيرهم الآية ٩٣ من سورة الانعام؛ وابن أبي الحديد ١ / ٦٨.

١٦٢ رواه المؤرخون في ذكرهم حوادث سنة ٣٠ و ٥٣٨، وترجمته في الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة.

١٦٣ راجع تاريخ الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ٣٠ - ٣٦؛ وترجمته في الاستيعاب ٣ / ٣٢١ - ٣٢٢ الترجمة رقم ٩٩١؛ وأسد الغابة ٤ / ٣١٥؛ والاصابة ٣ / ٥٤.

١٦٤ راجع ترجمته في الطبقات ٥ / ٣٧ - ٣٩.

١٦٥ فتوح ابن أعمش ص ٤٦ - ٤٧.

محنة المسلمين وموقف الامام عليّ منها:

وكان نتيجة شكوى أهل مصر ما ذكره البلاذري (١٦٦) حيث قال:

لما ولي عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله (ص) لان عثمان كان يحبّ قومه، فولي الناس اثنتي عشرة حجة، وكان كثيرا ما يولي من بني أميّه من لم يكن له مع النبيّ (ص) صحبة فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد (ص)، وكان يستعجب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان في السيت الاواخر استأثر ببني عمّه فولاهم، ووليّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، فمكث عليها سنين، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه... فكتب إليه كتابا يتهدّده فيه فأبى أن ينزع عمّا نهاه عنه وضرب بعض من شكاه إلى عثمان حتى قتله.

ولما ضاق الامر بالمسلمين كتب من كان من أصحاب النبيّ (ص) بالمدينة إلى إخوانهم في الامصار يدعونهم إلى غزو عثمان في ما رواه الطبري وغيره (١٦٧) واللفظ للطبري، قال:

لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبيّ (ص) إلى من بالافاق منهم وكانوا قد تفرقوا في الثغور:

إنكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّ وجلّ تطلبون دين محمد فإنّ دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك فهلّموا، فأقيموا دين محمد (ص).

وفي رواية ابن الاثير: فإنّ دين محمد (ص) قد أفسده خليفتمكم؛ وفي شرح ابن أبي الحديد: فاخلعوه؛ فأقبلوا من كلّ أفق حتى قتلوه.

وروى البلاذري (١٦٨) وقال:

لَمَّا كَانَتْ سَنَةَ ٣٤ كَتَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِلَى بَعْضِ يَتَشَاكُونَ سِيرَةَ عَثْمَانَ وَتَغْيِيرَهُ وَتَبْدِيلَهُ وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنْ عَمَّالِهِ، وَيَكْثُرُونَ عَلَيْهِ، وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنْ يَقْدُمُوا الْهَيْدِينَةَ إِنْ كَانُوا يَرِيدُونَ الْجِهَادَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) يَدْفَعُ عَنْ عَثْمَانَ وَلَا يَنْكُرُ مَا يُقَالُ فِيهِ إِلَّا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ أَبِي كَعْبٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ مِنَ الْإِنصَارِ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ؛ فَاجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَغَيْرُهُمْ إِلَى عَلِيٍّ فَسَالُوهُ أَنْ يَكْلِمَ عَثْمَانَ وَيَعْطَهُ فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي قَدْ كَلَّمُونِي فِي أَمْرِكَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ، مَا أَعْرَفُكَ شَيْئًا تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدْلُكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، وَمَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنَخْبِرُكَ عَنْهُ، وَلَقَدْ صَحَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَسَمِعْتُ وَرَأَيْتُ مِثْلَ مَا سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا، وَمَا ابْنُ قِحَافَةَ وَابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِالْحَقِّ مِنِّي؛ وَلَانتَ أَقْرَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) رَحْمًا، وَلَقَدْ نَلْتُ مِنْ صَهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنَّكَ لِاتَّبِصِّرَ مِنْ عَمِّي؛ وَلَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ.

فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ: وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ مَكَانِي مَا عَنَّفْتُكَ، وَلَا أَسْلَمْتُكَ، وَلَا عَتَبْتُ عَلَيْكَ إِنْ وَصَلْتَ رَحْمًا وَسَدَدْتَ خَلَّةً وَأَوَيْتَ ضَائِعًا، وَوَلَّيْتُ مَنْ كَانَ عَمْرَ يَوْلِيهِ؛ نَشَدْتُكَ اللَّهُ: أَلَمْ يُولِّ عَمْرَ الْمَغِيرَةَ بَنَ شَعْبَةَ وَلَيْسَ هُنَاكَ...

قال: نعم.

قال: فلم تلومني إن وُلِّيتُ ابنَ عامرٍ في رحمته وقر.

قال عليٌّ: سأخبرك. إنَّ عمرَ بنَ الخطابِ كانَ كلِّمًا وُلِّيَ فَإِنَّمَا يَطَأُ عَلَى صِمَاخِهِ، إِنْ بَلَغَهُ حَرْفٌ جَلْبِهِ، ثُمَّ بَلَغَ بِهِ أَفْصَى الْغَايَةِ، وَأَنْتَ لَا تَفْعَلُ ضَعْفَتْ وَرَفَقَتْ عَلَى أَقْرِبَائِكَ.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضًا.

فقال عليٌّ: لعمرى إنَّ رحمته مِنِّي لِقَرِيبَةٍ وَلَكِنَّ الْفَضْلَ فِي غَيْرِهِمْ.

قال: أَوْلَمَ يُولِّ عَمْرَ مَعَاوِيَةَ؟

فقال عليٌّ: إنَّ مَعَاوِيَةَ كَانَ أَشَدَّ خَوْفًا وَطَاعَةً لِعَمْرٍ مِنْ بَرَفَاءٍ وَهُوَ الْآنَ يَبْتِزُّ الْأُمُورَ دُونَكَ وَيَقْطَعُهَا بِغَيْرِ عِلْمِكَ وَيَقُولُ لِلنَّاسِ: هَذَا أَمْرُ عَثْمَانَ، وَيَبْلِغُكَ فَلَا تَغْيِّرْ، ثُمَّ خَرَجَ، وَخَرَجَ عَثْمَانُ بَعْدَهُ، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ فَقَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ أَفَةً، وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاهَةٌ، وَإِنَّ أَفَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعَاهَةُ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَيَّابُونَ طَعَّانُونَ يَرُونَكُمْ مَا تَحْبُونَ، وَيَسْرُونَ لَكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، مِثْلَ النِّعَامِ يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ... الْحَدِيثُ.

تراجم المذكورين في الخبر

أ - زيد بن ثابت ذكرنا ترجمته في بحث جمع القرآن.

ب - أبو أسيد الساعدي مالك بن ربيعة بن البدن الانصاري الخزرجي شهد بدرًا وما بعدها عُمِيَّ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلَ عَثْمَانَ. اختلفوا في وفاته.

ج - كعب بن مالك الخزرجي وأمه ليلى بنت زيد من بني سلمة شهد المشاهد مع رسول الله (ص) خلا بدر وتبوك.

د - يرفأ: اسم غلام الخليفة عمر.

راجع تراجمهم في الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة، أمَّا حسان فسنأتي ترجمته إن شاء الله تعالى.

١٦٦ أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ٢٥ - ٢٦.

١٦٧ الطبري ٥ / ١١٤ - ١١٥، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٣؛ وابن الاثير ٥ / ٧٠؛ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٥. وإتّما ذكرنا كتب أصحاب النبي (ص) إلى أهل الامصار وموافاتهم بالموسم خلال بحثنا عن تأثير المحمّدين في مصر وتحريضهما إياهم على عثمان لصلّة الحوادث بعد هذا بعضها ببعض.

١٦٨ أنساب الاشراف ٥ / ٦٠؛ وراجع تاريخ الطبري ٥ / ٩٦ - ٩٧، وط. أوربا ١ / ٢٩٣٧-٢٩٣٩؛ وابن الاثير ٣ / ٦٣؛ وابن أبي الحديد ١ /

٣٠٣؛ وابن كثير ٧ / ١٦٨؛ وأبي الفداء ١ / ١٦٨. والنص ما بين القوسين للطبري.

مسير أهل الامصار إلى عثمان:

روى البلاذري (١٦٩) وقال: التقى أهل الامصار الثلاثة الكوفة والبصرة ومصر في المسجد الحرام قبل مقتل عثمان بعام، وكان رئيس أهل الكوفة كعب بن عتبة النهدي، ورئيس أهل البصرة المثنى بن مخزبة العدي، ورئيس أهل مصر كنانة بن بشر بن عوف السكوني ثم التجيبي، فتذاكروا سيرة عثمان وتبديله وتركه الوفاء بما أعطى من نفسه، وعاهد الله عليه، وقالوا لا يسعنا

الرضا بهذا فاجتمع رأيهم على أن يرجع كل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى مصره فيكون رسول من شهد مكة من أهل الخلاف على عثمان إلى من كان على رأيهم من أهل بلده، وأن يوافوا عثمان في العام المقبل في داره ويستعتبوه، فإن أعتب وإلا رأوا رأيهم فيه، ففعلوا ذلك.

ولما كانت مصر (١٧٠) أشدّ على عثمان من غيره وأراد عثمان أن يخفف من غلوائهم أرسل إلى رئيسهم ابن أبي حذيفة بمال في ما رواه البلاذري (١٧١) أيضا وقال: وبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبحمل عليه كسوة فأمر به فوضع في المسجد وقال: يا معشر المسلمين! ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه!!؟ فازداد أهل مصر عيبا لعثمان وطمعنا عليه واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم.

إنّ دراهم عثمان لم تمنع المصريين من موافاة المدينة في موعدهم مع أهل الامصار بل خرجوا من مصر مع محمد بن أبي بكر في ما رواه الطبري وقال (١٧٢):

فقدم محمد بن أبي بكر وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر فلما خرج المصريون خرج عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة وأظهروا أنّهم يريدون العمرة وخرجوا في رجب، وبعث عبدالله بن سعد رسولا سار إحدى عشرة ليلة يخبر عثمان أن ابن عديس البلوي وأصحابه قد وُجّهوا نحوه، وأن محمد بن أبي حذيفة شيعهم إلى عجروود ثم رجع وأظهر محمد أن قال خرج القوم عمّارا وقال في السرّ خرج القوم إلى إمامهم فان نزع وإلا قتلوه، وسار القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خشب.

وقال في حديث آخر له: ثمّ إنّ عبدالله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له فقدم ابن سعد حتى إذا كان يائلة بلغه أنّ المصريين قد رجعوا إلى عثمان وأنهم قد حصروه ومحمد بن أبي حذيفة بمصر، فلما بلغ محمدا حصر عثمان وخروج عبدالله بن سعد عنه غلب على مصر فاستجابوا له، فأقبل عبدالله بن سعد يريد مصر فمنعه ابن أبي حذيفة فتوجّه إلى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان (رض).

وروى الطبري (١٧٣) بسنده إلى الزبير بن العوام قال: كتب أهل مصر بالسقيا (١٧٤) أو بذي خشب إلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يردّ عليه شيئا، فأمر به فأخرج من الدار، وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة الوية لها رؤوس أربعة، مع كل رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعا إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وكان من أصحاب النبي (ص)، وإلى عبدالرحمن بن عديس التجيبي، فكان في ما كتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد، فاعلم أنّ الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم، فالله الله، ثمّ الله الله فانك على دنيا فاستتمّ إليها معها آخرة ولا تنس نصيبك من الآخرة فلا تسوِّغ لك الدنيا، واعلم أنّ الله لله غضب، وفي الله نرضى، وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلحة مبلجة (١٧٥)، فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك والسلام. وروى البلاذري (١٧٦) وقال:

وأتى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعني آت القوم فانظر ماذا يريدون، فمضى نحوهم، فلما دنا منهم صاحوا به:

يا أعور وراءك! يا فاجر وراءك! يا فاسق وراءك!

فرجع ودعا عثمان عمرو بن العاص، فقال له: إئت القوم فادعهم إلى كتاب الله والعتبي ممّا ساءهم، فلما دنا منهم سلّم، فقالوا:

لا سلّم الله عليك! إرجع يا عدو الله! إرجع يا ابن النابغة! فلست عندنا بأمين ولا مأمون.

فقال له ابن عمر، وغيره: ليس لهم إلاّ علي بن أبي طالب، فلما أتاه قال: يا أبا الحسن! إئت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله وسنة نبيه.

قال: نعم، إن أعطيتني عهد الله وميثاقه على أنك تفي لهم بكل ما أضمنه عنك.

قال: نعم، فأخذ عليّ عهد الله وميثاقه على أوكد ما يكون وأغلظ وخرج إلى القوم. فقالوا: وراءك!

قال: لا. بل أمامي، تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم. فعرض عليهم ما بذل.

فقالوا: أضمن ذلك عنه؟ قال: نعم.

قالوا: رضينا. وأقبل وجوههم وأشرفهم مع عليّ حتى دخلوا على عثمان وعاتبوه، فأعتبهم من كل شيء.

فقالوا: أكتب بهذا كتابا، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نغم عليه من المؤمنين والمسلمين؛ أن لكم أن تعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه. يُعطى المحروم. ويؤمن الخائف. ويرد المنفي. ولا تجمر في البعوث، ويوفر الفيء، وعليّ بن أبي طالب ضمين للمؤمنين والمسلمين على عثمان بالوفاء بما في هذا الكتاب.

شهد الزبير بن العوام. وطلحة بن عبيد الله.

وسعد بن مالك أبي وقاص. وعبد الله بن عمر.

وزيد بن ثابت. وسهل بن حنيف.

وأبو أيوب خالد بن زيد.

وكتب في ذي القعدة سنة ٣٥.

فأخذ كل قوم كتابا فانصرفوا.

ويظهر من رواية البلاذري وغيره أن الخليفة كان قد كتب للمصريين خاصة كتابا آخر غير هذا عزل فيه ابن أبي سرح عنهم، وولّى عليهم بدله محمد بن أبي بكر، فقد جاء في رواية للبلاذري:

فقام طلحة إلى عثمان فكلمه بكلام شديد، وأرسلت إليه عائشة (رض) تسأله أن ينصفهم من عامله، ودخل عليه عليّ بن أبي طالب وكان متكلم القوم فقال له: إنما يسألك القوم رجلا مكان رجل، وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه. فقال لهم: اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه. فأشار الناس عليهم بمحمد بن أبي بكر الصديق (١٧٧) فقالوا:

استعمل علينا محمد بن أبي بكر. فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدّة من المهاجرين والانصار ينظرون في ما بينهم وبين ابن أبي سرح.

وقال علي بن أبي طالب (١٧٨) لعثمان: أخرج فتكلم كلاما يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والانابة فإن البلاد قد تمخضت عليك، فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفة فتقول: يا عليّ! إركب إليهم. ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذرا، ويقدم ركب آخرون من البصرة فتقول: يا عليّ! إركب إليهم؛ فإن لم أفعل رأيتني قطعت رحمك، واستخففت بحقك.

قال: فخرج عثمان فيخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعطى من نفسه التوبة، فقام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أمّا بعد، أيها الناس! فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أحله وما جئت شيئا إلا وأنا أعرفه، ولكني متنتي نفسي وكذبتني وضلّ عني رشدي، ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول: من زلّ فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتمادى في الهلكة. إن تمادى في الجور كان أبعد من الطريق. وأنا أول من اتعظ. أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عيدا لاستن بسنة العبد، ولادلّن ذلك العبد، ولاكونن كالمرفوق؛ إن ملك صبر، وإن عتق شكر، وما عن الله مذهب إلا إليه، فلا يعجزن عني خياركم أن يدنوا إليّ، فإن أبت يميني لتتابعن شمالي.

قال: فرق الناس له يومئذ وبكى من بكى منهم، وقام إليه سعيد بن زيد، فقال: يا أمير المؤمنين! ليس بواصل لك من ليس معك الله

اللّه في نفسك، فأتمم على ما قلت، فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيدا ونفرا من بني أمية، ولم يكونوا شهدوا الخطبة فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين! أتكلّم أم أصمت؟

فقال نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان الكلبية: لا بل اصمت فإنّهم واللّه قاتلوه ومؤثّموه. إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان وقال:

ما أنت وذاك فواللّه لقد مات أبوك وما يحسن يتوصّأ، فقلت له: مهلا يا مروان عن ذكر الآباء؛ تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه، إنّ أبك لا يستطيع أن يدفع عنه، أما واللّه لولا أنّه عمّه وأتّه يناله عمّه لاخبرتك عنه ما لن أكذب عليه. قال:

فأعرض عنها مروان ثمّ قال: يا أمير المؤمنين! أتكلّم أم أصمت؟ قال: بل تكلم. فقال مروان: بأبي أنت وأمّي واللّه لو ددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أوّل من رضي بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيبين (١٧٩)، وخلف السيل الربي (١٨٠)، وحين أعطى الخطة الدليّة الدليل واللّه لا إقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوّف عليها وإنك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرر بالخطيئة، وقد اجتمع عليك بالباب مثل الجبال من الناس، فقال عثمان: فأخرج إليهم فكلّمهم فأني أستحيي أن أكلّمهم قال: فخرج مروان إلى الباب والإناس يركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم! كأنكم قد جئتم للنهب! شأهت الوجوه! كلّ إنسان أخذ بإذن صاحبه إلا من أريد، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟! أخرجوا عتّا. أما واللّه لئن رتمونا ليمرنّ عليكم منّا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غيب رأيكم، إرجعوا إلى منازلكم فإنّا واللّه ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا. قال: فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليا فأخبره الخبر فجاء علي (ع) مغضبا حتى دخل على عثمان، فقال:

أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به! واللّه ما مروان بذى رأي في دينه ولا في نفسه، وأيم الله إنني لاراه سيوردك ثمّ لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك وغلبت على أمرك.

فلما خرج عليّ دخلت عليه نائلة بنت الفرافصة إمرأته، فقالت: أتكلّم أم أسكت؟ فقال: تكلمني. فقالت: قد سمعت قول عليّ لك، وإنّه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صاحبك من قبلك؛ فإنك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنّما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى عليّ فاستصحه فإنّ له قرابة منك وهو لا يعصى. قال فأرسل عثمان إلى عليّ فأبى أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أنّي لست بعائد. فبلغ مروان مقالة نائلة فيه فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال: أتكلّم أم أسكت؟ فقال: تكلم. فقال: إن بنت الفرافصة. فقال عثمان لا تذكرها بحرف فأسوء لك وجهك فهي واللّه أنصح لي منك. فكفّ مروان.

وأخرج الطبري (١٨١) بسنده إلى عبدالرحمن بن الاسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال:

قبّح الله مروان! خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلة من الدموع وهو يقول:

اللهمّ إني أتوب إليك، اللهمّ إني أتوب إليك، اللهمّ إني أتوب إليك، واللّه لئن ردّني الحقّ إلى أن أكون عبدا قنّا لارضين به، إذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ، فوالله لا أحتج منكم، ولا أعطيكم، ولا يزيدكم على الرضا، ولأنّحين مروان وذويه.

قال: فلما دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه، وأزاله عمّا كان يريد. فلقد مكث عثمان ثلاثة أيّام ما خرج استحياء من الناس، وخرج مروان إلى الناس فقال: شأهت الوجوه إلا من أريد، إرجعوا إلى منازلكم فإن يكن لأمير المؤمنين حاجة بأحد منكم يرسل إليه وإلا قرّ في بيته، قال عبد الرحمن فجئت إليّ فأجده بين القبر والمنبر فأجد عنده عمار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر (١٨٢) وهما يقولان: صنع مروان بالناس وصنع قال: فأقبل عليّ عليّ.

فقال: أحضرت خطبة عثمان؟ قلت: نعم.

قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قلت: نعم.

قال عليّ: عياد الله يا للمسلمين، إني إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقّي، وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقّة له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ وصحة رسول الله (ص).

قال عبدالرحمن بن الاسود: فلم يزل حتى جاء رسول عثمان إئتني، فقال عليّ بصوت مرتفع عال مغضب:

قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد.

قال: فانصرف الرسول، فلقيت عثمان بعد ذلك بليتين جئيا فسألته ((ناتلا)) غلامه: من أين جاء أمير المؤمنين؟ فقال: كان عند عليّ، فقال عبد الرحمن بن الاسود: فغدوت فجلست مع عليّ (ع) فقال لي: جاءني عثمان بارحة فجعل يقول: إني غير عائد وإني

فاعل، قال: فقلت له: بعدما تكلمت به على منبر رسول الله (ص) وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فستمهم علي بابك ويؤذيهم؟ قال: فرجع وهو يقول: قطعت رحمتي وخذلتني وجرأت الناس علي، فقلت: والله إني لأذنب الناس عنك، ولكنني كلما جئت بك رضا جاء بأخرى فسمعت قول مروان علي واستدخلت مروان. قال: ثم انصرف إلى بيته فلم أزل أرى علياً منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل... الحديث.

أخرج الطبري (١٨٣) بسنده إلى عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: لما حصر عثمان الحصر الآخر قال عكرمة: فقلت لابن عباس: أوكأنا حصرين؟ فقال ابن عباس: نعم، الحصر الأول حصر اثنتي عشرة وقدم المصريون فلقبهم علي بذي خشب فرددهم عنه، وقد كان والله علي له صاحب صدق حتى أوعر نفس علي عليه، جعل مروان وسعيد وذوهمما يحملونه على علي فيتحمّل ويقولون: لو شاء ما كلمك أحد، وذلك أن علياً كان يكلمه وينصحه، ويغلظ عليه في المنطق في مروان وذويه، فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمه وابن عمته، فما ظنك بما غاب عنك منه، فلم يزالوا بعلي حتى أجمع ألا يقوم دونه، فدخلت عليه اليومخرجت فيه إلى مكة فذكرت له أن عثمان دعاني إلى الخروج، فقال لي: ما يريد عثمان أن ينصحه أحد؛ اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحد إلا قد تسبب بطانفة من الأرض يأكل خراجها ويستندك أهلها. فقلت له: إن رحماً وحققاً فإن رأيت أن تقوم دونه فعلت، فإنك لا تُعذر إلا بذلك، قال: قال ابن عباس: فالله يعلم أنني رأيت فيه الانكسار والرقعة لعثمان، ثم إنني لأراه يؤتى إليه عظيم... الحديث.

وأخرج (١٨٤) في حديث آخر له: أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل فقال: أقم كتاب الله، فقال عثمان: اجلس فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فجلس، فتحاتوا بالحصاب حتى ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فدخل داره مغشياً عليه فخرج رجل من حجاب عثمان ومعه مصحف في يده وهو ينادي: ((إن الذين فارقوا (١٨٥) دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله)).

ودخل علي بن أبي طالب علي عثمان (رض) وهو مغشئ عليه وبنو أمية حوله، فقال: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد فقالوا: يا علي! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمير المؤمنين أما والله لئن بلغت الذي تريد لنمرن عليك الدنيا. فقام علي مغضباً.

وأخرج في حديث آخر (١٨٦) وقال: كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبداً حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله، فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه امداده.

فقال: إن القوم لن يقبلوا التعليل وهم محملي عهدا وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين! مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب، فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك فإنما هم بغوا عليك فلا عهد لهم، فأرسل إلى علي فدعاه فلما جاءه قال:

يا أبا حسن! إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت، ولست آمنهم على قتلي، فأردهم عني، فإن لهم الله عز وجل أن أعطيهم من كل ما يكرهون، وأن أعطيهم من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي. فقال له علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وإنني لأرى قوما لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نعموا، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغزني هذه المرة من شيء، فإنني معطيهم عليك الحق. قال: نعم، فأعطهم فوالله لأفين لهم.

فخرج علي إلى الناس فقال: أيها الناس! إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكدوا عليه.

قال الناس: قد قبلنا. فاستوثق منه لنا فإنا والله لانرضى بقول دون فعل.

فقال لهم علي: ذلك لكم، ثم دخل عليه فأخبره الخبر.

فقال عثمان: إضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة فإني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد.

قال علي: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك. قال: نعم، ولكن أجلني في ما بالمدينة ثلاثة أيام.

قال علي: نعم. فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجله فيه ثلاثاً على أن يرد كل مظلمة، ويعزل كل عامل كرهوه، ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والانصار، فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح،

وقد كان اتّخذ جندا عظيما من رقيق الخمس، فلمّا مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئا ممّا كرهوا، ولم يعزل عاملا، ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الانصاري حتّى أتى المصريين وهم بذى خشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتّى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان:

ألم نفارقك على أنّك نائب من أحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟

قال: بلى أنا على ذلك.

قالو: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك وكتبت به إلى عاملك؟!

قال: ما فعلت ولا لي علم بما تقولون!

قالوا: بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك!

قال: أمّا الجمل فمسروق، وقد يشبه الخطّ الخطّ، وأمّا الخاتم فقد انتقش عليه.

قالوا: فإنّنا لا نعجل عليك وإن كُنّا قد اتّهمناك؛ اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتهم على دماننا وأموالنا، واردة علينا مطالمتنا.

قال عثمان: ما أراني إذا في شيء إن كنت أستعمل من هويتم وأعزل من كرهتم. الامر إذا أمركم.

قالوا: والله لتفعلنّ، أو لتعزلنّ، أو لتقتلنّ. فانظر لنفسك أو دع، فأبى عليهم وقال: لم أكن لاخلع سربالا سربلني الله.

وقصة عثور المصريين على الكتاب في ما أخرجه البلاذري وغيره (١٨٧) واللفظ للبلاذري عن أبي مخنف قال: لمّا شخص المصريون بعد الكتابكته عثمان فصاروا بأيلة (١٨٨) أو بمنزل قبلها رأوا راكبا خلفهم يريد مصر فقالوا له: من أنت؟ فقال: رسول

أمير المؤمنين إلى عبد الله بن سعد، وأنا غلام أمير المؤمنين وكان أسود. فقال بعضهم لبعض: لو أنزلناه وقتّينا ألا يكون صاحبه قد كتب فينا بشيء، ففعلوا فلم يجدوا معه شيئا، فقال بعضهم لبعض: خلوا سبيله، فقال كنانة بن بشر: أمّا والله دون أن أنظر

في إداوته فلا. فقالوا: سبحان الله أيكون كتاب في ماء؟ فقال: إنّ الناس حيلوا. ثمّ حلّ الاداوة فإذا قارورة مختومة - أو قال مضمومة - في جوف القارورة كتاب في أنبوب من رصاص فأخرجه فقرأ فإذا فيه:

أمّا بعد، فإذا قدم عليك عمرو بن بديل فاضرب عنقه، واقطع يدي ابن عديس، وكنانة، وعروة، ثمّ دعهم يتشخّطون في دمائهم حتّى يموتوا. ثمّ أوثقهم على جذوع النخل.

فيقال: إنّ مروان كتب الكتاب بغير علم عثمان، فلمّا عرفوا ما في الكتاب، قالوا: عثمان محلّ، ثمّ رجعوا عودهم على بدئهم حتّى دخلوا المدينة فلقوا عليا بالكتاب، وكان خاتمه من رصاص، فدخل به عليّ على عثمان فحلف بالله ما هو كتابه ولا يعرفه، وقال: أمّا الخط فخط كاتبني وأمّا الخاتم فعلى خاتمي، قال عليّ: فمن تتهم؟ قال: اتّهمك واتّهم كاتبني. فخرج عليّ مغضبا وهو يقول: بل هو أمرك.

قال أبو مخنف: وكان خاتم عثمان بدءا عند حمران بن أبان، ثمّ أخذه مروان حين شخص حمران إلى البصرة فكان معه.

وفي رواية أخرى: ثمّ وجدوا كتابا إلى عامله على مصر أن يضرب أعناق رؤساء المصريين، فرجعوا ودفعوا الكتاب إلى عليّ فأناه به فحلف له أنّه لم يكتبه ولم يعلم به.

فقال له عليّ: فمن تتهم فيه؟

فقال: اتّهم كاتبني واتّهمك يا عليّ! لأنك مطاع عند القوم ولم تردّهم عنّي.

وجاء المصريون إلى دار عثمان فأحدقوا بها، وقالوا لعثمان وقد أشرف عليهم:

يا عثمان! أهذا كتابك؟ فجدد وحلف.

فقالوا: هذا شرّ، يكتب عنك بما لاتعلمه، ما مثلك يلي أمور المسلمين، فاخترت من الخلافة.

فقال: ما كنت لانزع قميصاً قمصنيه الله.

وقالت بنو أمية: يا علي! أفسدت علينا أمرنا ودسست وألبت.

فقال: يا سفهاء! إنكم لتعلمون أنه لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وإنّي رددت أهل مصر عن عثمان ثمّ أصلحت أمره مرّة بعد أخرى، فما حيلتي؟ وانصرف وهو يقول: اللهمّ إنّي بريء ممّا يقولون ومن دمه إن حدث به حدث.

قال: وكتب عثمان حين حصروه كتاباً قرأه ابن الزبير على الناس - وقيل بل قرأه الزبير والاول أصحّ - يقول فيه:

والله ما كتب الكتاب، ولا أمرت به، ولا علمت بقصّته، وأنتم معتبون من كلّ ما ساءكم، فأمرّوا على مصركم من أحببتهم وهذه مفاتيح بيت مالكم فادفعوها إلى من شئتم.

فقالوا: قد اتهمناك بالكتاب فاعتزلنا.

وفي رواية أخرى للطبري (١٨٩): حتّى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبدالله بن سعد فكروا وانتهوا إلى المدينة وقد تخلف بها من الناس الاشتهر وحكيم بن جبلة فأتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال: هذا مفتعل.

قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك. قال: أجل، ولكنّه كتبه بغير أمري.

قالوا: فإنّ الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك. قال: أجل ولكنّه خرج بغير إذني.

قالوا: فالجمل جملك. قال: أجل ولكنّه أخذ بغير علمي.

قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب. فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقّها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته، وقالوا له: إنك ضربت رجالاً من أصحاب النبي (ص) وغيرهم حين يعطونك ويأمرونك بمراجعة الحقّ عندما يستنكرون من أعمالك فأفد من نفسك من ضربته وأنت له ظالم.

فقال: الامام يخطئ ويصيب فلا أقيد من نفسي لأنّي لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ أتى على نفسي.

قالوا: إنك قد أحدثت أحداثاً عظيمة فاستحققت بها الخلع، فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة، ثمّ عدت إليها وإلى مثلها، ثمّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحقّ ولأمرنا فيك محمد بن مسلمة وضمن لنا ما حدث من أمر فأحضرته فتنيراً منك وقال: لا أدخل في أمره، فرجعنا أول مرّة لنقطع حجّتك ونبلغ أقصى الاعذار إليك نستظهر بالله عزّ وجلّ عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنّه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلى جملك ويخطّ كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والاثرة في القسم، والعقوبة للأمر بالتبسّط من الناس، والاطهار للتوبة ثمّ الرجوع إلى الخطيئة، ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتّى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله (ص) من لم يحدث مثل ما جرّبنا منك، ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا، فإنّ ذلك أسلم لنا منك، وأسلم لك ممّا.

فقال عثمان: فرغتم من جميع ما تريدون؟ قالوا: نعم.

قال - بعد الحمد والثناء - : أمّا بعد، فاتّكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء، أمّا قولكم: تخلع نفسك؛ فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عزّ وجلّ وأكرمني به وخصني به على غيري ولكنّي أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإنّي والله الفقير إلى الله الخائف منه.

قالوا: إنّ هذا لو كان أول حدث أحدثته ثمّ تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك، وأن ننصرف عنك، ولكنّه قد كان منك من الاحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المرّة الأولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتلتت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك، وكيف نقبل توبتك، وقد بلونا منك أنّك لا تعطني من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه؟ فلسنا منصرفين حتّى نعزلك ونستبدل بك، فإن حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع دونك بقتال قاتلناهم حتّى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله.

فقال عثمان: أمّا أن أتبرأ من الامارة فإنّ تصليوني أحبّ إليّ من أتبرأ من أمر الله عزّ وجلّ وخلافته، وأمّا قولكم: تقاتلون من قاتل دوني؛ فإنّي لا أمر أحداً بقتالكم فمن قاتل دوني فإنّما يقاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم لقد كتبت إلى الاجناد، فقادوا الجنود، وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافهم بمصر أو العراق فالله الله في أنفسكم؛ أبغوا عليها إن لم تبغوا عليّ؛ فإنّكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً. قال: ثمّ انصرفوا عنه وأذنته بالحرب وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلّمه أن يردهم فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرتين. وفي رواية أخرى للبلاذري (١٩٠):

إِنَّ المصريين لَمَّا قدموا فشكوا عبد الله بن سعد بن أبي سرح، سألوا عثمان أن يولي عليهم محمد بن أبي بكر. فكتب عهده وولاه ووجه معهم عدة من المهاجرين والانصار ينظرون في ما بينهم وبين ابن أبي سرح، فشخص محمد بن أبي بكر وشخصوا جميعا؛ فلما كانوا على مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بسلام أسود على بعير وهو يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب.

فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر: ما قصتك وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب.

فقال لهم مرة: أنا غلام أمير المؤمنين، وقال مرة أخرى: أنا غلام مروان، وجهني إلى عامل مصر برسالة.

قالوا: فمك كتاب؟

قال: لا. ففتشوه، فلم يجدوا معه شيئا، وكانت معه إداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح.

فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه:

إذا أتاك محمد بن أبي بكر وفلان وفلان، فاحتل لقتلهم وأبطل كتاب محمد وفر على عملك حتى يأتيك رأيي، واحبس من يجيء إلي متظلما منك إن شاء الله.

فلما قرأوا الكتاب فزعوا وغضبوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد بن أبي بكر الكتاب بخواتيم نفر ممن كان معه، ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان من أصحاب النبي (ص) ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبروهم بقصة الغلام وأقرأوهم الكتاب، فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وعمار بن ياسر وأبي ذر حنقا وغيظا، وقام أصحاب النبي (ص) بمنزلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما في الكتاب.

وحاصر الناس عثمان، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر ببني تيم وغيرهم، وأعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله، وكانت عائشة تقرصه كثيرا... الحديث.

وفي البدء والتاريخ (١٩١): كان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة، وخذله المهاجرون والانصار، وتكلمت عائشة في أمره، وأطلعت شعرة من شعرات رسول الله (ص) ونعله وثيابه وقالت: ما أسرع ما نسيت سنة نبيكم، فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتى ما كان يدري ما يقول، إنتهى.

كان أشد الناس على عثمان رؤوس آل تيم الثلاثة: أم المؤمنين عائشة وأخوها محمد بن أبي بكر وابن عمها طلحة بن عبيد الله، وذكروا من موافق أم المؤمنين مع عثمان شيئا كثيرا، وقد مر بعضها في ذكر موقف أم المؤمنين عائشة.

١٦٩ أنساب الاشراف ٥ / ٥٩.

١٧٠ الطبري ٥ / ١١٤ و ١١٥، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٤.

١٧١ أنساب الاشراف ٥ / ٥٩.

١٧٢ الطبري ٥ / ١٠٩، وط. أوربا ١ / ٢٩٦٨.

١٧٣ الطبري ٥ / ١١١ - ١١٢، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٦ - ٢٩٨٧؛ والبلاذري ٥ / ٦٤ - ٦٥؛ وابن الاثير ٣ / ٦٨؛ وشرح النهج ١ / ١٦٣ - ١٦٤؛ وابن كثير ٧ / ١٧٢؛ وابن أعثم في ذكره ما نقم على عثمان؛ وابن خلدون ٢ / ٣٩٦ - ٣٩٧.

١٧٤ السقيا: من أسافل أودية تهامة.

١٧٥ جلع على الشيء: أقدم عليه إقداما شديدا. وجليح في الامر: صمم وركب رأسه. مبلجة: واضحة، بيّنة.

١٧٦ أنساب الاشراف ٥ / ٦٣ - ٦٤.

١٧٧ يغلب على الظن أن أم المؤمنين عائشة أخت محمد، وطلحة ابن عمها وغيرهما من بني تيم لم يكونوا بعيدين عن هذه الإشارة.

١٧٨ عدنا إلى الرواية السابقة التي ذكرنا مصادرها في هامش ٤٩٣.

١٧٩ أصل المثل: جاوز الحزام الطبيين. والطبي: حلمة الضرع، وهو كناية عن المبالغة في تجاوز حدّ الشرّ والاذى.

١٨٠ أصل المثل: بلغ السيل الزبى، وهي جمع زبية وهي الرابية التي لا يعلوها الماء.

١٨١ الطبري ٥ / ١١٢، وط. أوربا ١ / ٢٩٧٧ - ٢٩٧٩؛ وراجع ابن الاثير ٣ / ٩٦، وقد أخرج البلاذري قسما منه في الانساب ٥ / ٦٥.

١٨٢ يظهر من هذه الرواية أنّ هذه المحاورة في المسجد وقعت بعد رجوع المصريين.

١٨٣ الطبري ٥ / ١٣٩، وط. أوربا ١ / ٣٠٣٨ - ٣٠٣٩.

١٨٤ الطبري ٥ / ١١٣، وط. أوربا ١ / ٢٩٧٩ - ٢٩٩٠.

١٨٥ كذا وردت الكلمة في الطبري ٥ / ١١٣، أمّا في القرآن الكريم فقد جاءت: فرّقوا.

١٨٦ الطبري ٥ / ١١٦ - ١١٧، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٧ - ٢٩٨٩؛ وابن الاثير ٣ / ٧١ - ٧٢؛ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٦.

١٨٧ أنساب الاشراف ٥ / ٣٦ - ٦٩ و ٩٥؛ والطبري ٥ / ١١٩ - ١٢٠، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٤ - ٢٩٩٧؛ والرياض النضرة ٢ / ١٢٣ - ١٢٥؛ وراجع المعارف لابن قتيبة ص ٨٤؛ والعقد الفريد ٢ / ٢٦٣؛ وابن الاثير ٣ / ٧٠ - ٧١؛ وابن أبي الحديد ١ / ١٦٥ - ١٦٦؛ وابن كثير ٧ / ١٧٣ - ١٨٩؛ وتاريخ الخميس ٢ / ٢٥٩.

١٨٨ آخر الحجاز وأوّل الشام.

١٨٩ الطبري ٥ / ١٢٠ - ١٢١، وط. أوربا ١ / ٢٩٩٥ - ٢٩٩٧.

١٩٠ أنساب الاشراف ٥ / ٦٧ - ٦٨.

١٩١ أنساب الاشراف ٥ / ٢٠٥.

استمداد الخليفة من الامام علي لفكّ الحصار عنه:

ولمّا رأى عثمان استيلاء طلحة على بيوت الاموال واشتداد الحصار عليه بعث عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بهذا البيت إلى علي:

فإن كنت مأكولا فكأن أنت أكلي

والأ فأدركني ولمّا أمزق (١٩٢)

وكان عليّ عند حصر عثمان بخيبر فقدم المدينة والناس مجتمعون عند طلحة وكان ممن له فيه أثر فلما قدم علي أتاه عثمان وقال له:

أمّا بعد، فإنّ لي حقّ الاسلام، وحقّ الاخاء، والقراية، والصحرة، ولو لم يكن من ذلك شيء وكنا في الجاهلية لكان عارا على بني عبد مناف أن ينتزع أخو بني تيم - يعني طلحة - أمرهم.

فقال له عليّ: سيأتيك الخبر، ثمّ خرج إلى المسجد فرأى أسامة (١٩٣) فتوكّأ على يده حتى دخل دار طلحة وهي رجّاس (١٩٤) من الناس فقال له: يا طلحة! ما هذا الامر الذي وقعت فيه (١٩٥)؟!!

فقال: يا أبا الحسن بعدما مس الحزام الطبيين، فانصرف علي ولم يجر إليه شيئا حتى أتى بيت المال، فقال افتحوا هذا الباب، فلم يقدر على المفاتيح فقال: اكسروه فكسر باب بيت المال، فقال: اخرجوا المال فجعل يعطي الناس فيبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع علي، فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده، وبلغ عثمان الخبر فسرّ بذلك، ثمّ أقبل طلحة يمشي عائدا إلى دار عثمان..

فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين! أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمرا فحال الله بيني وبينه، فقال عثمان: إنك والله ما جئت تائبا ولكنك جئت مغلوبا. الله حسبيك يا طلحة... انتهى.

وروى الطبري وقال: فحصره أربعين ليلة وطلحة يُصَلِّي بالناس (١٩٦).

وروى البلاذري وقال: لم يكن أحد من أصحاب النبي (ص) أشدَّ على عثمان من طلحة (١٩٧).

١٩٢ أنساب الاشراف ٥ / ٧٨، وقد أورد محاورة عثمان والامام علي كل من الطبري ٥ / ١٥٤؛ وابن الاثير ٣ / ٦٤؛ وكنز العمال ٦ / ٢٨٩ الحديث ٥٩٦٥، وقد تَخَيَّرنا لفظ ابن الاثير لانه أتم وأخصر؛ وراجع الكامل للمبرد ص ١١ ط. ليدن؛ وزهر الاداب ١ / ٧٥ ط. الرحمانية؛ وابن أعثم ص ١٥٦ - ١٥٧.

١٩٣ أسامة مولى رسول الله (ص) وابن مولاة زيد بن حارثة وابن مولاته وحاضنته أم أيمن وكان يسمي حب رسول الله (ص)، أمره رسول الله في مرض موته على جيش كان قد انتدبهم لغزو الشام واستوعب في الجيش المهاجرين الأولين. توفي سنة ٥٤، أو ٥٨، أو ٥٩. ترجمته في الاستيعاب رقم ١٢ وأسد الغابة ١ / ٦٥ - ٦٦ والاصابة.

١٩٤ رجاس، الرجس: الصوت الشديد. سحاب ورعد رجاس: شديد الصوت.

١٩٥ وفي رواية الطبري ط. أوربا ١ / ٣٠٧١ منه، أن عليا قال لطلحة: أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان، قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها.

١٩٦ الطبري ٥ / ١١٧، وط. أوربا ١ / ٢٩٨٩.

١٩٧ أنساب الاشراف ٥ / ٨١.

مقتل الخليفة:

روى البلاذري (١٩٨) وقال: وكان الزبير وطلحة قد استوليا على الامر ومنع طلحة عثمان أن يدخل عليه الماء العذب فأرسل علي إلى طلحة وهو في أرض له على ميل من المدينة أن دع هذا الرجل فليشرب من مائه ومن بئرته يعني من رومة ولا تقتلوه من العطش فأبى... الحديث.

وقال الطبري (١٩٩): (ولما اشتد الحصار بعثمان ومنع عنه الماء أرسل عثمان إلى علي يستسقيه، فجاء فكلم طلحة في أن يدخل عليه الروايا وغضب غضبا شديدا حتى دخلت الروايا على عثمان).

وقال البلاذري (٢٠٠): (فحاصر الناس عثمان ومنعوه فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم سعد؟ فقالوا:

لا، فسكت، ثم قال: ألا أحد يبلِّغ عليا فيسقيننا، فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدّة من موالي بني هاشم وبني أمية، حتى وصلت إليه) ومرّ مجمّع بن جارية الانصاري (٢٠١) بطلحة بن عبيدالله فقال: يا مجمّع ما فعل صاحبك؟

قال: أظنكم والله فاتليه!

فقال طلحة: فان قُتِل فلا ملك مقرب ولا نبي مرسل (٢٠٢).

وروى الطبري (٢٠٣) عن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة أنه قال: دخلت على عثمان فتحدثت عنده ساعة. فقال: يا ابن عياش:

نعال. فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على عثمان فسمعنا كلاما؛ منهم من يقول: ما تنظرون به؟ ومنهم من يقول: أنظروا عسى أن يراجع. فبينما أنا وهو واقفان إذ مرّ طلحة بن عبيدالله فوقف فقال: اين ابن عديس (٢٠٤).

فقيل: ها هو ذا.

قال: فجاءه ابن عديس فناهجه بشيء، ثم رجّع ابن عديس فقال لاصحابه: لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده. فقال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن عبيدالله فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم. والله إنني لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه، إنه انتهبك مني ما لا يحل له... قال ابن عياش: فأردت أن أخرج فمعنوني حتى مرّ بي محمد بن أبي بكر، فقال: خلوا سبيله فخلوني...

وبلغ علياً أنّ القوم يريدون قتل عثمان... فقال للحسن والحسين: إذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه...

فغضب الحسن بالدماء على بابه وشجّ قنبر مولى عليّ، فلمّا رأى ذلك محمّد ابن أبي بكر خشبي أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيروها فتنة، فأخذ بيد رجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأت الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يُعلم فتسور محمّد وصاحباها من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممّن كان معه لانتهم كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال محمّد بن أبي بكر: أنا أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجّاه حتى تقتلاه، فدخل محمّد فأخذ بلحيتته، فقال عثمان: لو رأيك أبوك لساءه مكانك منّي، فتراخت يده ودخل الرجلان فتوجّاه حتى قتلاه(٢٠٥).

وفي رواية لابن أبي الحديد: أنّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهم.

وروى أيضا: أنّه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه(٢٠٦).

وروى الطبري(٢٠٧): أنّهم دخلوا دار عمرو بن حزم - وكانت إلى جنب دار عثمان - فناوشوهم شيئا منه مناوشة؛ وقال: فوالله ما نسينا أن خرج سودان ابن حمران فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيدالله؟ قد قتلنا ابن عفان.

وقال البلاذري(٢٠٨): أنّ عليّاً لمّا بلغه الخبر جاء وقال لابنيه: كيف قتل وأنتما على الباب؟! فلطم هذا وضرب صدر ذاك وخرج وهو غضبان يرى أنّ طلحة أعان على ما كان، فلقية طلحة، فقال: ما لك يا أبا الحسن؟ فقال: عليك لعنة الله، أيقتل رجل من أصحاب رسول الله... فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل... وخرج علي فأتى منزله... إنتهى.

دفن الخليفة:

اتفقت الروايات على أنّ عثمان ترك ثلاثا لم يدفن حتى توسط عليّ في ذلك. روى الطبري: أنّهم كلّموا عليّاً في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لاهله ذلك، ففعل وأذن لهم عليّ، فلمّا سمع بذلك فعدوا له في الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يقال له حشّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم؛ فلمّا خرج به على الناس رجموا سريره وهمّوا بطرحه؛ فبلغ ذلك عليّاً، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا، فانطلق به حتى دفن في حشّ كوكب؛ فلمّا ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع؛ فأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين.

وفي حديث آخر له قال: دفن عثمان (رض) بين المغرب والعمرة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فناحت ابنته ورفعت صوتها تندبه، وأخذ الناس الحجارة وقالوا: نعتل، وكادت ترحم... الحديث(٢٠٩).

* * *

أوردنا حوادث عصر الخليفة عثمان بشيء من التفصيل لأنّ درك الحوادث التي جرت بعده يتوقف على استيعاب الحوادث التي جرت في عصره باتقان وتدبر، وكان من خصائص المجتمع في عصره أن القراء ورواة حديث الرسول (ص) تلقوا من الذل والهوان والتشريد وكسر الأضلاع والحرمان من عطائهم السنوي ما لم يتلقوه قبل عصره. ونشر في عصره من تفسير القرآن ورواية حديث الرسول (ص) ما كان محظورا نشره قبل عصره، وقد مرّ بنا أن محمّد ابن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة أخبرا أهل مصر بأنّ إليهم عبدالله بن سعد ابن أبي سرح كان رسول الله (ص) أباح دمه ونزل القرآن بكفره حين قال (سأنزل مثل ما أنزل الله) ولا بدّ أن عبدالله بن مسعود - أيضا - في خلافه، قرأ عليهم من مصحفه ان واليهم الوليد نزل في حقه (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تُصيّبوا قوما يجهلوا) وكان ذلك سبب جمعه للمصاحف التي كانت عند الصحابة وفيها أمثال هذه الأخبار كما سنبيّنه في آخر هذا البحث إن شاء الله تعالى:

١٩٨ أنساب الاشراف ٥ / ٩٠.

١٩٩ الطبري ٥ / ١١٣.

٢٠٠ أنساب الاشراف ٥ / ٦٨ - ٦٩.

٢٠١ مجمع بن جارية بن عامر الانصاري الاوسي وكان أبوه ممّن اتّخذ مسجد الضرار وكان هو غلاما حدثا قد جمع القرآن على عهد رسول الله (ص) إلا سورة أو سورتين. ترجمته في أسد الغابة ٥ / ٣٠٣ - ٣٠٤.

٢٠٢ أنساب الاشراف ٥ / ٧٤.

٢٠٣ الطبري ٥ / ١٢٢، وط. أوربا ١ / ٣٠٠٠؛ وابن الاثير ٣ / ٧٣.

٢٠٤ هو عبدالرحمن بن عديس البلوي. وكان ممّن بايع النبيّ تحت الشجرة وشهد الشجرة وشهد فتح مصر واختط بها. وكان ممّن سار إلى عثمان من مصر. وسجنه معاوية بعد بفسطين وقتل سنة ٥٣٦ بعد أن هرب من السجن. الاصابة، حرف العين، القسم الأوّل ٤ / ١٧١.

٢٠٥ أنساب الاشراف ٥ / ٦٩؛ وذكر فعل محمّد بن أبي بكر هذا بألفاظ أخرى، كلّ من الطبري في ٥ / ١١٨، وط. أوربا ١ / ٣٠٢١؛ وابن الاثير في تاريخ الكامل ٣ / ٦٨ - ٧٠.

٢٠٦ ابن أبي الحديد ٢ / ٤٠٤.

٢٠٧ الطبري ٥ / ١٢٢.

٢٠٨ أنساب الاشراف ٥ / ٦٩ - ٧٠.

٢٠٩ الطبري ٥ / ١٤٣ - ١٤٤، وط. أوربا ١ / ٣٠٤٦؛ وابن الاثير ٣ / ٧٦؛ وابن أعثم ص ١٥٩؛ وراجع الرياض النضرة ٢ / ١٣١ - ١٣٢.

أخبار القرآن والسنة على عهد الخليفة عثمان

متابعة الخليفة عثمان من سبقه في شأن رواية حديث الرسول (ص):

بدأ الخليفة عثمان في أوّل عهده هيّنا لينا في سلوكه، ويسمح لكبار الصحابة بالانتشار في البلاد الاسلامية، واتيحت لكبار الصحابة في هذا العصر فرصة رواية الحديث وكتابة مصاحف جمعوا فيها آيات القرآن مع ما كان عندهم من بيان الرسول (ص) لبعض الايات، فانتشرت من مصاحفهم ومما تحدثوا عن رسول الله (ص) روايات كان نشرها محظورا في زمن الخليفة عمر.

وكان في ما نشر ما يخالف سياسة الخلافة وتعارض سلوك الولاة من آل أمية على بلاد المسلمين، فاستنكر القراء من الصحابة على ولاته سيرتهم وسلوكهم مثل استنكار عبادة بن الصامت وأبي الدرداء على معاوية في الشام وابن مسعود علي الوليد في الكوفة فبلغ أبناء ذلك إلى الخليفة فجلب من كان منهم في الشام إلى المدينة(١)، ونكتفي هنا بإيراد خبر الصحابي أبي ذر على عهده في ما يأتي باذنه تعالى.

أبوذر في موسم الحج بمنى:

في سنن الدارمي وطبقات ابن سعد بسندهما عن أبي كثير عن أبيه، (قال: أتيت أبا ذرّ وهو جالس عند الجمرّة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأراه رجل، فوقف عليه، ثمّ قال: أولم تُنّه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقب أنت عليّ؟ لو وضعت المصمامة على هذه - وأشار إلى ففاه - ثمّ طننتُ أنّي أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لانفذتها)(٢).

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه وقال:

(وقال أبو ذرّ: لو وضعت المصمامة على هذه - وأشار إلى ففاه - ثمّ طننتُ أنّي أنفذ كلمة سمعتها من النبيّ (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لانفذتها)(٣).

وفي شرحه من فتح الباري قال ابن حجر:

(إنّ الذي خاطبه رجل من قريش والذي نهاه عثمان (رض) (٤)).

وقال: (ونكر [كلمة] ليشمل القليل والكثير، والمراد به يبلغ ما تحمله في كلّ حال، ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل).

انتهى كلام شارح البخاري وفسّر في ما قال كلام أبي ذرّ بأنّه أراد أنّه سيبيّغ ما سمعه عن رسول الله (ص) وإنّ كان كلمة واحدة

ولا ينتهي عن ذلك، ولو أشرف على القتل.

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي:

(وعلى رأسه فتى من قريش، فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا... الحديث(٥)).

أبوذرّ في بيت الله الحرام:

في مستدرک الحاكم(٦) بسنده عن حنش الكناثي(٧)، قال: سمعت أبا ذرّ يقول وهو آخذ بباب الكعبة:

أَيُّهَا النَّاسُ! من عرفني، فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول الله يقول:

((مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

١ مرت مصادر هذا البحث وتفصيله في خصائص المجتمع الاسلامي على عهد عثمان.

٢ سنن الدارمي ١ / ١٣٦ - ١٣٧ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣٥٤.

٣ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١ / ١٦.

٤ فتح الباري ١ / ١٧٠ - ١٧١.

٥ / ١٨.

٦ / ٣٤٣.

٧ حنش في الاصابة، رجل من غفار.

أبوذرّ في مسجد الرسول (ص) وغيره:

ذكر البيهقي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطة في تاريخه(٨) وقال:

(وبلغ عثمان أنّ أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول الله، ويجتمع إليه الناس(٩)، فيحدّث بما فيه الطعن عليه. وأنّه وقف بباب المسجد، فقال:

أَيُّهَا النَّاسُ! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري، أنا جندب بن جنادة الرّبذي (إنّ الله اصطقى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذريةً بعضها من بعضي والله سميعٌ عليم) محمّد الصفوة من نوح، فالال(١٠) من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترة الهادية من محمّد إنّه شرف شريفهم، واستحقوا الفضل في قومهم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمّد وارث علم آدم وما فضلّ به النبيون، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد، ووارث علمه.

أَيُّهَا الْأُمَّة المتحيرة بعد نبيّها! أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخرتم من آخر الله، وأقرّتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم لاكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيّه.

فأمّا إذ فعلتم ما فعلتم، فدوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون). وقال:

((وبلغ عثمان أيضا أنّ أبا ذر يقع فيه، ويذكر ما غيّر وبدّل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر، فسبّره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد، فيقول كما كان يقول، ويجتمع إليه الناس، حتّى كثر من يجتمع إليه، ويسمع منه...)) الحديث.

وقال بعد ذلك ما موجزه: (إنّ معاوية كتب إلى عثمان أنّك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذرّ.

فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء. فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذه وجرى له مع عثمان ما أدّى بعثمان أن ينفيه إلى الرّبذة(11).

دراسة الخبر:

قال الفرشي لابي ذر: أولم تنه عن الفتيا؟!

فكان في جواب أبي ذر له: ((والله لو وضعت المصمامة على هذه - وأشار إلى ففاه - ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من النبيّ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها)).

إذا فقد كان الافتاء الممنوع عنه هو رواية حديث الرسول (ص) وكان في رواية أبي ذرّ تفسير (إنّ الله اصطفى آدم ونوحا...) بقوله: محمّد الصفوة من نوح والال ابراهيم والسلالة من اسماعيل والعترة الهادية من محمّد.

ومن هنا ندرك أن سبب منعهم من نشر حديث الرسول وبيان تفسير أيّ الذكر الحكيم بأحاديث الرسول، المنع من نشر أحاديث الرسول التي فيها ثناء على من لا ترغب أسرة الخلافة نشرها وكذلك نشر أحاديث الرسول (ص) التي فيها ذمّ لذوي الجاه والسلطة من قريش.

ولذلك قاموا بتجريد القرآن من حديث الرسول (ص) ونسخوا عليها سبع نسخ وأحرقوا سائر المصاحف كما سيأتي ذكره في آخر الكتاب في بحث خلاصة أخبار القرآن بعد الرسول (ص)، أمّا سياسة الامام عليّ في ذلك فسندرسها باذنه تعالى في البحث الاتي.

82 / 171 ١٧٣ ..

يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منى وبياب الكعبة، فإنّه لو كان 9 في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلى أن يُعرّف نفسه لآخوته الذين كانوا يعاشرونه في المدينة

في النسخة المطبوعة: (فالأول)، تصحيف 10

تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧١ - ١٧٢ 11

خصائص المجتمع الاسلامي على عهد الامام عليّ(ع)

قتل عثمان، وعاد إلى المسلمين أمرهم، وانحلّوا من كل بيعة سابقة توثقهم، فتهافتوا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة؛ قال الطبري(12):

فأتاه أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا:

إنّ هذا الرجل قد قتل ولا بدّ للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحقّ بهذا الامر منك، لا أقدم سابقة، ولا اقرب من رسول الله (ص).

فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك.

قال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلاّ عن رضا المسلمين.

وروى بسند آخر وقال:

اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً، فقالوا: يا أبا الحسن! هلّمّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختراروا.

فقالوا: واللّه ما نختار غيرك.

قال: فاختلفوا إليه بعدما قتل عثمان (رض) مرارا، ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له:

إنّه لا يصلح الناس إلّا بإمرة وقد طال الامر.

فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإتي قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت امركم وإلّا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه.

فقال: إنّي قد كنت كارها لامركم فأبئتم إلّا أن أكون عليكم. ألا وإتّه ليس لي أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح مالكم معي. ألا وإتّه ليس لي أن أخذ منه درهما دونكم. رضيتم؟

قالوا: نعم.

قال: اللهمّ اشهد عليهم. ثمّ بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري(١٣) وقال:

وخرج عليّ، فأتى منزله، وجاء الناس كلّهم يُهرعون إلى عليّ، أصحاب النبيّ وغيرهم، وهم يقولون: (إنّ أمير المؤمنين عليّ) حتّى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإتّه لابدّ من أمير.

فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّ، فقالوا: ما نرى أحدا أحقّ بهذا الامر منك... فلمّا رأى عليّ ذلك صعد المنبر، وكان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاءً، فتطيرّ منها عليّ. وقال: ما أخلقه أن ينكث.

روى الطبري(١٤): (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع، فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاءً لا يتمّ هذا الامر...) انتهى.

وقال الذهبي: لما قتل عثمان صبرا سعى الناس إلى دار علي فأخرجوه وقالوا: لابد للناس من إمام، فحضر طلحة والزبير وسعد

بن أبي وقاص والاعيان فأول من بايعه طلحة، ثمّ سائر الناس(١٥).

وفي تاريخ يعقوبي ما موجه:

واستخلف علي بن أبي طالب يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٣٥... (١٦).

١٢ الطبري ٥ / ١٥٣ ط. أوربا ١ / ٣٠٦٦، وراجع الكنز ٣ / ١٦١ ح ٢٤٧١ فإتّه يروي تفصيل بيعة عليّ ومجيء طلحة والزبير إليه وامتناعه عن البيعة... وكذلك حكاه ابن أعثم بالتفصيل في ص ١٦٠ - ١٦١ من تاريخه، وط. الثانية، ٢ / ٢٥٠ - ٢٥٢.

١٣ الانساب ٥ / ٧٠. وقد روى الحاكم في المستدرک ٣ / ١١٤ تشاؤم علي من بيعة طلحة.

١٤ الطبري ٥ / ١٥٣ ط. أوربا ١ / ٣٠٦٨.

١٥ دول الاسلام للذهبي ط. الهيئة المصرية بمصر عام ١٩٧٤ ص ٢٨.

سياسة حكم الامام علي وآثارها

في شرح ابن الحديد ان الامام عليا خطب بعد بيعته وقال: ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العَقَار، وفَجَّرُوا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الرُّوقَةَ (١٧)؛ فصار ذلك عليهم عارا وشنارا؛ إذا ما منعتمهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتمهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حرمتنا ابنُ أبي طالب حقوقنا! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ص) يرى أن الفضل له على مَنْ سواه لصحبته، فإنَّ الفضل النَّبِيُّ غدا عند الله، ونوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده؛ فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يفسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لاحد على أحد؛ وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء، وأفضل الثواب؛ لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا ولا ثوابا، وما عند الله خير للابرار. وإذا كان غدا إن شاء الله فاعدوا علينا؛ فإن عندنا مالا نفسيمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم؛ عربي ولا عجمي، كان من اهل العطاء أو لم يكن؛ إلا حصر؛ إذا كان مسلما حرا. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، ثم نزل.

ثم نقل ابن أبي الحديد عن استاذة أبي جعفر انه قال: وكان هذا أول ما أنكره من كلامه (ع)، وأورثهم الصغن عليه؛ وكرهوا إعطاءه وقسمه بالسوية.

فلما كان من الغد، غدا وعدا الناس لقبض المال؛ فقال لعبيدالله بن أبي رافع كاتبه: ابدا بالمهاجرين فنايدهم، وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم نزل بالانصار فأفعل معهم مثل ذلك؛ ومن يحضر من الناس كلهم؛ الاحمر والاسود فاصنع به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين! هذا غلامي بالامس؛ وقد أعتقته اليوم؛ فقال: نعطيكم كما نعطيكم، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير؛ ولم يفضل أحدا على أحد؛ وتخلف عن هذا القسم يومئذ طلحة، والزبير، وعبدالله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم؛ ورجال من قريش وغيرها.

وسمع عبيدالله بن أبي رافع عبدالله بن الزبير يقول لابيهِ وطلحة ومروان وسعيد: ما خفي علينا أمس من كلام علي ما يريد؛ فقال سعيد بن العاص والتفت إلي زيد بن ثابت :- إياك أعني واسمعي يا جارة؛ فقال عبيدالله بن أبي رافع لسعيد وعبدالله بن الزبير: إن الله يقول في كتابه: (وَلَكِنْ أَكْتَرَكُم لِّلْحَقِّ كَارِهُونَ) (١٨).

ثم إنَّ عبيدالله بن أبي رافع أخبر عليا (ع) بذلك، فقال: والله إن بقيت وسليمت لهم لأقيمهم على المحجة البيضاء، والطريق الواضح، قاتل الله ابن العاص! لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أي أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك.

قال: فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة، فجلسا ناحية عن علي (ع)، ثم طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير؛ فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم، فتحدثوا نجيا ساعة؛ ثم قام الوليد بن عتبة بن أبي معيط، فجاء إلى علي (ع)؛ فقال: يا أبا الحسن! إنك قد وترتنا جميعا؛ أما أنا فقتلت أبي يوم بدر، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلته؛ وإننا إن خفناك تركناك؛ فالتحقنا بالشام.

فقال: أما ما ذكرتم من وترتي إياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم.

وأما قتلي قتلة عثمان فلو لم يمتني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس؛ ولكن لكم علي إن خفتموني أن أؤميتكم وإن خفتكم أن أسيركم (١٩).

وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عتبة، وكان لسان القوم. فقال: يا هذا إنك قد وترتنا جميعا. أما أنا فقتلت أبي صبوا يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه ثور قريش، وأما مروان فبشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه، فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أدينا، ونقتل قتلة صاحبنا، فغضب علي وقال: أما ما ذكرت من وترتي إياكم، فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق الله تعالى؛ وأما قتلي قتلة عثمان، فلو لم يمتني قتلهم اليوم لم يمتني قتلهم غدا، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيّق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم. فقال مروان: بل نبايعك، ونقيم معك، فترى (٢٠).

كان هذا خبر اهل المدينة في شأن بيعة الامام علي (ع)، وعندما بلغ الخبر أم المؤمنين عائشة في طريق عودتها إلى المدينة من الحج وهي تمنى نفسها بمبايعة الناس ابن عمها طلحة بالخلافة، قالت: والله ليت هذه انطبقت على هذه أي السماء على الارض وصاحت ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما، لاطلبن بدمه، لليلة من عثمان خير من علي الدهر كله (٢١).

وفي مكة التحق بها بنو أمية وحلفاؤهم وانتشر خبرهم وظهر ذلك في من اظهر في المدينة وروى في شأنهم ابن أبي الحديد وقال:

ظهر ذلك من أمرهم، قال عمار بن ياسر لاصحابه: قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم، فإنه قد بلغنا عنهم ورأينا منهم ما نكره من الخلاف، والطعن على إمامهم؛ وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والاعسر العاق يعني طلحة ..

فقام أبو الهيثم وعمار وسهل بن حنيف وجماعة معهم، فدخلوا على عليّ (ع) فقالوا: يا أمير المؤمنين! انظر في أمرك، وعاتب قومك، هذا الحي من قريش فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدهك، وقد دعونا في السر إلي رفضك، هداك الله لرشدك! وذاك لأنهم كرهوا الأسوة، وفقدوا الاثرة، ولما أسيت بينهم وبين الاعاجم أنكروا، واستشاروا عدوك وعظموه، وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة، وتألوا لاهل الضلالة. فرايك!

فخرج عليّ (ع) فدخل المسجد، وصعد المنبر مرتديا بطاق، مؤترزا ببردٍ قطري، متقلدا سيفا، متوكئا على قوس، فقال:

أما بعد، فاتنا نحمد الله ربنا والهنأ وولينا، وولي النعم علينا، الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة، امتنانا منه بغير حول منا ولا قوة، ليلبونا أنشكر أم نكفر؛ فمن شكر زاده ومن كفر عذبه؛ فأفضل الناس عند الله منزلة، وأقربهم من الله وسيلة، أطوعهم لامره، وأعملهم بطاعته؛ وأتبعهم لسنة رسوله (ص)، وأحياهم لكتابه؛ ليس لاحد عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة الرسول (ص). هذا كتاب الله بين أظهرنا، وعهد رسول الله (ص) وسيرته فينا، لا يجهل ذلك إلا جاهل عاند عن الحق، منكر، قال الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (٢٢).

ثم صاح بأعلى صوته أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن توليتم فإن الله لا يحب الكافرين. ثم قال: يا معشر المهاجرين والانصار أتمنون على الله ورسوله باسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين.

ثم قال: أنا أبو الحسن - وكان يقولها إذا غضب - ثم قال: ألا إن هذه الدنيا التي أصبحت تمنونها وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له؛ فلا تغرتكم فقد حذرتموها، واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لانفسكم على طاعة الله، والذل لحكمه، جل ثناؤه؛ فأما هذا الفيء فليس لاحد على أحد فيه أثره؛ وقد فرغ الله من قسمته؛ فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون؛ وهذا كتاب الله به أقرنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتوكل كيف شاء فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وخشة عليه.

ثم نزل عن المنبر، فصلّى ركعتين، ثم بعث بعمار بن ياسر، وعبدالرحمن بن حسل القرشي إلى طلحة والزبير؛ وهما في ناحية المسجد فاتياهما فدعواهما؛ فقاما حتى جلسا إليه (ع)؛ فقال لهما: نشدتكما الله؛ هل جئتماني طائعين للبيعة، ودعوتاني إليها، وأنا كارء لها! قالوا: نعم، فقال: غير مجبرين ولا مقسورين، فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما! قالوا: نعم، قال: فما دعاكما بعد إلى ما

أرى؟ قالوا: أعطيناك بيعتنا على ألا تقضي الأمور ولا تقطعها دوننا؛ وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبد بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت؛ فأنت تقسم القسم وتقطع الامر، وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال: لقد نعمتما يسيرا؛ وأرجأتما كثيرا؛ فاستغفرا الله يغفر لكما. ألا تخيرانني، أدفعتكما عن حق وجب لكما فظلمتكما إياه؟ قالوا:

معاذ الله! قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟ قالوا: معاذ الله! قال: أوقع حكم أو حق لاحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالوا: معاذ الله! قال: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالوا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم؛ أنك جعلت حقتنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا في ما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا وأوحفنا (٢٢) عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسرا قهرا، ممن لا يرى الاسلام إلا كرها.

فقال: فأما ما ذكرتاه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة؛ ولكنكم دعوتموني إليها، وجعلتموني عليها؛ فخفت أن أردكم فتختلف الأمة، فلما أفضت إلي نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته، ولم أحتج إلى آرائكم فيه؛ ولا رأي غيركم، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه، واحتج إلى المشاورة فيه لئشارتكم فيه؛ وأما القسم والأسوة؛ فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء؛ قد وجدت أنا وأنتما رسول الله (ص) يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به؛ وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وأما قولكم: جعلت فينا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا؛ سواء بيننا وبين غيرنا، فقيما سبق إلى الاسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلم يفضلهم رسول الله (ص) في القسم، ولا أثرهم بالسبق، والله سبحانه موفى السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم؛ وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر. ثم قال: رحم الله امرا رأى حقا فأعان عليه، ورأى جورا فردّه؛ وكان عوننا للحق على من خالقه. قال ابن أبي الحديد:

قال شيخنا أبو جعفر: وقد روي أنهما قالا له وقت البيعة: نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الامر؛ فقال لهما: لا، ولكنكما شريكاي في

الفيء؛ لا أستأثر عليكما ولا على عبد حبشي مجدّد بدرهم فما دونه، لا أنا ولا ولداي هذان؛ فإن أبيئنا إلا لفظا لشركة، فأنتما عونان لي عند العجز والفاقة، لا عند القوّة والاستقامة.

قال أبو جعفر: فاشتراطا ما لا يجوز في عقد الامامة وشرط (ع) لهما ما يجب في الدّين والشريعة.

قال - رحمه الله تعالى -: وقد روي أيضا أنّ الزُّبير قال في ملا من الناس: هذا جزاؤنا من عليّ! قمنا له في أمر عثمان حتى قُتل؛ فلمّا بلغ بنا ما أراد جعل فوقنا من كُنا فوقه.

وقال طلحة: ما اللوم إلا علينا؛ كُنا معه أهل الشورى ثلاثة؛ فكرهه أحدنا يعني سعدا. وبايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده؛ فأصبحنا قد أخطأنا اليوم ما رجونا أمس؛ ولا نرجو غدا ما أخطأنا اليوم (٢٤).

وقال الطبري: وسأل طلحة والزُّبير ان يؤمّرها على الكوفة والبصرة فقال: ((تكونان عندي فاتجملّ بكما فإتي وحش لفراقكما)) (٢٥). وقال اليعقوبي: أنّ طلحة قال: ((ما لنا من هذا الامر إلا كلحسة الكلب أنفه)) (٢٦).

بقي طلحة والزُّبير في المدينة أربعة أشهر يراقبان عليّا من قريب، حتّى إذا أيسا منه وبلغهما موقف أمّ المؤمنين بمكّة، عزما على الخروج من المدينة، فاتيا عليّا، فقالا:

إنا نريد العمرة، فأذن لنا في الخروج، فقال عليّ لبعض أصحابه: ((والله ما أرادا العمرة، ولكنّهما أرادا الغدرة)).

فأذن لهما في الخروج بعد ان جدّدا له البيعة فخرجا من المدينة والتحقا موكب ام المؤمنين عائشة وساروا جميعا مع من تبعهما من

بني أمية وأعراب البادية إلى البصرة واقاموا حرب الجمل على الامام عليّ باسم الطلب بدم عثمان وبعدهما انتصر فيها الامام عليّ عليهم في النصف من جمادي الثانية سنة ٣٦هـ قسم بيت المال في البصرة.

أعطى الناس بالسويّة لم يفضّل أحدا على أحد، وأعطى الموالى كما أعطى الصليبيّة، وقيل له في ذلك، فقال: قرأت ما بين الدقّتين، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عودا من الارض، فوضعه بين إصبعيه (٢٧).

ثمّ سار إلى الكوفة واتخذها كرسي دولته، وسار منها إلى الشام لاختراع معاوية الذي ظهر العصيان عليه والتقّي الجيشان بصفين سنة ست وثلاثين للهجرة، وجرت تسعون واقعة في عشرة أيام ومائة يوم كما أوردنا تفصيلها في كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة، ونورد في ما يأتي من أخبارها ما يلزمنا دراسته في بحوث القرآن الكريم وروايات المدرستين ونقول بحوله تعالى: وكان على عهد معاوية ما رواه المجلسي عن الواقدي وقال:

إن عمر بن ثابت كان يركب بالشام، ويدور في القرى بالشام، فإذا دخل قرية جمع أهلها ثمّ يقول: أيّها الناس! ان عليّ بن أبي طالب كان رجلا منافقا أراد أن ينخس برسول الله (ص) ليلة العقبة فالعنوه فلعنوه أهل تلك القرى، ثمّ يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك (٢٨).

ومن أخبار صفين روى الطبري بسنده، وتابعه ابن الاثير، واللفظ للاؤلّ عن ليلة الهرير وقال في ذكره خبر هاشم بن المرقال قال:

ثمّ اتّه مضى في عصابة معه من القراء فقاتل قتالا شديدا هو وأصحابه عند المساء حتى رأوا بعض ما يسرون به.

قال فاتّهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شاب وهو يقول:

أنا أرباب الملوك غسان

والدائن اليوم بدين عثمان

إيّي أتاني خبر فأشجان

أن عليّا قتل ابن عفان

ثمّ يشد فلا ينثني حتى يضرب بسيفه، ثمّ يشتم ويلعن ويكثر الكلام فقال له هاشم بن عتبة: يا عبدالله! ان هذا الكلام بعده الخصام، وان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانك راجع إلى الله، فسائك عن هذا الموقف وما أردت به.

قال: فإني أقاتلكم لان صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي وأنتم لاتصلون أيضا. وأقاتلكم أن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم اردتموه على قتله.

فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان إنما قتله أصحاب محمد وأبناء أصحابه وقراء الناس حين أحدث الإلحاد وخالف حكم الكتاب وهم أهل الدين وأولى بالنظر في أمور الناس منك ومن أصحابك وما أظن أمر هذه الأمة وأمر هذا الدين أهمل طرفة عين.

فقال له: أجل والله لا أكذب، فإن الكذب يضر ولا ينفع. قال: فان أهل هذا الامر أعلم به فخله وأهل العلم به.

قال: ما أظنك والله إلا نصحت لي.

قال: وأما قولك إن صاحبنا لا يصلي فهو أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول، وأما كل من ترى معي، فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا فلا يعوينك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى: يا عبدالله! إني أظنك امرأ صالحا فتخبرني هل تجد لي من توبة؟

فقال: نعم، يا عبدالله تب إلى الله يتب عليك، فانه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويحب المتطهرين. قال فحشر والله الفتى الناس راجعا.

فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي خدعك العراقي قال لا ولكن نصح لي(٢٩).

ولما ان عشت الحرب معاوية كرر على علي طلب الشام، فأبى عليه، ثم بان الانكسار في جيش معاوية، فأشار عليهم عمرو بن العاص برفع المصاحف على الرماح يطلبون الرجوع إلى كتاب الله.

وقد أورد أخبارها الطبري وابن الاثير وابن كثير في تواريخهم، واخترنا لفظ ابن الاثير لايجاهه، قال:

فلما رأى عمرو ان أمر أهل العراق قد اشتد، وخاف الهلاك قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعا، ولا يزيدهم إلا فرقة. قال: نعم.

قال: نرفع المصاحف، ثم نقول لما فيها هذا حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي لنا أن نقبل فتكون فرقة بينهم وان قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل، فرفعوا المصاحف بالرمح وقالوا: هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهله، من لثغور العراق بعد أهله.

وروى نصر بن مزاحم بسنده عن تميم بن حذلم أنه قال:

لما أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا، فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد رُبِطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدوا ثلاثة أرماح جميعا وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الاعظم يُمسكه عشرة رهط. وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا عليا بمائة مصحف، ووضعوا في كل مجتبة مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف(٣٠). قال الطبري:

فلما رآها الناس، قالوا: نجيب إلى كتاب الله، فقال لهم علي:

عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقاتل عدوكم فان معاوية وعمرا وابن أبي معيط وحبيبا وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالا ثم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم والله مارفعوها إلا خديعة ووهنا ومكيدة. فقالوا له لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله.

فقال لهم علي: فإني أقاتلهم لبيدنا لحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله في ما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه، فقال له مسعر بن فدكي التيمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك:

يا علي! أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان.

قال: فاحفظوا عني نهبي إياكم، واحفظوا مقالتيكم لي فان تطيعوني فقاتلوا وان تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم.

قالوا: ابعت إلى الاشر فلأتيك. فبعث علي يزيد بن هانئ إلى الاشر يستدعيه.

فقال الاشر: ليست هذه الساعة الساعة التي ينبغي لك أن تزيطني عن موقفي إني قد رجوت أن يفتح الله لي، فرجع يزيد فأخبره

وارتفعت الاصوات وارتفع الرهج من ناحية الاشتهر.

فقالوا: واللّٰه ما نراك إلاّ أمرته أن يقاتل. فقال علي: هل رأيتُموني ساررتّه؟ أليس كلّمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون.

قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلاّ واللّٰه اعتزلناك، فقال له:

وبلك يا يزيد قل له أقبل إليّ فإن الفتنه قد وقعت فأبلغه ذلك فقال الاشتهر أرفع المصاحف؟.

قال: نعم، قال: واللّٰه لقد ظننت إنّها ستوقع اختلافا وفرقة إنّها مشورة ابن العاهر ألا ترى إلى الفتح ألا ترى ما يلقون ألا ترى ما صنع اللّٰه لنا لن ينبغي أن أدع هؤلاء وأنصرف عنهم.

فقال له يزيد: أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل.

قال: لا واللّٰه سبحان اللّٰه، فاعلمه بقولهم فاقبل إليهم الاشتهر.

وقال: يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن أحيان علوتم القوم ووطنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وهم واللّٰه قد تركوا ما أمر اللّٰه به فيها وسنّة من أنزلت عليه، فامهلوني فوفا، فإنّي قد أحسست بالفتح. قالوا: لا.

قال: امهلوني عدو الفرس فإنّي قد طمعت في النصر. قالوا: إذا ندخل معك في خطيئتك.

قال: فخبروني عنكم متى كنتم محقين، أحيان تقاتلون وخياركم يقتلون؟ فانتهم الان إذا أمسكتهم عن القتال يبطلون، أم أنتم الان محقون، فقتلكم الذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم في النار!

قالوا: دعنا منك يا أشتهر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله.

قال: خدعتم وانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم، يا أصحاب الجباه السود، كئنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء اللّٰه فلا أرى مرادكم إلاّ الدنيا، ألا قبحا يا أشباه النبيّ الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون، فسبوه وسبهم وضربوا وجهه دابته بسياطهم وضرب وجهه دوابهم بسوطه فصاح به وبهم عليّ فكفوا.

وقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكما، فجاء الاشعث ابن قيس إلى عليّ، فقال أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد، قال أئنه فاتاه فقال لمعاوية لاي شيء رفعتهم هذه المصاحف؟ قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر اللّٰه به في كتابه تبعثون رجلاّ ترضون به ونبعث نحن رجلا نرضى به نأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب اللّٰه لا يبعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه.

قال له الاشعث: هذا الحق، فعاد إلى عليّ، فأخبره. فقال الناس: قد رضينا وقبلنا. فقال أهل الشام: قد رضينا عمرا.

وقال الاشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج: إنّنا قد رضينا بأبي موسى الاشعري.

فقال علي: قد عصيتُموني في أول الامر فلا تعصوني الان لا أرى أن أولي أبا موسى.

فقال الاشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي: لانرضى إلاّ به فاتّه قد حذرنا ما وقعنا فيه.

قال علي: فاتّه ليس بثقة قد فارقتني، وخذل الناس عني ثم هرب مئّي حتّى أمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك.

قالوا: واللّٰه لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس لا نريد إلاّ رجلاّ هو منك ومن معاوية سواء.

قال: فاني أجعل الاشتهر. قالوا: وهل سعر الارض غير الاشتهر.

فقال: قد أبيتم إلاّ موسى؟ قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم.

فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض، فاتاه مولى له.

فقال: إنّ الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله، قال قد جعلوك حكما قال إنّنا لله وإنّا إليه راجعون وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر

وجاء الاشر عليّ.

فقال: أرنى بعمر بن العاص، فوالله لئن ملات عيني منه لاقتلنه. وجاء الاحنف بن قيس.

فقال: يا أمير المؤمنين! أنك قد رميت بحجر الأرض وإني قد عجنت أبا موسى وحليت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القمر وأنه لا يصلح لهؤلاء القوم الأرجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم فان أبيت أن تجعلني حكما فاجعلني ثانيا أو ثالثا فإنه لم يعقد عقدة إلا حلتها ولا يحل عقدة أعقدها لك إلا عقدت أخرى أحكم منها فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب.

فقال الاحنف: ان أبيتهم إلا موسى فادفئوا ظهره بالرجال وحضر عمرو بن العاص عند علي ليكتب القضية بحضوره فكتبوا:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين. فقال عمرو: هو أميركم وأما أميرنا فلا.

فقال الاحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين فإني أخاف ان محوتها ان لاترجع إليك أبدا لا تمحها وان قتل الناس بعضهم بعضا، فأبى ذلك علي مليا من النهار ثم ان الاشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم فمحاها.

فقال علي: الله أكبر سنة بسنة، والله إني لكتاب رسول الله (ص) يوم الحديبية فكتب محمد رسول الله (ص) وقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله (ص) بمحوه فقلت لا أستطيع فقال أرنيه فأرسته فمحاها بيده وقال أنك ستدعي إلى مثلها فتجيب.

فقال عمرو: سبحان الله أنشبهه بالكفار ونحن مؤمنون.

فقال علي: يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين وليا وللمؤمنين عدوا.

فقال عمرو: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبدا.

فقال علي: إني لارجو ان يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك، وكتب الكتاب:

هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم أتنا نزل عند حكم الله وكتابه وان لا يجمع بيننا غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحبي ما أحبي ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجدها في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفارقة، وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنّهما أمان علي أنفسهما وأهليهما والامة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه وعلى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الأمة لا يردانها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا وأجل القضاء إلى رمضان وان أحبا ان يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام.

وشهد الاشعث بن قيس وسعيد بن قيس الهمداني وورقاء بن سمي البجلي وعبدالله بن محل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعبدالله بن الطفيل العامري وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حجة التميمي ومالك بن كعب الهمداني ومن أصحاب معاوية أبو الاعور السلمي وحبيب بن مسلمة وزمل بن عمرو العذري وحمرة بن مالك الهمداني وعبدالرحمن بن خالد المخزومي وسبيع بن يزيد الانصاري وعتبة بن أبي سفيان ويزيد بن الحر العبسي.

وقيل للاشر ليكتب فيها فقال: لا صحبتني يميني ولا نعتني بعدها شمالي ان خط لي في هذه الصحيفة ولست على بينة من ربي من ضلال عدوي أولستم قد رأيتم الظفر.

فقال له الاشعث: والله ما رأيت ظفرا هلم بنا لا رغبة بك عنا، فقال: بلى والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت خير عندي منهم ولا أحرم دما.

قال: فكأنما قصع الله على أنف الاشعث الحمم.

وخرج الاشعث بالكتاب يقرأه على الناس حتى مر على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن ادية أخو أبي بلال فقرأه عليهم فقال عروة: تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم إلا لله ثم شد بسيفه فضرب به عجز دابة الاشعث ضربة خفيفة واندفعت الدابة وصاح به أصحاب الاشعث فرجع وغضب للاشعث قومه وناس كثير من أهل اليمن فمشى إليه الاحنف بن قيس ومسعر بن فدكي وناس من تميم فاعتدروا فقبل وشكر. وكتب الكتاب يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين.

واتفقوا على ان يوافي أمير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأدرج في شهر رمضان وقيل لعلي: ان الاشر لا يقر بما

في الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم.

فقال علي: وأنا والله ما رضيت ولا احببت ان ترضوا فاذا أبيتم إلا ان ترضوا فقد رضيت وإذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار إلا ان يعصى الله وينعدي كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله، وأما ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك فلست أخاف علي ذلك يا ليت فيكم مثله اثنين يا ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوي ما أرى إذا لخفت علي مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم وقد نهيتكم فعصيتموني فكننت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن: وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد.

والله لقد فعلتم فعلة ضعفت قوة واسقطت منة واورثت وهنا وذلة، ولما كنتم الاعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحرج بهم القتل ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة فاعطيتموهم ما سألوا وأبيتم إلا ان تدهنوا وتجبروا وأيم الله ما أظنكم بعدها توفقون الرشد ولا تصيبون باب الحزم.

ثم رجع الناس عن صفين، فلما رجع علي خالفت الحرورية وخرجت وكان ذلك أول ما ظهرت وأنكرت تحكيم الرجال، ورجعوا على غير الطريق قبلوا فيه أخذوا على طريق البر وعادوا وهم أعداء متباغضون وقد فشا فيهم التحكيم يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسياط يقول الخوارج يا أعداء الله ادهنتم في أمر الله ويقول الآخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا. وقال:

ولما رجع علي من صفين فارقه الخوارج، وأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى مناديهم ان أمير القتال شيبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبدالله بن الكواء الشكري، والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢٣١).

كان ذلكم لفظ ابن الاثير ونورد باقي الخبر من ترجمة الامام علي بتاريخ ابن عساکر؛ روى بسنده وقال:

أنّ علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكمين خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس حتى نزلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة عتبوا عليه وقالوا: انسلخت من قميص اليسك الله واسم سمك الله به، ثم انطلقت فحكمت في دين الله الرجال، فلا حكم إلا لله.

فلما ان بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوا أمره، أذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد قرأ القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس جاء بالمصحف إماما عظيما، فوضعه علي بين يديه فطفق يحركه بيده ويقول: أيها المصحف حدت الناس!!! فناداه الناس ما تسأل عنه؟ إنما هو مداد وورق ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ فقال: أصحابكم الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله في كتابه في امرأة ورجل:

(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا). (النساء / ٣٥)

فأمّة محمّد (ص) أعظم حقا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا(٢٣٢) على أني كاتب معاوية وكتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (ص) بالحديبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله (ص): بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل: لا أكتب كذا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: كيف تكتب؟ فقال: بسمك اللهم. فقال رسول الله (ص): اكتب محمّد رسول الله. فقال: لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك. فكتب هذا ما صالح عليه محمّد بن عبدالله قريشا. يقول الله في كتابه:

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الاحزاب / ٢١)(٢٣٣).

ولما كان الذين أقاموا حرب الجمل وصفين على الامام علي هم رجالات قريش وعادوا الامام بسبب الغائه امتيازاتهم التي حصلوا عليها بعد رسول الله (ص) وتسويتهم مع غيرهم من المسلمين كما مر بنا بعض ذلك واستمر في مدة حكمه في الكوفة على نفس النهج، وقد ذكروا في سياسته في المال ما رواه الثقفى في كتاب الغارات وقال:

عن عليّ (ع) قال: كان خليفي رسول الله (ص) لا يحبس شيئا لغد، وكان أبو بكر يفعل ذلك وقد رأى عمر بن الخطاب في ذلك رأيا أن دُونَ الدّواوين وأخر المال من سنة إلى سنة وأما أنا فأصنع كما صنع خليفي رسول الله (ص)(٢٣٤).

وقال: انّ عليّاً (ع) كان ينضح بيت المال ثم يتنفل فيه ويقول: إشهد لي يوم القيامة أنّي لم أحبس فيك المال على المسلمين(٢٣٥).

وقال: أتى عليّاً (ع) مال من اصفهان فقسّمه فوجد فيه رغيفا فكسره سبع كُسرٍ ثم جعل على كلّ جزء منه كُسرَةً ثم دعا أمراً الاسباع فأقرع بينهم أيهم يعطيه أولا وكانت الكوفة يومئذ أسباعا(٢٣٦).

وروى ان الشّعبى قال: دخلت الرّحبة وأنا غلام في غلمان، فإذا أنا بأمر المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) قائما على صبرتين من ذهب وفضة ومعه مخفقة فجعل يطرد الناس بمخفقتة ثم يرجع إلى المال فيقسّمه بين الناس حتّى لم يبق منه شيء ورجع ولم

يحمل إلى بيته منه شيئا، فرجعت إلى أبي فقلت: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحق الناس، قال: ومن هو يا بني؟

قلت: رأيت أمير المؤمنين عليًّا (ع) فقصصت عليه الذي رأيته يصنع، فبكى وقال: يا بني بل رأيت خير الناس (٣٧).

وقال: كان عليًّا (ع) يقسم فينا الازرار، يصرّه صررا والحرف والكمون وكذا وكذا (٣٨). وفي الغارات للثقفى:

قدم عقيل على عليًّا (ع) وهو جالسٌ في صحن مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله.

قال: وعليك السلام يا أبا يزيد.

ثم التفت إلى الحسن بن عليًّا فقال: قم وأنزل عمّك. فذهب به فأنزله وعاد إليه، فقال له: اشتر له قميصا جديدا وإزارا جديدا ونعلا جديدة فغدا على عليًّا (ع) في الثياب، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال: وعليك السلام يا أبا يزيد.

قال: يا أمير المؤمنين! ما أراك أصبت من الدنيا شيئا إلا هذه الحصباء؟!

قال: يا أبا يزيد يخرج عطائي فأعطيكه... الحديث (٣٩).

وقال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لعليًّا (ع): يا أمير المؤمنين! لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله ما عندي إلا أن أبيع بعض علوفتي.

قال له: لا والله ما أجد لك شيئا إلا أن تأمر عمّك أن يسرق فيعطيك (٤٠).

كان عليًّا (ع) يقول: يا أهل الكوفة! إذا أنا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحتي وغلامي فأنا خائن، وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة من يبيع. وكان يطعم الناس الخبز واللحم ويأكل هو الثريد بالزيت ويكللها بالتمر من العجوة، وكان ذلك طعامه، وزعموا أنه كان يقسم ما في بيت المال فلا يأتي الجمعة وفي بيت المال شيء، ويأمر ببيت المال في كل عشية خميس فينضح الماء ثم يصلّي فيه ركعتين (٤١).

وأته كان يضع يده على بطنه ويقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تنطوي ثميلتي على قلّة من خيانة، ولاخرجنّ منها خميصا (٤٢).

وروى عن أبي رجاء (٤٣) أنه قال: ان عليًّا (ع) أخرج سيفا له إلى السوق فقال: من يشتري منّي هذا؟ فلو كان معي ثمن إزار ما بعته. قال أبو رجاء فقلت له: يا أمير المؤمنين! أنا أبيعك إزارا وأنسنتك ثمنه إلى عطائك فبعته إزارا إلى عطائه، فلمّا قبض عطائه أعطاني حقي (٤٤).

١٧ الروقة: الحسان.

١٨ سورة الزخرف / ٧٨.

١٩ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. مصر ٧ / ٣٧ - ٣٩.

٢٠ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٩.

٢١ تاريخ فتوح أعمش ٢ / ٢٤٨.

٢٢ سورة الحجرات ١٣.

٢٣ ما أوجفنا: ما أعملنا.

٢٤ شرح النهج لابن أبي الحديد ٢ / ١٧٢ - ١٧٣. وطبعة تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة / دار إحياء الكتب العربية ٧ / ٢٩ -

٢٥ الطبري ط. القاهرة دار المعارف ٤ / ٤٢٩، وط. اوربا ١ / ٣٠٦٩؛ وابن كثير ٦ / ٢٢٧ - ٢٢٨.

٢٦ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٨٠.

٢٧ تاريخ يعقوبي ٢ / ١٨٣.

٢٨ عمر بن ثابت بن الحارث الخرزجي من التابعين، تهذيب التهذيب ٧ / ٤٣٠، والغارات للثقفى ص ٣٩٧، والبحار ط. الكمباني ٨ / ٧٣٥.

٢٩ الطبري ط. اوربا ١ / ٣٣٣٣، تاريخ الكامل لابن الاثير ٣ / ١٢٤ - ١٢٥.

٣٠ وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ط. مصر سنة ١٣٨٢ هـ ص ٤٧٨. تميم بن حذلم بالحاء المهملة والذال المعجمة وزان جعفر - ويقال حذيم - الناجي الضبي. الكوفي، أبو سلمة، شهد مع علي وكان من خواصه. قال ابن حجر: ((ثقة، مات سنة مائة)). (تهذيب التهذيب والتقريب). والمجنبة، بكسر النون المشددة؛ ميمنة الجيش وميسرته؛ وفتحها: مقدمة الجيش.

٣١ تاريخ الكامل لابن الاثير ٣ / ١٣٦ - ١٣٠.

٣٢ ونقموا في - النص -: نقما والصواب كما أثبتناه من مصورة المجمع العلمي الاسلامي ١٢ / ٢ ورقة ١٨٢ / أ.

٣٣ تاريخ ابن عساکر، ترجمة الامام عليّ (ع) ٣ / ١٥٣ - ١٥٤، الحديث ١١٩٤.

٣٤ الغارات للثقفى ط. بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ص ٣٢، وط. طهران ص ٤٨.

٣٥ الغارات ص ٣٣، وفي ط. طهران ص ٥٠.

٣٦ الغارات ص ٣٤، وفي ط. طهران ص ٥٠.

٣٧ الغارات ص ٣٦، وط. طهران ص ٥٥؛ وشرح نهج البلاغة ١ / ١٨٠. والشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد أو عامر بن عبدالله بن شراحيل الشعبي من شعب همدان الحميري الكوفي الفقيه المعروف (انظر تهذيب التهذيب ٥ / ٦٥ وجامع الرواة ١ / ٤٢٧).

٣٨ الغارات ص ٣٨، وفي ط. طهران ص ٦٠. والابزار جمع بزر وهو كل حب ينثر للنبات أو المراد به ما يطيب به الغذاء، والحرف - بالضم - حبّ الرشاد والكمون كتنور؛ حب معروف.

٣٩ الغارات، باب سيرة علي (ع) في المال، وفي الاصل (فأعطيكاه) تحريف، ص ٤١، وط. طهران ص ٦٤.

٤٠ الغارات ص ٤٣، وط. طهران ص ٦٧. (علوفتي) والعلوفة: الناقة أو الشاة تعلقها ولا ترسلها يستوي بهذا الاسم الواحد والجمع. عبدالله بن جعفر بن أبي طالب. يكنى أبا جعفر أمه أسماء بنت عميس ولدت له بالحبشة وهو أول مولود في الاسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة وحفظ عن رسول الله (ص) وروى عنه وكان كريما جوادا حلما يسمى بحر الجود وقطب السخاء، واخبره في جوده وحلمه وكرمه كثيرة لا تحصى توفي سنة ٨٠ عام الحجاج (وعام الحجاج سمي بذلك لأنه جاء سيل عظيم ببطن مكة فحجف إلحاج وذهب بالابل عليها أحمالها) ودفن بالبيقع وقيل: توفي سنة أربع أو خمس وثمانين وله تسعون سنة (الاستيعاب ٢ / ٢٥٧، أسد الغابة ٣ / ١٢٤، الاصابة، حرف العين ق ١).

٤١ الغارات ص ٤٥، وط. طهران ص ٦٩. وفي معجم البلدان ((ينبع حصن به نخيل وما وزروع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب (رض)). وفي مجمع البحرين: ((قيل لما قسم رسول الله (ص) الفياء أصاب علي (ع) أرضا فاحتفر عينا فخرج ما ينبع في الماء كهيئة عنق البعير فسمها ينبع)). العجوة - بفتح العين وسكون الجيم - ضرب من أجود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة بكسر اللام.

٤٢ الغارات ص ٤٠، وط. طهران ص ٦٣. والثميلة - كسفينة -: ما يكون فيه الطعام والشراب من الجوف، والخميص: الجائع يقال: خمص إذا جاع فهو خميص.

٤٣ هو أبو رجاء التيمي من تيم الرباب الضبي.

امام علي بالسوية وغضب الاشراف من ذلك:

روى الثقفى بسنده وقال:

ان امرأتين اتتا عليا (ع) عند القسمة إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحد خمسة وعشرين درهما وكرا من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين! إني من العرب وهذه امرأة من العجم؟! فقال علي (ع): إني لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق (٤٥).

وقال: كان الامام علي (ع) يخطب فجاء الاشعث، فجعل يتخطى الناس فقال: يا أمير المؤمنين! غلبتنا هذه الحمراء على وجهك، فغضب، فقال ابن صوحان: ليبيّن اليوم من أمر العرب ما كان يخفى، فقال علي (ع):

من يعذرنى من هؤلاء الضيافة يقبل أحدهم يتقلب على حشاياه ويهجد قوم لذكر الله؟! فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين؟ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد سمعت رسول الله محمدا (ص) يقول: (ليضربنكم والله على الدين عودا كما ضربتموهم عليه (بدا)).

قال مغيرة: كان علي (ع) أميل إلى الموالي وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعدا منهم.

عن النعمان بن سعد قال: رأيت عليا (ع) على المنبر يقول: أين التمودي؟ فطلع الاشعث؛ فأخذ كفا من الحصى وضرب وجهه فأدماه وانجفل، وانجفل الناس معه ويقول: ترحا لهذا الوجه، ترحا لهذا الوجه (٤٦).

وقال: كان أشرف أهل الكوفة غاشين لعلي (ع) وكان هواهم مع معاوية، وذلك أنّ عليا كان لا يعطي أحدا من الفيء أكثر من حقه، وكان معاوية بن أبي سفيان جعل الشرف في العطاء ألفي درهم (٤٧). وقال ما موجه:

خاطب معاوية من عنده من أهل الشام وقال: يا أهل الشام قد عرفتم حبي لكم، وسيرتي فيكم، وقد بلغكم صنيع عليّ بالعراق، وتسويته بين الشريف وبين من لا يعرف قدره.

فقال رجل منهم: لا يهد الله ركنك، ولا يهيض جناحك، ولا يعدمك ولدك، ولا يرينا فقدك.

فقال: فما تقولون في أبي تراب؟ قال: فقال كل رجل منهم ما أراد، ومعاوية ساكت وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فتذاكرا عليا (ع) بغير الحق... الحديث (٤٨). وقال:

حدّثنا محمد قال: حدّثنا الحسن قال: حدّثنا إبراهيم قال: وحدّثني عبدالله ابن محمد بن عثمان الثقفي قال: حدّثنا علي بن محمد بن أبي سيف عن فضيل بن الجعد عن مولى الاشتهر قال: شكّا علي (ع) إلى الاشتهر فرار الناس إلى معاوية، فقال الاشتهر: يا أمير المؤمنين! إنّا قاتلنا أهل البصرة بأهل البصرة وأهل الكوفة والرأي واحد وقد اختلفوا بعد، وتعادوا وضعفت النية وقلّ العدد، وأنت تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجت طائفة ممن معك من الحق إذ عموا به، واعتصموا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف؛ فتأقت أنفس الناس إلى الدنيا وقلّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم من يحتوي الحق ويستمرئ (٤٩) الباطل ويؤثر الدنيا، فإن تبدل المال يا أمير المؤمنين، تمل إليه أعناق الناس وتصف نصيحتهم وتستخلص ودهم، صنع الله لك (٥٠) يا أمير المؤمنين وكبت (٥١) عدوك وفضّ جمعهم وأوهن كيدهم وشنت أمورهم إنّه بما يعملون خبير.

فأجابه علي (ع) فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل؛ فإنّ الله يقول: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (٥٢) وأنا من أن أكون مقصرا في ما ذكرت أخوف.

وأما ما ذكرت من أنّ الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور، ولم يدعوا (٥٣) - إذ فارقونا - إلى عدل، ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كان قد فارقوها، وليسألنّ يوم القيامة. اللّدينا أرادوا، أم لله عملوا؟!.

وأما ما ذكرت من بذل الاموال واصطناع الرجال (٥٤) فإنّا لا يسعنا أن نؤتي إمرا من الفيء أكثر من حقه، وقد قال الله وقوله الحق: (كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَيَّتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (٥٥) وبعث الله محمدا (ص) وحده فكثّره بعد القلة، وأعزّ فتنه بعد الدلة، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه ويسهّل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله رضا، وأنت من آمن أصحابي وأوثقهم في نفسي وأنصحهم وأراهم (٥٦) عندي.

وقال: إن طائفة من أصحاب علي (ع) مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش

على الموالي والعجم ومن تخاف خلفه من الناس وفراره.

قال: وإنما قالوا له ذلك، للذي كان معاوية يصنع بمن أتاه، فقال لهم عليّ (ع): أتأمروني أن أطلب النصّر بالجور؟! والله لا أفعل ما طلعت شمسٌ وما لآحَ في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لواسيت(٥٧) بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم... الحديث(٥٨).

وقد كان الناس كرهوا عليّاً، ودخلهم الشكّ والفتنة، وركنوا إلى الدنيا، وقلّ مناصحوه، فكان أهل البصرة على خلافه والبغض له، وجلّ أهل الكوفة وقراؤهم، وأهل الحجاز وأهل الشام وقريش كلّها(٥٩).

وبما ان قريشا هي التي بدأت في قتاله، وحرصت الناس عليه وقادتهم في حرب الجمل وصفين، ثمّ بعث معاوية من سنّ الغارة على اطراف البلاد التي كانت تحكم حكم الامام مثل عبدالله بن عامر الحضرمي الذي بعثه إلى البصرة وسيفيان بن قيس الغامدي إلى الانبار والنعمان بن بشير إلى الانبار والضحاك ابن قيس الفهري إلى الحيرة وبسر بن ابي اربطة إلى مكة والمدينة واليمن(٦٠)

فتزعزع حكم الامام علي وخرجت الخوارج عليه بنهروان، وتجراً الناس عليه، فكان الامام يشكو قريشا مثل قوله (ع):

اللهم إني استعديك على قريشٍ ومن أعانهم! فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على مُنازعتي أمراً هو لي(٦١). وقال:

اللهم إني استعديك على قريشٍ ومن أعانهم، فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا انائي(٦٢).

واستعديك: استعينك، واكفاء الاناء أو قلبه مجاز عن تضييع حقه. وكتب في جواب أخيه عقيل بن أبي طالب:

فدع عنك قريشاً وتركاظهم في الضلال، وتجوأهم في الشقاق، وجماحهم في التّيه، فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله (ص) قبلي، فجزت قريشا عني الجوازي! فقد قطعوا رحمي، وسلّبوني سلطان ابن أمي(٦٣).

٤٥ الغارات ص ٣٤١، وط. طهران ص ٧٠.

٤٦ شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ٤ / ٥٤٤ ط. مصر؛ والغارات ط. طهران ص ٥٠١. الحمراء: الموالي قال ابن الاثير في النهاية مادة حمر في حديث علي، غلبتنا عليك هذه الحمراء يعنون العجم والروم، والعرب تسمي الموالي: الحمراء. قال ابن الاثير في النهاية مادة ضيطر بعد أن ذكر حديث الامام: ((الضياطرة: الضخام الذين لا غناء عندهم، الواحد ضيطار)) والحشاييا: الفراش واحدها حشية بالتشديد. والمراد المغيرة الصّبي. وانجفل الناس: أسرعوا الهرب. والمراد بالترح هنا الهلاك والانقطاع.

٤٧ الغارات ص ٢٩، وط. طهران ص ٤٤ - ٤٥.

٤٨ الغارات ص ٣٧٧ وراجع تمام الخبر في الكتاب.

٤٩ يجتوري: يكره، ويستمرئ: يجد مريئاً أي هنيئاً سائغاً.

٥٠ صنع الله للعبد: ما يفعله سبحانه له من الخير.

٥١ كبت الله العدو كبتاً: أذله وأهانته، وبابه ضرب.

٥٢ سورة فصلّت / ٤٦.

٥٣ ظ ((ولم يلجأوا)) وفي شرح نهج البلاغة م ١ / ١٨٠ ((ولا لجأوا إذ فارقونا)).

٥٤ الاصطناع - هنا -: الاستمالة بالمال.

٥٥ سورة البقرة / ٢٤٩.

٥٦ وأراهم: أسدهم رأياً.

٥٧ والمواساة بالشيء: الاشتراك فيه، يقال: آساه بماله مواساة أي جعله أسوته فيه، كما يقال: واساه أيضا.

٥٨ الغارات ص ٤٧ - ٤٨، وط. طهران ص ٧١ - ٧٥.

٥٩ الغارات / ٤٨.

٦٠ راجع الغارات للثقفى ص ٣٠٧ - فما بعد.

٦١ نهج البلاغة، الخطبة ١٧٠ و ٢١٥، والغارات ص ٢٠٤ و ٣٩٢.

٦٢ نهج البلاغة، الخطبة ١٧٠ و ٢١٥، والغارات ص ٢٠٤ و ٣٩٢.

٦٣ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٦ / ١٤٨ والطبعة المصرية الأولى ٤ / ٥٥. ونهج البلاغة شرح محمد عبده ٣ / ٦٧ - ٦٨. (الكتاب / ٣٦). وتركاؤهم: مبالغة في الرخص واستعارة لسرعة خواطرهم في الضلال وكذلك التجوال من الجول والجولان، والشقاق الخلاف، وجماعهم: استعفاءهم على سابق الحق، والتهيه: الضلال والغواية، والجوازي جمع جازية بمعنى المكافأة دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم.

موجز أخبار المجتمع الاسلامي على عهد الامام عليّ (ع)

قتل الخليفة عثمان دون أن يعين خليفة من بعده فملك جماهير المسلمين أمرهم، وهرعوا إلى عليّ يتقدمهم صحابة رسول الله (ص) يطلبون بيعته فأبى عليهم، وألحّت الجماهير عليه، حتى اضطرّ إلى تلبية طلبهم، فسبق الصحابيّن طلحة والزبير إلى بيعته ليكون لهما الدالة عليه في حكمه، وبدأ الامام حكمه بتقسيم بيت المال بالسوية، وأعطى كلاً من المهاجرين والانصار ومواليهم ثلاثة دنائير ولم يفضل أحداً على احد في العطاء.

فقال الانصاري اليماني: هذا غلامي بالامس وقد اعتقته اليوم، فقال له: نعطيه كما نعطيك.

وعاتبه القرشي المهاجري على مخالفته عمر بن الخطاب في تقسيم الاموال وقال له فائولهم: أنّك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لايماننا في ما افاء الله علينا بأسيافا.

فقال: ان ذلك أمر لم احكم به بادئ ذي بدء! قد وجدت أنا وأنتما رسول الله (ص) يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به...

وقد ربح الانصاري اليماني في حكم الامام ما خسره في السابق فقد ولّى على المدينة سهل بن حنيف (٦٤)، وعلى البصرة عثمان بن حنيف وعلى مصر قيس بن سعد بن عباد (٦٥). وفي مقابل ذلك خسر المهاجري القرشي الذي كان يعيش على رأس الهرم في النظام الطبقي كلّ امتيازاته فانفتحت سادات قريش بعضها مع بعض واجتمعوا مع الموتورين من بني أمية في مسجد الرسول (ص) وأسروا القول في ما بينهم ثمّ أجهروا القول، وطلب بنو أمية من الامام أن يضع عنهم ما أصابوا من المال على عهد الخليفة عثمان فقال ليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم.

فسكتوا على مضمض وبقي طلحة والزبير في المدينة أربعة أشهر يراقبان حكم الامام بعد أن لم يحقق رغبتهما في توليتهما البصرة والكوفة.

وبلغ أخبار المدينة أمّ المؤمنين عائشة وهي في طريق عودتها من الحج إلى المدينة فرجعت إلى مكة وأظهرت الطلب بدم عثمان وانقلبت من مفتية بقتله إلى طالبة بدمه فالتحق بها الساخطون على الامام لتسويته في العطاء من قريش يقدمهم طلحة والزبير وبنو أمية وذهبوا جميعاً إلى البصرة وأقاموا على الامام حرب الجمل باسم الطلب بدم عثمان فسار إليهم الامام من المدينة في جيش جله من الانصار، ولما انتصر عليهم في القتال وملك البصرة قسّم ما في بيت المال في البصرة عليهم بالسوية ولم يفضل أحداً على أحد ثمّ اتجه إلى الكوفة واتخذها عاصمةً لحكمه.

وفادت قريش بزعامة معاوية أهل الشام لحربه في صفين باسم الطلب بدم عثمان ولما بان الانكسار عليهم، رفعوا القرآن حيلة يطلبون من الامام تحكيمه في ما بينهم، فانطلت الحيلة على جيش الامام، وأكرهوا الامام على قبول التحكيم، وأن يعين من قبله أبا موسى الأشعري، وعين معاوية عمرو بن العاص فخدع عمرو أبا موسى فخلع الامام ومعاوية وتقدّم بعده عمرو فنصيب معاوية وخلع الامام فأدرك المتنسكون في جيش الامام خطأهم، وقالوا: كفرنا بقبولنا التحكيم وتبنا، وكفروا عامّة المسلمين وأحلوا دماءهم فحاربهم الامام في نهروان وقتل منهم من حضر القتال، وعاد إلى الكوفة.

وألحّ على تهديم النظام الطبقي الذي شيّده الخلفاء قبله وإعتاده المجتمع الاسلامي في ربع قرن وساوى في العطاء ذات مرّة بين امرأة من الموالي وأخرى عربية فقالت: يا أمير المؤمنين! إيّ امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم! فقال: إيّ لا أجد لبني إسماعيل - أي العرب - فضلا على بني إسحاق - أي العجم - وغضب على الاشعث بن قيس - وكان من ملوك كندة في الجاهلية -

لمّا تخطّى الموالي مرّة، وتقدّم إلى مجلس أمير المؤمنين، ووبّخه وعنّفه. ولمّا كان معاوية يفضّل في العطاء الرؤساء وأهل الشرف من قبائل العرب على غيرهم مال الرؤساء إليه وهاجروا إليه فمشى إلى الامام أصحابه وقالوا له: يا أمير المؤمنين!

فضّل في العطاء الاشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم!

فقال: أنا مروني أن أطلب النصر بالجور والله لا أفعل.

هكذا استطاع الامام أن يهدّم ذلك النظام الطبقي الذي شيّده الخلفاء قبله واستمرّ زهاء ربع قرن، وأن يعيد إلى المجتمع العدل الاسلامي الانسانيّ به الرسول (ص) وكان ذلكم من خصائص المجتمع الاسلامي في ظل حكم الامام.

ولمّا كانت قريش على رأس هرم ذلك النظام الطبقي حيث كانت قد حصلت على امتيازات في المجتمع الاسلامي وترى أنّ لها ميزة على سائر البشر كما يرى بنو إسرائيل أنّ لهم ميزة على سائر البشر وساواهم الامام بغيرهم من المسلمين الموالي وغير الموالي، قادت قريش الناس إلى قتاله في الجمل وصفين وفي الغارات على بلاده.

ومن ثمّ كان الامام يشكو قريشا ويذكرهم بذلك ويقول: اللهمّ إيّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي وأجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله (ص).

تاريخ الاسلام للذهبي، سنة ست وثلاثين ٢ / ١٤٨ 64

(تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٨ 65)

أخبار القرآن على عهد الامام عليّ (ع)

أ - القراءة والاقراء

بعد أن نجح الخلفاء الثلاثة قبل الامام عليّ بتجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) وأوصدوا هذا الباب بوجه المسلمين، وأمروا بتلاوة النص فقط، فتح وصي الرسول (ص) هذا الباب على مصراعيه، وإعاد أمر اقراء القرآن على ما كان عليه في عهد الرسول (ص)، وحث على نشر حديث الرسول (ص)، وحث الناس على السؤال عن القرآن مرّة بعد أخرى كما نراه في الاخبار الآتية:

دعوة عامة للسؤال عن تفسير القرآن

أهم أخبار الوصي في دعوته للسؤال عن تفسير القرآن قوله على المنبر:

(سلوني...) كما رواه ابن عساكر وغيره واللفظ لابن عساكر عن أبي الطفيل قال:

أقبل عليّ بن أبي طالب ذات يوم، حتى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه ثمّ قال: ((يا أيّها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما بين لوحى المصحف آية تخفى عليّ في ما أنزلت ولا أين نزلت ولا ما عني بها)) (٦٦).

وفي رواية قال: سمعت عليّاً وهو يخطب الناس فقال: يا أيّها الناس! سلوني، فإنّكم لاتجدون أحدا بعدي هو أعلم بما تسألونه مني، ولا تجدون أحدا أعلم بما بين اللوحين منّي، فسلوني (٦٧).

وفي ترجمة الامام عليّ من الاستيعاب وتاريخ ابن عساكر والاصابة واللفظ للابن عساكر عن أبي الطفيل قال: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم

بنهار أم في سهل أم في جبل (٦٨).

وروى ابن سعد في الطبقات وابن عساكر بسندين آخرين وقال: قال علي: واللّه ما نزلت آية إلاّ وقد علمت في ما نزلت، وأين نزلت وعلى من نزلت، ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا طلقا(٦٩).

وروى ابن عساكر عن عمير بن عبدالله، قال: خطبنا علي بن أبي طالب على منبر الكوفة فقال: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فبين الجنبين مني علم جم(٧٠).

وروى - أيضا - عن أبي الطفيل قال:

خطب علي بن أبي طالب في عامه - أي عامه الذي قتل فيه - فقال: يا أيها الناس! انّ العلم يقبض قبضا سريعا، وإني أوشك أن تفقدوني فاسألوني، فلن تسألوني عن آية من كتاب الله إلاّ نبأتكم بها وفيما أنزلت وانكم لن تجدوا أحدا من بعدي يحدثكم(٧١).

وروى ابن عساكر عن ابن شبرمة أنّه قال: ما كان أحد على المنبر يقول: سلوني عن ما بين اللوحين إلاّ علي بن أبي طالب(٧٢).

عن سعيد بن المسيب قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي (ص) يقول: ((سلوني)) إلاّ علي(٧٣).

وذات مرّة تعرض له ابن الكواء كما رواه الطبري وغيره عن أبي الطفيل:

قال رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) قام على المنبر فقال سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ حدثتكم به، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاّ انا اعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل نزلت أم في جبل.

قال: فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين! ما الذاريات ذروا؟

قال: ويلك سل تفقّها، ولا تسل تعثّنا.

والذاريات ذروا: الرياح.

قال: فما الحملات وقرا؟

قال: السحاب.

قال: فما الجاريات يسرا؟

قال: السفن.

قال: فما المقسمات أمرا؟

قال: الملائكة.

قال: فمن الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم؟

قال: منافقو قريش(٧٤).

٦٦ ترجمة الامام عليّ (ع) من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٠. وأبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي ولد عام أحد (ت ٥١١٠) وهو آخر من مات من الصحابة، أخرج الحديث جميع أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ١ / ٣٨٩.

٦٧ ترجمة الامام علي من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٢.

٦٨ ترجمة الامام علي من الاستيعاب ٢ / ٤٦٣، وتاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٢، وشواهد التنزيل ١ / ٣١، وأنساب الاشراف ٢ / ٩٩، والاصابة ٤ / ٣٦٩ - ٣٧٠.

٦٩ طبقات ابن سعد ٢ / ٣٣٨؛ وتاريخ ابن عساكر ٢ / ٢١؛ وحلية الاولياء ١ / ٦٧؛ وشواهد التنزيل ١ / ٣٣.

٧٠ ترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٤. وعمير بن عبدالله الهلالي أبو عبدالله المدني مولى أم الفضل ويقال له مولى ابن عباس، أخرج حديثه البخاري ومسلم وغيرهما. (تقريب التهذيب ٢ / ٨٦).

٧١ ترجمة الامام علي (ع) من تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٠.

٧٢ تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٤. وعبدالله بن شيرمة الضبي (ت ٥١٤٤) ثقة فقيه، أخرج حديثه أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب ١ / ٤٢٢.

٧٣ تاريخ ابن عساكر ٣ / ٢٤. وسعيد بن المسيب بن حزن المخزومي قال ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب ١ / ٣٠٥: أحد العلماء الاثبات، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح، مات بعد التسعين.

٧٤ قد جاء في تفسير أول سورة (والذاريات)، وكتب الحديث الاتي ذكرها طرفا من هذه الرواية فجمعنا بعضها إلى البعض الاخر وأوردناها في سياق واحد في تفسير الذاريات. تفسير الطبري ٢٦ / ١١٦؛ ومستدرک الحاكم وتلخيصه ٢ / ٤٦٦ - ٤٦٧ وصحاه. وفي فتح الباري خطأ فقد ذكر بدل المقسمات أمرا، والمدبرات أمرا ١٠ / ٢٢١؛ وتهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٨؛ وكنز العمال ٢ / ٢٥٧. وابن الكواء: عبدالله بن عمرو اليشكري من عتاة الخوارج، قرأ في صلاة الجماعة جهرا (... لئن أشركت ليحبطن عملك...) الزمر ٦٥، فسبكت الامام حتى أنهى الآية فاستمر الامام في قراءته فأعاد ابن الكواء قراءة الآية جهرا إلى ثلاث مرات فقرأ الامام: (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) الروم / ٦٠. نسبه في جمهرة أنساب العرب ط. القاهرة عام ١٣٨٢ هـ ص ٣٠٨؛ والاشتقاق لابن دُرَيْد ط. القاهرة سنة ١٣٧٨ هـ، ص ٣٤٠؛ والكنى والالقب ط. بيروت سنة ١٥١٣٥٢ / ٣٨٣.

الامام يحيى سنّة الرسول (ص) في إقراء القرآن

في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) قال: كان علي (ع) إذا صلّى الفجر لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك (٧٥).

دراسة الخبر:

مرّ بنا في تاريخ القرآن على عهد الرسول (ص) أنّه كان من سيرته في تعليم القرآن:

أن يعلم أصحابه بمسجده عشر آيات لا يتعدونها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل.

وعين عبادة بن الصامت لاقراء الفقراء من أهل الصّفة وكان يرسل القراء إلى المسلمين خارج المدينة لتعليمهم القرآن والفقه.

وبناء على ذلك كانت سنّته في إقراء القرآن لتعليمهم القرآن مع بيان ما فيه من العلم والعمل مع التفقه في الدين وإنما يتحقق ذلك بتعليم ما جاء من حديث الرسول (ص) في بيان القرآن. وعلى عهد الخليفة عمر أمر بتجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) وتعليمهم تلاوة لفظ القرآن فقط. وبقي الأمر على ذلك زهاء عشرين عاما. وعلى عهد الامام يحيى سنّة الرسول (ص) في إقراء القرآن فقام بنفسه بتعليم القرآن والفقه للفقراء وغيرهم بمسجده، وتعليم الفقه مع القرآن يتحقق بتعليم ما جاء من حديث الرسول (ص) في بيان الآيات. وهكذا أحيى الامام سنّة الرسول (ص) في الاقراء.

وأیضا شابه مسجده مسجد الرسول (ص) في سماع صّحّة من يقرأ القرآن فيه، كما جاء في كنز العمال عن كليب قال:

كنت مع علي، فسمع ضجتهم في المسجد يقرأون القرآن فقال: طوبى لهؤلاء كانوا أحبّ الناس إلى رسول الله (ص) (٧٦).

إهتمام الامام بأمر القراء:

في كنز العمال:

عن علي قال: من وُلد في الاسلام فقرأ القرآن فله في بيت المال في كل سنة مائتا دينار، إن أخذها في الدنيا، وإلا أخذها في الآخرة.

وعن سالم بن أبي الجعد:

أَنَّ عَلِيًّا فَرَضَ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ (٧٧).

دراسة الاخبار:

على عهد الخلفاء الثلاثة قبل الامام أمروا بتجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) وبلغهم أن نكلوا بصيغ بن عسل لسؤاله عن معنى (الذاريات ذروا) بينما الامام يحرض المسلمين على تعلم تفسير القرآن وفي ذلك العصر كان تفسير القرآن في ما روي عن رسول الله (ص)، وبناء على ذلك فقد كانت سياسة الحكم على عهد الامام نشر حديث الرسول (ص).

وإنما سأل ابن الكوِّاء عن معنى (الذاريات ذروا) وقال له الامام: وبيك سل تفقها لانه ظن أن تفسير هذه الآية معضلة كان يسأل عنها صبيغ في أجناد المسلمين ولم يتلق جوابا فأراد ان يجرح الامام بسؤاله عن تفسيرها.

وكان أمثال تفسير قول الامام للآية: (وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ...) (إبراهيم / ٢٨ - ٢٩)، (منافقو قريش) هي السبب في تجريد حكومة الخلافة الفرشية القرآن من حديث الرسول (ص).

شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي القاهرة سنة ١٣٧٩ هـ / ١٠٩ / 75

كنز العمال ط. بيروت سنة ١٤٠٩ هـ / ٢ / ٢٨٨ رقم الحديث ٤٠٤٥، وط. حيدرآباد الدكن الثانية ٢ / ١٨٥. وكليب بن وائل بن هبار 76 التيمي الشكري الكوفي أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي. ترجمته في تهذيب التهذيب ٨ / ٤٤٦ - ٤٤٧؛ وتقريب التهذيب ٢ / ١٣٦.

كنز العمال ٢ / ٣٣٩ الحديث رقم ٤١٨٥ و ٤١٨٦، وطبعة حيدر آباد الدكن الثانية ٢ / ٢١٩. وسالم بن أبي الجعد واسم الجعد رافع 77 الاشجعي - مولاهم - الكوفي، تابعي، روى عن الامام علي وصحابة آخرين، ثقة، كثير الحديث (ت: ٩٩ أو ١٠٠ أو ١٠١ هـ) ترجمته بتهديب التهذيب ٣ / ٤٣٢.

ب - أمر تدوين القرآن

روى السيوطي في الاتقان (٧٨) وقال:

((مرّ بي علي وأنا أكتب مصحفا، فقال: أجل قلمك.

فقضت من قلمي، ثم جعلت أكتب، فقال: نعم هكذا نورّه كما نورّه الله)).

جلاه: كشف صدأه وشفله، وقضمه: كسره باطراف أسنانه.

قال المؤلف: ويظهر من الخبر أن رأس القلم كان قد تشعب وكان يكتب الحروف مشوشة ولما كسر رأسي القلم الذي كان من القصب كتب جليا، وكنا نكتب قديما بهذا القلم وإذا كتبنا به كثيرا وتشعب رأس القلم قطناه بالسكين فيجلو الخط.

كان هذا إرشاد الامام في تحسين خط القرآن وكتابته واضحة وجلية. وقد أسس نظاما يسان به اللسان عن الخطأ في تلاوة القرآن كالآتي بيانه بحوله تعالى.

أسس الامام نظاما يسان به القرآن عن الخطأ في التلاوة:

مرّ بنا تصوير قلم المصحف في عصر الرسول (ص) وكيف كانت الحروف فيها مجردة عن التنقيط والحركات والسكنات التي تميز الحروف عن مثيلاتها وتبين نوع الاعراب في أواخر الكلمات، ولم يكن العربي يومذاك بحاجة إليها فقد تعلم كل ذلك مع تعلمه النطق والتلفظ وهو في حضن أمّه، وأتقنها كلما تقدمت سنه ومارس التكلم مع أقرانه، حتى إذا انتشر الاسلام، ودخل فيه اقوام من العجم وسكن من الفرس عشرات الالوف في بلد الكوفة المركز الإداري لبلاد فارس واتخذها الامام علي (ع) عاصمة له دعاه ما رآه من حاجة تقويم لسانهم ان يلقي على تلميذه أبي الاسود أصول علم النحو تعليما للفرس، تعليما لهم ما يقوم به لسانهم أو حفظا للعربي من انتشار اللحن من لسان هؤلاء إلى لسانهم على مر الزمن، وهذا الخبر مشهور بين العلماء.

قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٥٣٧٩هـ) (٧٩):

((سئل أبو الاسود الدؤلي عن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وارشده إليه فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله. وفي حديث آخر قال: القى اليّ عليّ أصولاً احتذيت عليها)).

وقال النديم (ت: ٥٣٨٠هـ): ((ان النحو أخذ عن أبي الاسود الدؤلي وإن أبا الاسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ولما القى إليه شيئاً في أصول النحو، قال أبو الاسود: فاستأذنته أن أصنع نحو ما صنع، فسمي ذلك نحواً)) (٨٠).

وقال ابن خلكان (ت ٥٦٨١هـ) بترجمة أبي الاسود الدؤلي: (انّ عليّاً (رض) وضع له ((الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف)) ثمّ دفعه إليه، وقال له: تمّم على هذا)) (٨١).

وتواتر نقل هذا الخبر بين العلماء وكل نقل طرف منه مع اختلاف في اللفظ وبعد دراسة رواياتهم دراسة مقارنة وجدت أصدقهم قولاً أبا الفرج حين قال في الاغانى أول خبر أبي الاسود الدؤلي:

وأملى عليه - الامام عليّ (ع) - الكلام كلّ لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى. قال: وهذا المنقول أول كتاب سيبويه. وقال: ثمّ رسم اصول النحو كلها، فنقلها النحويون، وفرعوها، ثمّ قال: هذا حفظته وأنا حديث السن فكتبته من حفظي واللفظ يزيد وينقص وهذا معناه (٨٢).

وفي ترجمة أبي الاسود من تاريخ دمشق لابن عساكر:

قال: كتب معاوية إلى زياد يطلب عبيد الله، فلمّا قدم عليه كلمه، فوجده يلحن فرده إلى أبيه، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه، ويقول:

أمثل عبيد الله يضيع؟

فبعث زياد إلى أبي الاسود فقال يا أبا الاسود: ان هذه الحمراء - أراد بهم العجم لغلبة الحمرة على ألوانهم - قد أفسدت من أسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعرب به كتاب الله.

فأبى ذلك أبو الاسود فوجّه زياد رجلاً، فقال له: أقعد في طريق أبي الاسود، فإذا مر بك، فاقراً شيئاً من القرآن، وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلمّا مرّ به أبو الاسود رفع صوته يقرأ (ان الله بريء من المشركين وَرَسُولِهِ) فاستعظم ذلك أبو الاسود فقال عزّ وجه الله أن يتبرأ من رسوله، ثمّ رجع من فوره إلى زياد، فقال: قد جئتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إلى ثلاثين رجلاً.

فاحضروهم زياد فاختر منهم أبو الاسود عشرة، ثمّ لم يزل يختارهم حتّى اختار منهم رجلاً من عبد القيس، فقال خذ المصحف وصيغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي، فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها، فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، فإذا كسرتُهما، فاجعل النقطة في اسفل الحرف، فإذا اتبعت شيئاً من هذه الحركات عنه فانقط نقطتين.

فابتدأ بالمصحف، حتى أتى على آخره، ثمّ وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك (٨٣).

وقال القفطي (ت ٥٦٢٤هـ) في كتابه انباه الرواة:

الاتقان ٢ / ١٧٠ 78

طبقات النحويين، بترجمة أبي الاسود ص ١٣ 79

الفهرست للنديم المقالة الثانية، الفن الاول من أخبار النحويين ٥٩ - ٦٠ وط. الجديدة ص ٤٥ 80

وفيات الاعيان ٢ / ٢١٦؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣١٢ 81

الاجاني ١٢ / ٣٠٢، وط. ساسي ١١ / ١٠١ 82

تاريخ ابن عساكر ترجمة أبي الاسود الدؤلي 83

ذكر أول من وضع النحو وما قاله الرواة في ذلك:

الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)؛ قال أبو الاسود الدؤلي: دخلت على أمير المؤمنين علي(ع) فرأيتَه مطرفاً مفكراً، فقلت: فيم(٨٤) تفكر يا أمير المؤمنين؟

فقال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية.

فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا(٨٥). هذه اللغة العربية، ثم أتيت بعد أيام، فألقى إليّ صحيفة فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل).

ثم قال: ((تتبعه وزد فيه ما وقع لك. واعلم أنّ الأشياء(٨٦) ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنّما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر)).

فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنّ وأن، وليت، ولعلّ، وكأنّ، ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بلى هي منها، فزدها فيها.

هذا هو الأشهر من أمر ابتداء النحو. وقد تعرض الزجاجي أبو القاسم إلى شرح هذا الفصل من كلام علي، كرم الله وجهه.

ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو، يجمعون على أنّها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الاسود الدؤلي.

وروى أيضاً عن أبي الاسود قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، فأخرج لي رقعة فيها: (الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى). قال: فقلت: ما دعاك إلى هذا؟

قال: رأيت فساداً في كلام بعض أهلي، فأحببت أن أرسم رسماً يعرف به الصواب من الخطأ.

فأخذ أبو الاسود النحو عن عليّ (ع) ولم يظهره لاحد.

ثم إن زيادا سمع بشيء مما عند أبي الاسود(٨٧)، ورأى اللحن قد فشا، فقال لابن الاسود: أظهر ما عندك ليكون للناس إماماً. فامتنع من ذلك، وسأله الاعفاء، حتّى سمع أبو الاسود قارئاً يقرأ: (أن الله بريء من المشركين ورسوله) بالكسر، فقال: ما ظننت أمر الناس آل إلى هذا. فرجع إلي زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فليغني(٨٨) كاتبنا لقتنا(٨٩) يفعل ما أقول، فأتى بكاتب من عبد القيس(٩٠)، فلم يرضه، فأتى بكاتب آخر - قال المبرد: أحسبه منهم - فقال له أبو الاسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت فمي، فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت، فاجعل نقطة من تحت الحرف، وإن مكنت(٩١) الكلمة بالتنونين فاجعل أمارة ذلك نقطتين، ففعل ذلك، وكان أول ما وضعه لهذا السبب.

وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أن أول من وضع النحو عليّ ابن أبي طالب - كرم الله وجهه - وأخذ عنه أبو الاسود الدؤلي، وأخذ عن أبي الاسود الدؤلي نصر بن عاصم البصري، وأخذ عن نصر أبو عمرو بن العلاء البصري، وأخذ عن أبي عمرو الخليل بن أحمد، وأخذ عن الخليل(٩٢) سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(٩٣)، وأخذ عن سيويه أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، وأخذ عن الأخفش أبو عثمان بكر بن محمّد المازني الشيباني وأبو عمر الجرمي، وأخذ عن المازني والجرمي أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد، وأخذ عن المبرد أبو إسحاق الزجاج وأبو بكر بن السراج، وأخذ عن ابن السراج أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي(٩٤).

وكذلك وجدت أتم الروايات وأصوبها ما رواها أبو عبد الله ياقوت الحموي بسنده عن أبي الاسود الدؤلي، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) فرأيتَه مطرفاً مفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية.

فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحببتنا، وبقيت فينا هذه اللغة.

ثم أتيت بعد أيام فألقى إليّ صحيفة فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام كله اسم وفعل وحرف، والاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال لي: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الاسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر. قال: فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه، وكان من ذلك حروف النصب، فكان منها إنّ وأن وليت ولعل

وكان ولم أذكر لكن. فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بل هي منها فزدها فيها(٩٥).

٨٤ في الاصل: ((فيما تفكر)).

٨٥ في رواية ياقوت عن الزجاج: ((إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللّغة)) معجم الأدباء ١٤ / ٤٩.

٨٦ وكذا في معجم الأدباء ١٤ / ٤٩؛ وفي نزهة الالباء ص ٥: ((أن الاسماء))، وهو أوفق.

٨٧ أي علم النحو الذي أخذه عن الامام عليّ كما مرّ بنا خبره.

٨٨ يقال: أبغني الشيء، أي أعني على طلبه.

٨٩ اللقن: سريع الفهم.

٩٠ عبدالقيس: قبيلة من أسد، وكانت ديارهم في تهامة، ثمّ خرجوا منها إلى البحرين.

٩١ في أخبار النحويين للسيرافي ص ١٦: ((فإن أتبعنا شيئاً من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين)).

٩٢ زيادة تقتضيها صحّة الرواية، ولم يذكر أحد من واضعي التراجم أن سيويه أخذ عن أبي عمرو بن العلاء. والروايات تجمع على أنّه أخذ عن الخليل، وهذا أخذ عن أبي عمرو بن العلاء. أنظر ابن خلكان ٣ / ١٣٣؛ وابن كثير ١١ / ٧٠.

٩٣ قنبر، بضم ثمّ فتح وسكون. كذا ضبطه في تاريخ العروس ٣ / ٥٠٨.

٩٤ القفطي؛ أنباه الرواة تأليف أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ١ / ٤ - ٦ ط. القاهرة سنة ١٣٦٩.

٩٥ معجم الأدباء (١٤ / ٤٩ - ٥٠)؛ وراجع أنباه الرواة للقفطي ١ / ٤.

سبب وضع النحو:

وسبب وضع عليّ (ع) لهذا العلم ما روى أبو الاسود قال: دخلت على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) فوجدت في يده رقعة. فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسر بمخالطة هذه الحمراء ((يعني الاعاجم)) فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه. ثمّ ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب ((الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما جاء لمعنى)) وقال لي: أنح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك. واعلم يا أبا الاسود أنّ الاسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الاسود في ما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم الميهم.

ثمّ قال: وضعت بابي العطف والنعته، ثمّ بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب (إن وأخواتها) ما خلا لكن فلما عرضتها على عليّ (ع) أمرني بضم لكن إليها، وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه (ع) إلى أن حصلت ما فيه الكفاية قال: ((ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت)) فلذلك سمي النحو.

وكان أبو الاسود ممّن صحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) وكان من المشهورين بصحبته ومحبته ومحبّة أهل بيته وفي ذلك يقول:

يقول الازدولون بنو قشير

طوال الدهر لاتنسى عليا

فقلت لهم فكيف يكون تركي

من الاشياء ما يحصى عليا
أحب محمداً حُباً شديداً
وعبّاساً وحمزة والوصيا
فإن يك حُبهم رشداً أُصبه
وفيهم اسوة إن كان غيا
فكم رشداً أصبت وحزت مجداً
تقاصر دونه هامُّ التُّريا

وكان ينزل البصرة في بني قشير، وكانوا يترجمونه بالليل لمحبتته علياً وأهل بيته فاذا ذكر رجمهم له قالوا: ان الله يترجمك.
فيقول لهم تكذبون، لو رجمني الله أصابني. ولكنكم ترجمون فلا تصيبون.

وروى ان سيب وضع علي (ع) بهذا العلم انه سمع اعرابيا يقرأ: لا يأكله إلا الخاطئين، فوضع النحو.

وفي نزهة الالباء في طبقات الأدباء، ذكر من نسب وضع علم النحو لغير الامام عليّ، ثم قال:

والصحيح ان أول من وضع النحو عليّ بن أبي طالب (ع)، لان الروايات كلها تسند إلى أبي الاسود، وأبو الاسود يسنده إلى عليّ،
فأثره روي عن أبي الاسود أنه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ قال: لفتت حدوده من عليّ ابن أبي طالب (٩٦).

* * *

وبعد أن علم الامام علي (ع) أبا الاسود علم النحو أخذ من أبي الاسود من جاء بعده جيلاً بعد جيل ، ورجح عندنا تسلسل طبقات
التحويين كما رسمناه في الجدول الاتي بعيد هذا.

نزهة الالباء في طبقات الأدباء، ص ١٨ - ٢٢ 96

من أخذ النحو عن أبي الاسود:

قال ابن الانباري:

وأخذ عن أبي الاسود عنبسة الفيل (٩٧)، وميمون الاقرن (٩٨)، ونصر بن عاصم وعبدالرحمن بن هرمز (٩٩)، ويحيى بن
يعمر... (١٠٠).

وقال في آخر الكتاب...

وأخذه سيبويه عن الخليل بن أحمد، وأخذه الخليل (١٠١) عن عيسى بن عمر، وأخذه عيسى بن عمر عن ابن أبي إسحاق، وأخذه
ابن أبي إسحاق عن ميمون الاقرن، وأخذه ميمون الاقرن عن عنبسة الفيل عن أبي الاسود الدؤلي، وأخذه أبو الاسود الدؤلي عن
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رض) على ما قدمناه في أول الكتاب (١٠٢).

ج - القرّاء

من أخبار القرّاء في عصر الامام علي:

وبلغ كثرة القرّاء في البلاد الاسلامية إلى حد أنه خرج على الامام علي بعد تحكيم الحكمين ثمانية آلاف من قرّاء الناس من بلد

وبسبب كل ما ذكرنا، ولم يكن يولد مولود في أي بقعة أرض من أراضي المسلمين ولا يعتنق الاسلام انسان ما على وجه الارض منذ عصر الرسول (ص) حتي عصر الامام علي (ع) إلا وبشترك مع سائر المسلمين في حلبة السياق في تقارؤ القرآن مؤمنا كان أم منافقا فالمؤمن طلبا لرضا الله، وأمّا المنافق طلبا للشهرة في مجتمع كان القرآن فيه ميزانا للمفاضلة بين أهله، ولذلك لما انتشرت الفتوح في عصر الخليفة عمر بلغ عدد القراء بين المسلمين عدد لا يحصيه غير الله سبحانه.

د - حصيلة الاخبار

أثار تأسيس علم النحو:

أ - حفظ النص القرآني من التحريف والتغيير منذ عصره إلى اليوم وإلى أبد الدهر.

ب - استفادة الأمم الاسلامية من ضبط الكلمات بالحركات الاعرابية في لغاتها أبد الدهر كما يرى ذلك في الجدول الاتي:

٩٧ عنيسة بن معدان الفيل، أنظر الزبيدي، طبقات النحويين: ٢٤، ياقوت الحموي، معجم الأدباء ٦ / ٩١.

٩٨ ميمون الاقرن النحوي، أنظر السيوطي، بغية الوعاة ٤٠١، الزبيدي، طبقات: ٢٤، با، أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين ٢٠، ياقوت، إرشاد، ١٩ / ٣٠٩.

٩٩ عبدالرحمن بن هرمز المتوفى ١١٧هـ أنظر السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٢١؛ السمعاني، الانساب: ١٤٤؛ السيوطي، البغية: ٣٠٣؛ ابن الاثير، الكامل ٤ / ٢٢٤، ابن عساكر ٢٣ / ٤٦٣؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ ١ / ٩١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦ / ٢٠٩؛ ابن العماد، شذرات الذهب ١ / ١٥٣؛ الزبيدي، طبقات: ٢٠؛ ابن سعد، طبقات ٥ / ٢٠٩؛ ابن الجزري، طبقات القراء ١ / ٣٨١؛ النديم، الفهرست ٣٩.

١٠٠ نزهة اللبّاء في طبقات الأدباء، ص ٢٢.

١٠١ الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، الأزدي كان إماما في النحو وهو أول من استخرج علم العروض وله من الكتب: كتاب العين في اللغة وكتاب العروض وكتاب النقط والشكل ومنه أخذ سيبويه علم النحو وكان رجلاً صالحاً عاقلاً حليماً وقوراً، توفي سنة ١٧٠هـ كما في ترجمته في الفهرست ص ٤٨ وقال غير ذلك ابن خلكان في ترجمته لوفيات الاعيان ٢ / ١٥ - ١٩.

١٠٢ نزهة اللبّاء في طبقات الأدباء، ص ٣٠٢.

١٠٣ تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ١٨٥، في ذكر حوادث سنة ٢٨هـ.

خلاصة أخبار المجتمع والقرآن على عهد الامام علي

بيعة الامام علي:

قتل عثمان ورجع إلى المسلمين أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم فأتاه أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الامر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله (ص) فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا عن رضا المسلمين...

فأسقط في يد طلحة والزبير وجاء مع المهاجرين والانصار وسبقهم طلحة في البيعة، وعندما تمت البيعة أمر أن يوزع ما في بيت المال عليهم وأن يعطي كلّا منهم ثلاثة دنانير ولم يفضل المهاجرين والانصار على الموالي فلم يقبل ذلك جماعة في مقدمتهم طلحة والزبير ودخلا المسجد وجلسا ناحية عن الامام علي وانضم إليهم بنو أمية؛ وبلغ أمر المؤمنين عائشة خبر قتل عثمان في طريق عودتها من الحج إلى المدينة وكانت واثقة أن يلي الامر ابن عمها طلحة وحثت على السير وإذا بها تخبر بأن الامام علياً يبيع فنادت ردوني إن عثمان قتل مظلوماً، قتله علي.

وفي المدينة طلب طلحة والزبير أن يوليها الامام البصرة والكوفة فأبى أن يفعل فخرجا مع ثلة من بني أمية والتحقوا بعائشة وذهبوا جميعاً إلى البصرة يطالبون علياً بدم عثمان، ولما قامت الحرب رمى مروان طلحة بسهم فقتله طلباً بثار عثمان، ولما انتهت أرجع

الامام أمّ المؤمنين بكل احترام إلى بيتها في المدينة وذهب إلى الكوفة واتخذها كرسي دولته.

وطلب معاوية من الامام أن يوليه الشام كي يأخذ البيعة له فأبى الامام من ذلك فنشر بينهم أنّ الامام قتل عثمان وباسم الطلب بدم الخليفة عثمان أقام حرب صفين، ولما بان النصر لجيش الامام كرّر طلبه بامارة الشام فأبى من ذلك فأمر برفع المصاحف على الرماح يدعو الامام وجيشه بالرجوع إلى حكم القرآن فأنخدع بذلك قرّاء أهل الكوفة وأجبروا الامام على قبول ذلك فأخبرهم الامام أنها خدعة من معاوية فأصروا على ذلك وأنهم سيقتلون الامام إن لم يقبل بحكم القرآن فاضطر إلى قبوله، وكتب بين الجانبين بذلك كتاب أن يعين كل فريق حكم يجتمعان ويقرران ما يحكم به القرآن فعين معاوية من جانبه عمرو بن العاص وأراد الامام أن يعين من جانبه ابن عباس فأبى القرّاء وأراد - أيضا - أن يعين الاشتهر فأبوا ورشحوا أبا موسى الاشعري فأخبرهم الامام أنّه لا يثق به فأبوا إلا أن يعينه حكما ففعل ولما اجتمع الحكمان خدع عمرو، أبا موسى واتفقا على أن يخلعا عليا ومعاوية ويتركا الامر للمسلمين ليعينوا الخليفة بالشورى فقدّم عمرو أبا موسى للكلام فقال خلعت عليا ومعاوية وتركتم الامر شورى بين المسلمين، فتقدم عمرو وقال: إن أبا موسى خلع عليا وأنا أخلعه وأعين معاوية خليفة فأدرك أبو موسى الخدعة وتفرقا يتسابان ولما بان للقرّاء خطأهم قالوا: أخطأنا بتحكيم الرجال وكفرنا ولا حكم إلا لله ونتوب إلى الله من الكفر ثم رموا الجانبين بالكفر وطلبوا من الامام علي أن يعترف بأنه كفر ثم يتوب إلى الله ولما أبى كفره وكفروا عامة المسلمين وخرجوا إلى النهروان - بين بغداد وواسط - بقصد قتال المسلمين فخرج إليهم الامام وحاججهم فرجع منهم فريق وقاتل من بقي وقتلهم ثم رجع إلى الكوفة.

* * *

كيفية حكم الامام عليّ في الكوفة وشأنه مع القرّاء والقرآن وحديث الرسول (ص) ساوى الامام عليّ في حكمه بين المسلمين ولم يفضل أحدا علي أحد وخالفه معاوية ففضل أشرف القبائل على من دونهم ووزع فيهم الصلّات والجوائز؛ فانتشر التذمر من حكمه بين وجهاء القبائل وأشرفها فتفرقوا عنه والتحق بعضهم بمعاوية، وكان يؤزّع بيت المال عليهم بالسوية في كل أسبوع.

نشر الامام تفسير القرآن:

تكرر خطاب الامام للناس وهو على المنبر بأمثال قوله:

سلوني قبل أن تفقدوني فوالله ما بين لوعي المصحف آية تخفى عليّ في ما أنزلت ولا أين نزلت ولا ما عني بها.

وأقاموا على الامام حربي الجمل وصفين. وأيضا بسبب عدله اجتمع عليه أصحاب الورع والتقوى من صحابة الرسول (ص)؛ فقد روى ابن أعثم عن سعيد ابن جبير وغيره أنّه كان مع علي في حرب صفين ثمانمائة رجل من الانصار وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة فيهم ثمانون بدرية (1) ولم يكن مع معاوية من الانصار غير نعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد (2)، وبعد صفين جاور هؤلاء مع الامام علي في الكوفة وأتاح لهم الامام فرصة نشر حديث الرسول (ص) بعد أن منعوا عن روايتها خمس وعشرون سنة وحرضهم على ذلك، فسمع حديث الرسول (ص) من أفواه الصحابة آلاف التابعين ومن التابعين أتباع التابعين وهكذا دواليك حتى عصر التأليف بمدرسة الخلفاء حيث دُوّنت تلك الاحاديث في كتب الحديث وأصبحت الكوفة منذ عصر الامام عاصمة العلم، ولولا حكم الامام وفتح أبواب الحديث التي كانت موصدة خمسا وعشرين سنة لما بلغت تلك الاحاديث أبد الدهر، وأصبحت الكوفة بانتشار خطب الامام فيها ونشر احاديث الصحابة علوية ومنها انتشر التشيع لعلي في امتداد البلاد الاسلامية وخاصة البلاد الايرانية التي كانت الكوفة حاضرتها.

نتيجة البحوث:

كان الاقراء على عصر الرسول (ص) تعليم عشر آيات لا يتعدون العشرة حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل أي يتعلموا ما أوحى إلى الرسول (ص) في بيان الايات وكذلك جاء في وصف من كان يبعثهم الرسول (ص) للاقراء ليقرّئهم القرآن ويفقههم في الدين. أي: يعلمهم ما جاء في تفسير الايات عن الرسول (ص) من فقه الدين أي: فهم الدين، وعلى ذلك فإن القرّاء الذين تعلموا القراءة في عصر الرسول (ص) كانوا فقهاء في الدين، ولما جردوا القرآن بعد الرسول (ص) عن حديث الرسول (ص) أصبح القرّاء بعد الرسول (ص) يتعلمون تلاوة لفظ القرآن وبتلونها ولهم دويّ في تلاوة القرآن كدويّ النحل، وفي القرآن آيات متشابهة بحاجة إلى أخذ تفسيرها من حديث الرسول (ص)، ولما منعوا عن بيان حديث الرسول (ص) في الاقراء تخرّج جيل من القرّاء لم يتفقهوا في الدين ورموا عامّة المسلمين بالشرك.

ولما جرح الامام في محرابه واستشهد تغلب على الحكم بطن أمية من قريش، وأسست في الاسلام ملكا عضوا كحكم القياصرة والاكاسرة يرثه الخلف عن السلف، كما أوصاهم بذلك شيخهم أبو سفيان عندما دخل على الخليفة عثمان أول ما استخلف، وكان ذلك من خصائص حكمهم إلى خصائص أخرى سندرسها بإذنه - تعالى - في ما يأتي.

خصائص المجتمع الاسلامي على عهد بني أمية

أولاً - على عهد الخليفة معاوية:

سياسة معاوية مع الانصار

أ - دخول الانصار على معاوية:

قال أبو الفرج الاصفهاني ما موجزه:

حضرت وفود الانصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو ذرّة، فقالوا له: استأذن للانصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، وقال: الانصار بالباب. فقال عمرو: ما هذا اللقب الذي قد جعلوه نسبا يا أمير المؤمنين؟ أردد القوم إلى أنسابهم، فقال [له معاوية: إني أخاف من ذلك الشنعة، فقال]: هي كلمة تقولها إن مضت عزّتهم ونقصتهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الانصار، فنظر معاوية إلى عمرو نظر منكر، فقال له: باعدت جدّا، فقال: اخرج فقل: من كان هاهنا من الاوس والخزرج فليدخل.

فخرج فقالها [فلم يدخل أحدٌ، فقال معاوية: أخرج فقل: من كان هاهنا من الانصار فليدخل، فخرج فقالها] فدخلوا يقدمهم النعمان وهو يقول:

يا سعد لا تُعدّ الدّعاء فما لنا

نسبٌ نجيب به سوى الانصار

نسبٌ تخيره الاله لِقومنا

أثقل به نسبا على الكفّارِ

إنّ الذين تَوَوّأ بيدي منكم

يَوْمَ القليب هم وِقودُ النارِ

وقام مغضبا فانصرف. فبعث معاوية فردّه وترصّاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الانصار.

فقال معاوية لعمرو: كتأ أغنياء عن هذا(٣).

ب - سفر معاوية إلى المدينة:

ولما صار إلى المدينة أنه جماعة من بني هاشم، وكلّموه في أمورهم، فقال: أما ترضون يا بني هاشم أن نفرّكم على دمائكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون؟ فوالله لانتتم أحلّ دما من كذا وكذا، وأعظم في القول. فقال له ابن عباس: كلّ ما قلت لنا يا معاوية من شرّ بين دفتيك، أنت والله أولى بذلك منّا، أنت قتلت عثمان، ثمّ قمت تغمص على الناس أنّك تطلب بدمه. فانكسر معاوية... الحديث. ثمّ كلمه الانصار، فاغليظ لهم في القول، وقال لهم: ما فعلت نواضحكم؟ قالوا: أفيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدك وخالك؛ ولكننا نفعل ما أوصانا به رسول الله (ص). قال: ما أوصاكم به؟ قالوا: أوصانا بالصبر. قال: فاصبروا.

ثمّ أدلج معاوية إلى الشام ولم يقض لهم حاجة(٤).

٤ تاريخ اليعقوبي ط. بيروت ٢ / ٢٢٣، والنواضح، مفردھا الناضح: البعير يستقى عليه.

سياسة معاوية مع علي بن أبي طالب (ع)

قال كتب معاوية إلى علي بن أبي طالب:

يا أبا الحسن ان لي فضائل كثيرة. وكان أبي سيدا في الجاهلية، وصرت ملكا في الاسلام واخا صهر رسول الله (ص) وخال المؤمنين وكتب الوحي، فقال علي:

أبالفضائل يفخر عليّ ابن أكلة الاكباد ثمّ قال اكتب يا غلام:

محمد النبي أخي وصهري

وحمرّة سيد الشهداء عمّي

وجعفر الذي يمسي ويضحى

يطير مع الملائكة ابن أمّي

وبنت محمد سكني وعرسي

منوط لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها

فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الاسلام طرا

صغيرا ما بلغت أو ان حلمي

فقال معاوية اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلى ابن أبي طالب(ع).

حتى إذا استشهد الامام علي وصفا له الجوّ عاش عيشة كسرى وقيصر كما رواه المؤرخون، مثل اليعقوبي الذي قال:

بترجمة معاوية من تاريخه (٢ / ٢٢٣ - ٢٣٤) ما موحزه:

وكان معاوية أول من أقام الحرس والشرط والبوابين في الاسلام وأرعى الستور، واستكتب النصارى، ومُشي بين يديه بالحرايب، وأخذ الزكاة من الاعطية، وجلس على السرير والناس تحته، وشيّد البناء، وسخر الناس في بنائه، ولم يسخر أحد قبله، واستصفى أموال الناس، فأخذها لنفسه، وكان يقول: أنا أول الملوك.

وأخرج من كل بلد ما كانت ملوك فارس تستصفيه لانفسها من الضياع العامرة، وجعله صافية لنفسه، فأقطعه جماعة من أهل بيته، وكان صاحب العراق يحمل إليه من مال صوافيه مائة ألف درهم.

وفعل بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفا ما كان للملوك من الضياع وتصبيرها لنفسه خالصة، وكان أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا، حتى بمكة والمدينة.

وقال في (ج ٢ / ٢١٨) ما موحزه:

(وولّى معاوية عبدالله بن درّاج مولاة خراج العراق فكتب إليه: أنّ الدهاقين اعلموه أنّه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتوبون مالها لانفسهم ولا تجري مجرى الخراج، فكتب إليه: أنّ أحص تلك الصوافي، واستصفها، واضرب عليها المسنّيات.

فأمّر فأتى بالديوان من حلوان، واستخرج منه كلّ ما كان لكسرى وآل كسرى، وضرب عليه المسنّيات، واستصفاه لمعاوية، فبلغت جبايته خمسين الف درهم من ارض الكوفة وسوادها، وكتب إلى واليه بالبصرة بمثل ذلك وأمرهم ان يحملوا إليه هدايا النبروز،

والمهرجان، فكان يحمل إليه في النيروز وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف ألف).

وإنما استطاع معاوية ان يفعل في سلطانه ما يشاء ونتيجة ابعاده من الشام صحابة الرسول (ص) ولم يكن في جيشه عندما قاتل الامام علياً في صفين من أنصار الرسول الله (ص) غير اثنين، فقد روى اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١٨٨) وقال:

وكان مع علي يوم صفين من أهل بدر سبعون رجلاً، وممّن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والانصار أربعمائة رجل، ولم يكن مع معاوية من الانصار إلا النعمان بن بشير، وسلمة بن مخلد.

* * *

اتخذ معاوية بديلاً من أصحاب رسول الله (ص) بطانة مثل ابن أثال الطبيب النصراني.

قال اليعقوبي في تاريخه:

واستعمل معاوية ابن أثال النصراني على خراج حمص، ولم يستعمل النصراني أحد من الخلفاء قبله وقد وصفه ابن عبد البر الطبيب اليهودي.

وقال في ترجمة عبد الرحمن بن خالد من الاستيعاب (٦) ما موجزه:

إن معاوية لما أراد البيعة ليزيد، ورأى رغبة أهل الشام في عبدالرحمن بن خالد أمر طبيبا عنده يهوديا، وكان عنده مكينا أن يأتيه، فيسقيه سقية يقتله بها ففعل.

وكان الاخطل الشاعر النصراني شاعر الامويين منذ عهد معاوية، وأمره يزيد أن يهجو الانصار فهجاهم في أبيات قال فيها (٧):

ذهبت قريش بالمكارم كلها

واللؤم تحت عمائم الانصار (٨)

* * *

كان ما ذكرناه جزءا من خصائص المجتمع على عهد معاوية.

ويتصل ببحث خصائص المجتمع على عهد معاوية سياسة حكمه في رواية حديث الرسول (ص)، ولعلّ ممّا بدأ عهده ما رواه الخطيب البغدادي أن معاوية قال على المنبر بدمشق: أيها الناس! إيّاكم واحاديث رسول الله (ص) إلا حديثا كان يذكر على عهد عمر (٩).

ولم يكتف بهذا بل كان من أمر الحديث على عهده ما رواه الطبري (١٠) وقال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه، وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتمادا على بصرك، ولست تاركا إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لاصحاب عليّ، والاقصاء لهم، والاطراء لشبيعة عثمان، والإدناء لهم، فقال له المغيرة: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك، فلم يذممني، وستبلو فتحمّد أو تذم، فقال: بل تحمّد إن شاء الله.

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الاحداث، وقال:

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روى شيئا من فضل أبي تراب، وأهل بيته،.... وكان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة (١١).

وقال: كتب معاوية (١٢) إلى عمّاله في جميع الافاق: ألا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيّه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته.

ف فعلوا ذلك، حتى كثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطن، ويُفضيه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدينا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فليثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عمّاله أن الحديث في عثمان قد كثرت وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء

الأولين، ولا تركوا خيرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة فإن هذا أحب إليّ وأقرّ إلى عيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، فقُرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتابيب فعلموا صيانهم وعلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه، وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وعلموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله...، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة...)) الحديث(١٣).

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: ((إن أكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم)) (١٤).

وروى ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الاسكافي(١٥) وقال: ((إن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ (ع) تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله)).

وروى في هذا الصدد عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث أخرجه البخاري(١٦) ومسلم في صحيحهما مسندا متصلا بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله يقول جهارا غير سر(١٧): ((إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين)).

وفي البخاري بعده بطريق آخر عنه: (ولكن لهم رحما أبلها ببلالها) - يعني أصلها بصلتها - انتهى.

كانت تلكم رواية ابن أبي الحديد عن صحيح البخاري، وفي طبقات البخاري في عصرنا بدل لفظ (آل أبي طالب) ب: (آل أبي فلان).

وروى الطبري أنّ المغيرة بن شعبة أقام سبع سنين وأشهرها في الكوفة لا يدع ذمّ عليّ والوقوف فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه(١٨)، غير أنّ المغيرة كان يداري، فيشتدّ مرّة، ويلين أخرى.

وروى الطبري: أنّ المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة أميرا على الكوفة من قبل معاوية: ((إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئا من فضل عليّ علانية، فإنك لست بذاكر من فضل عليّ شيئا أجعله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا ممّا أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدا ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكرة فضله، فاذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلكم سرا، وأمّا علانية في المسجد، فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا به...)) (١٩) الحديث.

وقال اليعقوبي(٢٠) ما موحزه:

وكان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما من شيعة علي بن ابي طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية وهم يلعنون عليا على المنبر، يقومون فيردون عليهم، ويتكلمون في ذلك.

فلما قدم زياد الكوفة وجّه صاحب الشرطة إليهم، فأخذ جماعة منهم فقتلوا، وهرب عمرو بن الحمق الخزاعي إلى الموصل وعدة معه، وأخذ زياد حجر بن عدي الكندي وثلاثة عشر رجلا من أصحابه، فأشخصهم إلى معاوية، فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، ووزروا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، وأنفذ شهادات قوم، فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثم وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلّمه قوم في سبّتهم منهم، فأخلى سبيلهم، وأمر أن يعرض على الباقي البراءة من علي واللعن له فقالوا: إن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، فإبرأوا منه نخلّ سبيلكم!

قالوا: اللهمّ لسنا فاعلي ذلك!

فحفروا لهم قبورهم وأدّنت أكفانهم، فقاموا الليل كلّه يصلون، فلما أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من علي، فقالوا: نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلا يقتله فقال حجر: دعوني أتوضأ وأصلي.

فلما أتمّ صلواته قتلوه وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة مع حجر. فلما بلغوا عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن العفيف الخثعمي قالوا: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مقالته. فبعثوا بهما إلى معاوية فلما دخلا عليه، قال معاوية للخثعمي: ما تقول في علي؟ قال أقول فيه قولك! قال تبرأ من دين علي؟ فسكت، فقام ابن عم له فاستوهبه من معاوية، فحبسه شهرا ثمّ خلّى سبيله على أن يذهب إلى الكوفة.

أمّا العنزي فقد قال له: يا أبا ربيعة! ما قولك في علي؟ قال: أشهد أنّه كان من الذاكرين لله كثيرا ومن الامرين بالحقّ والقائمين بالقسط والعافين عن الناس.

قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحقّ. قال قتلته نفسك. قال: بل إياك قتلت، فبعث معاوية

إلى زياد وكتب إليه: أمّا بعد، فإن هذا العنزى شرٌّ من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها واقتله شرّ قتلة.

فلما قدم به على زياد فبعث زياد به إلى قسّ الناطف فدفن به حيًّا (٢١).

ومن قصص زياد بن أبيه في هذه المعركة أيضا ما وقع بينه وبين صيفي بن فسيل، فإنه أمر فجيء به إليه، فقال له: يا عدوّ الله! ما تقول في أبي تراب؟

قال: ما أعرف أبا تراب.

قال: ما أعرفك به!

قال: ما أعرفه.

قال: أما تعرف عليّ بن أبي طالب؟!

قال: بلى.

قال: فذاك، - وبعد محاورة بينهما - قال: عليّ بالعصا، فقال: ما قولك في عليّ؟

قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين، قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالارض؛ فضرب حتى ألصق بالارض، ثمّ قال: أفلعوا عنه، فتركوه، فقال له: إيه ما قولك في عليّ؟

قال: والله لو شرطتني بالمواسي والمُدَى ما قلت إلا ما سمعت منّي، قال لتلعننّه أو لاضرِبَنَّ عنقك، قال: إذا والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتشفى، قال: ادفعوا في رقبتة، ثمّ قال: أوفروه حديدا واطرحوه في السجن، ثمّ قتل مع حجر (٢٢).

وكتب إلى معاوية في رجلين حضرميين (٢٣) أتتهما على دين عليّ ورأيه، فأجابته: من كان على دين علي ورأيه فاقتله، ومثّل به.

فصليهما على باب دارهما بالكوفة (٢٤).

كما أمره بدفن الخثعميّ الذي مدح عليّا وعاب عثمان حيًّا، فدفنه حيًّا (٢٥).

وختم حياته بما ذكره المسعودي، وابن عساكر، قال ابن عساكر:

جمع أهل الكوفة، فملا منهم المسجد والرُّحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من عليّ (٢٦).

وقال المسعودي: وكان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن عليّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف، ثمّ ذكر أنّه أصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم.

وكان عمرو بن الحمق الخزاعيّ ممن أصابه التشريد والقتل في هذه المعركة، فإنه فرّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه، فحزّوا رأسه، وحملوه إلى معاوية، فأمر بنصبه في السوق، ثمّ بعث برأسه إلى زوجته في السجن - وكان قد سجنها في هذا السبيل فآلقي في حجرها (٢٧).

عمّت هذه السياسة البلاد الاسلامية، واتّبعها ونقّذها غير من ذكرنا من الأمراء أيضا، كبسر بن أبي أرطأة في ولايته البصرة، وابن شهاب في الري (٢٨). فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون، ثمّ أصبحت هذه سياسة بني أمية التقليدية، ولعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق والغرب ماعدا سجستان، فإنه لم يُلعن على منبرها إلا مرة، وامتنعوا على بني أمية، حتى زادوا في عهدهم أن لا يُلعن على منبرهم أحدٌ في حين كان يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة (٢٩).

وقد كانوا يلعنون عليّا على المنابر بمحضر من أهل بيته، وقصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر (٣٠) في تطهير اللسان، وقال:

إنّ عمرا صعد المنبر، فوقع في عليّ، ثمّ فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقيل للحسن: إصعد المنبر لتردّ عليهما، فامتنع إلا أن يعطوه

عهدا أن يصدقوه إن قال حقًا، ويكذبوه (٣١) إن قال باطلا.

فأعطوه ذلك، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنشدك الله يا عمرو! يا مغيرة! أنعلمان أنّ رسول الله (ص) لعن السائق والقاتل أحدهما فلان؟ قال: بلى، ثم قال: يا معاوية! ويا مغيرة! ألم تعلمنا أنّ النبي (ص) لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة؟ قال: اللهم بلى... الحديث.

ولما كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنّة، وقدموا الخطبة على الصلاة.

قال ابن حزم في المحلّى (٣٢):

أحدث بنو أميّة تقديم الخطبة على الصلاة، واعتلّوا بأنّ الناس كانوا إذا صلّوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنهم كانوا يلعبون علي بن أبي طالب (ع) فكان المسلمون يفرّون، وحقّ لهم ذلك.

وروى المسعودي وقال ما موجزه:

لما حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه علي سريره، ووقع في علي وشرع في سبّه، فزحف سعد، ثم قال: أجلستنني معك على سربرك، ثم شرعت في سبّ علي؟!

والله لان يكون فيّ خصلة واحدة من خصال عليّ أحبّ إليّ، ثم ساق الحديث باختلاف يسير، وذكر في آخره أنّه قال: وأيم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت، ثم نهض (٣٣).

أمّا ابن عبد ربّه، فقد أورده باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد وقال (٣٤):

((ولمّا مات الحسن بن عليّ حجّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن يلعن عليا على منبر رسول الله (ص) فقبل له: إنّ هاهنا سعد بن أبي وقاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لاخرجنّ من المسجد ثم لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد.

فلمّا مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أمّ سلّمة زوجة النبيّ (ص) إلى معاوية: أنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن أحبّه، وأنا أشهد الله أنّ الله أحبّه، ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها)) انتهى (٣٥).

وقال ابن أبي الحديد:

روى أبو عثمان - الجاحظ - أيضا أنّ قوما من بني أميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين! إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل!

فقال: لا والله، حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاك فضلا (٣٦).

روى الزبير بن بكار وقال:

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيتُه مغتَمًا، فانتظرتُه ساعة، وظننتُ أنّه لامر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتَمًا منذ الليلة؟

فقال: يا بني! جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنك بلغت سيئًا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إختك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم، فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر.

وإنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمّدا رسول الله) فأى عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك؟

- ٥ تاريخ دمشق لابن عساكر مخطوطة مصورة المجمع العلمي الاسلامي ١٢ / ٢ / ص ١٩٩ ب - ٢٠٠٠ أ.
- ٦ الاستيعاب (٢ / ٣٩٦).
- ٧ الاغانى (١٤ / ١١٨).
- ٨ الاغانى (١٦ / ٨).
- ٩ الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث ص ٩١.
- ١٠ في حوادث سنة إحدى وخمسين من الطبري ٦ / ١٠٨، وط. أوربا ٢ / ١١٢ - ١١٣ وابن الاثير ٣ / ٢٠٢.
- ١١ شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. مصر الأولى، ٣ / ١٥ - ١٦. ومنه نقل كل ما نقل من شرح ابن أبي الحديد.
- ١٢ قد نقل كتاب معاوية هذا أيضا أحمد أمين في فجر الاسلام ٣٧٥.
- ١٣ في شرح (من كلام له، وقد سأله سائل عن أحاديث البدعة) من شرح النهج ٣ / ١٥ - ١٦، ذكر ابن أبي الحديد الروائين المرويتين عن (المدائني). وهو أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله (ت ٥٣١٥هـ) ذكر له النديم في الاحداث ٢٥ كتابا (الفهرست ص ١١٥).
- ١٤ المصدر السابق؛ وص ٢١٣ من فجر الاسلام. ونفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الازدي قال في ترجمته بتاريخ بغداد: كان صدوقا له مصنفات كثيرة. وقال المسعودي في ذكر المؤرخين وأصحاب الاخبار في أول كتابه مروج الذهب، ١ / ٢٣: وكذلك تاريخ أبي عبدالله الملقب بنفطويه فمخشو من ملاحه كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تأليفا وأملحهم تصنيفا وذكر أسماء مؤلفاته في هديّة العارفين ص ٥ وقال (ت ٥٣٢٣).
- ١٥ شرح النهج ط. مصر الأولى، ١ / ٢٥٨. والاسكافي نسبة إلى الاسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط. وأبو جعفر الاسكافي في مادة الاسكاف من معجم البلدان عداده في أهل بغداد أحد المتكلمين من المعتزلة (ت ٥٢٠٤هـ) وقال ابن حجر في ترجمته: محمد بن عبدالله الاسكافي، من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم، وإليه تنسب الطائفة الاسكافية منهم، وهو بغدادى أصله من سمرقند، قال ابن النديم: كان عجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونيل الهمة والنزاهة، بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد، وكان المعتصم يعظمه. وله مناظرات مع الكرابيسي وغيره. توفي سنة ٢٤٠هـ، لسان الميزان، ٥ / ٢٢١.
- ١٦ قد ذكر البخاري هذا الحديث في صحيحه ٤ / ٢٤ كتاب الادب، باب يبل الرحم ببلالها بطريقين عن ابن العاص. وفي ط البخاري كتى عن آل أبي طالب قال آل أبي فلان.
- ١٧ هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن ابن العاص وكنى - أيضا - وقال آل أبي فلان. ومسلم ١ / ١٣٦ كتاب الايمان موالة المؤمنين ومقاطعة غيرهم.
- ١٨ الطبري ط. أوربا ٢ / ١١٢.
- ١٩ الطبري ط. أوربا ٢ / ٢٨؛ وابن الاثير ٣ / ١٧١ ط. مصر.
- ٢٠ اليعقوبي ٢ / ٢٣٠.
- ٢١ أوردناها موجزة من عبدالله بن سبأ ٢ / ٢٨٤ - ٢٠٣، وفي ترجمة حجر من تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيبه تفصيل الخبر.
- ٢٢ الطبري، ٦ / ١٠٨ و ١٤٩، وابن الاثير ٣ / ٢٠٨، والاغانى ١٦ / ٧، وابن عساكر ٦ / ٤٥٩.
- ٢٣ نسبة إلى حضرموت من بلاد اليمن.

٢٤ المحبر، ص ٤٧٩.

٢٥ راجع قصة حجر بن عدي في عبدالله بن سبأ.

٢٦ المسعودي في أيام معاوية ٣ / ٣٠، وابن عساكر ٥ / ٤٢١.

٢٧ المعارف لابن قتيبة ٧ / ١٢، والاستيعاب ٢ / ٥١٧، والاصابة ٢ / ٥٢٦، وتاريخ ابن كثير ٨ / ٤٨، والمحبر، ص ٤٩٠.

٢٨ في حوادث سنة ٥٤١ من الطبري ٦ / ٩٦، وابن الاثير ٣ / ١٦٥، وابن شهاب في ابن الاثير ٣ / ١٧٩ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدى وأربعين).

٢٩ أوردتها ملخصة من معجم البلدان ٥ / ٣٨ ط. المصرية الأولى في لغة سجستان، وهي من بلاد إيران.

٣٠ تطهير اللسان ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا فمختلف فيه لكن قواه الذهبي بقوله: إنه أحد الاثبات، وما فيه جرح أصلا، ثم ذكر الحديث.

٣١ وفي الاصل تصحيف في اللفظ.

٣٢ المحلى لابن حزم تحقيق أحمد محمد شاكر ٥ / ٨٦، وراجع كتاب الأمّ للشافعي ١ / ٢٠٨.

٣٣ مروج الذهب للمسعودي ٣ / ٢٤ في ذكر أيام معاوية.

٣٤ العقد ٢ / ١٢٧.

٣٥ نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة)، بحث دواعي وضع الحديث من فصل (مع معاوية).

٣٦ شرح الخطبة (٥٧) من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.

٣٧ الموفقيات ص ٥٧٦ - ٥٧٧ ومروج الذهب ٢ / ٤٥٤ وابن أبي الحديد ١ / ٤٦٢ وط. مصر تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٥ / ١٢٠. وكانت قريش تكني رسول الله (ص) أبا كبشة استهزاء به.

أثر تربية معاوية لاهل الشام خاصة:

استطاع معاوية أن يفعل في سلطانه ما يشاء نتيجة ابعاد اهل الشام عن فهم الاسلام، ومن الشواهد على ذلك ما رواه المسعودي في مروج الذهب (٣ / ٣٢):

(قد بلغ من طاعتهم له - لمعاوية - أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة يوم الاربعاء، وأغاروه رؤوسهم عند القتال، وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: إن علياً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرتهم، ثم ارتقى بهم الامر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير، ويهلك عليها الكبير).

وصية معاوية لابنه يزيد:

قال ابن عبد ربّه في خبر وفاة معاوية من العقد الفريد:

لما حضرت معاوية الوفاة، ويزيد غائب، دعا الضحاک بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المري، فقال: أبلغا عني يزيد وقولا له: انظر إلى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعاهده، وانظر أهل العراق، فإن سألوك عزل عامل في كل يوم فاعزله، فإن عزل عامل واحد أهون من سل مائة ألف سيف، ولا تدري على من تكون الدائرة، ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار، فإن رابك من عدوك ريب فارمه بهم، ثم اردد أهل الشام إلى بلدهم، ولا يقيموا في غيره، فيتأدبوا بغير أدبهم (٢٨).

نتيجة البحث:

يظهر من سيرة معاوية أنه كان أشد تعلقاً بنشر فضائل أرومته وعصيته وإصاق المثالب بخصومه ومن ناوأه ممن سبقه من أسلافه في الجاهلية. فهو يفاخر ابن عم الرسول بأبيه وتملكه بلاد المسلمين. ويقتدي بكسرى وقيصر في حكمه ويهجو الانصار شاعره النصراني ويأمر ولاته بشتيم علي وذمه ولعنه على منابر المسلمين في خطب صلاة الجمعة، وأن يدعو الناس إلى رواية الحديث في فضائل عثمان والخلفاء من قبله، وأن يأتوا بمناقض لروايات فضائل علي، وأن ينشروا ذلك على العرب والموالي، فانتشر في حكمه روايات كثيرة مفتعلة لا حقيقة لها في فضائل الصحابة وما ينتقص به على الامام.

وكشف عن دخيلته للمغيرة بن شعبة حين قال له المغيرة: انك قد بلغت سنًا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال هيهات هيهات! أي كيف ارجو بقاء ذكر الاعمال وقد ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: عمر إلى قوله: وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرّات (أشهد ان محمداً رسول الله).

فأي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا ابا لك، ولا والله الا دفنا دفنا! من كل ذلك نعرف ان خصائص المجتمع على عهد معاوية كانت من جانب الحاكم تملكه باسم الاسلام وتخلقه باغظ العصبية الجاهلية ثم توظيفه من يضع الاحاديث في فضائل ذوي أرومته وعصيته وذم من يخاصمهم من بني هاشم ولا سيما الامام علي، وبقيت تلكم الاحاديث منتشرة بين المسلمين حتى عصر تدوين الحديث، حيث انتشرت في أنواع كتب الحديث، وسوف ندرس بعضها مما رويت في شأن القرآن الكريم في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

٢٨ العقد الفريد ٤ / ٣٧٢ ، ٣٧٣.

ثانيا - على عهد خلفاء آل العاص:

سار على نهج معاوية من جاء بعده من خلفاء بني أمية، فقد روى اليعقوبي في أيام مروان من تاريخه (٢ / ٣٦١) ما موجه:

إنّ عبدالمكّ منع أهل الشام من الحجّ أيام ابن الزبير بمكة وقال لهم: مسجد بيت المقدس يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله (ص) وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبّة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية.

وبلغ أمر إبعادهم أهل الشام عن فهم الحقيقة إلى حدّ أنهم لم يرضوا أن تنشر بين أهل الشام سيرة الرسول (ص)، وقد روى في ذلك الزبير بن بكار: في الموفقيات (ص ٣٣٢ - ٣٣٣)، وقال ما موجه:

(إن سليمان بن عبدالمكّ مرّ بالمدينة حاجّاً في عصر أبيه وأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبيّ (ص) ومغازيه.

فقال أبان: هي عندي أخذتها مصححة ممّن أثق به.

فأمر عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رقّ، فلما صارت إليه نظر، فإذا فيها ذكر الانصار في بدر، فقال سليمان: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل فأما أن يكون أهل بيتي - أي الخلفاء الامويين - غمصوا عليهم، وأما أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان: أيها الامير! لا يمنعا ما صنعوا بالشهيد المظلوم - يقصد الخليفة عثمان - من خذلانه أن نقول الحق، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأمير المؤمنين - يقصد والده عبد الملك - لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرق، ولما رجع أخبر أباه بما كان.

فقال عبدالمكّ: وما حاجتك أن تقدّم بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرّف أهل الشام أمورا لانريد أن يعرفوها؟

قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته، حتى أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوب رأيه).

وانتجت سياسة الخلافة الاموية ما رواه المسعودي في ذكره أيام مروان الحمار بمروج الذهب (٣ / ٣٢) وقال:

بعد مقتل مروان آخر الخلفاء الامويين نزل عبدالله بن علي - أول الخلفاء العباسيين - الشام ووجه إلى أبي العباس السفاح أشياخا من أهل الشام من أرباب النعم والرئاسة من سائر أجناد الشام - أي حواضر البلاد الشامية - فحلفوا لابي العباس السفاح أنّهم ما

علموا لرسول الله (ص) قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى وليتم الخلافة.

روى ابن الاثير في ذكر ترك سب أمير المؤمنين علي (ع) عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال:

(كان أبي إذا خطب فنال من علي (رض) تلجلج، فقلت: يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيرا! قال: أوفطنت لذلك؟ قلت: نعم، فقال: يا بني! إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عتاً إلي أولاده، فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الامر العظيم لاجله فترك ذلك وكتب بتركة وقرأ عوضه (الله يأمُر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) (التحل / ٩٠)(٣٩).

ومما ينبغي ان ندرسه من سياسة الخلافة الاموية بعض أخبار الحجاج أمير القسم الشرقي للبلاد الاسلامية يومذاك.

٣٩ تاريخ الكامل لابن الاثير ٥ / ١٦ في ذكر خلافة عمر بن عبدالعزيز.

أ - الحجاج في عصره:

لما استشهد الحسين (ع) ظهر ابن الزبير بمكة ودعا لنفسه، وبعد موت يزيد ابن معاوية سنة ٥٦٤ هـ بايعه بالخلافة اهل الحجاز واليمن والعراق ومصر وتوابعها مع بعض بلاد الشام(٤٠).

وفي عام ٧٢ هجرية ولّى الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان الحجاج لحرب ابن الزبير وجّهه بجيش من الشام، وفي عام ٧٣ حاصر الحجاج ابن الزبير ومن معه بمكة فالتجأوا بالحرم فنصب الحجاج المجانيق - واحده المنجنيق آلة حرب شبيهة بالمدفع في عسرة - على جبال مكة، وأخذ يرمي أهل المسجد بالحجارة والنيران، وراجزهم يقول:

خطارة مثل الفنيق الملبد

نرمي بها عوآذ أهل المسجد

يعني نرمي بها العائدين بالمسجد.

وجعلت الحجارة تقع في الكعبة، حتى انصدع الحائط الذي على بئر زمزم عن آخره، وانقضت الكعبة من جوانبها.

فرعدت السماء، وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة، وقتلت الصاعقة اثني عشر رجلاً فانكسر أهل الشام وأمسكوا بأيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه، فغرزها في منطقتة ورفع حجر المنجنيق، فوضعه فيه ثم قال: ارموا ورمى معهم.

وجعل الحجاج يصيح باصحابه: يا اهل الشام: الله الله في الطاعة، فجعل أهل الشام يرتجزون ويقولون:

مثل الفنيق المزيد نرمي

بها أعواد هذا المسجد

فنزلت صاعقة على المنجنيق فاحرقته فتوقف أهل الشام عن الرمي فخطبهم الحجاج، فقال: ألم تعلموا ان النار كانت تنزل على من قبلنا، فتأكل قربانهم إذا تقبل منهم فلولا ان عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، ثم أمرهم الحجاج فرموا بكيزان النفط والنار، حتى احترقت الستارات كلها، فصارت رمادا فجعل الحجاج يرتجز ويقول:

أما تراها ساطعا غبارها

والله في ما يزعمون جارها

فقد وهت وصدعت أحجارها

وحن من كعبتها دمارها

ولمّا غلب الحجاج على ابن الزبير وقتله، قطع رأسه وصلبه مُنكسا، حتّى تفسخ جسده(٤١). وبعث برأسه ورؤوس آخرين إلى الشام وأمرهم إذا مروا بالمدينة ان ينصبوا الرؤوس بها.

وأراد الحجاج ان يبّر قتاله لابن الزبير وما صنعت يداه في تلك الحرب القذرة ولم يكن له ان يرمي ابن الزبير بخذلانه للخليفة عثمان كما احتج به لما فعل مع من بقي من صحابة الرسول (ص) في المدينة المنورة لان ابن الزبير كان من رؤساء جيش الجمل الذي قاتل الامام عليا باسم الطلب بدم عثمان، فكيف برّ صنيعه؟ انه سعد المنبر بمكة وخطب الناس وقال: ان ابن الزبير غير كتاب الله!

فقال ابن عمر: ما سلّطه الله على ذلك ولا انت معه، ولو شئت أن اقول: كذبت فعلت(٤٢).

هكذا جابه الصحابي عبدالله ابن الخليفة عمر الحاكم الغشوم سقّك الدماء مهذّم بيت الله الحرام الحجاج علي الميلا بمكة وقال له: (ما سلّطه الله على ذلك ولا أنت معه) أي: لو اجتمع سلطانك وسلطانة على تغيير كتاب الله ما استطعتم، لان الله ما سلطكم على ذلك وأنت قد حفظ كتابه العزيز من ذلك، وكان نتيجة تجرؤ ابن عمر على الحجاج انه أمر رجلاً معه حربة مسمومة فلصق بابن عمر عند دفع الناس - من منى إلي المشعر - فوضع الحربة على ظهر قدمه فمرض منها أياما، فأناه الحجاج يعوده، فقال له من فعل بك؟ قال: وما تصنع؟ قال: قتلني الله ان لم أقتله.

قال: ما أراك فاعلا. أنت أمرت الذي نخسني بالحربة. فقال لا تفعل يا أبا عبد الرحمن(٤٣).

٤٠ راجع ترجمة ابن الزبير بتاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ١٧٠ - ١٧٤؛ وتاريخ الطبري ط. ٢ / ٨٤٤ - ٨٤٥؛ والاختار الطوال، ص ٣١٤؛ والبدية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣٤١.

٤١ راجع ترجمة ابن الزبير بتاريخ الاسلام للذهبي (٣ / ١١٤، ١٧٠ - ١٧٤).

٤٢ البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ١٢١.

٤٣ أسد الغابة ٣ / ٣٤٤.

الحجاج في المدينة:

سار الحجاج بعد ان جدّد بناء البيت إلى مدينة الرسول (ص) وأقام بها ثلاثة أشهر يتعنت أهلها، واستخفّ ببقايا الصحابة، وختم في أيديهم وأعناقهم يذلهم بذلك كما صنع بالصحابي سهل بن سعد الساعدي عندما أرسل إليه، وقال له: ما منعك ان تنصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلت! قال: كذبت! ثم أمر به فختم في عنقه برصاص(٤٤).

وفي سنة ٧٥ توفي حاكم العراق، فولاه الخليفة الاموي عبدالملك على العراق، وبقي واليا على العراق عشرون عاما يقتل أبناءهم، ويستحي نساءهم فخرج عليه عبدالله بن جارود فقاتله، وقتله مع طائفة ممن كانوا معه وخرج عليه جماعة أخرى بنواحي البصرة وأخرون بالمدينة، فقاتلهم، وقتلهم وجمّر البعوث لقتال الخوارج عاما بعد عام، وساءت سيرة الحجاج مع الجميع ومن ضمنهم محمد بن عبدالرحمن بن الأشعث بن قيس وجيشه الذين كانوا يغارون في الثغور الشرقية بما وراء سجستان، فقد كان الحجاج يكره محمد بن الأشعث، فخلعوا الحجاج جميعا، ثم اقبلوا إلى الحجاج كالسيل المنحدر، وانضم إلى ابن الأشعث جيش عظيم(٤٥).

والتحق به علماء وفقهاء صالحون خرجوا معه طوعا على الحجاج حتى بلغ عدد جيشه ١٢٠ ألف راجل و ٣٣ ألف فارس، فعجز عنهم الحجاج واستصرخ عبدالملك، فأرسل إليه العساكر الشامية، ف وقعت بين الحجاج وابن الأشعث أربع وثمانون وقعة في مائة يوم فكانت منها ٨٣ على الحجاج وواحدة له وتغلب ابن الأشعث على الكوفة وخلعوا عبدالملك، وكان فيهم قراء العراق وقتل منهم خلق في القتال وكانت الوقعات بينهما ما بين الكوفة والبصرة فانكشف ابن الأشعث وقتل من أصحابه ناس كثير واسر الحجاج ناسا كثيرا ذبحهم جميعا كما يذبح الغنم، ذبح منهم بمسكن وحده خمسة آلاف أو أربعة آلاف أسير مسلم وفر ابن الأشعث مع خواصه إلى البلاد الايرانية، فظفروا به، وذبحوه، وقطعوا رأسه، وطافوا به في الاقاليم(٤٦).

بقية ترجمة الحجاج:

سنورد من هنا إلى آخر ترجمة الحجاج روايات ابن عساكر وابن كثير في ترجمته بتاريخهما ونصرح باسم من طابقهما في الرواية

كالاتي:

قالا مع الذهبي:

كان مالك بن أنس يؤلّب على الحجاج ايام عبد الرحمن بن الاشعث فبيتوه، وأتوا به الحجاج، فوسم في يده عتيق الحجاج(٤٧).

وفي رواية دخل أنس عليه وهو يعرض الناس ليالي ابن الاشعث، فقال له: يا خبيث جوال في الفتن مرّة مع علي، ومرّة مع ابن الزبير، ومرّة مع ابن الاشعث.

أما والذي نفسي بيده لاستأصلنك كما تستأصل الصمغة، ولا جردتّك كما يجرد الضب، أي: لاسلختك سلخ الضب إذا شوي.

فقال أنس: من يعني الامير؟ قال: إيتك أعني، أصمّ الله سمعك.

فاسترجع أنس وشغل الحجاج، وخرج أنس فتبعوه إلى الرحبة فقال: لولا أني ذكرت ولدي وخشيتيه عليهم بعدي لكلمته بكلام لا يستحيين بعده أبدا.

وروى ابن كثير وقال:

فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضبا، وشفق عجا، وتعاطم ذلك من الحجاج، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك، أما بعد: فان الحجاج قال لي هجرا، وأسمعني نكرا، ولم أكن لذلك أهلا، فخذ لي على يديه، فإني أمت بخدمتي رسول الله (ص) وصحبتني إياه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر(٤٨) - وكان مصادقا للحجاج - فقال له: دونك كتابي هذين، فخذهما واركب البريد إلى العراق، وابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله (ص)، فارفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام، وقل له: يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتابا، إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله (ص)، أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت من شكايك الحجاج، وما سلطته عليك ولا أمرته بالاساءة إليك، فإن عاد لمثلها اكتب إليّ بذلك أنزل به عقوبتي، وتحسن لك معونتي، والسلام.

فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته، قال: جزى الله أمير المؤمنين عني خيرا وعافاه وكفاه وكفاه بالجنة، فهذا كان ظني به والرجاء منه.

فقال إسماعيل بن عبيد الله لانس: يا أبا حمزة! إنّ الحجاج عامل أمير المؤمنين، وليس بك عنه غنى، ولا بأهل بيتك، ولو جعل لك في جامعة ثمّ دفع إليك فقاره وداره تعش معه بخير وسلام.

فقال أنس: أفعّل إن شاء الله.

ثمّ خرج إسماعيل من عند أنس فدخل على الحجاج، فقال الحجاج: مرحبا برجل أحبه وكنيت أحب لقاءه، فقال إسماعيل: أنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به، فتغير لون الحجاج وخاف وقال: ما أتيتني به؟ قال: فارقت أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضبا عليك، ومنك بعدا، قال: فاستوى الحجاج جالسا مرعوبا، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرّة ويعرق، وينظر إلى إسماعيل أخرى، فلما فضّه قال: قم بنا إلى أبي حمزة نعتذر إليه ونترضاه، فقال له إسماعيل: لا تعجل! فقال: كيف لا أعجل وقد أتيتني بأبدة؟ وكان في الطومار:

بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج ابن يوسف، أما بعد، فأتك عبد طمت بك الأمور، فسموت فيها، وعدوت طورك، وجاوزت قدرك، وركبت داهية إذا، وأردت أن تبدو لي، فان سوغتكها مضيت قدما، وإن لم أسوغها رجعت القهقري، فلعنك الله من عبد أخفش العينين، منقوص الجاعرتين.

أنسيت مكاسب آبائك بالطائف، وحفرهم الابار، ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل، يا ابن المستفرية بعجم الزبيب، والله لاغمرنك غمر الليث الثعلب، والصقر الارنب.

وثبت على رجل من أصحاب رسول الله (ص) بين أظهرنا، فلم تقبل له إحسانه، ولم تتجاوز له عن إساءته، جرأة منك على الرب - عز وجل - واستخفافاً منك بالعهد (٤٩).

وقالا: وأخبر عن تأخيره الصلاة عن وقتها ومعارضته ابن عمر وغيره أعرضنا عن ذكرها روما للايجاز في ترجمته.

وقالا:

ذكروا الحسين (رض) عند الحجاج فقال: لم يكن من ذرية النبي (ص) فقال يحيى بن يعمر: كذبت أيها الامير!

فقال: لتأنيبي على ما قلت ببينة من كتاب الله او لاقتلنك.

فقال: قوله تعالى: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) - إلى قوله - (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى) فاخبر الله ان عيسى من ذرية آدم بأمه.

قال: صدقت فما حملك على تكذبي في مجلسي.

قال: ما اخذ الله على الانبياء لتبينه للناس ولا تكتمونه.

قال: فنفاه إلى خراسان (٥٠).

وقالا:

ان الحجاج قرأ (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُوا) فقال: هذه - أي اسمعوا وأطيعوا - لعبدالله لامين الله وخليفته ليس فيها مثنوية - أي لا ثاني له أو لا استثناء له - والله لو أمرت رجلاً يخرج من باب هذا المسجد، فاخذ من غيره لحل لي دمه، والله لو أخذت ربيعة بدم مضر لكان لي حلالاً.

وقال في شأن الصحابي عبدالله بن مسعود:

كان ابن مسعود رأس المنافقين لو ادركته لاسقيت الارض من دمه.

وفي رواية قال فيه: يا عجا من عبد هذيل لو ادركته لضربت عنقه.

وقال عن مصحفه لاحكنها من المصحف ولو بصلع خنزير.

قال الاعمش: لما سمعت ذلك منه قلت في نفسي: والله لاقرأنها على رغم أنفك.

وقالا: ختم الحجاج في عنق انس بن مالك أراد أن يذله واثه فعل ذلك بغير واحد من الصحابة يريد ان يذلمهم بذلك (٥١).

٤٤ تاريخ الاسلام للذهبي ٣ / ١١٦ في ذكره حوادث سنة (٥٧٤).

٤٥ تاريخ الاسلام للذهبي ذكر حوادث سنة ٥٧٥ (٣ / ١١٧) وسنة ٥٨٠ (٣ / ١٢٩-١٣٧) وسنة ٥٨١ (٣ / ٢٣٦).

٤٦ تاريخ الاسلام ٣ / ٢٢٦ - ٢٣٤ ذكر حوادث سنوات ٨١ - ٥٨٤.

ومسكين: موضع على نهر دجيل، والدجيل بلد قريب من بغداد. معجم البلدان.

٤٧ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ / ١٥١؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٩ / ١٣٣ واللفظ للذهبي، تاريخ الذهبي ٣ / ٣٤٢.

وروى الذهبي وابن عساكر وقالوا: كان أنس بن مالك أبرص وبه وضح شديد وتوفي سنة ٩٠ أو ٩١ واختلفوا في عمره يوم توفي.

٤٨ اسماعيل بن عبيدالله بن المهاجر الدمشقي المخزومي ولاء (ت: ٥١٣١) تقريب التهذيب ١ / ٧٢.

٤٩ ابن كثير البداية والنهاية ٩ / ١٣٣ - ١٣٤، تهذيب ابن عساكر (٤ / ٧٦ - ٧٨).

وإدًا: أمر داهية منكر، والخفش: ضعف في الابصار يظهر في النور الشديد. والجاعرة: حرف الورك المشرف على الفخذ وهما جاعرتان.

٥٠ ابن عساكر تاريخه مصورة المجمع ٤ / ١ / ١١٦ ب وتهذيب ابن عساكر ٤ / ٦٨ وابن كثير ٩ / ١٢٦ ووفيات الاعيان ٥ / ٢٢٢.

يحيى بن يعمر البصري مات قبل المائة أو بعدها، أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. تقريب التهذيب (٢ / ٣٦١).

٥١ ابن عساكر مصورة المجمع ٤ / ١ / ١٢٢ ب، تهذيب تاريخ ابن عساكر (٤ / ٧٢) ابن كثير (٩ / ١٢٨ - ١٣٠).

أخبار سجون الحجّاج:

مرّ الحجّاج في يوم جمعة فسمع استغاثة، فقال: ما هذا؟ قيل: أهل السجون يقولون قتلنا الحرّ فقال: قولوا لهم: (اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون).

فما عاش بعد إلا أقل من جمعة.

وقالا: وعرضت السجون بعد موت الحجّاج، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب.

وقالا: احصوا ما قتل الحجّاج صبّرا، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا.

وقالا: اطلق سليمان بن عبدالمك في غداة واحدة واحدا وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجّاج(٥٢).

وقالا: مات الحجّاج وفي سجنه ثمانون ألفا منهم ثلاثون ألف امرأة.

وكان فيمن حبس أعرابي وُجد يبول في أصل رضى مدينة واسط، وكان فيمن أُطلق فأنشأ يقول:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط

خربنا وصلينا بغير حساب

موت الحجّاج ودفنه:

وقالا: اخبر أهل السجن بموت الحجّاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا، فلمّا كان تلك الليلة لم ينم أهل السجن فرحا، جلسوا ينظرون، حتّى يسمعوا الناعية. مات سنة ٩٥ بواسط وعفي قبره، وأجري عليه الماء، لكيلا ينبتش ويحرق.

أقوال الحجّاج واحدائه:

قال ابن عساكر:

وقال عوف سمعت الحجّاج يخطب وهو يقول: ان مثل عثمان عند الله كمثل عيسى بن مريم، ثمّ قرأ هذه الاية يقرأها ويفسّرُها (قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) ويشير بيده إلى أهل الشام(٥٣).

وروى ابن كثير وقال:

كان الحجّاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن انكرها يحيى ابن يعمر منها: أنّه كان يبذل (إن) المكسورة ب (أن) المفتوحة وعكسه، وكان يقرأ (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ إِلَى قَوْلِهِ (أَحَبَّ إِلَيْكُمْ) فيقرأها برفع (أحب)(٥٤).

وخطب الحجّاج وقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟ فقلت في نفسي لله عليّ أن لا أصلي

خلفك صلاة أبدا وان وجدت قوما يجاهدونك لأجهدتك معهم فقاتل يوم الجماجم حتى قتل(٥٥).

٥٢ تهذيب ابن عساكر (٣ / ٢٥٣ - ٢٥٤) وفي ط. اخرى ٤ / ٨٣. وابن كثير ٩ / ١٣٦.

٥٣ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٧٢.

٥٤ تاريخ ابن كثير ٩ / ١٢٦، تهذيب ابن عساكر ٤ / ٦٨.

٥٥ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٧٣، تاريخ ابن كثير ٩ / ١٣١.

اخبار الحجّاج بعد موته:

تمهيد:

أ - على عهد سليمان بن عبد الملك:

ولي يزيد بن المهلب الأزدي خراسان بعد وفاة أبيه (سنة ٥٨٣) فمكث نحو من ست سنين، ثمّ عزله عبد الملك في سنة تسعين برأي الحجّاج، وكان الحجّاج يخشى بأسه فسجنه مع اخويه، وجعل الحرس عليهم من اهل الشام وطلب منه ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، فكان يزيد يصبر صبورا حسنا، وكان ذلك يغيظ الحجّاج منه، فقبل للحجّاج: أنّه رمي في ساقه بنشابة، فثبت نصلها فيه، فهو لا يمسه إلا صاح.

فأمر أن يعذب في ساقه، فلما فعلوا به ذلك صاح واخته هند بنت المهلب عند الحجّاج، فلما سمعت صوته، صاحت وناحت، فطلقها الحجّاج.

ثمّ هرب يزيد من سجن الحجّاج وذهب إلى الشام واستجار بسليمان بن عبد الملك، فجاره، وكتب الوليد بن عبد الملك الخليفة إلى الحجّاج يأمره بالكف عن أهل يزيد بن المهلب، فكف عنهم، وأراد الوليد أن يخلع اخاه سليمان من ولاية العهد، ويباع لولده عبد العزيز فأبى سليمان، فكتب إلى عماله ودعا الناس إلى ذلك، فلم يجبه إلا الحجّاج وقتيبة وخواص من الناس، ومات الوليد في سنة (٥٩٦) ولم يتم له خلع سليمان.

وولي بعده سليمان بن عبد الملك وولى يزيد بن المهلب العراق، ثمّ خراسان، وأمره بمعاينة آل الحجّاج بن يوسف ودفع إليه أصحاب الحجّاج وأمره ان يعذبهم حتى يستخرج الأموال منهم وتتبع سليمان أصحاب الحجّاج يسومهم سوء العذاب، وقام يزيد بن المهلب في العراق يعذب عمال الحجّاج وأشخص إلى الخليفة سليمان يزيد بن أبي مسلم وكان الحجّاج قد استخلفه من بعده على امرة العراق، ولمّا ادخل يزيد على الخليفة سليمان وكان يزيد قصيرا، خفيف البدن، فلما رآه قال له: أنت يزيد؟ قال: نعم.

قال: صاحب الحجّاج والافعال التي بلغتنني مع ما أرى من دمامة خلقتك؟

قال: ذاك واللّه أنّك رأيتني والدنيا عليك مقبلة، وهي عني مدبرة، ولو رأيتها وهي إلي مقبلة، وعنك مدبرة، لاستعظمت ما استصغرت، واستجللت ما استحققت.

قال: أين ترى الحجّاج يهوي في النار؟

قال: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين لرجل يحشر عن يمين أبيك وشمال أخيك، وأنزله حيث شئت تنزلهما معه.

فقال ليزيد بن المهلب: خذه إليك، فعذبه بألوان العذاب، حتى تستخرج منه الاموال(٥٦).

ب - على عهد عمر بن عبد العزيز:

قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الامم فجاءت كل امة بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم، وما كان الحجّاج يصلح لدنيا ولا لآخرة لقد ولى العراق وهو أوفر ما يكون في العمارة، فاحسّ به إلى أن صيرّه إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدّى إليّ عمالي في عامي هذا

ثمانين ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف.

وقال: أبو بكر بن المقرئ: حدثنا أبو عروبة حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي: سمعت جدي قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطاة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج، فلا تستن بسننه، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها، وكان لما سوى ذلك أضيع.

وقال يعقوب بن سفيان: حدثنا سعيد بن أسد حدثنا ضمرة عن الريان بن مسلم، قال: بعث عمر بن عبدالعزيز بآل بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد فاني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شر بيت في العمل، ففرقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا، وعليك السلام.

ج - أقوال في الحجاج:

قال ابن عساكر وابن كثير:

إن علياً (ع) كان على المنبر، فقال: إني أئتمنتهم، فخانوني، ونصحتهم فغشوني. اللهم فسلط عليهم غلام ثقيف يحكم في دماءهم وأموالهم بحكم الجاهلية. وفي رواية قال يملكك عشرين سنة أو بضعا وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلا ارتكبها (٥٧).

وقالا: وقيل لسعيد بن جبير خرجت على الحجاج.

فقال: والله ما خرجت عليه حتى كفر (٥٨).

وقالا: لما بلغ خبر موته إبراهيم النخعي، بكى من الفرح (٥٩).

وقالا: سئل إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبابرة، فقال: أليس الله يقول: (ألا لعنة الله على الظالمين) وكفى بالرجل عمى أن يعمى عن أمر الحجاج (٦٠).

وقالا: أخبر الحسن البصري بموت الحجاج، فسجد.

وفي رواية قال: اللهم أمته، فأذهب عنا سنته (٦١).

وقالا: قال القاسم بن المخيمرة (٦٢): وكان الحجاج ينقض عرى الاسلام وذكر حكاية.

قال المؤلف: إنهما سكتا عن ذكر الحكاية.

وقالا: قال عاصم: (٦٣) لم يبق لله حرمة إلا ارتكبها الحجاج.

وقالا: اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهدا (٦٤) فقال تسألون عن الشيخ الكافر.

قال المؤلف: قد نقلنا كثيرا من أخبار الامام علي عن الحجاج ولكننا اقتصرنا بما أوردنا إيجازا في الترجمة.

وفي تاريخ ابن كثير:

عن أبي البخري قال: قالوا لعلي: حدثنا عن أصحاب محمد (ص).

قال: عن أيهم؟

قالوا: حدثنا عن ابن مسعود. قال: عليم القرآن والسنة.

وقال ابن كثير: فهداتنا الصحابة العالمون به، العارفون بما كان عليه، فهم أولى بالاتباع، وأصدق أقوالا من أصحاب الأهواء الحائدين عن الحق، مثل أقوال الحجاج وغيره من أهل الأهواء: هذيانا وكذب وافتراء، وبعضها كفر وزندقة، فإن الحجاج كان عثمانيا امويا، يميل اليهم ميلا عظيما. ويرى ان خلافهم كفر. ويستحل بذلك الدماء. ولا تأخذه في ذلك لومة لائم (٦٥).

وقال - أيضا -:

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إياهم بغتة، وتهديده ووعيده إياهم، وأنهم خافوه مخافة شديدة، وأنه قتل عمير بن ضابئ وكذلك قتل كميل بن زياد صبرا، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا، ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والأمراء والعباد والقراء، حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير(٦٦).

وقد كان ناصبيا يبغض عليا وشيعته في هوى آل مروان بني أمية، وكان جبارا عنيدا مقداما على سفك الدماء بادنئ شبهة.

وقد روي عنه الفاظ شنيعة ظاهرها الكفر(٦٧).

* * *

نتيجة البحث:

ضرب الكعبة بالمنجنيق وحرقها بنو العاص من الامويين كما فعله قبلهم يزيد السفيناني الاموي، وأضافوا إلى ذلك أمرهم بالطواف حول صخرة بيت المقدس بدلا من الطواف حول الكعبة، وقتلوا المسلمين، وسجنوهم وعذبوهم في الحجاز والعراق وإيران واليمن، وبهمنا في دراستنا الاتية ما صنعوا من حرقهم ما كتب من سنة الرسول لما حوت موافق مشرفة للانصار في غزوة بدر واستمرارهم على لعن الامام علي على منابر المسلمين في ما عدا عصر عمر ابن عبدالعزيز، وبلغ بحكامهم الامر أن ينكر أحدهم بنوة السبط الشهيد لجده الرسول (ص).

وبناء على ما ذكرنا كان لهم أثر بليغ في منع نشر حديث الرسول (ص) في فضل مخالفهم، وكان أعظم من يخشون منهم على حكمهم الامام علي فلذلك لم يكتفوا بمنع نشر فضائل الامام بل سنوا لعنه (ع).

وكذلك لم يتغير تهالكهم على ذكر الفضائل لعصبتهم وبلغ الامر بهم في ذلك إلى أن يقول واليهم الحجاج على المنبر في مدح خليفتهم: (أرسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله)؟

يقصد في قوله أن الخليفة الاموي هو خليفة الله، وخليفة الله أكرم عنده من رسول الله (ص) والعياذ بالله.

ولهذا السبب منعوا من كتابة حديث الرسول (ص) طوال حكمهم كما مر بنا في خبر حرق سليمان سيرة الرسول (ص) التي كتبها أبان بن عثمان لما فيها من فضائل الانصار.

* * *

كانت تلك خصائص المجتمع على عهد معاوية وسار على نهجه من جاء بعده من الخلفاء، أما أخبار القرآن على عهدهم فإن الخلفاء من بني أمية لم يكن لهم أي اهتمام بأمر إلقاء القرآن وقراءته بعد حرق المصاحف التي كان فيها من تفسير القرآن ما يخالف سياسة حكمهم كما سنتحدث عنه إن شاء الله تعالى في دراسة أخبار اختلاف المصاحف، وبعد إهمال الحكام أمر القرآن قيض الله في المسلمين صنفين من العلماء ممن اهتموا بأمر القرآن:

أ - من أخذ قراءة لفظ القرآن من أصحاب رسول الله (ص) وقام في المجتمع بتعليمه كذلك في سبيل الله.

ب - من تخرج من مدرسة أبي الاسود الدؤلي تلميذ الامام علي في تأسيس علم النحو وسار في تكميل وضع علامات الاعراب، وسندرس كلا الامرين في ما يأتي بإذنه تعالى.

٥٦ ترجمة يزيد بن المهلب في وفيات الاعيان ٥ / ٢٢٢، رقم الترجمة ٧٨٧. وفي تاريخ ابن الاثير (٤ / ٢٠٨) ذكر حوادث سنة ٩٠هـ وابن كثير ٩ / ٧٨ واليعقوبي (٢ / ٢٩٠ - ٢٩٥).

٥٧ تهذيب ابن عساكر ٤ / ٧٥، تاريخ ابن كثير ٩ / ١٣٢.

٥٨ تهذيب ابن عساكر ٤ / ٨٢، تاريخ ابن كثير ٩ / ٩٧ و١٣٦.

٥٩ البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ١٢٨. وإبراهيم بن سويد النخعي من الطبقة السادسة من الرواة. تقريب التهذيب الترجمة رقم ٣٠٩، ١ / ٣٦.

٦٠ البداية والنهاية ٩ / ١٣٧.

٦١ المصدر السابق ٩ / ١٣٨.

٦٢ القاسم بن مخيمرة، أبو عروة الهمداني، الكوفي، نزيل الشام، من الطبقة الثالثة. (ت: ٥١٠٠). تقريب التهذيب الترجمة رقم ٥٥، ١٢٠ / ٢.

٦٣ عاصم بن عبدالله بن عاصم العدوي المدني من آل الخليفة عمر بن الخطاب من الطبقة الرابعة تقريب التهذيب الترجمة ١٥، ١ / ٣٨٤.

٦٤ مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي المكي ثقة، إمام في التفسير، من الطبقة الثالثة. (ت: ٥١٠١). الترجمة رقم ٩٢٢، ٢ / ١٢٩.

٦٥ تاريخ ابن كثير ٩ / ١٣١.

٦٦ نفس المصدر ٩ / ١٣٢.

٦٧ المصدر السابق ٩ / ١٣٢.

أخبار القرآن على عهد معاوية فما بعده من الامويين

أ - أخبار القراءة والقرّاء:

بقيت القراءة والاقراء بنفس معناها عند التابعين الذين قرأوا القرآن على الصحابة غير أنّهم كانوا يجردون القرآن عن حديث الرسول (ص) بعد عصر عثمان كما يعرف ذلك من خبر مقرئ الكوفة الاتي:

قال الذهبي في معرفة القرّاء الكبار ص ٤٥ - ٤٩:

مقرئ الكوفة أبو عبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلميّ: ولد في حياة النبيّ (ص)، وقرأ القرآن، ووجدّه، وبرع في حفظه وعرض - القرآن - على عثمان وعليّ وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبيّ بن كعب، وكان يقرئ الناس في مسجد الكوفة الاعظم أربعين سنة منذ خلافة عثمان إلى أن توفي في إمرة الحجاج سنة ثلاث أو أربع وسبعين. وكان يعلمهم القرآن خمس آيات خمس آيات.

وكان رجل يقرأ عليه فاهدى له قوسا فردّها وقال: ألا كان هذا قبل القراءة.

وأقرأ ابن رجل منهم فأهدى له جلالا وجزرا، فردّها، وقال: إنّنا لاناخذ على كتاب الله أجرا.

لم يكن بعد عصر عثمان وتجريده القرآن من حديث الرسول في المصاحف ومنع الصحابة من رواية الحديث وكتابه، يُعلّم القرآن مع التفسير بل كان يدرس مجردا وفي هذا العصر سمّي تعليم القرآن مجردا عن بيان الرسول بالقراءة، وفي أخريات هذا العصر

عصر الترف العقلي وانصراف المسلمين عن تدارس سنّة الرسول للسبب الذي ذكرناه اخترع علماء العربية علم قراءة القرآن المحرّفة للقرآن الكريم كما درسناه في بحث القراءات ولله الحمد.

ب - كيف تنقط المصاحف:

قال أبو حاتم السجستاني: ونقطه بيده هذا كتاب يستدل به على علم النقط ومواضعه. إذا كان الحرف مرفوعا غير منون نقطته قدامه واحدة مثل قوله (())، وإذا كان منصوبا غير منون نقطته واحدة فوقه كقوله (())، وإذا كان مجرورا غير منون نقطته واحدة تحته كقوله (())، وأما ما كان منونا فنقطتان مثل قوله في الرفع (()) وفي النصب (()) وفي الجر (()) وربما تركوا في النصب، لأن الالف تدل على النصب، فخففوا على الایجاز، إلا أنّهم ينونون عند الحروف الستة، وإنما النقط على الایجاز لأنهم لو تتبعوا كما ينبغي أن ينقط عليه فنقطوه لفسد المصحف، لو نقطوا قوله (()) ((فَمَثَلُهُ)) على الفاء والميم والثاء واللام والهاء ونحو ذلك فسد، ولكنهم ينقطون على الميم واحدة فوقها وواحدة من بين يدي اللام، لأن اللام حرف الاعراب وقد تنصب اللام وترفع وتجر، وفتحوا الميم لئلا

يظن القارئ أنها ((فمثل))، وإذا جاء شيء يستدل بغيره عليه ترك مثل قوله ((قِيلُوا(٦٨) فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) ينقط بين يدي القاف واحدة ولا ينقط على التاء شيئا، لان ضممتها تدل على أنهم فعلوا.

وأما قوله ((قِيلُوا(٦٩) تَقْتِيلًا))، فإنك تنقط تحت التاء واحدة، لان هذه مشددة، فتفرق بين المخفف والمشدد ففس كل شيء بهذا إن شاء الله.

وأما الهمزة فإذا كانت مفتوحة غير ممدودة نقطتها في فعا الالف، وإذا كانت ممدودة نقطتها بين يدي الالف، فأما غير الممدود فمثل قوله ((بَلْ أَتَيْنَاهُمْ(٧٠) بِذِكْرِهِمْ)) لانها بمعنى جنائهم، وأما ((وَلَقَدْ أَتَيْنَاهُمْ(٧١) فِي بَيْنِ يَدَيْ الْآلِفِ وَتَرَفَعَهَا قَلِيلًا إِلَى رَأْسِ الْآلِفِ، لَانْ أَتَيْنَاهُمْ مَعْنَاهُ أُعْطِينَاهُمْ، وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَتْ الْمَمْدُودَةُ وَالْمَقْصُورَةُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، فَأَمَّا الْمَقْصُورُ غَيْرُ الْمُنُونِ، فَمِثْلُ قَوْلِهِ ((أَنْ لَا مَلْجَأَ(٧٢) مِنَ اللَّهِ))، وَإِنْ كَانَ مُنُونًا فَتَنْقُطَانِ مِثْلُ قَوْلِهِ ((لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا))، وَمِثْلُ قَوْلِهِ ((مِنْ سَبَأٍ يَبْتَأُ(٧٣) يَقِينًا)).

وأما الممدود الذي ليس بمنون فمثل قوله ((كُلَّمَا أَصَاءَ(٧٤) لَهُمْ)) و((جَاءَ)) و((لَوْ شَاءَ رَبُّكَ))، والمنون مثل قوله ((وَالسَّمَاءِ يَبَاءَ(٧٥) وَقَوْلِهِ ((حَرَآءٍ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً)).

وإذا أشكل عليك الهمزة، ففس الهمزة بالعين، فإن كانت العين تقع قبل الواو أو الالف، جعلتها في قفاها نقطة بعد الواو والالف جعلتها بين يديها نقطة، وإن كانت هي الواو والالف جعلت النقطة في جبهتها، وكان حدها أن تكون في نفس الواو، ولكنها جعلت في الجبهة، لتتحى عن السواد.

فالممدود مثل قوله ((السُّوءَ(٧٦) تَقْدِيرَهُ السُّوءَ، فِيهِ بَعْدَ الْوَاوِ، وَ((السَّمَاءِ)) تَقْدِيرُهُ(٧٧) السَّمَاعُ وَهِيَ بَعْدَ الْآلِفِ، وَإِذَا كَانَتْ مُتَحَرِّكَةً بِالنَّصْبِ فَالنَّقْطَةُ فَوْقَ الْوَاوِ مِثْلُ قَوْلِهِ ((وَبُؤَّخِرْكُمْ(٧٨) وَ((لَا تُؤَاخِذْنَا))، وَأَمَّا الْهَمْزَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي قَفَا الْوَاوِ إِذَا كَانَتْ قَبْلَهَا فَمِثْلُ ((يَسْتَهْزِئُونَ(٧٩) وَكَذَلِكَ ((لِيُؤَاطِئُوا)) لَانْ قِيَاسُهَا يَسْتَهْزِئُونَ فَالْعَيْنُ قَبْلَ الْوَاوِ، وَكَذَلِكَ لِيُؤَاطِعُوا لَانْ الْعَيْنُ قَبْلَ الْوَاوِ، وَمِثْلُهُ ((أُوتُوا(٨٠) الْعِلْمَ)) لَانْ قِيَاسُهَا أُوتُوا وَلَا تَهْ مِنْ الْوَاوِ وَوَزْنُهَا أَفْعَلُوا.

وأما ((وَأُتُوا(٨١) بِهِ مُتَشَابِهًا)) فالنقطة قدام الالف، وكذلك ((أُولَئِكَ)) الهمزة في الالف، فالواو ليس لها موضع، لان قياسها علانك، فالواو كئبت، لان الهمزة مرفوعة، وقيل قوم كتبوها ليفصلوا بينها وبين ((إِلَيْكَ)) في الخط، وأما ((الْأُولَى(٨٢) فَإِنَّ الْهَمْزَةَ فِي قَفَا الْوَاوِ، لَانْ قِيَاسُهَا الْعُولَى فَكَذَلِكَ ((أَوْفٍ(٨٣) يَعْهَدِكُمْ)).

وإذا كانت الهمزة منتصبة نحو ((الْقُرْآنِ)) و((تَبَيَّنَا(٨٤) اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ))، وقوله ((فَرَأَاهُ حَسَنًا(٨٥) فَاتَّهَا تَنْقُطُ عَلَيْهَا ثِنْتَانِ: وَاحِدَةٌ قَبْلَ الْآلِفِ، وَالْأُخْرَى بَعْدَهَا، إِلَّا أَنْ التَّي بَعْدَهَا أَرْفَعُ مِنَ الْأُولَى سَنًا، وَهِيَ تَسْمَى الْمَقْبُودَةَ.

وإنما نقطت بنتين، لان واحدة للهمزة والأخرى للنصب وهي الثانية، وإن كانت جزما فلا تنقط إلا واحدة مثل قوله ((وَأُتُوا(٨٦) الْبُيُوتَ)) و((إِنْ أَمْرٌ هَلَكٌ)) واحدة قبل الالف.

وأما قولهم ((أَنْذَرْتُهُمْ)) ((أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ))، فمن جعلها مدة أنذرتهم، وهي لغة العرب الفصحاء، فانك تنقطها واحدة بين يديها كما تنقط ((أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدًا))، ومن همزها همزتين نقطها مقيدة على ما وصفنا في ((نَبَأْنَا اللَّهَ)) ونحوها، لأنها لا بد من تقييدها للهمزتين بغيرها مثل ((نَبَأْنَا اللَّهَ)).

وأما ((أَمْنُوا)) و((أَدَمَ)) و((أَخْرَ)) فواحدة بعد الالف في أعلاها.

وأما إذا كانت الهمزتان مختلفتين فان همزتهما نقطت على الالف الأولى نقطة بين يديها وعلى الأخرى نقطة فوقها مثل ((السَّفْهَاءَ(٨٧)).

وإن شئت تركت همزة الأولى، وهو قول أبي عمرو بن العلاء، إذا اختلفتا تركت الاخرة ولم تنقط عليها، وإن احببت فانقط عليها بخضرة ليعرف أنها تقرأ على وجهين.

وكل ما كان فيه وجهان، فانقط بالخضرة والحمرة، فإذا كانت الهمزتان متفتحين وهما في كلمتين مثل ((جاء أمرنا))

و((شَاءَ أَنْشَرَهُ))، فان أبا عمرو يدع الهمزة الأولى، ولا يشبه هذا عنده إذا اختلفتا بزعم أنهما إذا اتفقتا خلفت احدهما الأخرى، وإذا اختلفتا لم تخلف احدهما الأخرى، فمن ثم همز أبو عمرو الاخرة في اختلافهما.

وإذا جاءت متفتحتين على ما ذكرت، فمن همز همزتين نقطها جميعا على ألف ((جاء)) من بعدها في أعلاها لانها ممدودة، وعلى ألف ((أمرنا)) في قفاها لانها مقصورة.

ومن قال بقول أبي عمرو لم ينقط على ألف ((جاء)) شيئا إلا بالخضرة.

وقد جاءت في القرآن حروف كتبت على غير الهجاء:

فمثل ((الْعَلْمُؤًا ومثل ((بُءرأؤًا))، فاذا نقطت ((مِنْ عِبَادِهِ الْعَلْمُؤًا)) (٨٨) جعلتها في جبهة الواو، لان الواو مكان الالف التي ينبغي لها أن تكتب، وإنما صيرتها في جبهتها، لان الهمزة في الواو ونظيرتها العلماء، وكذلك برواع إلا أنك تنقط بين الراء والواو واحدة ((بءروا)) (٨٩) وترفعها شيئاً للنصبة لانها هي الهمزة وهي منتصبه، فمن ثم دفعتها بينهما وتنقط أخرى في جبهة الواو لان قياسها برعاع، فتجمعها الهمزة بين الراء والالف التي كان ينبغي لها أن تكتب والواو بمنزلة الالف. وكان بشار الناقط ينقط ((بروا)) بواحدة قبل الالف والأخرى قبل الالف مرفوعة من قدامها وهو خطأ.

وممّا يكتب في المصحف على غير القياس في الهجاء ((تَشَوُّا)) كتبوا بعضها بالالف وبعضها بالواو، وهي في هود ((أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أُمُولِنَا مَا تَشَوُّا))، فالنقطة تقع في جبهة الواو لان الواو بدل الالف.

ومن ذلك ((الضَعْفُؤًا)) في بعض القرآن، و((الْمَلُؤًا (٩٠) من قَوْمِهِ)) في مواضع تنقطها في الجبهة، و((الْمَوْءَدَّةُ سُئِلَتْ)) بواو واحدة وكان ينبغي لهم أن يكتبوها بواوين لان قياسها الموعودة، فلو كتبوها بواوين نقطت الهمزة في قفا الواو الثانية، فلما تركت نقطت بين الواو والبدال، لان موضعها بينهما، ولو نقطت في قفا الواو لاختلطت وظن المنقوط له أنها المودة على قياس الموعودة. ومما يكتب أيضا في المصحف ((لَيْسُوا وَجُوهَكُمْ))، من قرأها على إجماع (٩١) كتب بواو واحدة فاذا نقطها نقطها في قفا الواو لان قياسها ليسوعوا، فقد ذهبت عين الفعل والواو الساقطة من المودة التي بعد الواو التي فيها، والواو واو الجمع، ولا بد من إثباتها فهذا فرق ما بينهما. ومن قرأ ((ليسوا)) ويرفعها شيئاً للنصبة لان قياسها ليسوع، فالهمزة بعد الواو، فليس على الالف منها شيء، لان الالف ليست من الحرف، وكذلك ((إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِأِثْمِي))، وكذلك ((شيئا)). وأمّا أبو محمّد فقال في هذه النقطة ((تَبُوءَ بِأِثْمِي)) و((لَيْسُوا وَجُوهَكُمْ)) تقع على الالف واحدة ويحتج في ذلك بقوله لو قلت أمرتهما أن تبوا الايتين لم يكن بد من تقييدها وإن كانت النقطة تقع على الالف مقيدة، فالالف أولى بها في غير التقييد، وإنما نقطت ((وَجِيءَ)) (٩٢) فتحتها بعد الياء ورفعتها، لانها غير مكتوبة بالالف، فالهمزة مكان الالف، وكذلك ((سِيءَ بِهِمْ)).

فأمّا إذا كانت الهمزة مجزومة وما قبلها مكسور مثل ((يَيْسَ)) نقطت الهمزة من أسفل لا تجعلها قبل الياء لان قياسها يعس والهمزة هي الياء. وأمّا ((بَاءٌ يَغْضِي)) و((جَاءُوا)) فكتبت في المصحف بغير ألف وقياسها جاعوا وباعوا، فإذا نقطتها في قفا الواو كان ينبغي أن يكتب الالف بعد الواو ودخول الالف وخروجها في النقط من هذا سواء، لان الهمزة قبل الواو.

وقوله ((وَرَأَوْ)) (٩٣) كتبت أيضا بغير ألف ونقطتها تقع قبل الالف، لانها مثل ((اتوا)) مقصورة، وإذا جاءت الهمزة في مثل ((أثوني به)) و((أثذن لي))، فان الهمزة في الياء وينظر إلى ما قبلها، فان كان مرفوعا نقطت الهمزة مرفوعة، وإن كان منصوبا نقطت الهمزة فوقها، وإن كانت مجرورة نقطتها من تحتها مثل ((وقال الملك أثوني به)) قدام الياء، والنصب ((قال أثوني بأخ لكم)) النصب في اللام، قال والخفض في قوله ((في السموات أثوني)) وليس على الالف التي في ((أثوني)) شيء من ذلك، إن هذه الالف التي قبلها تسقط في الوسط وهي مختلفة كتبت للابتداء. فاذا كانت في معنى جيئوني، كتبوا بالواو وإذا كانت في معنى أعطوني كتبوا بغير ياء، وقرأ الاعمش ((أثوني (٩٤) أفرغ)) على معنى جيئوني.

٦٨ قتلوا: يعني في الخط الكوفي (()).

٦٩ قتلوا: هي في الخط الكوفي

٧٠ أتيناهم: وهي في الخط الكوفي:

٧١ أتيناهم: في الخط الكوفي

٧٢ ملجأ: في الخط الكوفي ، وفي (س ٩ ٥٧١)

٧٣ سبأ بنأ: وهي في الخط الكوفي

٧٤ أضاء: في الخط الكوفي

٧٥ والسما بنأ: في الخط الكوفي وكذلك

٧٦ ((السوء)): فشكلها في الخط الكوفي وكذلك في السماء

٧٧ تقديره: في الاصل تقدير.

٧٨ ويؤخركم: هي في الخط الكوفي وكذلك

٧٩ يستهزئون: هي في الخط الكوفي وكذلك

٨٠ أوتوا: وهي في الخط الكوفي

٨١ وأوتوا: هي في الخط الكوفي وكذا اولئك

٨٢ الأولى : هي في الخط الكوفي

٨٣ (٢ آ ٤٠): في الخط الكوفي

٨٤ نبأنا: وشكلها في الخط الكوفي وكذا القرآن

٨٥ (س ٢٥ آ٨): هي في الخط الكوفي ؟

٨٦ وأتوا: فشكلها في الخط الكوفي وكذلك امرؤ.

٨٧ السفهاء: وشكلها في الخط الكوفي

٨٨ العلمؤا: فهي في الخط الكوفي

٨٩ بروا: وشكلها في الخط الكوفي

٩٠ الملوأ: في مصحفنا ((الملوأ الذين كفروا من قومه)). انظر أيضا (س ٢٧ آ٢٩ ر ٣٢ ر ٣٨).

٩١ الجماع: كذا هي في الاصل والمراد الجمع.

٩٢ وجيء: وهي في المصاحف الحديثة ((وجاء)).

٩٣ ورأوا: وهي في مصحفنا بالالف.

٩٤ آتوني : وهي في القراءة المشهورة ((آتوني)).

تبديل النقاط بالحروف:

استمر الامر على التنقيط كما مر بنا ثم بدل الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ٥١٧٠هـ) النقط بالحركات كما رواه السيوطي في الاتقان (٢ / ١٧١) وقال: ((والذي اشتهر الان في القرن التاسع الهجري الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف وهو الذي أخرجه

الخليل وهو أكثر وأوضح وعليه العمل، فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحروف والكسر كذلك تحته والضم واو صغرى فوقه والتنوين زيادة مثلها... الحديث.

الامر بكتابة تفسير الايات في المصاحف:

ذكرنا خبر تنقيط المصاحف من أمر التدوين، أمّا أمر كتابة بيان الرسول مع القرآن في المصاحف مع التفسير اللغوي، فكان خبره كالآتي:

بعد منع الخلفاء من نشر حديث الرسول (ص) وكتابه كما مرّ بنا شجع خلفاء الامويين الشعراء وعلماء الانساب فأصبح كل متخصص

بهما مقربا إلى ديوان الخلفاء ومبجلاً في المجتمع، ويكفي لمعرفة ذلك مراجعة كتاب الاغانى لابي الفرج الاصفهاني في هذا الصدد.

ولما ولي منهم عمر بن عبدالعزيز أمر بكتابة حديث الرسول (ص)، والذي كان من ضمنه تفسير الايات، غير ان ذلك لم يتم، لانه حكم قرابة سنتين وتوفي مسموماً، وبقي الحكم بعده، حتى قامت الخلافة العباسية وانتهى أبو جعفر المنصور من ابادة المعارضين للحكم.

ولما استتب له الامر أمر في سنة ١٤٣ هجرية بتدوين العلوم كما سيأتي خبره في خصائص المجتمع الاسلامي على عهد العباسيين.

* * *

بهذا نُنهي ذكر أخبار القرآن على عهد بني أمية لندرس في ما يأتي بإذنه تعالى خصائص المجتمع الاسلامي على عهد بني العباس.

خصائص المجتمع الاسلامي على عهد العباسيين

اختلفت سياسة الخلفاء العباسيين في أول عهدهم عما كان عليه الامويون من تفسخ خلقي وتجاهر بمخالفة الاحكام الاسلامية غير أن التعصب القبلي بين أبناء الأمة لم يتغير، بل اتسع في آخر العهد الأموي واشتد حتى عم جميع قبائل الانصار اليمانيين القحطانيين من جانب وجميع قبائل النزاريين والعدنانيين من جانب آخر وبقي الامر كذلك إلى العهد العباسي.

وجرت بين القبيلتين مفاخرات ومنافرات عادت على اللغة العربية بأدب عزيز شعرا ونثرا في الحماسة والهجاء وغيرهما، وكان أبطالها الشعراء من أبناء القبيلة كالكميت ودعبل، أو من مواليها وأدعيائها كأبي نواس الحسن بن هانئ.

وكانت المفاخرة تقوم على ذكر بطولات أفراد القبيلة، ومن ثم كان احياء أيام العرب في الجاهلية والاسلام، وذكر أمجادها وأمجاد من يمت إليها بنسب، أو سبب.

ومن ذلك ما ذكره المسعودي في التنبيه والاشراف، وقال:

من أشعار ولد معد بن عدنان في افتخارهم بالفرس على اليمانية، وأثم من ولد أبيهم إبراهيم كقول جرير بن عطية الخطفي التميمي مفتخرا لنزار على اليمن:

أبونا خليل الله لانتكرونة

فأكرم بإبراهيم جدًا ومفخرا

وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا

حمائل موت لابسين السنورا

إذا افتخروا عدوا الصهبذ منهم

وكسرى، وعدوا الهرمزان وقيصرا

أبونا أبو إسحاق يجمع بيننا

أب كان مهديا نبيا مطهرا

ويجمعنا والغر أبناء فارس

أب لا نبالي بعده من تأخرا(١)

وكقول إسحاق بن سويد العدوي عديّ قريش:

إذا افتخرت قحطان يوما بسؤود

أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا

ملكناهم بدءا بإسحاق عمنا

وكانوا لنا عوناً على الدهر اعبدا

ويجمعنا والغرّ ابناء فارس

أب، لا نبالي بعده من تفرّدا(٢)

وكقول بعض النزارية:

وإسحاق وإسماعيل مدّا

معالي الفخر والحسب اللبابا

فوارس فارس وبنو نزار

كلا الفرعين قد كبرا وطابا(٣)

وقال في صحيفة ٧٦ منه:

واليمانية من العرب تدعى الضحاك(٤)، وتزعم أنّه من الازد(٥)، وقد ذكرته الشعراء في الاسلام، فافتخر به أبو نواس الحسين بن هانئ مولى بني حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن... يعرب بن قحطان في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها، وافتخر بقحطان وقبائلها، وهي قصيدته المشهورة التي أطال الرشيد حبسه بسببها.

وقيل: أنّه حدّه لاجلها، فقال فيه مفتخرا باليمن وذاكرا للضحاك:

فنحن أرباب ناعط ولنا

صنعاء والمسك في محاربها

وكان ممّا الضحاك يعبده الـ

خابل والطير في مسارها

ويقول فيها يهجو نزارا:

واهج نزارا وافر جلدتها

وكشف الستر عن مثالبها(٦)

* * *

كان ذلك من خصائص المجتمع الاسلامي في جانب أفراد الأمة الاسلامية ومن جانب الخلفاء اشتدّت المنافسة بين خلفاء بني العباس وذرّيّة الامام علي بدءا من زمان المنصور، وأثر ذلك في ما بقي من ذلك العصر من تراث علمي وأدبي كما يوضح ذلك بعض الامثلة التي نوردها في ما يأتي بإذنه تعالى:

قال الخليفة العباسي ابن المعتز (ت ٥٢٩٦هـ) يخاطب ذرية الامام عليّ:

يا بني عمنا إلى كم وحتى

ليس ما تطلبونه يستقيم

أبو طالب كمثل أبي الف

ضل أما منكم بهذا عليم

سائلوا مالكا ورضوان عن ذا

أين هذا وأين هذا مقيم

يقصد ان أبا الفضل مقيم في الجنة وأبا طالب مقيم في النار على حدّ زعمه وقال:

دعوا آل عباس وحق أبيهم

وإياكم منهم فإنهم هم

يقصد وحق أبيهم العباس في خلافة الرسول (ص) التي ورثوها منه، وقال:

أبى الله إلا ما ترون فما لكم

عتاب على الاقدار يا آل طالب

عطية ملك قد حباننا بفضله

وقدّره ربّ جزيل المواهب(V)

وقد أثمرت جهود الامويين في عصرهم في تربية الناس كما شاؤوا، وبقيت آثارها إلى العهد العباسي وما بعده، كما نلاحظ ذلك

في الخبرين الاتيين:

أولاً: في الشام:

روى الذهبي وابن خلكان في ترجمة النّسائي ما موجه:

الحافظ، الامام، شيخ الاسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النّسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرد بالمعرفة وعلو الاسناد، واستوطن مصر.

وكان يصوم يوما ويفطر يوما، ويجتهد في العبادة ليلا. وخرج مع أمير مصر إلى الغزو، وكان يجتري عن مجالسه والانيساط في المأكل، وخرج آخر عمره حاجاً وبلغ دمشق، وصنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) وأهل البيت،

وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنفتُ كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب.

فقيل له: ألا تُخرِجُ فضائل معاوية؟

فقال: أيّ شيء أُخرج؟ حديث اللّهم لاتشعب بطنه؟

فسكت السائل، وسئل - أيضا - عن معاوية وما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتّى يُفضل، فما زالوا يدفعون في

خصيه وداسوه، حتى أخرج من المسجد وحمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.

وقال الدارقطني: أمتحن بدمشق وأدرك الشهادة. كان ذلك سنة ٥٣٠٣هـ (٨).

ثانياً: في العراق:

روى الذهبي في ترجمة ابن السقا من تذكرة الحفاظ، وقال:

الحافظ الامام محدث واسط، أبو محمد، عبدالله بن محمد بن عثمان الواسطي (ت: ٥٣٧٣هـ).

اتفق أنه أملى حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به فأقاموه، وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته. فكان لا يحدث أحداً من الواسطيين، فلهذا قل حديثه عندهم (٩).

وهكذا بقيت آثار السياسة الاموية بين أبناء الأمة في المجتمع الاسلامي كما أرداوها من بعدهم، ومن راجع بحني (كتمان فضائل الامام علي ونشر سببه ولعنه والسبب فيهما) و(عشرة أنواع من الكتمان والتحريف لسنة الرسول (ص)) في المجلد الأول من كتاب ((معالم المدرستين)) يدرك أن آثار سياستهما لم تزل سارية في المجتمع الاسلامي، غير ان سياسة الحكم عند الخليفة أبي جعفر المنصور اقتضى الامر بكتابة جميع فنون المعرفة في عصره كما سندرس خبره بإذنه تعالى في ما يأتي.

١ السنور: الدرع أو جملة السلاح.

٢ أعيد جمع عبد: المملوك.

٣ التنبيه والاشراف للمسعودي ط. مصر عام ١٣٠٧هـ ص ٩٤ - ٩٥.

٤ الضحاك: من ملوك الفرس ويسمى ال (بيوراسب) ملك ألف سنة.

٥ الازد: هو أدد بن الغوث من سبأ.

٦ ناعط: قصر بالقرب من عدن باليمن، والخابل: الجني، الشيطان، والمسارب: جمع المسرب: وهو الطريق أو المسلك، وافر: أي واقطع.

٧ ديوان ابن المقفع، دار صادر، بيروت، ص ١٦ و ٥١.

٨ تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨، ووفيات الاعيان ١ / ٥٩.

٩ تذكرة الحفاظ ص ٩٦٦. وحديث الطير أن رسول الله (ص) أهدي إليه طير مشوي فوضع بين يديه فقال: اللهم انتني بأحب الخلق إليك يأكل معي فجاء علي بن أبي طالب وأكل معه. وراجع أسانيد حديث الطير في: ٢ / ١٠٥ - ١٥٥، من سيرة الامام علي في تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الباحثة المحقق المحمودي ط. بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

كيفية رواية الحديث في عصر منع تدوينه وعصر الامر بتدوينه

أ - في عصر الصحابة:

قال ابن الجوزي (ت: ٥٥٩٧هـ) في كتاب الموضوعات، الباب الثالث، في الامر بانتقاد الرجال والتحذير من الرواية عن الكذابين والبحث عن الحديث المبين للأصول:

كان السرب الأول صافياً، فكان بعض الصحابة يسمع من بعض ويقول: قال رسول الله (ص) من غير ذكر رواية له، لآته لا يشك في صدق الراوي. ودليل ذلك رواية أبي هريرة وابن عباس قصة ((وأندر عشيرتك الاقربين)) وهذه قصة كانت بمكة في - بدو - [بدء] الاسلام وما كان أبو هريرة قد أسلم، وكان ابن عباس يصغر عن ذلك. وكذلك روى ابن عمر ووقوف رسول الله (ص) على قليب بدر وابن عمر لم يحضر. وروى المسور بن - محرمة - [مخرمة] ومروان بن الحكم قصة الحديبية وسنهما لا يحتمل ذلك لآتهما ولدا بعد

الهجرة بسنين. وروى أنس بن مالك حديث انشقاق القمر بمكة، وقال البراء بن عازب: ليس كل ما يحدثكموه [سمعناه] من رسول الله (ص)، ولكن حدثنا أصحابنا ثم لم تزل الافات تدب حتى وقعت التهم فاحتجج إلى اعتبار العدالة(١٢).

هكذا قال ابن الجوزي وسائر العلماء في شأن روايات الصحابة، ومنشأ قولهم هذا إنما هو اعتقادهم بعصمة الصحابة عن الزلل والخطأ والنسيان، وسوف نناقش هذا القول في ما يأتي إن شاء الله ونقتصر هنا بإيراد ما نقله كل من ابن عساكر وابن كثير في تاريخيهما:

بسندهما عن بسر بن سعيد أنه قال: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله (ص) ويحدثنا عن كعب الاحبار ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله (ص) عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله (ص)، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسول الله (ص)، وما قاله رسول الله (ص) عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث.

وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبية يقول: أبو هريرة كان يدلس - أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله (ص) ولا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر.

وكان شعبية يشير بهذا إلى حديثه ((من أصبح جنباً فلا صيام له)) فإنه لما حوقق عليه قال: أخبرني مخبر ولم أسمع من رسول الله (ص). وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم. قال: كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة، وروى الأعمش عن إبراهيم.

قال: ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم قال: كانوا يرون في أحاديث أبي هريرة شيئاً، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة، إلا ما كان من حديث صفة جنة أو نار، أو حث على عمل صالح، أو نهى عن شر جاء القرآن به(١٤).

ب - كيفية رواية الحديث بعد عصر الصحابة:

قال ابن الجوزي في كتاب الموضوعات(١٥) في تعداده الوضاعين:

القسم الثالث: قوم تعمدوا الكذب الصريح لا لآتهم أخطأوا ولا لآتهم رروا عن كذاب فهؤلاء تارة يكذبون في الاسانيد فيروون عن من لم يسمعوا منه وتارة يسرقون الاحاديث التي يرويها غيرهم، وتارة يضعون احاديث وهؤلاء الوضاعون انقسموا سبعة أقسام:

القسم الاول: الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة وإيقاع الشك فيها في قلوب العوام والتلاعب بالدين، كعبدالكريم بن أبي العوجاء، وكان خال معن ابن زائدة وريبب حماد بن سلمة؛ وكان يدس الاحاديث في كتب حماد، فلما أخذ ابن أبي العوجاء آتي به محمد بن سليمان بن علي فأمر بضرب عنقه، فلما أيقن بالقتل، قال: والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتمكم في يوم فطركم.

وفي رواية أخرى قال:

وضعت الزنادقة على رسول الله (ص) أربعة عشر ألف حديث.

وفي رواية أخرى قال المهدي العباسي:

(أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمئة حديث فهي تجول في أيدي الناس).

وروى - أيضا - وقال:

قد كان في هؤلاء الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدس في كتابه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظنا منه أن ذلك من حديثه.

كان ذلكم حديث العلامة ابن الجوزي عن الوضاعين وأثرهم التخريبي على الحديث.

١٢ كتاب الموضوعات ط. المدينة المنورة سنة ١٣٨٦هـ (١ / ٩٩). وسمعناه، في الاصل: سعمناه.

١٤ تاريخ ابن كثير ط. بيروت سنة ١٤٠١هـ (٨ / ١١٧ - ١١٨)؛ وترجمة الصحابي أبي هريرة في تاريخ ابن عساكر مصورة مخطوطة المكتبة الظاهرية

ج - الزنادقة وعملهم التخريبي في الاسلام:

درسنا شيئاً من عمل الزنادقة التخريبي في كتب مدرسة الخلفاء في البحث التمهيدي الثاني من الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابي مختلف) وكان منهم:

أ - عبدالكريم بن أبي العوجاء:

كان من تلامذة حسن البصري (ت: ٥١٠)، ثم انحرف عن الاسلام. وكان يذهب إلى مكة للاجتماع بالحجاج وإضلالهم وكيف كان الامام جعفر الصادق (ع) يناظره ويكشف أباطيله، وأنه كان في البصرة يفسد الاحداث، فهدده عمرو بن عبيد، فلحق بالكوفة. ودلّ عليه محمد بن سليمان والي الكوفة فقتله سنة ٥٥ (١٦١).

ولمعرفة منزلة حماد في الحفاظ راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي (١٧).

ب - سيف بن عمر:

قد تتبععت تخريب زنديق واحد من الزنادقة في كتب مدرسة الخلفاء، هو سيف بن عمر في مجلدات عبدالله بن سبأ وخمسون ومائة صحابي مختلف وأشارت إليه في بحث الوصي والوصية من كتاب معالم المدرستين بما فيه عبرة للمعتبر.

ونذكر في ما يأتي مثالا واحدا من تخريب الزنادقة في أمر الوحي والقرآن مما انتشر في كتب التفسير والسيرة بمدرسة الخلفاء ورووا في ذلك عدّة روايات ملخصها كالآتي:

إنّ الرسول (ص) تمّنى ذات يوم في قلبه أن لو نزل الوحي عليه في القرآن بما يقربه إلى قومه، ويكون سببا لهدايتهم، فأنزل الله تعالى عليه سورة النجم وهو في بيت الله الحرام فأخذ يتلوها بمسمع من المسلمين والمشركين إلى أن انتهى إلى قوله تعالى:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ) * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ) وهاهنا تدخّل الشيطان في قراءته وألقى على لسانه [تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترتجى] فقرأها النبيّ (ص) كذلك ثم تلا بقية السورة. وبعد الانتهاء من قراءة السورة سجد النبيّ (ص) والمسلمون لذكر الله، وسجد المشركون لما سمعوا من الثناء على أصنامهم (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى)، ولما أمسى الرسول (ص) أتاه جبرائيل وأنبأه بأن جملتي [تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترتجى] التي قرأهما الرسول (ص) ضمن السورة، لم يتلوها جبرائيل عليه وإّما ذلكم الشيطان الذي ألقاهما على لسانه. فحزن النبيّ (ص) لذلك فأنزل الله عليه قوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ... (الحجّ / ٥٢). ثم انتشر هذا الخبر حتّى بلغ المسلمين المهاجرين إلى الحبشة بأن المشركين أسلموا وسجدوا مع المسلمين فرجع بعضهم إلى مكة المكرمة وشاهدوا خلاف ما بلغهم، فبقي البعض منهم ورجع الآخرون إلى مهجرهم. ونسجل هاهنا صورة رواية واحد منها في تفسير الطبري (١٨) بسنده:

عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قال اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من اندية قريش كثيرا اهل فتمني يومئذ ان لا ياتيه من الله شيء فينصرفوا عنه فانزل الله عليه والصم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا بلغ افرأ يتم الاث والعزى ومناة الثالثة الاخرى التي عليه الشيطان كلتين ثلاث الغر انقه الملى وان شفاعتهن لترجى فتكلم ما تم مضى فقرأ السورة كلها فوجد في آخر السورة وصدا القوم جميعا معه ورفع الوليد بن المغيرة ترابا الى جبهته فسجد عليه وكان شيا كبيرا لا يقدر على السجود ففرضوا على تكلم به وقالوا قد عرفنا ان الله يحيى ويميت وهو الذي يخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع لنا عنده ان جعلت لها نصيبا فمن مغل قال فلما اتمى انا جبرائيل علم ما السلام فعرش عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين التي الشيطان عليه قال ما حدثت بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتربت على الله وقلت على الله ما لم يقل فأوحى الله اليه وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفترى علينا غيره الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا كما زال مغموما مغموما حتى ترات عليه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمى التي الشيطان في أميته فينبغ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليهم حكيم قال فجمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد ألبوا كلهم فرجعوا الى عثائرهم وقالوا هم أحب الينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين فسح الله ما لقي الشيطان

لقد بينا زيف هذه الأسطورة السخيفة بتفصيل وافي في الجزء الثاني من أحاديث أم المؤمنين عائشة بما بهرج الباطل وأزاحه، وأظهر الحق وأجلاله. فقد برهنا - مثلا - ان أسناد الأسطورة تنتهي إلى كل من:

أ - عبدالله بن عباس، ولد في السنة الثالثة قبل هجرة الرسول (ص) إلى المدينة.

ب - أبي العالية رفيع بن مهران؛ أسلم بعد وفاة رسول الله (ص) بسنتين وبعد من الطبقة الثانية من التابعين (ت: ٩٠ أو ٩٣ أو ١١٠ أو ٥١٢٦هـ).

ج - عبدالرحمن بن الحارث؛ ولد في عصر عمر (ت: ٥٩٤هـ).

د - أبي الحجاج، مجاهد بن جبر المكي، ولد سنة ٥٢١ (ت: ١٠٣ أو ١٠٤ أو ١٠٥هـ).

هـ - محمد بن سعد من سلالة يهود بني قريظة. ولد سنة ٤٠ هجرية.

و - سعيد بن جبير، قتله الحجاج سنة ٩٠ أو ٩٤ أو ٩٥. وعمره تسع وأربعون سنة.

ز - ضحّاك بن مزاحم (ت: ١٠٥ أو ٥١٠٦هـ). ويعدّ من الطبقة الخامسة من الرواة.

ح - محمد بن قيس (ت: ٥١٢٦هـ).

ط - أبي محمد إسماعيل بن عبدالرحمن السدي (ت: ٥١٢٧هـ). ويعدّ من الطبقة الرابعة من الرواة (١٩).

وهؤلاء ليس فيهم من شهد الواقعة المفتراة ليخبرنا عنها. وأقدمهم ولادة ابن عباس الذي ولد لثلاث سنين قبل هجرة رسول الله (ص)، فأتى له ان يشهد الواقعة ليخبرنا عنها.

نقول هذا ونجن نعلم أنّ القصة مفتراة من أساسها. وافتري على الصحابة روايتها وقد إختلقت في عصر نشاط الزنادقة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجري، كما بينا ذلك في بحث ما افتري روايتها على أم المؤمنين عائشة وعلى غيرها من الصحابة من المجلد الثاني من كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة.

ونظير هذه الأسطورة المفتراة على رسول الله (ص) وعلى الوحي والقرآن، الخبر المفترى على رسول الله (ص) في كيفية تلقيه أول وحي نزل عليه بغار حراء. وقد كشفنا عن زيف الخبرين في الجزء الثاني من أحاديث أم المؤمنين عائشة. وإن الخبر الأول اقتصر نقله على مصادر دراسات مدرسة الخلفاء، والخبر الثاني انتشر منها إلى بعض كتب أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

واستفاد خصوم الاسلام من روايات الزيادة والنقيصة وأخبار اختلاف المصاحف لاغراضهم في نفي ثبوت النص القرآني كما سنشير إليه في بحث المستشرقون والقرآن الكريم في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

* * *

وذكر ابن الجوزي وغيره قسما آخر من المحدثين ممن افترى على رسول الله (ص) احتسابا للخير ودفاعا عن الخلفاء مثل ما جاء في الخبر الاتي:

١٦ الطبري ط. اوربا ٢ / ٢٧٦؛ وابن الاثير ٦ / ٣؛ وابن كثير ١٠ / ١١٣؛ وذكرها الذهبي في ميزان الاعتدال ط. دار إحياء الكتب العربية، تحقيق علي محمّد الجاوي ٢ / ٦٤٤؛ وابن الجوزي في كتاب الموضوعات ١ / ٢٧. وترجمته بلسان الميزان أوفى.

١٧ تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٠٢.

١٨ تفسير الطبري، تفسير سورة النجم ١٧ / ١٣.

١٩ ذكرنا مصادر التحقيق لاسناد هؤلاء الرواة في الجزء الرابع من قيام الائمة بإحياء السنة ص ٤٠٩ - ٤١٦.

وضع الحديث والدسّ فيه صونا لمقام الخلافة

روى الخطيب البغدادي وغيره واللفظ للخطيب، قال:

قدم على المهدي بعشرة محدثين فيهم الفرّج بن فضالة وغيث بن إبراهيم وكان المهدي يحب الحمام ويشتهيها فأدخل عليه غياث بن إبراهيم فقيل له حدث أمير المؤمنين فحدثه بحديث أبي هريرة ((لا سبق إلا في حافر أو نصل)) وزاد فيه ((أو جناح)) فأمر له المهدي بعشرة آلاف. قال فلما قام، قال: أشهد أن ففك ففا كذاب على رسول الله (ص) إنما استجلبت ذاك أنا. فأمر بالحمام فذبحت فما ذكر غياثا بعد ذلك (٢٠).

ومن الروايات ما وضعت تزلفا للحكام وتحقيقا لغاياتهم مثل الرواية الاتية:

روى الاصبهاني بسنده عن الفضل بن إياس الهذلي الكوفي أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهدي، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك، فأمر بإحضار الناس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلّموا، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفوائده، وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين! حدثنا فلان عن فلان أنّ النبيّ (ص) قال: ((المهديّ منا محمّد بن عبد الله وأمه من غيرنا، يملأها عدلا كما ملئت جورا)) وهذا العباس بن محمّد أخوك يشهد على ذلك. ثمّ أقبل على العباس، فقال له: أنشدك الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم. مخافة من المنصور. فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي.

قال: ولما انقضى المجلس، وكان العباس بن محمّد لم يأنس به، قال: رأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عزّ وجلّ ورسوله (ص)

حتى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفا، وشهد كل من حضر عليّ بأنّي كاذب؟! وبلغ الخبر جعفر بن أبي جعفر، وكان مطيع منقطعا إليه بخدمة، فخافه، وطرده عن خدمته... الحديث (٢١).

* * *

في ختام هذه الدراسة الواسعة ينبغي لنا أن نورد خلاصة أخبار القرآن بعد عصر الرسول (ص) إلى عصر الحجاج فنستعين الله ونقول:

خلاصة أخبار القرآن بعد الرسول (ص)

ذكرنا في أخبار عهد الخليفة أبي بكر أنّه أمر بكتابة قرآن مجرد من حديث الرسول (ص) وتمّ العمل على عهد الخليفة عمر، فأودعه عند أم المؤمنين حفصة فاستعار الخليفة عثمان ذلك المصحف منها، ونسخ منها نسخا وزعها في بلاد المسلمين وأمر بجميع مصاحف الصحابة التي كانوا قد كتبوا في بعضها بيان الرسول (ص) إلى جنب آيات القرآن الكريم، فأحرقت (٢٢) وأمر بمن خالف أوامره مثل الصحابي ابن مسعود فجلب إلى المدينة وأهين وأمر به، فضرب على الأرض وحُرم من العطاء - راتبه السنوي من بيت المال

- (٢٣).

وكان الخليفة عثمان في فعله مقتديا بالخليفة أبي بكر في نسخه القرآن مع حذف بيان الرسول (ص) غير أنّ الخليفة أبا بكر ترك مصاحف الصحابة بأيديهم ولم يأخذها ويحرقها كما فعل عثمان.

وكذلك في إحراقه المصاحف افتدى بسلفه عمر حين جمع ما كتبه الصحابة من حديث الرسول وإحراقها غير أنّه لم يكن في ما أحرق الخليفة الثاني القرآن الكريم كما فعله الخليفة الثالث.

وأبى الصحابي المقرئ ابن مسعود أن يدفع إليهم مصحفه ليحرقوه، وفي ما يأتي بعض هذا الخبر:

٢٠ تاريخ بغداد ١٢ / ٣٢٣ - ٣٢٤ الترجمة رقم ٦٧٦٧؛ والموضوعات لابن الجوزي ٣ / ٧٨؛ والبداية والنهاية ١٠ / ١٥٣؛ واللؤلؤ المصنوعة ٢ / ٤٦٨؛ وميزان الاعتدال ٣ / ٣٣٧ الترجمة رقم ٦٦٧٣. وقال الذهبي في ترجمته: كان يضع الحديث. وفي البداية والنهاية عتاب بن إبراهيم تصحيف.

٢١ الاغانى لابي الفرج الاصبهاني ط. ساسي ١٢ / ٨١.

٢٢ مرّت مصادر حرق عثمان للمصاحف في بحث روايات جمع القرآن وتناقضها، باب من قال ان الخليفة عثمان جمع القرآن في مصحف، ونضيف إلى ذلك المصاحف لابن أبي داود ص ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣؛ واليعقوبي ٢ / ١٧٠؛ وأنساب الاشراف للبلاذري تحقيق احسان عباس ط. بيروت سنة ١٤٠٠ هـ ١ / ٥٥٢.

٢٣ راجع تفصيل خبر ابن مسعود في كتاب أحاديث عائشة ١ / ٩٨.

المقام الوحيد لحرق المصاحف:

قال ابن أبي داود: أبى ابن مسعود أن يسلم مصحفه، وقال لاهل الكوفة:

يا أهل الكوفة أو يا أهل العراق اكنموا المصاحف التي عندكم وعلوها فان الله يقول (... وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...) فالفوا الله بالمصاحف (٢٤).

في رواية أخرى:

قال عبدالله حين صنع بالمصاحف ما صنع: والذي لا إله غيره ما أنزلت من سورة إلا أعلم حيث أنزلت وما من آية إلا أعلم في ما أنزلت ولو إتّي أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الابل لاتبته (٢٥).

وفي رواية: وقد قرأت من في رسول الله (ص) بضعا وسبعين سورة وان زيد ابن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان والله ما نزل من القرآن إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل.

قال الراوي: فلما نزل عن المنبر، جلست في الحلق، فما أحد ينكر ما قال (٢٦).

وفي رواية بعده قال الراوي: فجلست في حلق من أصحاب محمد (ص) فما سمعت أحدا منهم يعيب عليه شيئا مما قال ولا رده (٢٧).

وفي رواية لَمَّا أمر بالمصاحف ساء ذلك عبدالله... الحديث (٢٨). وفي رواية أخرى قال: اني غالّ مصحفي من استطاع منكم أن يغل مصحفا فليغل... لقد اخذت من في رسول الله (ص) سبعين سورة... أفأنا أدع ما أخذت من في رسول الله (ص) (٢٩).

كان هذا شأن ابن مسعود ومصحفه، وكان مصحف الامام علي قد أخفي بعد أن لم يقبلوه بعيد وفاة الرسول (ص)، ولم يبق بعد إحراق المصاحف مصحف في متناول يد المسلمين كتب فيه بيان الرسول (ص) وتفسير القرآن إلى جنب الآيات.

وأنتج كل ما ذكرناه تبدل معنى القراءة في المجتمع الاسلامي من تعلّم اللفظ والمعنى إلى تعلّم تلاوة النص القرآني مجردا عن حديث الرسول (ص) ثم اجتهد علماء العربية بمدرسة الخلفاء، وبدلوا النصوص القرآنية بلهجات العرب المختلفة وسمي بعد ذلك تلك التحريفات بالقراءات ومخلقتها بالقراء الكبار وأصبح القارئ من تعلم تلك التحريفات، والمقرئ من يعلم تلك التحريفات في القرآن عن

ظهر قلب بعد ان كان على عهد الرسول (ص) الاقراء بمعنى تعليم النص القرآني ومعناه؛ والاقراء بمعنى: تعلم النص القرآني ومعناه؛ كما مر بنا في خبر نظام تعليم القرآن على عهد الرسول (ص)، واستمر المسلمون بعد ذلك يستعملون القراءة والقارئ والاقراء في جزء معنى الكلمة وهو تلاوة النص وحده بعد ان كان يستعمل في تلاوة النص وتعلم المعنى.

وعلى ذلك فان القراءة ومشتقاتها كانت في المصطلح الاسلامي بمعنى تلاوة النص مع تعلم المعنى وتفهمه في مقابل التلاوة التي كانت ولا تزال بمعنى تلاوة النص وحده، ثم أصبحت القراءة ومشتقاتها في مصطلح المسلمين بعد عهد الخليفة عثمان إلى اليوم بمعنى تلاوة التحريف الذي جرى على النص القرآني، ونسي المسلمون بعد ذلك معنى المصطلح الاسلامي، ومن ثم كلما وردت القراءة ومشتقاتها في القرآن وحديث الرسول (ص) فسروها بمعناها في مصطلحهم، وكذلك اصبح المصحف عندهم بمعنى الكتاب الذي دون فيه القرآن وحده بعد أن كان قبل تحريق المصاحف بمعنى الكتاب الذي دون فيه القرآن مع شيء من تفسيره كما مر تفصيله في بحث روايات اختلاف المصاحف.

خاتمة بحوث تاريخ القرآن على عهد الخلفاء الثلاثة:

أنزل الله - سبحانه وتعالى - تفصيل شرائع الاسلام في الكتابين التوراة والإنجيل، فكنتم المسيطرون عليهما من اليهود والنصارى بعضا ممّا كان يخالف اهواءهم في الكتابين وحرفوا بعضا آخر منهما فأخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك وقال:

أ - (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ). (البقرة / ١٥٩)

ب - (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ لَدِينٍ آوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَتُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ). (آل عمران / ١٨٧)

ج - (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ...), (النساء / ٤٦)

د - (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ). (البقرة / ٧٥)

واقترضت حكمة الله - جلّ اسمه - أن تبقى الشريعة الخاتمة أبد الدهر، فأنزل القرآن العظيم هدى للناس وقال تبارك وتعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر / ٩)، ومن أجل حفظ القرآن من التحريف والكتمان أنزل فيه أصول الاسلام وأوصى إلى

رسوله (ص) بيانه الذي كان فيه ما يخالف أهداف المسيطرين وقال جل ذكره: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل / ٤٤)، وأخبر سبحانه وتعالى عنه وقال: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم / ٣ ، ٤)، وقال جلّ ذكره:

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عِنْدَهُ حَاجِزِينَ) (الحاقة / ٤٤-٤٧)، فبيّن رسول الله (ص) ما احتاج من الذكر الحكيم إلى بيان في حديثه الذي هو بعض من سنته التي يبلغها الناس كما أوحيت إليه وفي هذا الصدد روى حسان بن ثابت (٣٠) كما في مقدمة الدارمي وقال:

(كان جبريل ينزل على رسول الله (ص) بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن).

ومن البديهي في أمر الشريعة الاسلامية أنّ الله سبحانه وتعالى بلغها في القرآن الكريم وسنّة رسوله (ص) والجزء الأكبر من سنّة الرسول (ص) بلغها الرسول (ص) في حديثه، غير أنّ سياسة الخلفاء الثلاثة اقتضت كتمان نشر حديث الرسول (ص) وتجريد القرآن من حديثه (ص)، وفي ما يأتي نذكر بإذنه تعالى سبب تجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) مفصلاً:

٢٤ مصاحف ابن أبي داود ١ / ١٧، باب كراهية (عبدالله بن مسعود ذلك). (آل عمران / ١٦١).

٢٥ نفس المصدر ص ١٦.

٢٦ نفس المصدر ص ١٦.

٢٧ نفس المصدر ص ١٦.

٢٨ نفس المصدر ص ١٥.

٣٠ سنن الدارمي ١ / ١٤٥ (باب السنّة قاضية على كتاب الله). وأبو عبد الرحمن أو أبو الوليد، حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري الخزرجي شاعر النبي (ص) وكان يفاخر عنه في مسجده وقال فيه النبي (ص): ((إن الله يؤيد حسباننا بروح القدس ما نافع عن رسول الله)) وكان من أجبن الناس ولم يشهد مع النبي (ص) شيئاً من مشاهدته لجبنه ووهب له النبي (ص) سيرين أخت مارية فولدت له عبد الرحمن. روى عن رسول الله (ص) حديثاً واحداً أخرجه أصحاب الصحاح ما عدا الترمذي ومات قبل الأربعين أو سنة خمسين أو أربع وخمسين من الهجرة وهو ابن مائة وعشرين سنة. أسد الغابة ٢ / ٥ - ٧؛ وجوامع السيرة ص ٢٠٨؛ وتقريب التهذيب ١ / ١٦١.

سبب تجريدهم القرآن عن حديث الرسول (ص) ونهيه عن كتابه حديثه

مرّ بنا في المجلّد الأوّل (٢١):

أ - أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها!

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم.

ب - أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله (ص) فسمعت من رسول الله (ص) (ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا) فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأوماً باصبعه إلى فيه وقال: ((اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلّا حق)).

دراسة الخبرين:

كان مرور أبي سفيان عليّ أولئك الصحابة في مجيئه للمدينة قبل فتح مكّة لتجديد صلح الحديبية (٣٢) ولم يكن بعد إسلامه فاتّه كان قد أصبح بعد إسلامه أخاهم في الاسلام ولم يكونوا يقولون له (عدو الله).

والخير الأوّل يفسيّر لنا من الخبر الثاني مقصود قريش وهم المهاجرون في قولهم لعبد الله (ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا) أي: إنّ الرسول (ص) كسائر البشر إن كره أحداً ذمّه وإن رضي عنه مدحه، وكان حديث الرسول (ص) في المدح والذمّ

في تعليم الصحابة معاني الايات التي فيها مدح وذمّ لاشخاص لم يسمّوا في تلك الايات وبيان شأن نزولها وأحياناً الحوادث التي جرت عند تبليغها، وفي ما يأتي نشير بإذنه تعالى إلى بعض ما مرّ بنا في المجلّد الأوّل ونضيف إليها بعض ما نحتاج إليه في التوضيح.

وإنّ أحاديث الرسول (ص) التي وصفها المهاجرون من قريش بأنّ الرسول (ص) قالها في حال الرضا والغضب وقالوا تكتب كل شيء، هي:

أولاً - كانت أحاديثه في تفسير الايات التي نزلت بمكّة كالاتي بيانها:

أ - في مدح الامام علي:

لما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء / ٢١٤) جمع النبي (ص) عشيرته الاقربين وقال لهم: إيّي قد جئتم بخير الدنيا والاخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنني على هذا الامر يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً فقام علي بن أبي طالب وقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبته ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

ب - في ذم الوليد بن المغيرة في خبر وصفه للقرآن الكريم:

(إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفَقَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ... فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأَصْلِيهِ سَقَرًا). (المدثر / ١٨ - ٢٧)

ج - في ذم الاسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمّية بن خلف والعاص بن وائل السهمي عندما قالوا لرسول الله (ص):

يا محمد! هلمّ فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الامر. فأنزل الله في ردّ اقتراحهم:

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ...).

د - في ذم عتبة وشيبة وأبي سفيان وأبي البختری والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبي جهل وعبدالله بن أبي أمية وأميمة بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابني الحجاج عندما اجتمعوا عند ظهر الكعبة فبعثوا إلى رسول (ص) فاتاهم فقالوا: يا محمد! إنا بعثنا إليك لنعذر فيك... لقد شتمت الالاء وعبت الدين وشتمت الالهة فان كنت تطلب مالا جمعنا لك حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان الذي يأتيك من الجن بدلنا في طلب الطب لك حتى نبرئك.

فقال (ص): ما بي ما تقولون وما جئت بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك ولكن الله بعثني إليكم رسولا فبلغتكم رسالة ربي فإن تقبلوا فهو حظكم في الدنيا والاخرة وإن تردوه علي أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم.

فقالوا: فإن كنت غير قابل ما عرضنا عليك فسل ربك فليسبر عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وبيسط بلادنا ويفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وفيهم قصي فنسألهم عما تقول فإن صدقوك صدقناك وعرفنا أنه بعثك بالحق رسولا كما تقول.

فأجابهم بالجواب الأول.

فقالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك يبعث ملكا يصدقك ويجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة فإنك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمس.

وقالوا في ما قالوا له: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبلا فقام عنهم فقال له عبدالله بن أبي أمية لا يؤمن لك حتى ترقى إلى السماء وأنا أنظر وتأتي معك بنسخة منشورة وأربعة من الملائكة يشهدون لك ولو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فأنزل الله تعالى فيهم:

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ... وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا). (الاسراء / ٨٨ - ٩٠)

هـ في ذم العاص بن وائل وأبي جهل وغيرهما من عتاة قريش لما أتوا بعظم حائل أمام الرسول (ص) فذروه في الريح وقالوا:

(قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أنزل الله فيهم (وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ...). (يس / ٧٨)

و - في العاص بن وائل عندما شنأ رسول الله (ص) بعد وفاة ابنه القاسم وقال له الابتر، فأنزل الله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوتِرَ).

ز - في الاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحريث بن الطلائع الذين كانوا يستهزئون برسول الله وأهلك كل واحد منهم بما أهلكهم (... إِنَّا كَفَيْتَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ...). (الحجر ٩٤ - ٩٦)

كانت أحاديثه التي نزلت بالمدينة كما يأتي بيانها:

أ - في ذم عبدالله بن سعد بن أبي سرح:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ). (الانعام / ٩٣)

فاته كان يكتب لرسول الله (ص) في المدينة فارتدّ ورجع إلى مكة وقال للمشركين إني آتي بمثل ما يأتي به محمد...

ب - في مدح الرسول (ص) وابن عمه عليّ وابنته فاطمة وولديهما الحسن والحسين.

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

(الاحزاب / ٣٣)

ج - في شأن الرسول وأهل بيته:

(... فَقُلْ تَعَالَوْا تَدْعُوا أبنَاءَنَا وَأبنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ). (آل عمران / ٦١)

في قصة المباهلة مع نصارى نجران.

د - في شأن الامام علي:

١ - (يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ). (المائدة / ٦٧)

في الجحفة في مرجع الرسول (ص) من حجة الوداع فجمع الحجيج في غدير خم وخطب وقال في خطبته: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى، يا رسول الله.

ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض أبيطهما ثم قال:

أيُّهَا النَّاسُ! اللَّهُ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِاهُ وَعَادُ مِنْ عَادَاهُ وَانصُرْ مِنْ نَصْرِهِ وَاخْذَلْ مِنْ خِذْلِهِ..

ثم لم يتفرق حتى نزلت هذه الآية:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا). (المائدة / ٣)

٢ - (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ). (المائدة / ٥٥)

بعد أن دخل فقير مسجد الرسول (ص) وسأل وكان علي راعيا في صلاة غير فريضة فأومأ علي إليه باصبعه وفيها خاتم عقيق يمانى أحمر فنزعه ودعا له فنزلت فيه الآية.

٣ - (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ... الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ...). (براءة / ١٩ ، ٢٠)

في العباس عم النبي عندما افتخر على علي بن أبي طالب بأنه كان ساقى الحجيج وطلحة بن شيبه أنه صاحب البيت معه مفتاحه فقال علي: ما أدري ما تقولون لقد صليت إلى القبلة قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى فيهم الآيات.

٤ - حول تبليغ الآيات (١ - ٥) من سورة براءة إلى الكفار في الحج.

عندما نزلت الآيات (١ - ٥) من سورة براءة دعا النبي (ص) أبا بكر فبعثه ببراءة لاهل مكة لا يحج بعد العام مشرك... والله بريء من المشركين ورسوله فصار بها ثلاثا ثم قال لعلي: الحقه فرد علي أبا بكر وبلغها أنت ففعل فلما قدم على النبي أبو بكر بكى وقال: يا رسول الله حدث في شيء؟

قال: ما حدث فيك إلا خير ولكنني أمرت أن لا يبليعه إلا أنا أو رجل مني.

وأیضا ما نزلت في حق:

أ - الصحابي الوليد بن عقبة:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات / ٦)، عندما بعثه إلى بني المصطلق يصدق أموالهم فسمع القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله (ص) فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فرجع إلى رسول الله (ص) فقال: إن القوم منعوا صدقاتهم... الحديث.

ب - الصحابييين أبي بكر وعمر:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (الحجرات / ٢)، وذلك عندما قدم ركب من بني تميم على النبي (ص) فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما... الحديث.

ج - الصحابة عثمان بن عفان القرشي الاموي وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الانصاريين ثم الزرقيين:

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (آل عمران / ١٥٥)، عندما انهزموا عن رسول الله (ص) يوم أحد حتى بلغوا الجلبج جبل بناحية المدينة فأقاموا بها ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله (ص) فقال لهم: (لقد ذهبتم فيها عريضة).

د - أمي المؤمنين حفصة وعائشة:

(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْريلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ أَنْ يُلَاقَاكُمْ أَوْ جَا خَيْرًا مِنْكُمْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَائِلَاتٍ...إلى تمام سورة التحريم.

هـ بني أمية:

(وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا). (الاسراء / ٦٠)

عندما رأى رسول الله (ص) بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فسأه ذلك فأوحى الله إليه الآية وإته إنما هي دنيا أعطوها.

بسبب بيان رسول الله (ص) في تفسير هذه الايات ما فيه مدح لبعض وذم لبعض آخر وعقاب لآخرين قال القرشيون المهاجرون لعبدالله بن عمرو بن العاص إن رسول الله (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب وكان دافعهم في ذلك التعصب القبلي لذوي أرومتهم قريش ولبعض من يتصل بهم بسبب أو نسب وكان الدافع الالهم سياسيا كي لا يصل إلى الحكم بعده الامام علي وأولاده.

وبعد تقديم هذه البحوث يلزمننا إيراد موجز عام لآخبار القرآن منذ عصر الرسول حتى عصر الخليفة عمر كي نستطيع بعدها دراسة أخبار جمع القرآن.

٢١ كل ما ذكره في هذا الموجز مرت مصادره في ما مضى من بحوث المجلد الاول.

٢٢ راجع هامش صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، باب فضائل سلمان.

موجز عام لآخبار القرآن في عهد الرسول (ص)

نورد في ما يأتي موجزا من تاريخ القرآن عن المجلد الاول مع اضافات تقتضيها الدراسة المستوعبة لروايات جمع القرآن ونقول بإذنه تعالى:

قال الله سبحانه:

أ - (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ). (الحجر / ٩)

ب - (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * إِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ). (القيامة / ١٧ - ١٩)

ج - (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ). (التحل / ٤٤)

د - (سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى). (الاعلى / ٦)

هـ (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ). (الاسراء / ١٠٦)

وصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم فقد أنزل القرآن متدرجا ليتيسر للمؤمنين حفظه عن ظهر قلب، وأوحى لفظه ومعناه إلى رسوله (ص)، وأوحى مع كل آية معنى كل آية يحتاج فهم معناها إلى بيان يوحى غير قرآني مثل معنى (آية التيمم وآية أقم الصلاة

لدلوك الشمس) أي بيان كيفية التيمم وكيفية الصلوات اليومية الخمس.

إذا فقد كان الله جلّ اسمه أوّل مقرئ للقرآن وأوّل جامع له وكان رسوله(ص) أوّل قارئ للقرآن.

والقارئ وجمعه القراء من تعلّم تلاوة لفظ القرآن مع تعلّم معناه.

والمقرئ من امتحن تعليم القرآن كذلك كما برهنا على ذلك في بحث المصطلحات القرآنية في الجزء الأوّل من هذا الكتاب والحمد لله.

والجامع من حفظ جميع القرآن عن ظهر قلب، وقد جمع الله القرآن أوّلاً في قلب رسوله (ص) وكان الرسول (ص) أوّل جامع للقرآن فقد حفظ القرآن عن ظهر قلب مع كل ما أوحى إليه في بيان آياته، وكان جبرائيل (ع) يقارنه في كل شهر رمضان كل ما أنزل الله من القرآن إلى تاريخه وعارضه القرآن في آخر سنة من حياته مرتين، وقام الرسول (ص) باقراء القرآن كذلك مصداقاً لقوله تعالى: (وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ). (الانعام / ١٩)

ونهى الرسول (ص) بأعباء التبليغ بكل ما استطاع إليه سبيلاً في نوعين من التبليغ:

أ - نشر تلاوة القرآن في صلاته (ص) في البيت في مواسم الحج

لمّا كان دأب القبائل العربية الاجتماع في أسواقهم حول مكة: ذي المجاز وعكاظ وعرفات وغيرها في الأشهر الحرم والاستماع إلى قصائد شعرائهم وحفظهم إياها عن ظهر قلب وترديدها على مسامع من لم يحضر الموسم منهم وكانت السور المكية أقصر من تلك القصائد وأعلى بلاغة منها وفيها من المعاني الرفيعة ما لم يسمعوها قبل ذلك لذا كانوا يتهافون إلى استماع تلاوة الرسول (ص) في صلاته ويحفظونها عن ظهر قلب وينقلونها إلى حيث ما بلغ بهم المسير كما مرّ بنا قول عمرو بن سلمة الجرمي:

كنت أتلقى الركبان فيقرئوني حتّى جمعت قرأنا كثيراً وكان يومذاك صغير السنّ، وإذا كان هذا شأن صغيرهم في شبه الجزيرة العربية فكيف كان حال ذوي السنّ والشأن منهم في هذا الامر.

ب - إقراء الرسول (ص) القرآن لمن أسلم بمكة

كان لاقرأ المؤمن بمكة مرحلتان:

١ - مرحلة الاقراء السريّة: في هذه المرحلة كان الرسول (ص) يجتمع بالمؤمنين سرّاً في دار الارقم بن أبي الارقم بأصل الصفا لاقرأتهم في دور سرّيّة الدعوة ولم يكن الاجتماع بهم لحياكة مؤامرة ضدّ قريش، ولعلّ في هذا الدور كان ما أخبره الصحابي عمر بن الخطاب وقال:

كان رسول الله (ص) يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوّة وفي رواية من أهل البسار- فيكونان معه ويصيان من طعامه وقد كان ضمّ إلى زوج أختي رجلين فدخلت عليهم وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن في صحيفة، وفي لفظ آخر بكتاب.

وعن الاقراء في مكة قال ابن مسعود:

بيننا نحن عنده على حرّاء إذ نزلت عليه سورة المرسلات فأخذتها وإن فاه ليرطب بها(٣٣).

٢ - مرحلة الاقراء العلنية: ونرى أنّ في دور التبليغ العلني كان من خبر الضير بن أم مكتوم في ما جاء في روايات تفسير ((عيسى وتولى أن جاءه الاعمى)) أن الاقراء كان بعد ذلك علناً، ويظهر من قراءة عبدالله بن مسعود سورة الرّحمن في الحرم على قريش وقراءة جعفر بن أبي طالب خبر عيسى بن مريم من سورة مريم على النجاشي في الحبشة أنّهم في مكة كانوا يحفظون القرآن عن ظهر قلب.

* * *

كانت تلكم بعض أخبار الاقراء في العصر المكي، ولمّا أسلم من حجاج أهل المدينة من أسلم أرسل إليهم قبل أن يهاجر إليها مصعب بن عمير وابن أم مكتوم يقرئان من أسلم منهم القرآن وكان مصعب بن عمير يسمّى في المدينة بالمقرئ.

قال زيد بن ثابت : أتى النبي (ص) المدينة وقد قرأت سبع عشرة سورة فقرأت على رسول الله (ص) فأعجبه ذلك(٣٤).

ومن الانظمة التي سنّها الرسول (ص) في المدينة لاقراء القرآن وتدوينه:

٢٣ بترجمة ابن مسعود من مختصر تاريخ ابن عساکر ١٤ / ٤٧.

٢٤ بترجمة زيد في الاصابة. وان السور التي قال زيد انه كان قد حفظها كانت من السور المكية.

أولا - إقراء القرآن:

أ - كيفية الاقراء:

عن عثمان وابن مسعود وأبيّ إنّ الرسول (ص) كان يقرئهم في مسجده العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتّى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعا.

وفي رواية:

... لم تتعلم العشر التي بعدها حتّى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها.

وفي رواية:

ولا يأخذون في العشر الأخرى حتّى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل فعلمنا العلم والعمل (٣٥).

كانوا لا يأخذون في تعلم آيات أخرى حتّى يعلموا ما فيها من العلم وانّها في أية حادثة نزلت؟ وفي شأن من نزلت؟ وكذلك يعلموا ما أوحى الله إلى رسوله في بيانها من فنون المعرفة من بدء الخلق إلى المعاد وشرح ما فيها من الحلال والحرام أي:

يعلموا كل ما فيها من العلم والعمل جميعا وكذلك كان الصحابة يعلّمون جميع ذلك لمن يقرئونه القرآن في عصر الرسول (ص).

ب - المتعلمون هم:

١ - جميع أصحاب الرسول (ص) من الرسول (ص) نفسه وأحيانا من القرّاء الذين عيّنهم الرسول (ص) للاقراء.

٢ - جميع أهل بيت الصحابة في بيوتهم من أزواجهم وأبائهم من الصحابة كما قال الصحابي لرسول الله (ص): (نحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناءنا أبناءهم إلى يوم القيامة).

٣ - بعض أعضاء الوفود إلى المدينة الذين تعلموا من قرّاء الصحابة الذين تعلموا القراءة من الرسول (ص).

ج - أماكن الاقراء:

١ - مسجد الرسول (ص) لاقراء الرسول (ص) أصحابه.

٢ - صفة مسجده لتعليم أصحابه من لا مأوى له.

٣ - جميع دور الصحابة بلا استثناء لتعليم الصحابة أهل بيتهم وأحيانا من يفوض إليهم الرسول (ص) تعليمه من أعضاء الوفود.

ثانيا - نظام المفاضلة:

جعل أقرأهم للقرآن إماما للجمعة والجماعة وواليا عليهم في المدينة وان كان أصغرهم سنًا، ونشر الاهتمام بحفظ السور الطوال وخاصة سورة البقرة وجعلها شعارا في غزوة حنين وأمر العباس أن ينادي عند فرارهم: يا أصحاب سورة البقرة. وكذلك تنادوا بها بعد وفاة الرسول (ص) في حرب مسيلمة فتجمهروا في المعركتين وكروا وانتصروا، ولم يجر هذا النظام في تعيين قواد الجيوش بل اتخذ من أكثرهم دراية لإدارة دفة الحرب لإمارة الجيوش في الحروب.

وسمى الرسول (ص) البقرة وآل عمران بالزهاوين وكان يقرأهما في صلاة الليل وأحيانا يقرأهما مع سورة النساء.

وكذلك اهتم الصحابة بحفظ سورة البقرة عن ظهر قلب مثل الصحابي عمر ابن الخطاب.

ومما عمله الرسول (ص) في المفاضلة أن جعل أكثر الشهداء في أحد حفظا للقرآن أمام أصحابه في القبر.

وقال (ص) في فضل من حفظ القرآن عن ظهر قلب يوم القيامة عدّة أحاديث مثل قوله (ص): من تعلّم القرآن فاستظهره وحفظه أدخله الله الجنة وشقعه في عشرة من أهل بيته.

وقال في فضل تعليم القرآن: يا عليّ تعلّم القرآن وعلمه الناس فلك بكل حرف عشر حسنات فإن متّ متّ شهيدا... حجّت الملائكة إلى قبرك كما تحجّ الناس إلى بيت الله العتيق.

وقوله (ص): ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفظتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده.

وفي نتيجة كلّ ذلك كان يسمع لمسجد رسول الله (ص) ضجّة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله (ص) أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا وأصبحت دور المهاجرين والانصار أماكن لاقراء القرآن، وعلى أثر ذلك كثر في الصحابة من حفظ القرآن عن ظهر قلب وبلغ عدد القراء منهم درجة لا يمكن حصرهم وعدّهم إلا من ذكر اسمهم لمناسبه مثل خير القراء السبعين من شعبة الانصار يقال لهم القراء يتدارسون القرآن ليلا فأرسلهم الرسول (ص) ليقرئوا بعض القبائل العربية خارج المدينة فاستشهدوا جميعا غير واحد منهم، ووجدنا ذكر قرابة أربعين صحابيا ذكرت أسماؤهم في مناسبات في عداد القراء وجامعي القرآن وكان فيهم مثل عبدالله بن عمرو بن العاص الذي أراد أن يختم القرآن في ليلة فنهاه الرسول (ص) عن ذلك وأرشده إلى أن يقرأه في سبع ليال، وكل ذلك يناقض ما رواه أنس من أنه حصر من جمع القرآن على عهد الرسول (ص) في الانصار دون المهاجرين و- أيضا - جعل هذه الميزة لقبيلته من الخزرج دون قبيلة الاوس من الانصار.

اهتمام الرسول (ص) بسور خاصة:

اهتمّ الرسول (ص) بذكر سورة هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت والمرسلات وعمّ يتساءلون والقارعة وسأل سائل لما جاء فيها من تخويف وأمثلة مما جرى على الأمم السالفة من العذاب.

وقال - أيضا - : أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان الزبور المثني وأعطيت مكان الانجيل المثاني وفضلت بالمفصل.

والسبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والكهف. والمثون ما وليها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها، والمثاني ما ولي المثني والمفصل ما ولي المثاني في قصار السور آخر سورة الناس بلا نزاع(٣٦).

وسنّ نظاما للمفاضلة بحفظ القرآن وخاصة السور الطوال وعيّن ممّن حفظ السور الطوال الولاة وكذلك كان شأنه وشأن سائر المسلمين في مجتمعاتهم خارج المدينة حيث أرسل لكل مجتمع إسلامي مقرّنا يقرئهم القرآن ويحذون حذوه في أمر نشر تعليم القرآن في تلك المجتمعات، ولا يتيسر إحصاء من حفظ القرآن عن ظهر قلب من المسلمين في عصر الرسول (ص) وكذلك من كتبه مع بيان الرسول حوله والذي تلقاه بواسطة الوحي. وما روي عن أنس في حصر من جمع القرآن من أقربائه عن ظهر قلب بأربعة أو خمسة فإتّه مردود بما تواتر من أخبار من جمع القرآن وكتبه من غير أفراد قبيلته، وما بلغنا من أخبار من جمع القرآن أو كتبه أو حفظ منه ما حفظ إنما ذكر لمناسبة استدعت ذكر من حفظه عن ظهر قلب أو حفظه مثل خير عبدالله بن عمرو الذي كان قد جمع القرآن وكان يريد أن يتلوه في أقل من سبعة ليال فنهاه الرسول (ص) عن ذلك؛ ومثل خير المصحف الذي كان في بيت الرسول (ص) وجمعه الامام علي وعرضه عليهم في مسجد الرسول (ص) فأبوا أن يقبلوه؛ وخبر إملاء ابن مسعود القرآن في الكوفة عن ظهر قلب وعدم تسليمه مصحفه لوزعة الخليفة عندما أحرقوا نسخ القرآن عند الصحابة، أو خبر الشهيذة أم ورقة من النساء، أو خير من كان كتب في مصحفه مع كل آية تفسيرها - أي ما بين الرسول (ص) في حديثه حولها - ففرض الخليفة عمر تفسير الايات بالمقرضين، أو خير حفظ زيد بن ثابت سبع عشرة سورة من القرآن قبل أن يهاجر الرسول (ص) إلى المدينة، أو قول ابن مسعود أخذت من في رسول الله (ص) نيفا وسبعين سورة وزيد له ذؤابتان، أو نحر الصحابي جزورا عند إنتمامه حفظ سورة البقرة عن ظهر قلب، أو مثل خبر اشتراك ثلاثة آلاف قارئ في معركة اليمامة قرابة سنة بعد وفاة الرسول (ص) في جيش بلغ عدد أفراده ثلاثة عشر ألف مقاتل

أكثرهم من أعراب البوادي.

وإذا كان في هذا الجيش وحده ثلاثة آلاف قارئ فكم كان عدد القراء الذين لم يشتركوا مع هذا الجيش ممن كانوا في المدينة ومكة والطائف وسائر المجتمعات الإسلامية يومذاك؟ مثل الامام علي من الرجال والفارثة الشهيذة أم ورقة من النساء في المدينة، وصرح المؤرخون أنّ عدد القتلى من المسلمين كان أربعمئة وخمسين أو خمسمئة وفي الشهداء خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن. ذكر خليفة بن خياط في تاريخه أسماءهم وأنسابهم كما ذكروا في سائر كتب السيرة أسماء الشهداء في غزوة بدر وأحد وغيرهما من غزوات الرسول (ص).

وبناء على ذلك بقي من القراء في ذلك الجيش وحده خمسون وتسعمائة وألفا قارئ على أقل تقدير، وان هذه الاخبار تناقض ما رواه.

* * *

كان ذلكم موجزا عاما لاختبار القرآن في عصر الرسول (ص)، وفي ما يأتي نورد بإذنه تعالى موجز أخبار تدوين القرآن في ذلك العصر.

٣٦ الاتقان للسيوطي ١ / ٦٥.

أولا - اهتمام الرسول (ص) بأمر تدوين القرآن:

عندما هاجر الرسول (ص) إلى المدينة كان فيها من الاوس والخزرج أحد عشر رجلا يكتب بالاضافة إلى سبعة عشر رجلا من القرشيين الذين كانوا يكتبون في مكة وهاجروا متدرجا إلى المدينة، ومن النساء المهاجرات الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية وهي التي علمت حفصة الكتابة (٣٧).

وفي ترجمة الحكم عبد الله بن سعيد بن العاص الاموي من أسد الغابة والاصابة: أنه قدم على النبي (ص) مهاجرا وكان اسمه الحكم فسماه النبي (ص) عبد الله وكان يكتب في الجاهلية فأمره رسول الله (ص) أن يعلم الكتاب بالمدينة وكان كاتبنا محسنا.

وجعل فدية من يعرف الكتابة من أسرى قريش في غزوة بدر تعليم كل واحد منهم الكتابة لعشرة من صبيان المدينة.

وانتشرت القراءة والكتابة في المدينة بين الكبار والصغار والرجال والنساء، فقد كان في النساء ممن تكتب : حفصة

زوجة الرسول (ص) وأم كلثوم بنت عقبة وعائشة ابنة سعد وقاص وقد علمها أبوها الكتابة وكريمة ابنة المقداد وزوجنا الرسول (ص) عائشة وأم سلمة كانتا تقرأن ولا تكتبان.

ثانيا - كيفية تدوين القرآن:

كان تدوين القرآن بوحي من الله وتعليم الرسول (ص) مصداقا لقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)، مر بنا عن الصحابي عثمان بن أبي العاص أنه قال: كنت عند رسول الله (ص) إذ شخص ببصره... فقال: أتاني جبرائيل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...).

وكان رسول الله (ص) يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد الآيات الكثيرة. وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذا في السورة التي تقول فيها كذا وكذا...

وكان الرسول (ص) يهتم بانتشار تعلم الكتابة في المسلمين لتدوين القرآن إلى جنب جمعهم القرآن حفظا عن ظهر قلب، ولا يتيسر إحصاء من جمع القرآن حفظا عن ظهر قلب في عصر الرسول (ص) من الصحابة فقد مر بيان أنه كان يسمع لمسجد رسول الله (ص) ضجة بتلاوة القرآن فأمرهم رسول الله (ص) أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا وكان حفظهم للقرآن عن ظهر قلب حفظ نص كلام الله سبحانه.

وكذلك كان من تعلم الكتابة يتسابق إلى تدوين القرآن على ما حضره يكتب عليه كما تعلمه من الرسول (ص)، أي أنه كان يكتب النص القرآني مع بيان الرسول (ص) مما أوحى إليه في تفسير الآيات فإن ابن مسعود مثلا كان ممن تعلم من الرسول (ص) عشر آيات عشر آيات من القرآن مع ما أوحى إلى الرسول (ص) حوله من العلم، وعندما قال: (أخذت من في رسول الله (ص) سبعين سورة وإن زيد بن ثابت له ذؤابتان)، أي أخذها من في رسول الله (ص) مع ما أوحى إليه في بيانها وعندما كتب نسخته من

المصحف كتب فيه ما أخذ من كلام الله الذي أوحاه إلى رسوله (ص) مع بيانه الذي - أيضا - أوحاه إلى رسوله (ص)، ولم ينحصر ما أخذه من في رسول الله (ص) بالسبعين سورة وإنما استمر أخذه من في رسول الله (ص) بعد ذلك - أيضا - حتى كتب المصحف كاملا على عهد الرسول (ص) كذلك، و - أيضا - لم ينحصر أمر أخذ القرآن وتفسيره من في رسول الله (ص) وكتابته كذلك بالصحابي ابن مسعود وإنما قام بذلك كل من استطاعه والذي مر بنا ذكره.

ومن هنا نعتقد أنه لا يمكن التكهن بعدد من جمع القرآن عن ظهر قلب من المسلمين في المدينة وخارجها قبيل وفاة الرسول (ص) بالمثل ولا بالألوف وكذلك لا يمكن حصر من كتبه منهم بالمثل ولا بالألوف.

٣٧ ترجمتها من الاستيعاب ٢ / ١٨٥ - ١٨٦، والاصابة. أسلمت الشفاء قبل الهجرة وهي من المهاجرات الاوائل وبايعت النبي قبل الهجرة وكانت من عقلاء النساء، وراجع أمر الخط في فتوح البلدان.

موجز عام لآخبار القرآن والسنة بعد الرسول (ص)

على عهد الخليفين الصحابين القرشيين أبي بكر وعمر

أول قرآن جمع بعد الرسول (ص)

أوصى الرسول (ص) ابن عمه علياً أن لا يرتدي رداءه حتى يجمع القرآن الذي كان في بيته مكتوباً على الورق والخشب والجلد وغيرها وكان مكتوباً مع آيات ذلك القرآن ما أوحى إلى الرسول (ص) في معناه وأمله الرسول (ص) بلفظه، فلما أتم جمعه وجاء به مع غلامه قنبر إلى المسجد يحملانه فقالوا له: إرفعه لا حاجة لنا به فأرجعه إلى بيته.

قال فيه ابن سيرين أنه كتبه على تنزيله فلو أصيب ذلك الكتاب كان فيه علم.

وقال له الصحابي عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن بما يدعوننا إليه.

العمل بشعار حسينا كتاب الله

مر بنا أن الصحابي عمر منع من كتابة وصية الرسول (ص) في آخر ساعة من حياته (ص) وقال حسينا كتاب الله.

ولما ولي الخلافة الصحابي القرشي أبو بكر جمع الناس وقال في حديثه معهم: .. فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه).

وكان الرسول (ص) قد أنبأ عن هذا الموقف في قوله (ص):

(أيحسب أحدكم مئتنا على أريكته قد يظن أن الله لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا القرآن ألا وإني أمرت ونهيت عن أشياء إنَّها لمثل القرآن أو أكثر).

إنَّها لمثل القرآن لأنَّه تلقاها عن طريق الوحي من الله وأكثر من القرآن في شرح أحكام الاسلام وشأن نزول القرآن وذم أناس والثناء على آخرين كما مر بنا في ما سبق.

ومن أخبار القرءاء في عصر الخليفة أبي بكر أنه بعد وفاة رسول الله (ص) بما يقارب سنة بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل فلما التقوا انكشف الجيش الاسلامي لكثرة ما فيه من الاعراب، وكان في الجيش ثلاثة آلاف من قرءاء القرآن فنادوا: يا خالد خلصنا - يقولون ميزنا - من هؤلاء الاعراب فميزوا وصدقوا الحملة وقتلوا قتالا شديدا وجعلوا يتنادون يا أصحاب سورة البقرة فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله.

وفي تاريخ خليفة بن خياط: كان جميع القتلى من المسلمين أربعمئة وخمسين رجلا أو خمسمائة رجل وكان ممن قتل من المهاجرين والانصار مائة وأربعون رجلا فيهم خمسون أو ثلاثون من حملة القرآن (٢٨).

* * *

كانت تلکم أخبار القراء والقرآن علی عهد الخلیفة الاول ولم یطل به الزمن وتوفي لثمان بقین من جمادی الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبویة (٣٩) بعد أن ولی علی المسلمین الصحابي القرشي عمر بن الخطاب، وكان من أخبار الكتاب والسنة في عهده ما يأتي ذكره بإذن الله تعالى.

٣٨ تاریخ خلیفة بن خیاط (ت: ٢٣٠ أو ٢٤٠هـ) ط. النجف سنة ١٣٨٦، ص ٧٧ - ٨٣، وذكر أسماء من استشهد وقبائلهم فردا فردا.

٣٩ عهد الخلفاء الراشدين من تاریخ الاسلام للذهبي ط. القاهرة سنة ١٣٦٧، ١ / ٢٨٧.

أخبار الكتاب والسنة علی عهد الخلیفة القرشي عمر

ذكرنا أن الخلیفة عمر هو الصحابي الذي رفع - حسب اجتهاده - بكل صلابة شعار حسبنا كتاب الله في وجه رسول الله (ص) وفي آخر ساعة من حياته وعلی أثر ذلك وقع ما وصفه ابن عم الرسول (ص) عبدالله بن عباس بقوله: (الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب) و(بکی حتى خضب دمه الحباء) (فلما أكثروا اللغظ قال رسول الله (ص): قوموا عني لا ينبغي عند نبي تنازع) (٤٠).

وعمل باجتهاده في عصر خلافته بكل شدة وقوة ورفع شعار: جردوا القرآن عن حديث الرسول، كما مر بنا نقلا عن تاریخ الطبري في ذكر بعض سيرة الخلیفة عمر أنه كان إذا استعمل العمال خرج يشيعهم ويقول لهم: (جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن

محمد وأنا شريككم). وكان من الولاة الذين أوصاهم بذلك:

أ - أبو موسى الأشعري، كما رواه ابن كثير في تاريخه وقال: لما بعث أبو موسى إلى العراق قال له: إنك تأتي قوما لهم في مساجدهم دوي بالقرآن كدوي النحل فدعهم علی ما هم عليه ولا تشغلهم بالاحاديث وأنا شريكك في ذلك، قال ابن كثير: (وهذا معروف عن عمر) (٤١).

ب - قرصة بن كعب الذي قال ما موجه: لما سيرنا عمر إلى العراق خرج يشيعنا وقال لنا - خارج المدينة - إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالاحاديث عن رسول الله (ص) وأنا شريككم! قال قرصة: فما حدث بعده حديثا عن رسول الله (ص) وكان إذا قالوا له: حدثنا، يقول: نهانا عمر.

ونكل بصيغ بن عسل من أشراف قبيلة تميم حيث كان يدور في الاجناد، الكوفة والبصرة يسأل عن تفسير آيات القرآن حتى بلغ جند الاسكندرية فأخبر والي الاسكندرية عمرو بن العاص الخلیفة بذلك فطلب منه إرساله إلى المدينة فلما أخبر الخلیفة بوضوئه أحضر رطائب من جريد نخل وضربه حتى دمي رأسه فقال: يا أمير المؤمنين! حسبك قد ذهب الذي كنت أجده، ثم تركه حتى برئ ثم عاد حتى اضطربت الدماء في ظهره ثم تركه حتى برئ.

وفي الثالثة قال له صبيغ: ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برئت (٤٢). أرسله علی قتب إلى أبي موسى الأشعري وكتب لأبجالس صبيغا وأن يحرم عطاءه ورزقه. قال الراوي: فلو جاءنا ونحن مائة لتفرقنا عنه.

وفي رواية أخرى: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه يعير أجرب يجيء إلى الحلقة ويجلس وهم لا يعرفونه فتناديهم الحلقة الأخرى عزمة أمير المؤمنين عمر فيقومون ويدعونه فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى فحلف له بالإيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان شيئا فكتب في ذلك إلى الخلیفة فكتب إليه ما أخاله إلا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس فلم يزل وضيعا في قومه بعد أن كان سيذا فيهم (٤٣).

كان ذلكم عمله مع من يسأل عن تفسير القرآن وفي الخبر الاتي عن عمله في من كان معه مصحف فيه تفسير:

في كنز العمال عن عامر الشعبي قال: كتب رجل مصحفا وكتب عند كل آية تفسيرها فدعا به عمر ففرضه بالمقراضين (٤٤).

كل ما ذكرناه كان يخص أمر تفسير القرآن وكان مهتما بأمر تعليم تلاوة القرآن، وكان ممن يعلم تلاوة القرآن من عماله أبو موسى الأشعري كما جاء بترجمته من حلية الاولياء (١ / ٢٥٦) بسنده عن أبي رجاء العطاردي أنه قال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد، مسجد البصرة يقعد حلقا، فكانني أنظر إليه بين بردين أبيضين يقرئني القرآن ومنه أخذت هذه السورة (أقرأ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) قال أبو رجاء: فكانت أول سورة أنزلت على محمد رسول الله (ص).

ومر بنا ان ابن مسعود كان يملئ القرآن على الناس في الكوفة عن ظهر قلبه.

وان الخليفة كتب إلى امراء الاجناد أن ارفعوا إلي كل من حمل القرآن (أي حفظه عن ظهر قلب) حتى ألحقهم في الشرف من العطاء وأرسلهم في الافاق يعلمون الناس فجمع أبو موسى الأشعري القراء وقال: لاتدخلوا علي إلا من جمع القرآن فدخلوا عليه زهاء ثلاثمائة قارئ جمع القرآن.

وان عبدالرحمن بن ملجم كان من قراء القرآن فكتب عمر إلى عمرو بن العاص قرّب داره من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقهاء (٤٥).

وأته أرسل إلى مدن الشام للاقراء معاذ بن جبل وأبا الدرداء وعبادة بن الصامت، وأن أبا الدرداء كان إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفا ويقف وهو في المحراب يرمقهم ببصره فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله وأته ناف عددهم على ألف وستمائة، ويظهر من الرواية الاتية أن بعضهم كان يسافر إلى المدينة لآخذ القرآن من منبعه مباشرة.

جاء في مصاحف ابن أبي داود السجستاني:

عن عطية بن قيس قال: انطلق ركب من أهل الشام إلى المدينة يكتبون مصحفا لهم فانطلقوا معهم بطعام وادام فكانوا يطعمون الذين يكتبون لهم، قال وكان أبي بن كعب يمر عليهم يقرأ عليهم القرآن. قال: فقال له عمر: يا أبي بن كعب كيف وجدت طعام الشاميين؟ قال: لاوشك إذا ما نشبت في أمر القوس ما أصبت لهم طعاما ولا إداما (٤٦).

٤٠ راجع صحيح البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم، ١ / ٣٢، وكتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، ٢ / ١٣٦، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهة الخلاف، ٤ / ١٨٠، وكتاب المرضى، باب قول المريض: قوموا عني، ٤ / ٥، وكتاب المغازي، باب مرض النبي (ص)، ٣ / ٦٢، وكتاب الجهاد والسير، باب: هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم، ٢ / ١٢٠؛ وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية بأخر الباب، ٥ / ٧٥ وراجع سائر مصادره في أول بحث السقيفة من (عبدالله بن سبأ ج ١). وينبغي لي أن أسجل هنا وأقول: يحز في نفسي أن أذكر أمثال هذه الحوادث من تاريخنا الاسلامي وأنا أعلم ان بسبب ذكرها تنقيض عني نفوس كريمة علي ولكن لا بد مما لا بد منه فاتّه لن يتيسر لنا دراسة الروايات التي تبعث الشك في ثبوت النص القرآني كما أوحى إلى الرسول (ص) دون دراسة أسباب انتشار تلكم الروايات كما قمنا به في هذه البحوث بمنه تعالى.

٤١ تاريخ ابن كثير ٨ / ١٠٧.

٤٢ سنن الدارمي ١ / ٥٤ - ٥٥؛ وتفسير آية (الذاريات) بتفسير القرطبي والاتقان للسيوطي. وقد مرت مصادره مفصلا.

٤٣ تاريخ ابن عساكر مخطوطة الظاهرية بدمشق، مصورة المجمع العلمي الاسلامي (٨ / ٨ ق / ١ / ورقة ١١٧ - ١١٨).

٤٤ كنز العمال ط. دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد سنة ١٣٦٤هـ، ٢ / ٢٠٤، ج: ٣٠٢٣.

٤٥ راجع أخبار القراءة والاقراء في عصر عمر في هذا الكتاب.

٤٦ مصاحف ابن أبي داود ط. مصر سنة ١٣٥٥هـ، ص ١٥٧. وعطية بن قيس الكلبي أبو يحيى الحمصي ويقال الدمشقي، وقال عبدالواحد بن قيس كان الناس يصلحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس وتوفي سنة ٥١١٠هـ. تهذيب التهذيب ٧ / ٢٢٨.

على عهد الخليفة الصحابي عثمان

أمر بكتابة سبعة مصاحف مجردة عن حديث الرسول (ص) ووزعها على أمهات البلاد الاسلامية وبحرق ما عداها من مصاحف الصحابة.

فأحرقوا ما تمكنوا من احراقها من مصاحف الصحابة ونسخ المسلمون المصاحف في شتى البلاد الاسلامية على النسخ السبع في عصر عثمان والعصور التي كانت بعده وإلى عصرنا الحاضر.

على عهد الامام عليّ

بعد تجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) في عصر الخلفاء الصحابة القرشيين الثلاثة وأمرهم بقراءة القرآن مجردا عن حديث الرسول (ص) ومنعهم الشديد عن كتابة حديث الرسول (ص) ونشره، فتح الامام عليّ على عهده باب نشر سنة الرسول (ص) على مصراعيه سواء في تفسير القرآن وغيره من فنون المعارف الاسلامية أو في خطبه وكتبه إلى ولاته وحث من كان معه من الصحابة على نشر حديث الرسول (ص).

وأولى على تلاميذه خاصة أمثال ميثم التمار وابن عباس ما حملوه عنه في تفسير القرآن عن الرسول (ص).

* * *

وأجرى لمن ولد في الاسلام وقرأ القرآن في كل سنة مائتي دينار وفرض للكبار الذين قرأوا القرآن - أصبحوا من القراء ألفين ألفين وعلى أثر ذلك تنامي عدد القراء في عصره وكان يسمع من مسجد الكوفة ضجة تلاوة القرآن كما كان ذلك شأن مسجد الرسول (ص) في عصره، وبلغ عدد القراء معه وفي جيشه بصفين عشرين ألف قارئ.

وأسس لحفظ القرآن من الخطأ في القراءة علم النحو وسلّم ما كتبه إلى تلميذه أبي الاسود الدؤلي.

على عهد بني أمية

أعادوا سيرة الخلفاء الصحابة الثلاثة قبل الامام عليّ في أمر القرآن والحديث غير أن زيادا دفع أبا الاسود إلى نشر علم النحو الذي تعلمه من استاذة الامام عليّ فوضع علامات الاعراب في أواخر كلمات القرآن، وأبدل الخليل بن أحمد تلك النقاط بعلامات الاعراب المتداولة إلى عصرنا الحاضر.

على عهد العباسيين

أمر أبو جعفر المنصور سنة ١٤٣هـ العلماء بكتابة العلم فكتبوا السيرة والحديث وتفسير القرآن وحرّض مالك بن أنس فكتب الموطأ وأشهره بين المسلمين وكذلك فعل في بادئ الامر مع أبي حنيفة وانتشر منذ ذلك العصر حتى اليوم كتابة تفسير القرآن، أمّا القرآن فقد بقي ينسخ في عصره حتى عصرنا الحاضر كما نسخ على عهد عثمان.

* * *

إلى هنا أوردنا بحثا مفصّلا لتمهّد لنا السبيل لدراسة روايات المجموعات الاربعة الانفة، وبعد هذا ينبغي تقديم خلاصة بحوث المجلدين ثمّ المقارنة بينها وبين تلكم الروايات فنستعين الله ونقول:

خلاصة بحوث المجلدين حسب تسلسلها الزمني مضافا إلى ما ينبغي تقديمها في هذا المقام

كان العربي الجاهلي مغرما بالادب الرفيع نظما ونثرا ويستعمل ذاكرته لحفظ القصيدة الرائعة الطويلة أو الخطبة البليغة إذا سمعها لأول مرة فيحفظها عن ظهر قلب وامتاز بدينك على غيره من أفراد البشر أيد الدهر، وكانوا يجتمعون في أسواقهم بنواحي مكة في أشهر الحرم ويتبارى شعراؤهم فيها بانشاد قصائدهم ويحمل الحاضرون ما سمعوه إلى قبائلهم ومن يمرّون عليهم من أهل المنازل في طريقهم وبذلك تنتشر تلك القصائد والخطب إلى جميع القبائل في شبه الجزيرة العربية، وقد مرّ بنا خبر الصبي الجرهمي عمرو بن سلمة الذي حفظ قرآنا كثيرا ممّا سمعه من الحجّاج المشركين لدى عودتهم من الحجّ وكانوا يخبرون من يمرّون عليهم من أهل المنازل بمبعث النبيّ (ص) ويتلون عليهم ما سمعوه منه في تلاوته القرآن بصلاته في البيت الحرام ولم يكونوا قد اجتمعوا بالرسول (ص) ليتعلموا منه القرآن ويحفظوا ما علمهم منه بل كان حفظهم للقرآن بمجرد سماعهم تلاوته للقرآن مرّة واحدة.

كان ذلكم شأن العرب في حفظ القرآن قبل أن يؤمنوا بالقرآن ويُسلموا على يد رسول الله وكان شأنهم وشأن الرسول (ص) معهم في أمر القرآن بعد إسلامهم ما مرّ بنا أخبارهم. ومرّ بنا من أخبار القرآن أن الرسول (ص) كان يوحى إليه لفظ القرآن ومعناه وآتاه (ص) كان يعلم أصحابه في مسجده عشر آيات عشر آيات لا يتعدون العشرة حتّى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل أي: يتعلمون تفسيرها مع تلاوتها.

وعرفنا أنّهم كذلك كانوا يكتبون القرآن مع ما تعلموه في تفسيره في مصاحفهم وأن الخليفة أبا بكر قال: لاتحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه.

وأفصح الخليفة عمر عن الهدف ورفع شعار جرّدوا القرآن عن حديث الرسول وبدأوا بتدوين القرآن مجردا عن حديث الرسول (ص) في عهد أبي بكر وتمّ الأمر على عهد الخليفة عمر فأودعه عند ابنته أم المؤمنين حفصة ونهى عن نشر حديث الرسول (ص) وأحرق المكتوب منها وعاقب ونكّل بمن سأل عن تفسير القرآن وأخذ مصحفا كان لرجل قد كتب عند كل آية تفسيرها ففرض التفسير بالمقرّاضين.

وعلى عهد الخليفة عثمان استعار المصحف المودع عند أم المؤمنين حفصة ونسخ عليها سبع نسخ ووّزعها على أمّهات البلاد الإسلامية وأمر باحراق سائر المصاحف وأبى ابن مسعود أن يسلم مصحفه فجرى بينه وبينهم ما جرى.

ومرّ بنا أنّ سبب تجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) والنهي عن رواية حديثه ما كان فيه من مدح لأشخاص وذمّ لآخرين ممّا يخالف سياسة الحكم ولهذا السبب كان الخليفة عمر والخليفة معاوية يقولان: لاتحدثوا عن رسول الله (ص) إلّا في ما يعمل به.

وكان في الصحابة من يسمع من غيره ويقول: قال رسول الله (ص) وكان فيهم مثل الصحابي الراوية أبي هريرة الذي كان يروي ما سمعه عن كعب الاحبار عن رسول الله (ص) ولذلك ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة.

وعلى عهد معاوية كتب إلى عماله أن يدعوا الناس إلى رواية فضائل عثمان ويدنوا مجالس من يروي فضائله ومناقبه ويقربوهم ويكرمهم ويكتبوا إليه بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يعث إليهم معاوية من الصلّات والكساء والحباء والقطائع ويفضيه في العرب منهم والموالي فكثرت ذلك في كل مصر وفي كل وجه وناحية وتنافسوا في المنازل والدنيا فكتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر فإذا جاءكم كتابي فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين ولا تتركوا خبرا يرويه أحد في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له فرويت أخبار كثيرة في مناقبهم ثمّ حدّث بها على صهوات المنابر وألقيت إلى معلّمي الكتاتيب فعلموه كما يعلمون القرآن وعلموها أبناءهم ونساءهم وخدمهم ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة، وسار على نهجه سائر الخلفاء من بني أمية ما عدا عمر بن عبدالعزيز.

وكان في من جاء بعد الصحابة من الرواة من يكذب في أسناد الاحاديث وفي أخبار القرن الثاني انتشرت الزندقة وقصدوا إفساد الشريعة وإيقاع الشك فيها في قلوب العوام ووضعوا من الاحاديث ما الله به عليم، وتتبعنا عمل واحد منهم وذكرنا بعض ما وضعه في مجلدات (عبدالله بن سبأ) و(خمسون ومائة صحابي مختلق)، ونرى أن روايات اسطورة الغرائق وروايات خنق جبرائيل للنبي (ص) عند أول مرّة يلقي الوحي من عملهم.

وفي عصر التدوين كان في الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدسّ فيه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظلّا منه أن ذلك من حديثه.

وعلى عهد أبي جعفر المنصور لما أراد تنصيب ابنه المهدي وليا للعهد تبرّع منهم مطيع بن ابياس بوضع حديث قال فيه: ان الرسول (ص) قال: (المهدي ممّا محمد بن عبدالله وأمّه من غيرنا...) قال ذلك لأن أم المنصور المكناة أم موسى كانت ابنة منصور بن شهر الحميري ولم تكن هاشمية.

وقال مطيع وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد بذلك وصدّقه العباس مخافة من المنصور(1).

وكان في المحدّثين من غير الزنادقة - أيضا - من يضع الاحاديث تزلفا إلى الحكام مثل غياث بن إبراهيم الذي دخل على الخليفة

العباسي المهدي وألحق بحديث (لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل) (أو جناح) لأنّ الخليفة كان مولعا بحبّ الحمام فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم فلمّا قام قال المهدي: أشهد أن قفاك قفا كذاب على رسول الله (ص) وإثما استجلبت أنا ذلك فأمر بالحمام فذبحت (٢).

إذا فإنّ الراوي الأوّل المتهم بالزندقة افترى حديثا على رسول الله (ص) تزلفا للخليفة والمحدث الثاني ألحق بالحديث ما لم يكن فيه تزلفا إلى الخليفة واختلطت الاحاديث الموضوعية بالاحاديث الصحيحة وأوجدت تناقضا ندرس شيئا منها في دراستنا المقارنة لروايات المجموعات الالفة في ما يأتي بإذنه تعالى:

١ راجع الاغاني ط. بيروت سنة ١٩٥٨م، ١٣ / ٢٨٨؛ وترجمة المهدي من التنبيه والاشراف للمسعودي ط. مصر سنة ١٣٥٧ ص ٢٩٦.

٢ مر ذكر مصدره في ص ٦٤٤ من هذا الكتاب.

أولا - دراسة روايات البسمة وزمان روايتها ومكانها

وجدنا في روايات الصحيحين وسائر كتب الحديث عن الصحابي أنس بن مالك أن رسول الله (ص) والخلفاء كانوا يجهرون بقراءة البسمة في سورة الحمد من الصلاة الجهرية.

ووجدنا - أيضا - فيها عن الصحابي أنس أنّه قال: صليت خلف النبيّ (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله ربّ العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم.

ولم نجد أي سبيل لحلّ هذا التناقض في معرفة الروايات الصحيحة منها إلا في ضوء البحوث السابقة. فقد رأينا كيف تبرع المتهم بالزندقة باختلاق رواية افترى بها على رسول الله تزلفا للخليفة، وتبرع المحدث الثاني احتسابا للخير بالحق (الجناح) إلى الحديث تزلفا إلى الخليفة وتبريرا لولعه بلعب الحمام.

وكذلك كان شأن من روى أن النبي (ص) والخلفاء كانوا يستفتحون بالحمد ولا يقرأون البسمة فإنّهم لما رأوا أنّ الخليفة معاوية عندما أسقط البسمة عن الحمد في صلواته بالصحابة في مسجد الرسول (ص) ثار عليه الصحابة وقالوا له: أسرقت الصلاة أم نسيت؟ تبرعوا بوضع روايات عدم قراءة الرسول (ص) والخلفاء بعده البسمة في الحمد احتسابا للخير وحفظا لكرامة خليفة المسلمين معاوية!!

وبما أنّ المدينة لم تكن في عصر الصحابة والتابعين الذين أنكروا على معاوية تركه قراءة البسمة محلا مناسيا لوضع روايات عدم قراءة الرسول (ص) والخلفاء البسمة نرى أن تلكم الروايات بادئ بدء رويت في غير المدينة مثل بلاد الشام التي استطاع معاوية ان يبعد الصحابة عنها ليخفي عن أهلها معالم الاسلام، بعد ذلك انتشرت تلكم الروايات في سائر البلاد خارج المدينة ثمّ انتقلت إلى المدينة بعد عصر الصحابة والتابعين وقبل عصر التدوين، وفي عصر التدوين دونت المجموعتان المتناقضتان في شأن البسمة في باب ذكر البسمة من كتب الحديث.

وهكذا انتشرت الروايات المتناقضة التي رويت في شأن القرآن

ثانيا - دراسة روايات جمع القرآن وزمان روايتها ومكانها

جاء في روايات صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنن والمسانيد والمعجم الحديثية ما خلاصته:

أ - أن الرسول (ص) وجميع الصحابة أهملوا تدوين القرآن وعندما استحر القتل بالقرءاء يوم اليمامة خشى الخليفة أبو بكر أو الصحابيان زيد وعمر أن يذهب كثير من القرآن فعزموا على جمع القرآن، ولست أدري كيف استحر القتل بالقرءاء وكان عددهم قريبا من ثلاثة آلاف قارئ فقتل منهم على أكثر تقدير خمسون قارئاً؟!

لست أدري كيف رووا أن القرآن لم يجمع قبل ذلك ومّر بنا أن ختن الخليفة عمر بن الخطاب وأخته كان في بيتها بمكة القرآن مكتوبا يتدارسونه، وفي المدينة كان رسول الله (ص) كلما نزل عليه شيء من القرآن أمر من حضر من كتابه أن يكتبها في محلّها

من السورة كما عينه جبرائيل بوحي من الله.

وقد مرّ بنا في بحث المصطلحات ان الكتاب مصدر سُمي به المكتوب وبناء على ذلك فان القرآن الكريم كان مجموعا في كتاب في زمن الرسول (ص) وإلى هذا أشار استاذ الفقهاء السيّد الخوئي وقال:

(وقد أُطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النبيّ (ص): ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي (أهل بيتي)) وفي هذا دلالة على أنّه كان مكتوبا مجموعا، لأنّه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف، والعسب، والاكتاف، إلّا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة، فان لفظ الكتاب ظاهر في ما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مُجزّأ غير مجتمع، فضلا عما إذا لم يكتب، وكان محفوظا في الصدور فقط(٣).

وأمر رسول الله (ص) عليّا من بعده أن لا يرتدي رداءه حتى يجمعه ففعل كما مرّ بنا خبره، وإتّما اهتم الرسول (ص) بنشر الكتابة في المدينة ليكتب المسلمون القرآن وحث أصحابه على جمع القرآن حفظا وتدوينا وحرّضهم على تلاوة القرآن في المصحف وإن كانوا قد جمعه حفظا عن ظهر قلب.

فتسابقوا على تدارسه وحفظه وتدوينه في المصحف وذكروا أن عبدالله بن مسعود كان له مصحفٌ ومع ذلك كان يملّي القرآن عن ظهر قلب وكان لكلّ من أمّات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة مصحفٌ وكذلك كان لغيرهم من الصحابة مصاحف ولا يمكن إحصاء من كان عنده مصحفٌ من الصحابة، وإتّما ذكر أسماء بعض من كان عنده مصحفٌ منهم لمناسبة في بعض أخباره وقد مرّ بنا أن جيش معاوية رفعوا يوم صفين خمسمائة مصحف على الرماح فكم كان عدد المصاحف التي كانت في بلاد الشام وعند غير من حضر منهم في جيش معاوية وكم كان عدد المصاحف في جيش الامام علي وكم عدد المصاحف في الكوفة والبصرة والمدينة ومكة وبلاد اليمن والاسكندرية وفي آلاف البلاد الاسلامية الأخرى ومتى كتبت تلك المصاحف؟

ب - جاء في الروايات أنّهم عندما قاموا بجمع القرآن كانوا لا يقبلون شيئا إلاّ بشهادة اثنين ووجدوا (لقد جاءكم رسول ...) في آخر سورة براءة عند خزيمة ولم يجدوها عند غيره فكتبوها لان الرسول (ص) جعل شهادته بشهادة رجلين.

وأن زيدا قال: فقدنا آية من الاحزاب حتى نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) الآية / ٢٣ فالحقناها بها.

أو أنّهم على عهد عثمان ربّما اختلفوا في كتابة آية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله (ص) ولعلّه يكون غائبا في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه فيأخذونها منه.

لست أدري كيف رووا في ما وصفوه بالصحيح كلّ ذلك! أولم يكن في المدينة من الصحابة أمثال عبدالله بن عمرو الذي أراد أن يقرأ القرآن بصلاة الليل ليلة واحدة فنهاه الرسول (ص) عن ذلك، وأين كان عنهم الامام علي ومصحفه الذي جمعه من بيت الرسول (ص) وعبدالله بن مسعود الذي كان يملّي القرآن عن ظهر قلب وله مصحف لم يسلمه لوزعة الخليفة عندما أرادوا حرق المصاحف وأين كان عنهم آلاف القرّاء الذين كانوا قد جمعوا القرآن على عهد الرسول (ص) ممّن ذكرنا أسماء بعضهم في ما سبق؟ وألم يكن زيد بن ثابت نفسه ممّن جمع القرآن على عهد الرسول (ص) وكان قد حفظ من القرآن قبل هجرة الرسول (ص) إلى المدينة سبعا وثلاثين سورة!

لست أدري كيف يروون ما رووا وقد كان في البصرة وحدها على عهد الخليفة عمر ثلاثمائة قارئ ممّن جمع القرآن وكان في الشام من الصحابة من يملّي القرآن على ألف وستمائة متعلم.

وأخيرا كيف يروون أنّ بعض آيات القرآن لم يجدوها عند غير خزيمة وأخذوها منه وحده وبعضها كان عند من كان خارج المدينة فيكتبون ما قبلها وما بعدها ويتركون كتابتها حتى يأتي الرجل ويملي عليهم الآية.

وان الخليفة عمر سأل عن آية فقيل له: كانت مع فلان واستشهد يوم اليمامة وأين كان منهم ثلاثة آلاف من القرّاء الذين اشتركوا في قتال اليمامة ولم يقتل منهم أكثر من خمسين.

ليس من المعقول أن تجري تلك المحاورات بين الصحابة ومنهم زيد جامع القرآن على عهد الرسول ومعهم في المدينة آلاف القرّاء وما لانعرف عدده من المصاحف، فلا بدّ إذا أن تلكم الروايات رويت بادئ بدء خارج المدينة وانتشرت في غيرها من البلاد ثمّ انتقلت متدرجا إلى المدينة بعد عصر الصحابة والتابعين ودوّنت في عصر التدوين في كتب الحديث، ولعلّ سبب التناقض في روايات جمع القرآن أن بعض الرواة أسند جمع القرآن إلى الخليفة عثمان عملا بأمر الخليفة معاوية في رواية الحديث في فضائله وبعد أمره الثاني أن يرووا من فضائل الخلفيتين الأولين أسند بعضهم ذلك إلى الخليفة أبي بكر وأخرون إلى الخليفة عمر وهكذا وجدت الروايات المتناقضة في شأن القرآن.

لست أدري كيف يفترى على الله أنّه أهمل التوصية بجمع القرآن وتدوينه وعلى رسوله (ص) وأصحابه أنّهم أهملوا جمع القرآن وتدوينه وأضافوا إلى ذلك ما رووه عنهم في ضياع آيات من القرآن وقد قال الله سبحانه: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

والانكى من كل ذلك أنّهم يسمون هذه الروايات بالصحيحة لأنهم يرون عصمة صحيحي البخاري ومسلم عن إيراد غير الصحيح فيهما ولا يرون ذلك لكتاب الله العظيم ورسوله الكريم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢ تفسير البيان للسيد الخوئي، ص ٢٧١.

ثالثا - دراسة روايات اختلاف المصاحف والزيادة والنقيصة في القرآن - معاذ الله

تنقسم روايات اختلاف مصاحف الصحابة إلى أربعة أنواع

أ - ما لم يفهم معنى الرواية فيه لتغيير معنى المصطلح الاسلامي الذي جاء فيه في عصرنا عن معناه في عصر الصحابة.

ب - ما افتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحابه أو زيد في الرواية الصحيحة وحرّفت.

ج - ما لم يفهم منها معنى كلام الصحابي وفي بعض منها لم ترو الرواية بلفظ الصحابي نسيانا أو تعمدا.

د - ما افتري بها على كتاب الله وأحد ولاة الجور.

أ - ما لم يفهم فيه معنى الرواية لتغيير معنى المصطلح الذي جاء فيه في عصرنا

أ - في صحيح مسلم وغيره: ان أم المؤمنين عائشة أمرت أن يكتب مولاها لها مصحفا وقالت له إذا بلغت (حَافِطُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَى) أذني فلما بلغها وأذنها أمرته أن يكتب (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى و صلاة العصر).

وجاء نظيره عن أم المؤمنين حفصة وعن أم المؤمنين أم سلمة وابن عباس.

وجاء في رواية ان أم المؤمنين حفصة قالت: (لاتكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله (ص) يقرأها...).

ب - ما جاء في تفسير الطبري: إن ابن عباس أعطى الراوي مصحفا وقال: هذا على قراءة أبي وفيه (فما استمتعتم به منهن - إلى أجل مسمى -).

ج - ما جاء في تفسير السيوطي عن ابن مسعود: كتنا نقرأ على عهد رسول الله (ص): (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك إن عليا مولى المؤمنين وإن لم تفعل فما بلغت رسالته).

دراسة الروايات الانفة:

جاء في روايات مصاحف أمهات المؤمنين: إن كل واحدة منهن قالت لمن يكتب لها المصحف: إذا بلغت (والصلوة الوسطى) أذني فلما بلغها وأذنها أمرته أن يكتب بعدها: (وصلاة العصر).

وفي رواية قالت أم المؤمنين حفصة: (ولا تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله (ص) يقرأها...).

يظهر من هذه الروايات أن كل واحدة من أمهات المؤمنين كان لديها مصحف ليس فيه (وصلاة العصر) المبيّنة للصلوة الوسطى وأمرت الكاتب أن يكتبها في مصحفها.

وأبانت أم المؤمنين حفصة أنّها سمعته من رسول الله (ص).

إذا فقد كان القرآن مدونا في مصاحف يكتب فيها أصحابها ما سمعوه من رسول الله (ص) في بيان الايات. وبهذا المعنى جاء في رواية ابن عباس أنّه أعطى الراوي مصحفا وقال هذا على قراءة أبي وفيه: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فأتوهن أجورهن) في قوله تعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً). (النساء / ٢٤)

وما جاء عن ابن مسعود أنّه قال:

كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص): (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ) بزيادةِ إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآيَةِ ٦٧ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ.

فَإِنَّ كِلَا مِنْ (أَجَلٍ مَسْمُومٍ) فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَ(إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ) فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ كَانَ بَيَانًا لِلآيَةِ مِمَّا سَمِعَهُ صَاحِبُ الْمُصْحَفِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص).

وَبِنَاءِ عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ اخْتِلَافٌ مِصْحَافِ الصَّحَابَةِ بِمَعْنَى اخْتِلَافِهَا فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ بَلْ كَانَ اخْتِلَافًا فِي تَدْوِينِ بَعْضِهِمْ فِي مِصْحَفِهِ مَا تَلَقَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي بَيَانِ الْآيَاتِ وَعَدَمِ تَسْجِيلِ الْآخَرِ فِي مِصْحَفِهِ ذَلِكَ الْبَيَانُ لِعَدَمِ سَمَاعِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ذَلِكَ الْبَيَانُ أَوْ لِعَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي تَسْجِيلِ ذَلِكَ النَّصِّ فِي مِصْحَفِهِ.

وَنَرَى أَنَّ مَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ كَانَ فِي مِصْحَفِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى قِرَاءَةِ أَبِي (إِلَى أَجَلٍ مَسْمُومٍ) بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ).

وَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

(بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) هُمَا نَظِيرًا مَا جَاءَ أَنَّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ كَتَبْنَ فِي مِصْحَفِهِنَّ بَعْدَ (وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى): وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِمَّا سَمِعْنَاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص).

وَنَسْتَنْتِجُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُمْ: جَاءَ فِي قِرَاءَةِ أَبِي أَوْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَوْ غَيْرَهُمَا هُوَ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ: جَاءَ فِي مِصْحَفِ الصَّحَابِيِّ فَلَانٍ وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ سِوَاكَ أَمَا فِي الرِّوَايَةِ: (فِي قِرَاءَةِ أَبِي كَذَا) أَوْ جَاءَ (فِي مِصْحَفِ أَبِي كَذَا).

* * *

فِي ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ بَيَانَهُ نَدْرُسُ رِوَايَاتِ اخْتِلَافِ الْمِصْحَافِ بِإِذْنِهِ تَعَالَى.

نتيجة البحث:

مَرَّبْنَا فِي بَحْثِ الْمِصْطَلِحَاتِ مِنَ الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ: أَنَّ الْقُرْآنَ اسْمُهُ فِي الْمِصْطَلِحِ الْقُرْآنِيِّ (الْقُرْآنُ) وَليْسَ غَيْرُهُ وَانَّ الْأَسْمَاءَ الَّتِي اسْتَخْرَجَهَا الْعُلَمَاءُ لِلْقُرْآنِ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مِثْلَ الْكِتَابِ وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ وَغَيْرِهَا إِنَّمَا هِيَ صِفَاتٌ لِلْقُرْآنِ.

وَأَنَّ الْمِصْحَفَ فِي اللَّغَةِ اسْمٌ لِلصَّفْحِ الَّتِي تَجْمَعُ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ مِثْلَ مِصْحَفِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الَّذِي كَانَ عِلْمُهُ فِي مِصْحَفٍ لَهُ أَزْرَارٌ وَعَرَى وَبِهَذَا الْمَعْنَى اسْتَعْمَلَ فِي عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَبِنَاءِ عَلَى ذَلِكَ كَانَ الْمِصْحَفُ فِي عَصْرِ الصَّحَابَةِ يَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ صَفْحٍ جَمَعَتْ بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ قُرْآنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ قُرْآنٍ وَفِي عَصْرِنَا أَصْبَحَ الْمِصْحَفُ اسْمًا لِعِلْمَا الْقُرْآنِ وَحَدَهُ.

وَأَنَّ الْإِقْرَاءَ كَانَ فِي الْمِصْطَلِحِ الْقُرْآنِيِّ بِمَعْنَى تَعْلِيمِ لَفْظِ الْقُرْآنِ مَعَ تَعْلِيمِ مَعْنَاهُ وَالْمَقْرَأُ مَنْ يَقُومُ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ وَالْقَارِئُ وَجَمْعُهُ الْقُرَّاءُ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ كَذَلِكَ. وَبِنَاءِ عَلَيْهِ فَإِنَّ جِزَاً مِنْ مَعْنَى الْإِقْرَاءِ تَعْلِيمَ لَفْظِ الْقُرْآنِ وَجِزَاً آخَرَ مِنْهُ تَعْلِيمَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَنَقَلْنَا عَنْ مَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ لِلرَّاغِبِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِمَعْنَى اللَّفْظِ جِزَاً جَازَ اسْتِعْمَالُهُ فِي كِلَيْهِمَا مَعَا وَجَازَ اسْتِعْمَالُهُ فِي أَحَدِ الْمَعْنِيَيْنِ مَفْرَدًا مِثْلَ الْمَائِدَةِ الَّتِي هِيَ اسْمٌ لِلخَوَانِ مَعَ الطَّعَامِ وَيَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِمَا مَعَا وَفِي أَحَدِهِمَا بِالْأَنْفِرَادِ.

وَأَنَّ فِي أُخْرِيَّاتِ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ اسْتُعْمِلَ الْإِقْرَاءُ فِي تَعْلِيمِ مَعْنَى الْقُرْآنِ وَبِهَذَا الْمَعْنَى - أَيْضًا - اسْتَعْمَلَ فِي حَدِيثٍ جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقْرَأُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَأَمثالَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي آخِرِ سَنَةِ حُجٍّ فِيهَا عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْقُرْآنَ فِي مَنَى أَيَّ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَلَمْ يَكُنْ صَحَابَةً مُهَاجِرِينَ أَسْلَمُوا قَرِيبًا مِنَ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ بَعْدَ الْبَيْعَةِ مِثْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ يَتَعَلَّمُونَ تِلَاوَةَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ يَوْمَئِذٍ بَعْدَ أَنْ مَضَى عَلَى إِسْلَامِهِمْ بِمَكَّةَ ثَمَانِي سِنُونَ وَفِي الْمَدِينَةِ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً بَلْ كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ، وَقَدْ مَرَّبْنَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ عُمَرَ كَانَ يَسْأَلُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَكَانَ مِمَّنْ رَشَّحَهُ الْخَلِيفَةُ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَلَى عَهْدِ خِلافَتِهِ وَنَجَدَ كَثِيرًا مِنْ تَفْسِيرِ مَعْنَى اللَّفْظِ مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوِرِ لِلْسِّيُوطِيِّ مِثْلَ قَوْلِهِ فِي (١ / ٢٥) مِنْهُ:

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) الْبَقْرَةَ / ٣: مَا غَابَ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

وَفِي (١ / ٢٩) مِنْهُ:

(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) الْبَقْرَةَ / ٧: طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا.

وَفِي (١ / ٣٠) مِنْهُ:

(في قلوبهم مرض) البقرة / ١٠: النفاق، إلى ثلاثين مورداً آخر.

وثلاثين مورداً في الجزء الثاني وأربعة وأربعين مورداً في الجزء الثالث وفي الجزء الخامس ستاً وخمسين مورداً وفي الجزء السادس أربعة وسبعين مورداً.

هكذا كان يقرئ ابن عباس القرآن وإن شئت فقل في كل مورد منه هكذا كانت قراءة ابن عباس فتقول مثلاً:

((يؤمنون بالغيب)) في قراءة ابن عباس: (ما غاب عنهم) من أمر الجنة والنار.

((ختم الله على قلوبهم)) في قراءة ابن عباس: (النفاق).

ومن هذا القبيل ما رواه الطبري: كان ابن مسعود يقول: الياس هو ادريس، فقرأ: وان ادريس لمن المرسلين. وقرأ: سلام على ادراسين(٤).

قال مجاهد: كنا لاندرى ما الزخرف، حتى رأيناه في قراءة ابن مسعود: أو يكون لك بيت من ذهب(٥).

وفسر الزمخشري اليدين في قوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) باليمينين، لان ابن مسعود قرأ: فاقطعوا أيماهما(٦).

وقرأ: (إِنِّي نذرت للرحمن صمتاً فلن أكلم اليوم انسياً)(٧) بدل ((صوماً)) لان الصوم المنذور كان صوم صمت.

وقرأ: (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أمهلونا نقتبس من نوركم) (٨) بدل ((انظرونا)) لان المقصود هو الامهال.

وقرأ: (ان كانت إلا زقية واحدة)(٩) بدل ((صيحة واحدة)).

٤ تفسير الطبري ٢٣ / ٩٦. والاية في سورة الصافات / ١٢٣ و ١٣٠.

٥ تفسير الطبري ١٥ / ١٦٣. والاية في سورة الاسراء / ٩٣.

٦ الكشاف ١ / ٤٥٩. والاية في سورة المائدة / ٣٨.

٧ تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٤٠ والاية في سورة مريم / ٣٦.

٨ الاتقان ١ / ٤٧. والاية في سورة الحديد / ١٣.

٩ سورة يس / ٢٩ و ٥٣.

ب - ما افتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله أو زيد في الرواية الصحيحة وحرّفت

(١) جاء في صحيح مسلم وغيره: إنَّ أبا موسى الأشعري بعث إلى قرّاء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل فقال لهم:...

وإنَّ كُنَّا نقرأ سورة نسيبها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أبي حفظت منها (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب).

(٢) وكنا نقرأ سورة نسيبها باحدى المسبجات فأنسيتها غير أبي حفظت منها: (يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم).

(٣) (٤) وفي الباب عن أنس وابن عباس: (لو كان لابن آدم واديان...).

وفي سنن الترمذي عن أبي بلفظ آخر وفي مسند أحمد بلفظ آخر.

(٥) وقال أبي: هكذا أقرأنيها رسول الله (ص).

٦) وانه كان في مصحف ابن عباس قراءة أبي موسى سورتي الحجد والخلع.

وانته أمهم الوالي الاموي بخراسان فقرأ السورتين.

وان الامام علياً علم الراوي تلك السورتين وقال علمنيها رسول الله (ص) وهما (اللهم إنا نستعينك...).

وان جبرائيل نزل بذلك على رسول الله (ص).

وانتهما كانتا مكتوبتين في مصحف أبي.

وقال الحافظ ابن المنادي (١٠) في كتابه ناسخ القرآن ومنسوخه: لا خلاف بين الماضين والغابرين أنهما مكتوبتان في مصحف أبي.

وقد أوردتهما السيوطي في آخر تفسيره الدر المنثور على صورة سورة قرآنية!!!

٧) وان ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخطوا القرآن بما ليس فيه انهما ليستا من كتاب الله ولم يكتب في مصحفه سورة الحمد!!!

٨) وان حذيفة قال: قرأت سورة الاحزاب على النبي (ص) فنسيت منها سبعين آية.

٩) وان عائشة قالت: كانت تقرأ في زمان النبي (ص) مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر على أكثر ما هو الان.

وان الخليفة عمر والصحابي أبيي قالوا: كانت تعدل سورة البقرة وكان فيها آية الرجم.

وان مالكا قال لما سقط أوله سقط معه البسمة وانها كانت تعدل سورة البقرة.

دراسة روايات الزيادة والنقصان:

إن روايات الزيادة والنقصان هنا مثل روايات جمع القرآن الالف في ما افترى بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحابه وما أوردناه في نقضها هناك يصدق على روايات الزيادة والنقصان هنا، وبالإضافة إليها تُذكر هنا مرة أخرى بأخبار جمع القرآن وتدوينه ونقول: كان الرسول (ص) قد جعل من مسجده معهداً لاقراء القرآن يقرئ فيه الصحابة ويقرئ الصحابة فيه الوافدين إلى المدينة واهل الصفة وكان يسمع من مسجده (ص) ضجتهم بتلاوة القرآن.

وكان الصحابة يقرئون نساءهم وأولادهم في بيوتهم حتى أصبحت بيوت المدينة ما عدا بيوت المنافقين كلها مدارس لاقراء القرآن، وأرسل الرسول (ص) إلى كل بقعة من الارض خارج المدينة يسكنها المسلمون من يقرئهم القرآن وتسبق المسلمون على عهده في كل مكان في حفظ القرآن عن ظهر قلب، ونتيجة لكل ذلك بلغ القراء عدداً اشترك منهم في السنة الثانية من وفاة الرسول (ص) في جيش واحد ثلاثة آلاف قارئ وكان الاقراء في عصر الرسول (ص) بتعليم اللفظ والمعنى وبعد عصر الرسول (ص) أمر الخليفة أبو بكر بالاقصاء باقراء لفظ القرآن دون تعليم حديث الرسول (ص) في تفسير آياته.

وعلى عهد الخليفة عمر أمر بتجريد القرآن عن حديث الرسول (ص) وأرسل للبلاد المفتوحة القراء لتعليم القرآن كذلك وكان من حملتهم الصحابي عبادة بن الصامت الذي بعثه في السنة الثامنة عشرة أو قبلها إلى الشام تلبية لطلب واليها يزيد بن أبي سفيان والذي توفي في طاعون عمواس في السنة الثامنة عشر وبقي يقرئ فيها القرآن إلى أن توفي سنة أربع وثلاثين وجاء في خبر إقرائه أنه كان يقرئ في جامع دمشق ألف وستمائة شخص على كل مائة منهم عريف.

وفي السنة السابعة عشرة بعث أبو موسى الأشعري إلى البصرة مقرئاً لهم وواليا وبقي فيها إلى السنة السابعة والعشرين يقرئ أهلها في مسجدهم القرآن وعندما طلب منه الخليفة أن يعرف القراء ممن تعلموا منه ليعيئهم قراء في الافاق طلب أبو موسى ألا يأتيه منهم إلا من جمع القرآن أي من حفظ القرآن عن ظهر قلب فدخل عليه منهم ثلاثمائة ممن حفظ القرآن عن ظهر قلب.

وكذلك بعث الخليفة ابن مسعود بعد تمصير الكوفة مقرئاً لاهلها وبقي فيهم يقرئهم ويفقههم في الدين إلى سنة حرق الخليفة عثمان المصاحف حيث لم يسلمهم مصحفه وكان يملئ القرآن من حفظه وتخرج عليه القراء الذين نفاهم الوالي الاموي سعيد إلى الشام والقراء الذين حضروا صفين في جيش الامام علي وخرج منهم على الامام ثمانية آلاف في حروراء وكان لهم على عهد الخليفة عمر دوي في قراءة القرآن بمساجد البلاد وفي عهد الامام علي كانت لهم ضجة بمساجدهم في قراءة القرآن كما كان ذلك على عهد رسول الله (ص).

ولم يقتصر الاقراء بالصحابة بل قام بالاقراء في عصر الصحابة وبعدهم من قرأ القرآن عليهم كما عرفنا ذلك من خبر الثلاثمائة قارئ

ممن تخرج على أبي موسى وطلبهم الخليفة للإقراء في الافاق، ويقال لمن أخذ من الصحابة ولم ير الرسول (ص) في علم الدراية التابعين، ولدراسة كيفية إقراء التابعين نذكر خبر إقراء مقرئ أهل الكوفة التابعي أبي عبد الرحمن السلمي الذي ولد في حياة النبي (ص) وقرأ القرآن على عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وجود القرآن وبرع فيه وكان يقرئ الناس في مسجد الكوفة الاعظم أربعين سنة منذ خلافة عثمان إلى أن توفي في زمن الحجاج سنة ثلاث أو أربع وسبعين وكان يعلمهم خمس آيات خمس آيات.

دراسة الخبر:

أ - يظهر أن هذا التابعي أقرأ أهل الكوفة القرآن بعد مغادرة ابن مسعود منها على أثر امتناعه من تسليم مصحفه لوزعة الخليفة ليحرق واستمر على إقراءهم إلى عهد استاذة الامام عليّ وبعده كذلك إلى عهد الحجاج.

ب - كان يعلمهم خمس آيات خمس آيات أي يعلمهم تلاوة لفظ القرآن مع أنه كان ممن روي أنّ رسول الله (ص) كان يقرئ أصحابه عشر آيات عشر آيات لا يتعدونها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل والسبب في ذلك أنّ الخلفاء منعوا من تعليم القرآن مع بيان الرسول (ص) في تفسيره. وبما ان أهل الكوفة كانوا خليطاً من الموالي والعرب الذين ابتعدوا عن موطنهم الأصلي واحتاجوا لتصحيح كلامهم أن يضع لهم الامام علي (ص) علم النحو لهذا السبب كان لا بدّ له أن يعلمهم تلاوة خمس آيات خمس آيات ولا يتعدونها حتى يتقنوا تلاوتها.

هكذا استمرّ إقراء القرآن منذ عصر الرسول (ص) باقرائه الصحابة وإقراء من قرأ على الرسول (ص) لغيره تحت إشراف الرسول (ص) وإقراء آلاف الصحابة للتابعين بعد عصر الرسول (ص) وإقراء عشرات الألوف من التابعين في عصر الصحابة لمئات الألوف بل للملايين من المسلمين تحت إشراف الصحابة، وهكذا استمرّ إقراء الاجيال المتعاقبة بلا انقطاع إلى عصرنا الحاضر وبدلّ على ما ذكرنا في عدد القرّاء في عصر الصحابة وما بعدهم ما جاء في خبر إقراء الصحابي أبي الدرداء أنّه كان يقرئ ستمائة ألف شخص وعليهم ستون ومائة عريف وأتّه بقي على ذلك زهاء سبعة عشر عاماً منذ العام الثامن عشر هجرية قبل طاعون عمواس وإلى سنة وفاته عام أربعة وثلاثين بعد الهجرة فكم كان عدد التابعين الذين تخرّجوا عليه في إقراء القرآن وإذا قسنا عليه أمر آلاف الصحابة الذين بعثهم الخليفة لإقراء القرآن في أنحاء البلاد، علمنا أن عدد القرّاء كان يتجاوز ما ذكرناه.

هكذا كان شأن إقراء القرّاء مدى القرون وكان أمر التدوين كالآتي:

أمر تدوين القرآن في عصر الرسول (ص) وما بعده

بسبب أنّ الرسول (ص) نشر تعليم الكتابة في المدينة وحثّ عليها لم نعلم صحابياً بقي أمياً ما عدا الصحابي أبي هريرة وبما أنّه حرّض وأكد على قراءة القرآن على المصحف انتشر بين الصحابة كتابة المصحف كما ذكروا ذلك لابن مسعود وغيره وكانوا قد كتبوا في مصاحفهم القرآن مع حديث الرسول (ص) في بيانه، ويؤيد ذلك ما مرّ بنا من أخبار اختلاف مصاحف الصحابة وأمّهات المؤمنين بعضها مع بعض الاخر، ولذلك انتشر بين المسلمين كتابة المصاحف حتى بلغ في جيش واحد جيش معاوية في صفين وعلي عهد الصحابة خمسمائة مصحف غير ان المصاحف بعد حرق عثمان المصاحف كتب فيها القرآن مجرداً عن حديث الرسول (ص) وأصبح تعليم القرآن - أيضاً - تعليم تلاوة لفظ القرآن وحده.

وإذا قارنا بين الحقائق الدامغة المذكورة وبين ما جاء في ما افتري بها على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحابه مثل قولهم:

(١) و(٢) إنّ أبا موسى الاشعري قال لثلاثمائة من قرّاء البصرة: وإنّا كنا نقرأ سورة نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنّي حفظت منها: (لو كان...).

وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسيحات فأنسيتها غير أنّي حفظت منها: (يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون...).

(٣) و(٤) عن الصحابييين أنس وابن عباس مثل البهتان رقم (١).

(٥) عن الصحابي أبيّ أنّه قال: هكذا أقرأنيها رسول الله (ص).

(٦) ان رسم السورتين الحفد والخلع كانتا في مصحف ابن عباس بقراءة الصحابييين أبيّ وأبي موسى.

وبلغ من الشهرة مبلغاً قال فيه الحافظ المقرئ ابن المنادي في كتابه ناسخ القرآن ومنسوخه: (لا خلاف بين الماضين والغابرين أنّهما مكتوبتان في المصاحف المنسوبة إلى أبيّ بن كعب) كما مرّ بنا قوله.

(٧) وكذلك ما افتري بها على أحد الصحابة مثل قولهم: إنّ الصحابي ابن مسعود كان يحك المعوذتين من المصحف ويقول: لا

تخلطوا القرآن بما ليس فيه و - أيضاً - ما افتري بها على كتاب الله وأحد ولاية الجور مثل قولهم: إنّ الحجاج بدّل من المصحف أحد

عشر حرفاً.

(٨) وإنّ الصحابي حذيفة قال: قرأت سورة الاحزاب على النبيّ (ص) فنسيت منها سبعين آية.

(٩) إنّ أمّ المؤمنين عائشة قالت: كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمان النبيّ (ص) مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر على أكثر ما هو الان.

إذا قارنا بين تلكم الحقائق من أخبار القرآن وهذه المفتريات علمنا أنّه يستحيل أن يصدر مثل هذه الاقوال من الصحابة ويستحيل أن يفعل الصحابي ابن مسعود ما نسب إليه والوالي الجائر الحجاج ما نسب إليه، فإنّ ما نسب إلى ابن مسعود من أنّه (كان لا يكتب فاتحة الكتاب في مصحفه ويحك المعوذتين من المصحف ويقول: لا تخلطوا القرآن بما ليس منه انهما ليستا من كتاب الله) يدل على أنّه لم يكن يخص بفعله هذا مصحفه بل كان يفعل ذلك مع مصاحف الآخرين وإلا لقال: (كان يحك المعوذتين من مصحفه) ويؤيد ذلك ما جاء بعده: (لا تخلطوا القرآن) فإنّه خطاب للآخرين، وإذا علمنا من أنّ الخليفة عمر بعثه معلماً للقرآن لاهل الكوفة بعد تمصيرها وبقي معلماً لاهلها إلى عام حرق المصاحف على عهد الخليفة عثمان وبناء على هذا كان يقتضي أن ينتشر هذا الحذف في مصاحف أهل الكوفة ولا يقتصر على مصحف ابن مسعود.

لست أدري كيف يُفترى ذلك على الصحابي ابن مسعود والذي قالوا في ترجمته: كان من السابقين الاولين إلى الاسلام وسادس من أسلم وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) وآتاه كان يلزم رسول الله (ص) ويحمل نعليه وأن رسول الله (ص) قال: من سره أن يقرأ القرآن غصا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد.

كيف يفترى على ابن مسعود ذلك؟ ألم يكن أخذ من في رسول الله (ص) سبعين سورة؟ ألم يكن فيها سورة الجهد؟ ألم يصل خلف رسول الله (ص) ويسمعه يقرأها في صلاته؟ وكيف قال الرسول (ص) في شأنه من سره أن يقرأ القرآن غصا كما أنزل فليقرأ على قراءته وهو لا يقرأ أم الكتاب في صلاته ولا يكتبها في المصاحف (القرآن) ويمحو المعوذتين من المصاحف.

ولست أدري هل خفي ما نسبوه إلى الصحابي ابن مسعود على الخليفين عمر وعثمان وسائر الصحابة ولم يعلموا به وقد مرّ بنا أنهم أخبروا الخليفة عمر باملأته القرآن من حفظه. إذ لم يكن يخفى عليه مثل هذا العمل الشنيع أم أخبروا ولم ينكروا عليه ذلك.

لأنّه لم يرد خبر بأنهم أنكروا عليه حذفه سور الحمد والمعوذتين من المصاحف في حين إنّ الصحابة أنكروا على الخليفة معاوية عدم قراءته البسملة مع الحمد واليسورة في الصلاة، و- أيضا - مرّ بنا كيف أنكر الصحابي عبدالله بن عمر بن الخطاب على الوالي الجائر الحجاج عندما صعد المنبر بمكة بعد قتله ابن الزبير وقال في خطبته: (ان ابن الزبير غير كتاب الله) فجاببه ابن عمر في الملا الحاشد وقال له: (ما سلطه الله على ذلك ولا أنت معه ولو شئت أن أقول كذبت فعلت) ومعنى قول الصحابي ابن عمر ما سلطه الله على ذلك ولا أنت: أنّ الصحابي ابن الزبير الذي يبيع بالخلافة والوالي الجبار الحجاج ليست لهما قدرة على تبديل شيء من القرآن، وقوله هذا مصداق لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

١٠ مرات ترجمته في هذا الكتاب.

ج - ما لم يفهم فيها كلام الصحابي وفي بعضها لم ترو الرواية بلفظ الصحابي نسيانا أو تعمدا

وأما ما لم يفهم فيها كلام الصحابي وفي بعض منها لم ترو الرواية بلفظ الصحابي نسيانا أو تعمدا وقد جاءت تلكم الروايات في صحيح البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث والتفسير مثل:

أ - روايات جاء فيها نقصان سور وآيات مثل ما جاء في كتب الحديث والتفسير ما موجه:

إنّ أبا موسى الأشعري بعث إلى قرآء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل فقال في حديثه لهم: ... وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها غير أنّي حفظت منها: (لو كان لابن آدم واديان من مال لايتغى وادي ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب). وكنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات فانسيتها غير أنّي حفظت منها: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون فتكتب في أعناقكم فتسالون عنها يوم القيامة).

دراسة الخبر:

من المحال عادة أن يقول ذلك أبو موسى مع وجود آلاف القرآء من الصحابة وعشرات الألوف منهم في التابعين يومئذ بل مئات الألوف ومع وجود عشرات الألوف من المصاحف المكتوبة لديهم كما ثبت لنا ذينك في ما مرّ بنا من بحوث.

٣ وكيف يقول ذلك لمن تخرجوا عليه في القراءة ودرسهم آيات بعد آيات وسورة بعد سورة حتى أصبحوا قراء جمعوا القرآن أي: حفظوه عن ظهر قلب وجمعهم ليرسلهم إلى الخليفة للقراءة في البلاد.

ب - ما جاء في صحيح البخاري ومسلم وسائر كتب الحديث:

إنّ الخليفة عمر قال على منبر مسجد الرسول (ص):... كان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله (ص) ورجمنا بعده فأخشى ان طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم.

وكنا نقرأ من كتاب الله (ان لا ترغوا عن آياتكم فاتّه كفر بكم...).

دراسة الرواية:

قد مرّ بنا ان الصحابة ثاروا على الخليفة معاوية في مسجد الرسول (ص) لعدم قراءته بالبسملة في سورتي الحمد وما بعدها في الصلاة وأن الصحابي عبدالله بن عمر ثار على الحجاج في بيت الله الحرام عندما قال في خطبته: ان ابن الزبير غير كتاب الله وقال له: ما سلطه الله على ذلك ولا أنت معه لو شئت أن أقول كذبت فعلت وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين هجرية، ونعرف من ذلك أنّ صحابيا واحدا لا يتحمل سماع القول بتبديل شيء من القرآن في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة فكيف يسمع قول الخليفة عمر جميع الصحابة الذين كانوا حضروا خطبة الخليفة يوم الجمعة ولم ينكر أحد من أولئك الصحابة عليه وفيهم أوف القراء الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول (ص) ولجلهم مصاحف كتب فيها جميع القرآن. إنّ ذلك من الأمور المحالة عادة.

ج - في صحيح مسلم وغيره من كتب الحديث واللفظ لمسلم عن عائشة أنّها قالت:

١ - كان في ما نزل من القرآن: (عشر رضعات معلومات يحرمن) ثمّ نسخن بـ(خمس معلومات) فتوفي رسول الله (ص) وهن في ما يقرأ من القرآن.

٢ - في سنن ابن ماجه أنّها قالت: نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشرا ولقد كان في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها.

دراسة الروايات الالفة:

قولنا في هذه الروايات كقولنا في الروايات السابقة أنّه من المحال عادة أن يقال مثل هذه الاقوال في عصر الصحابة في مكة والمدينة وبمحض من الصحابة ونضيف إلى ذلك هنا أنّه سبق ذكر مصحف أمّ المؤمنين عائشة وأنها أمرت بأن يكتب فيه بعد الصلاة الوسطى وصلاة العصر بيانا للصلاة الوسطى وأنه فعلت مثل ذلك غيرها من أمّهات المؤمنين، هذا ما رأينا في كل هذه الروايات والصحيح في الامر ما يأتي بإذنه تعالى:

١ - الصحيح في روايات المجموعة الأولى:

نرى في بعض الروايات أنّ لم يفهم فيه كلام الصحابي وفي بعض الاخر أن ألفاظ الرواية حرفت فيه نسيانا أو تعمدا ونستند في قولنا: نسيانا إلى أنّ الرواية كانت تنقل من فم إلى أذن أكثر من نيف ومائة سنة لمنعه من كتابة الحديث منذ عهد الخليفة عمر وإلى سنة ١٤٣ هجرية وعلى عهد الخليفة العباسي المنصور ما عدا سنتين من خلافة عمر بن عبدالعزيز، وقد مرّ بنا ما ذكروا من خلط بعض الصحابة حديث الرسول (ص) بحديث كعب الاحبار خطأ. وفي قولنا تعمدا نستند إلى ما مرّ بنا من عمل الزنادقة أنّهم يأخذون كتاب المحرّث ويدسون في الاحاديث ما لم يكن فيها ولا ينتبه الشيخ المحرّث إلى الدس فيرونها كذلك. وفي اختلاف الاحاديث التي نوردتها في ما يأتي أقوى دليل على قولنا هذا:

جاء في باب لو أنّ لابن آدم واديين لابتغى واديا ثالثا من كتاب الزكاة بصحيح مسلم عن الصحابي أنس أنّه قال: قال رسول الله لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. إذا فهذا الكلام قول رسول الله (ص) وليس من القرآن.

وجاء في تفسير السيوطي:

أ - بينما رسول الله (ص) يدعو على مضر إذ جاء جبريل فأومأ إليه أن اسكت فسكت فقال يا محمد إنّ الله لم يبعثك سبابا ولا لعانا وإيّا يبعثك رحمة للعالمين ولم يبعثك عذابا ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، ثمّ علمه هذا القنوت اللهم إنّنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إنّ عذابك الجد بالكفار ملحق.

ب - عن عبدالله بن عبدالرحمن عن أبيه قال: صلّيت خلف عمر بن الخطاب فلما فرغ من السورة الثانية قال: اللهم إنّنا نستعينك

ونستغفرُك ونثنِي عليك الخير كله ولا نكفرُك ونخلع ونترك من يفجرُك اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ ونسجدُ وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إنَّ عذابك بالكفار ملحق.

ج - إنَّ عمر بن الخطاب قنيت بعد الركوع فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ ونستغفرُك ونثنِي عليك ولا نكفرُك ونخلع ونترك من يفجرُك بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ ونسجدُ وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إنَّ عذابك بالكفار ملحق، وزعم عبيد أنه بلغه أنَّهما سورتان من القرآن في مصحف ابن مسعود.

د - ان عليًّا قنت في الفجر بهاتين السورتين اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ ونستغفرُك ونثنِي عليك ولا نكفرُك ونخلع ونترك من يفجرُك اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْبُدُكَ ونسجدُ وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إنَّ عذابك بالكفار ملحق.

في هذه الروايات:

في الأولى: إنَّ جبرائيل (ع) علّم الرسول (ص) أن يدعو بهذا الدعاء بدلا من اللعن على مضر وجاء في أخبار أخرى أنه كان يذكر في لعنه الذين قتلوا الفراء السبعين الذين مضت أخبارهم.

في الثانية: وجدنا أنَّ الخليفة الثاني كان يدعو بعد السورة الثانية بهذا الدعاء ومعنى ذلك أنه كان يدعو بذلك في قنوته.

في الثالثة: إنَّه قنت بعد الركوع وقرأ الدعاء بعد البسملة وفي آخرها زعم عبيد أنه بلغه أنَّهما سورتان من مصحف ابن مسعود.

وفي الرابعة: إنَّ عليا قنت بهاتين السورتين.

إذا فإنَّ أصل الروايات: إنَّ جبرائيل علّم الرسول (ص) هذا القنوت واتبعه في ذلك الخليفة عمر والامام علي والوالي الاموي في خراسان كما مرَّ بنا خبره وأنهم جميعا قننوا بهذا الدعاء ومن الجائز أن يكون ابن مسعود كتب القنوت في مصحفه في تفسير بعض الايات. وإنَّ أبا موسى أخبر الفراء أنَّ هذا الدعاء كان مكتوبا في المصاحف قبل أن تجرد المصاحف من حديث الرسول (ص) غير أنه أضيف إليه في بعض الروايات: البسملة وفي بعضها التسمية باسم السورة. فشوش ذلك على المتأخرين ووطنوا أنَّهما كانتا سورتين في مصاحف بعض الصحابة دون بعض والسبب في هذه الاضافة أما أن يكون نسيان الفاظ الحديث لرواية الخبر شفها في أكثر من مائة عام أو بدس الزنادقة البسملة ولفظ السورة في بعض الروايات للتشكيك بالنص القرآني وكذلك الشأن في الخبرين الاتيين:

٢ - ما جاء في كلام الخليفة عمر كان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها ... ورحم رسول الله (ص) ورجمنا بعده... وكنا نقرأ

من كتاب الله أن لاترعبوا عن آياتكم...

في هذا الخبر: (ممّا أنزل الله آية الرجم) ومن الجائز أن يكون حكم الرجم قد نزل بوحي غير قرآني وأمر الرسول بتدوينه في المصاحف في تفسير الآية الثانية من سورة النور (الرَّائِيَةُ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا...) وإنَّ الخليفة أخبر أن الحكم كان موجودا في المصاحف قبل تجريدتها من حديث الرسول (ص) غير أنه حرف لفظ (حكم الرجم) بلفظ (آية الرجم) نسيانا أو تعمدا كما ذكرنا ذلك أنفا ولفظ (نقرأ في المصحف) بلفظ نقرأ من كتاب الله أيضا تعمدا أو نسيانا.

أمّا قوله (فقرأناها) و(نقرأ) فقد مرَّ بنا في أوّل البحث ان مادّة الاقراء مصطلح قرآني بمعنى تعليم اللفظ مع تعليم المعنى وإنَّه يجوز استعمال اللفظ في جزء معناه، وبناء على ذلك يكون قصد الخليفة في المورد الأوّل إنَّنا تعلمنا ذلك من الرسول (ص) في تفسيره للآية الثانية من سورة النور، وفي المورد الثاني قصد تعلمناه من الرسول (ص) وكان مكتوبا في المصاحف ولما كانت المصطلحات القرآنية لديهم تستعمل في معناها الاصطلاحي فهو معنى كلام الخليفة، وبعد تغير معنى المصطلحات القرآنية عما كان

عليها في عصرهم لم يفهم معنى كلام الخليفة على حقيقته.

٣ - ما جاء في كلام أمّ المؤمنين عائشة

نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثمّ نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله (ص) وهن في ما يقرأ من القرآن... ولقد كان في صحيفة تحت سريري فلما توفي رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داخل فأكلها.

من الجائز أنَّها قالت: (نزل عشر رضعات معلومات يحرمن ثمّ نسخن بخمس معلومات) أي نزل الحكم بوحي غير قرآني وأضيف بعد قولها (نزل): (من القرآن) سهوا أو تعمدا وقالت: (وهن في ما يقرأ من المصحف...) فأبدل المصحف بالقرآن سهوا أو تعمدا وحصلت بذلك الشبهة بأنَّها قالت سقط من القرآن بعضه والعياذ بالله.

وقد ناقشنا روايتها لحكم رضاع الكبير في بحث (فتواها في رضاع الكبير) من المجلد الأوّل من كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة وانها تناقض الروايات المتواترة في حكم الرضاع، غير أنه من الجائز أن تقول: إنَّ الرسول (ص) قال: عشر رضعات يحرمن ثمّ نسخ

بوحى غير قرآني بخمس رضعات في بيان آية الرضاع وإن الصحيفة كانت تحت سريرها إلى آخر الحديث ويكون قولها ذلك نظير أمرها بكتابة (وصلاة العصر) بعد (والصلاة الوسطى) في مصحفها بيانا لصلاة العصر ولم تقصد بأنه جزء من الآية.

د - ما افتري بها على كتاب الله وعلى أحد ولاة الجور

وذلك ما رووا أن الحجاج بدل من مصحف عثمان أحد عشر حرفا.

دراسة الخبر

أما ما نسب إلى الحجاج الوالي الجائر من أنه بدل من مصحف الخليفة عثمان أحد عشر حرفا فنقول بالاضافة إلى ما ذكرناه آنفا:

مرّ بنا في ذكر تاريخ الحجاج: أنه رمى الكعبة بالمنجنيق وأحرقها وقتل ابن الزبير ومن معه وبعث برؤوسهم إلى الشام واستخف ببقايا الصحابة في المدينة وختم أيديهم وأعناقهم وأساء السيرة في ولايته على الكوفة فخرج عليه ١٢٠ ألف راجل و٣٣ ألف فارس من العلماء والفقهاء والقرّاء والصالحون بقيادة ابن الأشعث وقتل من الجانبين في أربع وثمانين معركة خلق كثير، ولما غلبهم الحجاج قتل منهم خلقا كثيرا ثم أسر منهم خلقا كثيرا ذبحهم جميعا كما يذبح الغنم، ذبح منهم بمسكن وحدة قريبا من خمسة آلاف أسير مسلم ونال من الصحابي أنس فشكاه إلى عبد الملك فكتب إليه: (... أما بعد فإنك عبد طمت بك الأمور،

فسموت فيها وعدوت طورك، وجاوزت قدرك، وركبت داهية إدا، وأردت أن تبدو لي فإن سوّغتها مضيت قدما، وإن لم أسوّغها رجعت القهقري فلعنك الله من عبد أخفش العينين، منقوص الجاعرتين، أنسيت مكاسب أبائك بالطائف، وحفرهم الأبار، ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل، يا ابن المستغربة بعجم الزبيب، والله لاغمرنك غمر الليث الثعلب، والصقر الارنب...).

وقالوا عنه: أنه قتل صبرا مائة وعشرين ألفا ومات وفي سجنه ثمانون ألفا منهم ثلاثون ألف امرأة ومات سنة ٥٩٥ بواسطوعفي قبره وأجري عليه الماء لكيلا ينبش، ولما مات الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ وولي بعده سليمان بن عبد الملك ولى على العراق يزيد بن المهلب وأمره بمعاوية آل الحجاج وأصحابه وأن يعذبهم حتى يستخرج منهم الاموال وتتبعهم سليمان بنفسه وسامهم سوء العذاب.

وقد قال سعيد بن جبير في حق الحجاج: والله ما خرجت عليه حتى كفر! وقالوا في حقّه - أيضا -:

أ - كان الحجاج ينقض عرى الاسلام!

ب - لم يبق لله حرمة إلا ارتكباها!

ج - الشيخ الكافر!

أمثل هذا الخبيث اللحنة(١١) يقبل منه المسلمون تبديل كلمات من القرآن في مصحف انتشر إلى أقاصي أفريقيا وبلاد الهند وجميع بلاد العالم.

إنّ كل ما أشرنا إليه من الأمور المستحيلة عادة.

إذا فمن أين انتشرت تلك الروايات المختلفة في كتب الحديث والسيرة والتفسير بمدرسة الخلفاء؟

يتضح لنا بجلاء ووضوح أمرها ومصادرها بالتدبر في ما مرّ بنا من قيام الزنادقة بوضع الحديث، ودسّها في كتب الحديث.

فقد جاء في رواية أنه كان في الزنادقة من يأخذ من شيخ مغفل كتابه فيدس فيه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظنا منه أنه من حديثه.

وكان منهم الزنديق عبد الكريم بن أبي العوجاء ربيب حماد بن سلمة الذي كان يدس الاحاديث في كتب حماد وكان يذهب في موسم الحج إلى مكة للاجتماع بالحجاج واضلالهم وكان في البصرة يفسد الاحداث فهدده عمرو بن عبيد فلحق بالكوفة ودل عليه والي الكوفة فقتله فلما أرادوا أن يقتلوه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام.

وقال المهدي العباسي: أقرّ عندي زنديق أنه وضع أربعمائة حديث.

وكان في الزنادقة من يستغل رغبة أتباع مدرسة الخلفاء في استماع فضائل ذوي السلطة والدفاع عنهم في ما انتقدوا عليه.

وقد مرّ بنا كيف وضع الزنديق مطيع بن اياس في سبيل رضا الخليفة المنصور رواية يصدق على ابنه المهدي أنّه المهدي الموعود وأشهد على صدق قوله واحدا من أسرة الخليفة فصدقه ولم يجرأ على تكذيبه.

وقد كشفنا في المجلّدات الاربعة من كتاب (عبدالله بن سبأ والاسطورة السبئية) وكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) عن آلاف المختلقات التي اختلقها الزنديق سيف بن عمر تحت غطاء نشر فضائل ذوي السلطة من الصحابة والدفاع عنهم، من جملة ما ذكرنا من مختلفاته ترجمة:

أ - ثلاثة وتسعين صحابيا مع ما اختلق لهم من فتوحات ومعارك حربية ومعجزات و... و... و...

ب - اثنين وسبعين راويا مع ذكر بعض رواياتهم.

ج - خمسة من قادة الكفار في الحروب مع بعض ما اختلق لهم من أخبار في الحروب.

د - شاعرين مع ذكر بعض ما اختلق لهما من شعر.

هـ - سبعة من التابعين مع ذكر بعض ما اختلق لهم من أخبار.

اختلق هذا الزنديق كل ذلك ونشرها تحت غطاء الدفاع عن ذوي السلطة من بني أمية أمثال سعيد والوليد وابن أبي سرح وانهم فيها أبرار الصحابة والتابعين أمثال عمار بن ياسر وأبي بكر ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة و... و...

إذا فإن وضع الحديث تحت غطاء فضاض من نشر فضائل ذوي السلطة والدفاع عنهم (شنشنة أعرّفها من أجزم) الزنادقة - (١٢).

وفي ما افتري على ابن مسعود تحقيق ثلاث غايات للزنادقة:

١ - تهديم شخصية صحابي من خواص أصحاب الرسول (ص).

٢ - الدفاع عن ولاة أمثال الوليد الفاسق السكير.

٣ - والاهم من كل ذلك نشر التشكيك بثبوت النصّ القرآني.

واتقنوا عملهم التخريبي بنشر نسخ باسم مصحف ابن مسعود كما أخبر عن ذلك النديم في فهرسته وقال:

قال محمد بن إسحاق (ت: ٥٣٨٥) رأيت عدّة مصاحف ذكر نساخها أنّها مصحف ابن مسعود، ليس فيها مصحفان متفقان وأكثرها في رقيّ كثير النسخ وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب (١٣).

يا ترى من نسخ تلك المصاحف المختلقة ونسبها إلى ابن مسعود غير الزنادقة الذين كانوا يحاربون الاسلام ويشككون المسلمين في عقائدهم، ولم يقتصر عملهم في التهديم بما افتروا به على الصحابة بل افتروا على وال جائر مثل الحجاج وقالوا أنّه بدّل أحد عشر حرفاً من مصحف عثمان.

وهكذا لم يبقوا نوعاً من أنواع التحريف يتصور إلاّ ورووا أنه جرى على القرآن الكريم وأخرجها في كتبهم أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد وسائر المجاميع الحديثية وكتب التفسير وغيرها من مصادر الدراسات الاسلامية، ومع كل تلك الافتراءات والزور والبهتان على الله وكتابه ورسوله وأصحاب رسوله كيف لايقول محدّث كالشيخ النوري بتحريف كتاب رب الارباب والعياذ بالله ولسنا في صدق الدفاع عنه فاتّه أساء بجمعه تلك الروايات في كتاب واحد غير أنّا نقول: البادئ أظلم!

١١ اللحنة: كثير اللحن والخطأ في كلامه.

١٢ الفضايف من الثياب: الواسع (وشنشنة أعرّفها...) من بيت جرى مجرى الامثال وهو قول الشاعر: (ان بني رملوني بدمي شنشنة أعرّفها من أجزم) الشنشنة: العادة. وأجزم: أحد أولاد الشاعر.

١٣ الفهرست ص ٢٩.

رابعا - روايات نزول القرآن على سبعة أحرف

لقد برهنا في البحث الرابع أنه من المحال عادة أن يقال في مجتمع في الجزيرة العربية قبل اختلاطهم بغير العرب مثل مجتمع الصحابة في المدينة: يجوز استعمال كلمات أقبل وتعال وحيّ هلاً وهلمّ وأسرع وعجل بعضها مكان بعض.

ويجوز استعمال ثواب غفور وعزيز حليم وسميع عليم وقويوم بعضها مكان بعض.

ومن الجائز أن يقال ذلك في مجتمع بعد زمانا ومكانا عن المجتمع العربي في وسط الجزيرة العربية واختلط فيه العربي بغير العربي وتزاوجا وتناسلا ولم تنتشر بينهم الثقافة الاسلامية لابعاد حكامه الصحابة عنهم ومنعهم الصحابة عن نشر المعارف الاسلامية كما كان ذلك شأن مجتمع أهل الشام في أواسط الحكم الاموي فيه.

في مثل هذا المجتمع تستطيع الزنادقة أن تنشر بعيدا عن الصحابة زمانا ومكانا أمثال روايات المجموعات الاربع الماضية وتنتقل منه إلى سائر البلاد الاسلامية متدرجا ومنها تنتقل بعد عصر التدوين أو قبله بقليل إلى مهبط الوحي المدينة المنورة.

* * *

درسنا إلى هنا روايات البسملة وجمع القرآن واختلاف المصاحف والزيادة والنقصان في القرآن الكريم والاحرف السبعة ودرسنا أخبار القراءات والنسخ ذيل البحثين المذكورين، وفي ما يأتي نسجل نتائج البحث بإذنه تعالى:

نتائج البحث:

ثبت ممّا برهنا عليه ان عدد القرّاء من الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد الرسول (ص) بلغ الألوف وكان لجلّهم مصاحف دونوا فيها القرآن.

وعلى عهد الخليفة عمر تجاوز عددهم مئات الألوف.

وعلى عهد الخليفة عثمان لايعلم أحد عددهم غير الله؛ ثمّ أن الخليفة عثمان استعار من أمّ المؤمنين حفصة المصحف الذي تمّ نسخه مجردا عن حديث الرسول (ص) على عهد الخليفة عمر وأودعه عندها ونسخ عليه سبعة مصاحف وزعت على أمّهات البلاد الاسلامية وسميت بمصحف الامام فنسخ عليها المسلمون مصاحفهم حتى اليوم وكان فيها أخطاء في رسم الخط وهذا ما عناه الخليفة بقوله (فيه - أي في رسم خط المصحف - لحن ستقيمه العرب بألسنتها) وسمي رسم الخط ذلك بـ: رسم خط مصحف عثمان. وإلى يومنا هذا كتب المسلمون مصاحفهم وفق رسم خط مصحف عثمان الملحون غير انهم اتبعوا العرب في التلاوة وأقاموا لحن رسم الخط بألسنتهم مثل ما كتب في سورة آل عمران برسم خط مصحف عثمان لحننا:

أ - يعيسى، الاية: ٥٥.

ب - بأهل الكتاب، الاية: ٧٠.

ج - أيمنهم، ويوم القيمة، الاية: ٧٧.

وأقامها المسلمون بألسنتهم واتبعوا العرب وقرأوها: يا عيسى ويا أهل الكتاب وأيمانهم ويوم القيامة. كما درسنا هذا الامر في بحث القراءات المختلفة.

وبناء علي ما ذكرناه من المحال أن يقول صحابي على عهد الخلفاء الثلاثة بنقصان سورة أو آية من القرآن الكريم ممّا كان على عهد رسول الله (ص) أو يقول أحد من الصحابة أن سورة أو آية نسيت من القرآن الكريم، أو يحذف أحدهم آية أو سورة من مصحفه أو يزيد سورة أو آية في مصحفه، وكل رواية جاءت في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء تدل على وقوع شيء ممّا نفينا وقوعه فهي إما أن تكون:

أ - مفترأة من قبل الزنادقة على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله(ص).

ب - ممّا بدل الرواة ألفاظ الصحابة في الروايات نسيانا أو تعمدا.

ج - ممّا لم يفهم معنى الرواية لتبدل معنى المصطلح القرآني بعد عصر الصحابة عما كان عليه في عصرهم وكذلك الشأن في الروايات التي رويت في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة أهل البيت، غير أن المفترين هنا على الله وكتابه ورسوله (ص) وأصحاب رسوله (ص) والائمة من أهل البيت (ع) هم الغلاة بمدرسة أهل البيت وليسوا الزنادقة كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى عند دراسة تلك الروايات في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

وأنتج قبول تلك الروايات بمدرسة الخلفاء والتصديق بها أن يرووها المحدثون بعد عصر الصحابة والتابعين في المجاميع الحديثية وأنتج كل ذلك أمرين:

أ - الاعتقاد بوجود القراءات المختلفة للقرآن الواحد.

ب - الاعتقاد بوقوع النسخ والانساء للقرآن الكريم - والعياذ باللّٰه - من القول بهما.

وأنتج قبولها بمدرسة أهل البيت من قبل المحدثين أمثال السيّد الجزائري والشيخ النوري أن يقولوا ما قالوا ويكتبوا ما كتبوا وقابلهم العلماء والمحققون منهم مثل الشيخ المفيد (ت: ٥٤١٣) والشيخ جواد البلاغي (ت: ٥١٣٥٢) وأستاذ الفقهاء الخوئي (ت: ٥١٤١٣) وردوا أقوالهم وقالوا ان الله حفظ كتابه الكريم وصانه عن كل زيادة ونقصية وتحريف إلى يومنا هذا وسيحفظه كذلك أبد الدهر.

* * *

بعد انتهائنا من دراسة روايات مدرسة الخلفاء حول القرآن الكريم، نورد في ما يأتي بإذنه تعالى استناد المستشرقين إلى بعضها في ما تقوله حول القرآن الكريم.

البحث الثامن

المستشرقون و القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى:

أ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ

(وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا الَّذِي آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُمِئُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُجَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ)

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَيْنَا مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَعُونَهَا عَوًّا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيضًا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ بِرِذْوَانِكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ). (آل عمران / الايات ٧٠، ٦٩، ٧١ - ٧٣ و ٩٨ - ١٠٠)

ب - (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ). (البقرة / ١٣٥ ، ١٣٦)

ج - (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيٍّ). (البقرة / ١٢٠)

د - (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرَهْبَانًا وَأَتْهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ). (المائدة / ٨٢)

هـ (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَبًّا بِالسِّنِّتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ...). (النساء / ٤٦ ، ٤٧)

و- (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ). (المائدة / ٤١)

ز - (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ). (آل عمران / ١١٣ ، ١١٤)

وصدق الله العظيم فقد استمرت عداوة بعض أهل الكتاب للإسلام والمسلمين بعد رسول الله (ص) وإلى عصرنا الحاضر، وفي ما يأتي نستعرض بإذنه تعالى اتجاههم العدواني على القرآن الكريم وأثاره مدى العصور.

بداية الطعن في الاسلام والقرآن بعد عصر الرسول

لقد مر بنا في المجلد الأول من هذا الكتاب ما عاناه الرسول (ص) من كفار قريش بمكة ومن اليهود في المدينة في أمر تبليغ الاسلام ولا سيما القرآن وخصصنا هذا البحث لدراسة ما عاناه حفظة الاسلام وحملته في شأنهما بعد الرسول (ص) منهم.

وفي مقدمتهم يوحنا الدمشقي - الذي كان يعيش في كنف البلاط الاموي - أول من تصدى للإسلام هو وخليفته ثيودور أبو قرة وبدأ بالتلاعب الجدلي البيزنطي الذي كان يتقنه المسيحيون المتأثرون بالفلسفات اليونانية وأثار مسائل جدلية مثل: هل كلام الله مخلوق أم غير مخلوق؟ وهل روح الله مخلوق أم غير مخلوق؟ والذي انتشر بعد ذلك بين المسلمين. وأن الوحي الذي ادعاه الرسول (ص) (كذا) كان يصاغ حسب رغباته الجنسية مشيراً إلى قصة زيد وزينب والتي اعتبرت بعد ذلك عند المسيحيين من الاساليب الجدلية التي يتفننون بها كيدا للإسلام.

ومثل قوله ان المفاهيم منقولة من التوراة والانجيل، وتأثر به بيزنطيون حاقدون على الاسلام رافضون للقرآن مثل نيكيتاس وزيجابينوس في كتاباتهما المتأثرة بالدمشقي ثم أخذ منه اللاتين الغربيون ورددوا أقواله بأساليب مختلفة وكان ذلك إبان الحروب الصليبية، وعندما أدرك المسيحيون قوة المسلمين الذين يدينون بالاسلام ويحملون القرآن شنوا حملة ضدهم وكان الرائد لهذه الحملة بطرس الكلوني الذي ذهب إلى اسبانيا وترأس إدارة دير كلوني سنوات (١٠٩٤ - ١١٥٦م) وناذى بحرب المسلمين عسكريا وفكريا ويكتب للملوك الصليبيين: ان الراهب ينبغي أن يكون مسيحيا في فضائله عسكريا في أعماله وان تنصير المسلمين أنفع للمسيحية من قتلهم، وبينما كان الصليبي همه فتح بيت المقدس وذبح المسلمين كان يتمنى أن يصحب هذا الفتح المجيد فتحا روحيا بتنصير المسلمين، ويرى ان سيف الكنيسة الحقيقي سيف التبشير بالانجيل والتنصير وليس سيف القتل فحسب وأن الحروب الصليبية كانت تهدف أولا تنصير المسلمين وتحولت أخيرا إلى عمل سياسي وعسكري فقط فاقدة بذلك مهمتها الاساسية وان السبب في ذلك عدم معرفة المسيحيين بحقيقة الدين الاسلامي ولذلك أوجب على نفسه ومن استطاع أن يؤثر فيه دراسة الدين الاسلامي ومحااجة المسلمين واقناعهم بالتخلي عن الاسلام والدخول في المسيحية بدلا من (ذبح المسلمين في محبة الرب) ورفع شعار (الكلمة بدلا من السيف) و(أنا أقرب منك بالكلمة وليس بالقوة وبالتفاهم والمحبة وليس بالكره والسلاح كما يفعل قومنا دائما).

وقد درست الحرب الصليبية التي انتهت وأهملت دراسة الحرب الفكرية والتي لازالت قائمة.

وفي هذا السبيل سافر بطرس الكلوني إلى اسبانيا سنة ١١٤٢م وتفقده شؤون أديرتها وحصل من الامبراطور الفونس السابع الذي كان يحاصر المرابطين (Coria) لمشاريعه أملاكا واسعة وأموالا جمّة، ولمعرفة الاسلام كلف بطرس في هذه السفارة جمعا من المترجمين لدراسة بعض الكتب وترجمتها ومؤل مشروع الترجمة واختار لذلك كتبا ألفها يهود متنصرون ونصارى مستعربون والتي كانت أبعد ما تكون عن الاسلام الحقيقي بل كانت أساطير ملفقة، كما وصى بترجمة القرآن الكريم استعدادا للهجوم عليه وتفنيده وتحريف كلماته ومعانيه والاستهزاء بما جاء فيه والتشفي من المسلمين، وكان من الكتب التي اختارها بطرس للترجمة كتب من مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية أسسها القس رايموند في كنيسة بطليطلة سنوات (١١٢٥ - ١١٥١م) بعد سقوط المدينة بيد الفونس السادس بعد أن كانت مركزا حضاريا إسلاميا سنوات (٧١٢ - ١٠٨٥م) وكان من جملة ما ترجموا كتب الفارابي وابن سينا والغزالي وارسطاطليس وغيرهم.

واجتمع بطرس الكلوني عام ١١٤٢م مع القس رايموند في سلامانكا ومول مشروعه للترجمة، وكلف بطرس خمسة مترجمين بترجمة مجموعة طليطلة وحفظت بدير كلوني أربعمئة سنة ونشرت المجموعة بعد اختراع الطباعة في بازل عام ١٥٤٣م.

المترجمون في طليطلة وأعمالهم المعلم بطرس الطليطلي Toledo of Peter

كان بطرس من عائلة مسيحية مستعربة Mozarabs يتقن العربية وعلي معرفة بالعادات العربية والاسلامية وساهم في ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، وقد يكون هو الذي اختار مجموعة الكتب التي ترجمت مع القرآن الكريم لتنفيذ مشروع بطرس الكلوني ويمكن اعتباره عميد فريق المترجمين. وقد قام بترجمة رسالة عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي Saraceni Epistola Rescripum et والتي كتبها رداً على رسالة عبدالله بن إسماعيل الهاشمي إليه، وفيها دفاع حار عن عقيدة التثليث وقد لاقى هذه الرسالة إهتماما كبيرا من النصارى وترجمت إلى التركية والانجليزية علاوة على اللاتينية، والرسالة عبارة عن كتاب من مسلم في عصر المأمون موجه إلى مسيحي يدعو فيها إلى الاسلام ورد المسيحي عليه ويقال أن المأمون استمع إلى

الرسالتين ويظن ان الرسالتين من خيال المؤلف المسيحي وهو حوار مسيحي متطرف، طالما فرح به المنصرون حتى أيامنا هذه.

٢ - روبرت الكيتوني Ketton Of Robert

وهو انجليزي الاصل قام برحلات كثيرة قبل أن يستقر في برشلونة عام ١١٣٦م لدراسة الفلك والهندسة وكان مولعا بهما وكان يشارك بلاتو من تيفولي أحد تراجمة مدرسة طليطلة في ترجمة كتب المسلمين في الفلك والهندسة. وهو المترجم الرئيسي للقرآن الكريم إلى اللاتينية وقد منح منصب أرشيدوق بامبلونا بعد الانتهاء من الترجمة وهو منصب كنيسي رفيع ممّا يدل على أن روبرت كان قسيسا.

وفي عام ١١٤٤م ترجم كتابا في الكيمياء وفي السنة التالية انتهى من ترجمة الخوارزمي في الجبر وكانت هذه الترجمة هي بداية علم الجبر في أوروبا. واستعمل الكتاب استعمالا واسعا ككتاب دراسي للجبر ويقال أنّه عاد بعد ذلك إلى لندن حيث راجع كتابا عن الاسطرلاب في عام ١١٥٠م ورتب جداول فلكية لخط الطول لمدينة لندن وبنيت على أساس دراسات البتاني والزرانكي، كما راجع جداول الخوارزمي. وكان صديقا حميما لمترجم آخر يدعى هرمان الدلماطي.

كتب روبرت عن ترجمته للقرآن الكريم يقول: ((لقد كشفت بيدي قانون المدعو محمّد ويسرت فهمه وضممته إلى كنوز اللغة الرومانية لمعرفة أسس هذا القانون حتى تتجلى أنوار الربّ على البشرية ويعرف الناس حجر الأساس يسوع)).

وكتب يقول: لقد رأيت كنيسة كلوني في بطرسها، ما رآه السيد المسيح في رفيقه بطرس ويجب أن يُشكر (أي بطرس الكلوني) لتعربة مبادئ الاسلام للضوء بعدما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينتشر لمدة نحو خمسمائة وسبعة وثلاثين عاما. وقد وضحت في ترجمتي في أي مستنقع فاشل يعيش مذهب السراسين (المسلمين) متمثلا في عملي جندي مشاة يشق الطريق لغيره.

لقد فشعت الدخان الذي أطلقه محمّد، لعلك تطفئه بنفخاتك(١٤) (أي بطرس الكلوني) هذه هي الروح التي سيطرت على مترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية في خطابه إلى مُستأجره. وقد استغرقت الترجمة إلى اللاتينية مدّة سنة فقط. وكانت روح الاستهزاء والسخرية تظهر بوضوح في كتابات روبرت وترجمته للقرآن الكريم وخصوصا في تسميته للسور، ثمّ في خطابه إلى بطرس الكلوني.

وجاء على لسانه أنّه عانى صعوبات كثيرة في ترجمته للقرآن، وأنّه قد تصرّف بحرية مع النص حتى أنجز العمل. فمثلا سورة البقرة فسّمها إلى ثلاث سور واتبع هذه القاعدة في أماكن أخرى لذلك فقد انتهى بعدد لسور القرآن تزيد تسع سور عن النص الاصل.

٣ - بطرس من بواتيه Poitiers Of Peter

وكان راهبا في دير كلوني وكان يعمل سكرتيرا لرئيس الرهبان بطرس الكلوني وقد نمت صداقة قوية بينهما. وقد اختير رئيسا للرهبان في سانت مارتياك في ليموج وكان ذلك قبل وفاة بطرس الكلوني في عام ١١٥٦م.

ويبدو أنّه قام بما يشبه رئاسة التحرير للمجموعة الطليطلية والتي اعتبرت من ذخائر الدير والتي عكف عليها الرهبان ٤٠٠ سنة يتدارسونها ويستنبطون محاور الجدل والنقد والدحض والافتراء. فهو الذي قام بترتيبها عدة مرات وتحريرها ووضعها في صورتها النهائية ورتب فيها كتاب الرسالة للكندي وكتبا آخر كتبه بطرس الكلوني أو سمّاه الخلاصة Summa بنى عليه ما استخلصه ممّا جاء في المجموعة الطليطلية وقد كتب بطرس من بواتيه إلى بطرس الكلوني يقول:

((لقد رتب الان المجموعة ترتيبا أفضل من السابق فإن رضيت عنها كان بها وإلّا فلك مطلق الحرية في تصحيح ما تشاء.

فأنت وحدك الذي مرق أعداء المسيحية الثلاثة بسيف الكلمة المقدسة، وأعني بهم: اليهود والوثنيين والسراسين (المسلمين)(١٥)... إلى قوله: ويجب علينا أن نكون شاكرين لعدم رغبة برنارد من كليرفو في أن يسخر نفسه لهذا العمل (أي كتابة وجمع المجموعة الطليطلية) كنقطة هجوم على المسلمين)).

٤ - هرمان الدلماطي Dalmatia Of Herman

الذي عاش في أسبانيا (ت: ١١٧٢م) وكان على صداقة حميمة مع روبرت من كيتون وأنهما كانا يدرسان سويا وبطريقة سرية لدفع الشبهة عنهما وعن نواياهما. وللدلماطي غير ترجماته في مجموعة طليطلة عدّة ترجمات أخرى واحدة في الفلك لسهل بن بشير وداول فلكية للخوارزمي وأبي معشر وللمجريطي وغيرهم. لقد استغل القوم الحرية والامن في ظل الاسلام فعكفوا على ترجمة علوم المسلمين إلى اللاتينية في ما يشبه في عصرنا الحاضر محاولات السوفيت في نقل تكنولوجيا الغرب ومحاولات الغرب في نقل ما توصل إليه الشرق، وغالبا ما كانت عملية النقل هذه تتم سرا وفي الكنائس بأيدي الرهبان والقسس.

أمّا دوره في مجموعة طليطلة فقد قام بترجمة - ationis gener Liber Mahumet وقد استكمل ترجمته في ليون Leon عام ١١٤٢م.

وكتاب generationis Liber Mahumet وهو كسابقه مملوء بالاساطير والاسرائيليات ويعتقد أن أصله في العربية هو كتاب نسب رسول الله (ص) وهو من أخبار كعب الاحبار وسعيد بن عمر، والكتاب يركز على مولد الرسول (ص) والنور الذي انتقل من عهد آدم (ع) جيلا بعد جيل إلى الرسول (ص).

٥ - وهناك شخصية غامضة باسم محمّد ورد ذكرها مرة واحدة على هامش أحد الكتب الخمسة المترجمة والتي تُكوّن المجموعة الطليطلية، ولعله كان مخدوعا في أهداف مشروع الترجمة ذلك وطن أنّه يساهم في التقارب الاسلامي المسيحي وما أكثر المخدوعين حتى في عصرنا هذا.

والاحتمال الاكبر هو أنها شخصية وهمية. فقد دأب القوم على وصف بعض الكتب بأن مؤلفها مسلم ارتد إلى المسيحية لاعطاء الكتاب توثيقا أكبر وهي حيلة طالما استعملوها وخصوصا عند ترجمة القرآن الكريم، فكثيرا ما كانوا يدعون أن الترجمة عن النص العربي في الوقت الذي لا يعرف فيه المترجم اللغة العربية

١٤ (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعي إلى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) الصف / ٧. (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) الصف / ٨. (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) الصف / ٩.

١٥ دأب الاوربيون على تحاشي كلمة إسلام ومسلمين وأطلقوا تسميات كثيرة أشهرها سراسين، ومحمديون، ومور، وأتراك ولكن الاسلام الحقيقي مرفوض لسمو معناه.

المجموعة الطليطلية Collectio Toledan والترجمة اللاتينية الأولى للقرآن الكريم

وهي مجموعة الترجمات التي نفذت لحساب بطرس الكلوني. ولعلّ التسمية نسبة إلى بطرس الطليطلي. وقد احتوت على ترجمات لمسائل أبي الحارث عبدالله بن سلام وكتاب نسب رسول الله (ص) لسعد بن عمر وكتاب مجهول الاصل والاسم في تاريخ الانبياء وقصصهم والرسالة لعبدالله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي، هذا علاوة على ترجمة القرآن الكريم وكتابات بطرس الكلوني للرد على المسلمين.

وكتاب ((المسائل)) لابي الحارث عبدالله بن سلام وفيه مائة سؤال موجهة من أربعة من اليهود إلى الرسول (ص) كما يزعم صاحبه يحتوي على كثير من الاساطير والتصورات اليهودية والاسرائيليات والاسئلة والاحاجي. وهذه بعض الامثلة من الاسئلة التي ذكرت في هذا الكتاب وتدل على مدى ضحالة المصادر التي اعتمد عليها بطرس الكلوني في محاكاة المسلمين جاء فيه:

إن اليهودي سأل الرسول (ص) (كذا): من هو الابن الذي هو أقوى من أبيه؟

جواب الرسول: هو الحديد الذي هو أقوى من الخام المأخوذ منه، والنار التي هي أقوى من الحديد، والماء الذي هو أقوى من النار، والريح التي هي أقوى من الماء. (ولعله يلمح إلى الابن الذي هو أقوى من الأب عند المسيحيين؟ أو إسرائيل الذي صارع الرب وصرعه؟).

سؤال: ما هي الارض التي رأيت الشمس مرة واحدة ولن تراها إلى آخر الزمان؟

الجواب: قاع البحر الاحمر (تنويها بعبور موسى).

سؤال: من هي المرأة التي ولدت من رجل والرجل الذي ولد من عذراء؟

جواب: حواء خلقت من ضلع آدم، والمسيح ولد من عذراء. (وبما أن السائل يهودي فأبي مسيح يقصد).

سؤال: ماذا يوجد تحت الارض السابعة؟

جواب: ثور يقف على حجر أبيض والحجر على جبل وتحت الجبل أرض وبحار وسمك.

هذا مثال لاحد الكتب التي نقل عنها الاسلام إلى أوروبا في هذه المجموعة التي تعاونت عليها أيدي اليهود المتنصرين والنصارى المستعربين والقساوسة الحاقدين والتراجمة المأجورين، ليلبغوا رسالة رب العالمين إلى الناطقين باللاتينية في الاديرة والكنائس وسمي الكتاب باللاتينية Mahumet Doctrina أمّا كتاب نسب الرسول (ص) فهو كسابقه مملوء بالاساطير والاسرائيليات ويعتقد أن

أصله في العربية هو كتاب نسب رسول الله (ص) وهو من أخبار كعب الاحبار وسعيد بن عمر، والكتاب يركز على مولد الرسول (ص) والنور الذي انتقل من عهد آدم جيلا بعد جيل إلى الرسول (ص) وباللاتينية سمي الكتاب *et Mahumet Liber eius nutritia generationis*.

أما كتاب تاريخ الانبياء والمسمى باللاتينية *Saracenorum Fabulae* فلم يعرف له أصل عربي، وقد تكلم الكتاب عن آدم وخلق الانسان وعدد الانبياء والرسائل وأنهم بلغوا ١٢٠ ألف نبي منهم ٣١٥ رسولا منهم خمسة من اليهود وخمسة من العرب واعتبر موسى أول الخمسة اليهود وعيسى آخرهم، ويقول الكتاب أنه أنزل على الانبياء ١٠٤ كتابا وأن العرب والفرس والرومان واليهود هم أكثر شعوب الارض حكمة، وأن الرسول (ص) قد رأى في المنام أن عمر العالم هو سبعة آلاف سنة وأنه بعث في الالف السادسة ثم سرد لسيرة حياة الرسول (ص) وسيرة الخلفاء الراشدين، ومن سياق السرد يمكن للانسان أن يعرف اليد غير المسلمة التي تؤرخ وتكتب.

هذه هي الكتب التي جمعها بطرس الكلوني وترجمها بالاضافة إلى ترجمة روبرت من كيتون للقرآن الكريم إلى اللاتينية وقد عرفنا أنه لم يترجم ترجمة أكاديمية ملتزمة في حدود ما يسمح به الاختلاف الشديد بين اللغتين العربية واللاتينية.

فاللغة السامية الرفيعة للقرآن الكريم كانت ولا شك مشكلة كبيرة لمن لا يحسن العربية ولمن لا يعرف الاسلام فضلا عن ذلك لمن يتعامل على الاسلام. وكان علاج روبرت لهذه الصعوبة كما كتب بنفسه إلى بطرس الكلوني هو التوضيح بالدقة لحساب المعنى الاجمالي، وكما يقول كريتيك أنه بهذا التحرر من النص قد وصل إلى نتائج تكاد أن تكون فكاوية.

فكما ذكرنا سابقا لم يلتزم بالسور كما جاءت بل قسم بعض السور إلى أكثر من سورة كما أنه لم يلتزم بالآيات فقد دمجها كما أراد، وغير صيغ الكلام علاوة على الاخطاء الفاحشة في ترجمة المعاني نفسها.

ويبدو أن ترجمة كتابه ((الرسالة)) لعبد المسيح بن إسحاق الكندي كان أكثر الترجمات دقة لان الكتاب هو دفاع عن المسيحية ومحاولة للمسلمين بالأسلوب الذي تعرفه المسيحية مما سهّل الترجمة. وأضاف بعد ذلك بطرس الكلوني عدّة كتابات ورسائل إلى هذه المجموعة وهي كتابات تنقض وتحتاج المسلمين بما سمي *Refutation* ((أي النقض)) ورسائل موجهة إلى برنارد من كليرفو يشرح له ما وصل إليه مشروعه في نقل أفكار المسلمين ومذهبهم وكتابهم إلى اللاتينية.

فكتب ما سمي بالخلاصة *Saracenorum haeresis tatius Summa* وكتب رسالة سميت *Ciuniacensis Peti Epistol Claravallis ad Berardum* وكتاب ضد الاسلام بعنوان *um Saracenor haeresim sive sectam Contra Libre*. وحفظت هذه المجموعة ومن ضمنها ترجمة القرآن الكريم بالصورة التي ذكرنا، في دير كلوني ووضعت تحت تصرف الدارسين من الرهبان وبقيت سرا بينهم لا يطلع عليها غيرهم خشية التأثير بتعاليم القرآن الكريم وظلت في صورة مخطوطة حوالي ٤٠٠ سنة حتى اخترعت الطباعة.

أولا - المستشرق الانجليزي د. آرثر جفري

الذي طبع كتاب المصاحف لابن أبي داود (ت: ٢١٦) في مصر سنة ١٢٥٥ هـ وكتب في مقدمة الكتاب ما يلي

نتقدم بهذا الكتاب للقراء على أمل أن يكون أساسا لبحث جديد في تاريخ تطور قراءات القرآن. نشر في أيامنا هذه علماء الشرق (كثيرا مما يتعلق بتفسير القرآن وإعجازه وأحكامه ولكنهم إلى الآن لم يبينوا لنا ما يستفاد منه التطور في قراءاته، ولا ندري على التحقيق لماذا كفوا عن هذا البحث في عصر له نزعة خاصة في التنقيب عن تطور الكتب المقدسة القديمة وعن ما حصل لها من التغيير والتحوير ونجاح بعض الكتاب فيها

فمن منا يجهل مبلغ سرور علماء الغرب حين أن عثروا على بعض القطع القديمة من القرطاس والبردي التي حفظت لنا آيات وأسفارنا من التوراة أو الانجيل كانت بفضل رمال مصر محفوظة من البلاء والدثور مع طول الزمن. ولا يخفى على المطلع أن علماء النصارى وعلماء اليهود قد جدوا منذ جيلين في طلب تحقيق تاريخ الانجيل والتوراة وأنهم فازوا بنتائج باهرة كان لها أثر عظيم في تفسير لهذين الكتابين وتأويلهما، وأما القرآن فلم نجد شيئا من هذه الابحاث فيه سوى كتاب واحد بسيط وهو كتاب تاريخ القرآن لابي عبدالله الزنجاني الذي طبع حديثا في مصر

أدى هذا الفحص في الغرب كما هو معلوم إلى التنازع والخصام بين المتمسكين بالنقل وبين المتمثلين مع العقل، أو بعبارة أخرى أوضح بين أهل النقل وبين أصحاب هذه الابحاث، فقال أهل النقل من اليهود والنصارى إن هذا البحث التحليلي وكل فحص في تاريخ

الكتاب المقدس ليس إلا طعنا في الدين، ونسبوا إلى هؤلاء الباحثين عدم الايمان، وزعموا أنهم لا يريدون شيئا غير التشكيك والزندقة والالحاد، ولكن آراء المفكرين - أصحاب هذه المباحث - قد ذاعت الان وانتشرت حتى طغت على آراء غيرهم ممن يتمسكون بالنقل، فأنت ترى الان أكثر علماء اليهود وعلماء النصارى يتبعون في أبحاثهم وتدريسهم طريقة هذا البحث التحليلي ولو خالف هؤلاء في بحثهم أهل النقل والطريقة القديمة. وإذا تبينا أصل الاختلاف بينهما وجدناه في غير النص الموجود بين أيدينا الان، فأما أهل النقل فاعتمدوا على آراء القدماء وعلى هذه التخيلات التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم والتي نقلها العلماء من دور إلى دور، وإذا ما وجدوا بين هذه الآراء خلافا اختاروا واحدا منها وقالوا إنّه ثقة وغيره ضعيف أو كاذب. وأما أهل التنقيب فطريقتهم في البحث أن يجمعوا الآراء والظنون والاهام والتصورات باجمعها ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان منها مطابقا للمكان والزمان وظروف الاحوال معتبرين المتن دون الاسناد يجتهدون في إقامة نص التوراة والانجيل كما أقيم نص قصائد هوميروس أو نص رسائل أرسطو الفيلسوف.

الالمانى باستعمال طريقة البحث هذه في نص القرآن الشريف في كتابه المشهور الجليل المسمى: تاريخ (Noldeke) بدأ نولدكه القرآن. نشر هذا الكتاب سنة ١٨٦٠م وهو الان أساس كل بحث في علوم القرآن في أوروبا، ولم يكن في وسع نولدكه أن يقوم الذي ضم إليه نتائج التديقات الحديثة، وتوفي شوالي في أثناء (Schwally) بالطبعة الثانية من كتابه ففوض ذلك إلى تلميذه شوالي. طبع الكتاب (Pretzl) في تكميله، وبعد موت برجشتراسر أتم تلميذه برتزل (Bergstrasser) عمله فأخذ برجشتراسر

ولما ظهرت الطبعة الأولى من كتاب نولدكه تجنى عليه بعض أصحاب النقل في الشرق واتهموه بالطعن في الدين وزعموا أن الذين يتبعون هذه الطريقة ليسوا خالين من المحاباة في أبحاثهم مع أن انصافهم وصدق نيتهم وعدم محاباتهم ظاهر ويتبين من كتبهم أنهم لا يرومون إلا الكشف عن الحق، وكان عيبهم الوحيد في أعين أهل النقل أنهم يعتبرون المتن دون الاسناد ويختارون من آراء القدماء ما يطابق ظروف الاحوال من أسانيد متواترة كانت أم ضعيفة، فكثيرا ما تناقض نتائج أبحاثهم بهذه الطريقة تعليم أهل النقل الذي قد عرف بين العلماء من زمن بعيد

ولما كان في إيضاح كل ما قالوه إطالة لمقدمتنا هذه المراعى فيها الاختصار بقدر الامكان فنكتفي بعرض بعض نتائج أبحاثهم إفاده للقراء ومثالا ينسج عليه الباحثون ونذكر أهم هذه النتائج في ما يأتي

1 - لما قبض النبيّ (ص) لم يكن في أيدي قومه كتاب - قيل إن النبي (ص) كان كلّمًا نزلت عليه آيات أمر بكتابتها وكان يعرض على جبريل مرة في كل سنة ما كتب من الوحي في تلك السنة وعرضه عليه مرتين سنة موته، وهكذا جمع القرآن كله في حياة النبي (ص) في صحف وأوراق، وكان مرتبا كما هو الآن في سورة وآياته إلا أنه كان في صحف لا في مصحف، وهذا الرأي لا يقبله المستشرقون لأنّه يخالف ما جاء في أحاديث أخرى أنّه قبض (ص) ولم يجمع القرآن في شيء، وهذا يطابق ما روى من خوف عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق لما استحر القتل بالقرءاء يوم اليمامة وقالوا إن القتل استحرّ في قرءاء القرآن ونخشى أن يستحرّ القتل بالقرءاء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، ويتبين من هذا أن سبب الخوف هو قتل القرءاء الذين كانوا قد حفظوا القرآن، ولو كان القرآن قد جُمع وكُتب لما كانت هناك علة لخوفهم، وفضلا عن ذلك فإن علماء الغرب لا يوافقون على أن ترتيب نص القرآن كما هو (اليوم في أيدينا من عمل النبيّ (ص))

2 - اختلاف مصاحف الصحابة - روى أن غير واحد من الصحابة جمع القرآن في مصحف ومنهم علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وسالم مولى حذيفة، وعبدالله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل، وغيرهم

وزعم بعض الكتبة ان المراد بالجمع في هذا الحديث الحفظ، ولكننا لا نوافق على قولهم هذا لان عليًا حمل ما جمعه على ظهر ناقته (لباب القلوب))، وحرقت عثمان ما جمعه أبي، وأبى عبدالله بن مسعود أن ((و جاء به إلى الصحابة، وسمى الناس ما جمعه أبو موسى يقدم ما جمع من القرآن إلى عامل عثمان بالعراق، ويلزم على هذا أن ما جمعه كان مخطوطا في مصاحف. وكان كل مصحف من هذه المصاحف مصحفا خاصا بصاحبه جمع فيه ما عثر عليه من السور والآيات، أما المصحف الذي كتبه زيد بن ثابت لابي بكر

الصديق فكان أيضا في رأي المستشرقين مصحفا خاصا لا رسميا كما زعم بعضهم. وكانت هذه المصاحف يختلف بعضها عن بعض

لان كل نسخة منها اشتملت على ما جمعه صاحبها وما جمعه واحد لم يتفق حرفيا مع ما جمعه الاخرون

3 - أخذ مصاحف بعض الصحابة مقاما يعتد به في الامصار - لما نشأت الامصار الاسلامية بعد فتح الشام والعراق كان كل فريق من الناس يحتاج إلى نسخة من القرآن الذي هو أصل دينهم وحكمهم وعاداتهم الاجتماعية، فاتفق أهل الكوفة على مصحف ابن مسعود، وأهل البصرة على مصحف أبي موسى الأشعري، وأهل دمشق على مصحف المقداد بن الاسود، وأهل الشام على مصحف أبي بن كعب. وكانت هذه المصاحف يخالف بعضها بعضا، ولما اجتمع أهل العراق وأهل الشام لغزو مرج أذربيجان كانوا يتنازعون في القرءاءات حتى أنكروا بعضهم على بعض ما كان يقرأه من غير مصحفه زاعما أنّه ليس من القرآن، فنشأ عن ذلك الجدل والنزاع، وكان كل هذا من تمسك كل منهم بالمصحف المقروء في مصره

4 - جمع عثمان الناس على حرف واحد - روى أن حذيفة بن اليمان كان مع الجنود في فتح أذربيجان وسمع ما كان بين الناس من الجدل والنزاع في قرءاءاتهم فركب إلى عثمان بن عفان وقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك هذا القوم قبل أن يختلفوا في القرآن اختلاف اليهود والنصارى، فوقف عثمان بين الناس وقال: من بيده شيء من كتاب الله فليأت به، فأتوا بما عندهم على عسب وأكتاف وأوراق وصحف وما عدا ذلك، وأرسل إلى زيد بن ثابت وأعد له رهطا من أهل قريش وأمرهم بأن يجمعوا القرآن في مصحف، فجمعوا القرآن

من الصحف ومن شقف مخطوطة ومن صدور الناس، وكانوا لا يتقبلون شيئاً إلا إذا شهد له شاهدان، وقيل إن عثمان أرسل إلى حفصة أن ترسل إليه الصحف التي نسخها زيد بن ثابت بأمر أبي بكر الصديق فكانت هذه الصحف مصدر نص مصحف عثمان الجديد، ولما فرغوا من جمع هذا المصحف وكتابتها جعلوه مصحفاً رسمياً. وبعث عثمان بنسخ منه إلى الامصار وأمر باحراق ما عداها من صحف أو مصاحف. وزعم بعض العلماء أن عثمان إنما أخذ من حفصة النص الرسمي الذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر ونسخ هذا النص الرسمي بلغة قريش لأن العرب كانوا يقرأون القرآن بلغات مختلفة، وقال آخرون إن عثمان إنما أتى ما ابتدأ به عمر بن الخطاب من جمع القرآن، ونحن نرتاب ونشك في هذين الرأيين لأن ما أدى إليه بحثنا في أحاديث جمع القرآن هو أن اختلاف مصاحف الامصار كان سبباً في أن عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما في أيدي أهل المدينة من القرآن لا على أن يكون هذا الجمع والتأليف مصحفاً لأهل المدينة فقط كما كانت نسخة ابن مسعود مصحفاً لأهل الكوفة ونسخة أبي موسى مصحفاً لأهل البصرة، بل جمعه ليكون المصحف الرسمي لجميع أمصار الاسلام.

5 - خلو مصحف عثمان من النقط والشكل - وجد القرءاء في المصاحف التي بعثها عثمان للامصار اختلافاً في بعض الحروف، فكان في 5 مصحف الكوفة ((عملت)) وفي غيره ((عملته)) وكذلك في مصحف الشام ((وبالزبر)) وفي غيره ((والزبر))، وفي مصحف المدينة ومصحف الشام ((فلا)) وفي غيرها ((ولا)) ومثل ذلك. وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه والآخر ((تَعَلَّمُهُ)) أو ((أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات، ومثال ذلك ((بعلمه)) كان يقرأها الواحد ((تَعَلَّمُهُ)) ((تَعَلَّمُهُ)) أو ((بعلمه)) الخ على حسب تأويله للآية، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف وكذلك اختيار في الشكل أيضاً، وفضلاً عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القرءاء، كما يتبين ذلك من كتب القراءات، على كثير مما كان في المصاحف التي منع عثمان ثم بعد ذلك ظهرت بالتدريج في كل مصر من الامصار قراءة كانت مشهورة معهودة في ذلك البلد وتبعها الناس دون استعمالها غيرها. فظهرت قراءة أهل الكوفة وقراءة أهل البصرة وقراءة أهل الشام وقراءة أهل حمص وقراءة أهل مكة وقراءة أهل المدينة، وهي اختيار القرءاء المشهورين من هذه الامصار

6 - قوة اختيار بعض القرءاء - واتفق بعد حين أن قد قوي اختيار بعض القرءاء دون البعض في هذه الامصار المذكورة، فصار اختيار هؤلاء 6 القرءاء في ما بعد قاعدة قراءة أهل مدنهم، وأسس القرءاء اختيارهم على مبادئ ثلاثة، الأولى أن تكون القراءة موافقة لنص المصحف العثماني، الثاني أن تكون روايتها من الصحابة، الثالث أن تكون مطابقة للعربية. أخيراً في سنة ٣٢٢ افتتح بينها العلامة أبو بكر بن مجاهد، أعلم أهل عصره في علم القراءات، ورجح اختيار القرءاء السبعة وهم نافع من أهل المدينة، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، وأبو عمرو من أهل البصرة، وعاصم وحمزة والكسائي من أهل الكوفة، بناء على الحديث المشهور أن النبي (ص) قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه. ولم يقبل جميع العلماء اختيار ابن مجاهد فاستحسن بعضهم قراءة أبي جعفر المدني وآخر قراءة يعقوب البصري أو قراءة خلف الكوفي، وحتى الآن يعتمد كثير من العلماء قراءة القرءاء العشرة ويثبتون أن كل قراءة رويت عن العشرة هي قراءة متواترة

7 - ترجيح وتصميم قراءة حفص - لكل من القرءاء العشرة رواة كثيرون فانتخب الناس بعد حين من مجموع روايات الرواة روايتين لكل قارئ، فاستحسنوا من روايات نافع رواية ورش ورواية قالون، ومن روايات ابن كثير رواية البرقي ورواية قبل، ومن روايات ابن عامر رواية ابن ذكوان ورواية هشام، ومن روايات نافع رواية عمرو ورواية الدوري ورواية السوسي، ومن روايات نافع رواية حفص ورواية أبي بكر، ومن روايات حمزة رواية خلف ورواية خلاد، ومن روايات الكسائي رواية الدوري ورواية الحارث، وكذا من روايات نافع رواية أبي جعفر رواية ابن جمار ورواية ابن وردان، ومن روايات يعقوب رواية روح ورواية رويس، وبعد ذلك لم يعتمدوا القراءة إلا إذا كانت من هذه الروايات المختارة

واستمرت هذه الروايات معمولاً بها في كل عصر إلى أن فاقت ثلاثة منها على غيرها؛ وهي رواية الدوري عن أبي عمرو البصري، ورواية ورش عن نافع المدني، ورواية حفص عن عاصم الكوفي. ثم نشرت رواية حفص حتى تغلبت على رواية الدوري كافة وتغلبت أيضاً على رواية ورش إلا في المغرب، فبقيت رواية حفص عن عاصم الكوفي القراءة المشهورة المستعملة في أيامنا في أكثر بلاد العالم الاسلامي.

هذا في رأي المستشرقين تاريخ تطور في قراءات القرآن من بدء المصاحف المختلفة في أيام الصحابة إلى المصحف الرسمي العثماني، ومن وقت حرية الاختيار في الروايات إلى أن اعتمد العلماء رواية رسمية من روايات الرواة الكثيرة المختلفة، وقد حققوا أن نتيجة بحثهم هذه أقرب فهما للأحاديث المختلفة والروايات المتناقضة وأكثر موافقة لحوال القرون الأولى وحوادثها، فبناء على هذا نرى ستة أطوار في تاريخ تطور قراءات القرآن وهي

1) طور المصاحف القديمة

2) طور المصاحف العثمانية التي بعث بها للامصار

3) طور حرية الاختيار في القراءات

4) طور تسلط السبعة أو العشرة

5) طور الاختيار في روايات العشرة

طور تعميم قراءة حفص وهو طور النسخ المطبوعة (6)

ولا يخفى على الفارئ أن نتيجة هذه الابحاث لاتتفق وما عليه المسلمون من تاريخ القرآن، ولا يهمننا في بحثنا هذا كونه حقا أو باطلا وإنما المهم هو بيان ما وصلنا إليه بعد التحري والتنقيب، فإذا يجب علينا أن ندقق في دراسة كل طور من هذه الاطوار لتحل المسائل الكثيرة المتعلقة بكل واحد منها لا سيما الطور الاول والطور الثالث، وبالاخص لنجمع ما بقي من حروف المصاحف القديمة التي تقدمت مصحف عثمان، وأن نبحت عن رسم المصاحف العثمانية، وأن نجتمع القراءات التي عرفت من زمن الاختيار، وأن نكشف عن النص الاصيلي لكل قارئ من القراء السبعة أو العشرة، وأن نلم بجميع القراءات المنسوبة إلى رواة القراء العشرة. ثم بعد ذلك نسأل متى وكيف ولماذا اختير لكل منهم روايتان من روايات روايتهم الكثيرة، وكيف ظهرت رواية حفص على روايات أصحابه؟ ونظرة قصيرة في كتاب المصاحف لابن أبي داود تمكنا من الوصول إلى أول مراتب هذا البحث

كتاب المصاحف

كتب غير واحد من أهل السلف كتبها وصفوا فيها المصاحف القديمة لاسيما تلك المصاحف التي أبطها عثمان حين ما بعث بمصحفه ، وكتاب اختلاف مصاحف (الرسمي للامصار، ومن هذه الكتب كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر (المتوفى: ١١٨ المتوفى ١٨٩)، وكتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف) أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة عن الكسائي ، وكتاب اختلاف المصاحف وجامع القراءات (229 للفرء البغدادي (المتوفى ٣٠٧)، وكتاب اختلاف المصاحف لخلف بن هشام (المتوفى للمدائني (المتوفى ٢٣١)، وكتاب اختلاف المصاحف لابن حاتم (المتوفى ٢٤٨)، وكتاب المصاحف والهجاء لمحمد بن عيسى ، وكتاب المصاحف لابن الانباري (المتوفى ٣٢٧)، وكتاب (316 الاصبهاني (المتوفى ٢٥٣)، وكتاب المصاحف لابن أبي داود (المتوفى المصاحف لابن اشته الاصبهاني (المتوفى ٣٦٠)، وكتاب غريب المصاحف للوراق، ولم يصل إلينا من هذه الكتب إلا كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني ابن الامام أبي داود المحدث المشهور صاحب كتاب السنن، ولما كانت هذه المقدمة لكتاب المصاحف (لابن أبي داود كان حقا علينا أن نلمح إلى شيء من تاريخ حياته

ثم أورد تاريخ حياته وجاء فيها قوله

(ولد عبدالله بن سليمان الاشعث أبو بكر بن أبي داود بسجستان سنة ٢٣٠)

(. واشتهر في علم الحديث وفي علوم القرآن - أيضا -)

(. وألف في هذا الفنّ كتباً كثيرة)

(فضلا عن كتابه المشهور كتاب المصاحف والمسمى أيضا كتاب اختلاف المصاحف)

ومع هذا زعم بعض العلماء أنه غير ثقة، وقيل إن أباه أبا داود كذبه، وقال الدارقطني هو ثقة إلا أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث، وقال في المغني: عبدالله بن سليمان السجستاني ثقة كذبه أبوه في غير حديث، وهذه تهمة لم يرض بها المستشرقون (لأنها لم تقم عليها حجة من الاحاديث التي رويت عنه، ولأنهم اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة صادقة

دراسة أقوال المستشرق د. آرثر جفري

يا ترى لماذا لم يرضَ المستشرق بالنشر الكثير لتفسير القرآن وبيان أحكامه و... و...؟

لأنه لا يرضيه من البحث حول القرآن عدا البحث عمّا (حصل له من التغيير والتحوير) لما فيه من التشكيك بثبوت النصّ القرآني الذي بأيدينا، وقد وجد بغيته في الروايات التي أورد خلاصتها واستنتج منها تطور النصّ القرآني وتحوله، وللأسف نفسه نشر كتاب اختلاف المصاحف لابن أبي داود لأن هذا الكتاب يوصله إلى أول مراتب هذا البحث كما قال

ونتيجة هذا البحث عنده: إن القرآن قد تغيّر وتبدّل منذ عصر نزوله إلى عصور الطبع مرّات متعددة، ولتأييد قوله هذا نشر أسماء الكتب التي يستفاد منها اختلاف المصاحف بعضها مع بعض على مرّ العصور وقد بان لنا زيف ما استند إليها في بحث اختلاف المصاحف بهذا الكتاب.

وللسبب نفسه لم يرض المستشرقون - كما قال - قول العلماء: (أنه غير ثقة) (كثير الخطأ في الكلام على الحديث) (ان أباه أبا داود كذبه).

(وقال: (لأنهم - المستشرقين - اختبروا أحاديثه على قاعدة البحث الجديدة فوجدوها صحيحة صادقة

!!! وإنّ قاعدة البحث الجديدة لدى المستشرقين حول القرآن هي صحة كلّ ما يثبت عدم ثبوت النصّ القرآني وتبدّله مرّ العصور

وللسبب نفسه قال: وأما القرآن فلم نجد شيئاً من هذه الأبحاث فيه سوى كتاب واحد بسيط وهو كتاب ((تاريخ القرآن)) لأبي عبدالله الزنجاني الذي طبع حديثاً في مصر. انتهى

* * *

:كانت تلكم أقوال د. آرثر جفري حول كتاب الزنجاني وإليكم في ما يأتي درسها

الثناء على الزنجاني وكتابه

أ - قال الكاتب المصري أحمد أمين (ت: ١٣٧٣هـ) في مقدمة تاريخ القرآن للزنجاني ط. مصر سنة ١٣٥٦هـ: (إنّ الأستاذ من أكبر علماء (الشيعة ومجتهديهم

: ب - أعضاء لجنة دائرة المعارف ومترجموها

ترجمة النص الانجليزي لمقدمة الكتاب

شعر طلاب الثقافة والتمدن الاسلامي بالخيبة لفقدان عمل علمي باللغة العربية حول تاريخ القرآن الكريم، وشعرنا بدورنا بالحاجة الملحة لمثل هذا العمل عند قيامنا بترجمة دائرة المعارف الاسلامية إلى العربية

.ومنذ زمن بعيد عالج المستشرقون هذا الموضوع، منهم المشاهير: نولدكه، برجستراسر وبرتزل

ورغم اسلوبهم العلمي في النقد والتحقيق في المصادر فإن آراءهم تكاد تتعد عن الموضوعية أحياناً. لهذا، ممّا يسر الاطلاع على رأي عالم مسلم وشيعة كالشيخ أبي عبدالله الزنجاني والذي لا نرى حاجة لتعريفه لكونه أحد كبار علماء الفرس ومجتهديهم المعاصرين.

ويعتبر تأليفه هذا مشاركة في نشر العلم الحديث بلا شك. ولاكثر مباحث هذا الكتاب الأهمية الكبرى، فقد عالج المؤلف ببراعة والأحوال السائدة في الجزيرة العربية في عصره وكيفية قبول رسالته في المجتمع آنذاك وأثرها (مواضيع هامة كحياة الرسول (ص) البليغ في تاريخ الجزيرة العربية. وقد جمع المؤلف وانتقد ببراعة في مؤلفه الموجز مسائل وآراء شتى العلماء العرب وأوروبا ومنها: تاريخ القرآن الكريم وترتيب السور وكيفية تعليم الرسول (ص) القرآن لأصحابه وكيف كُتب القرآن الكريم لأول مرة وأشهر قراء القرآن الكريم وقراءاتهم ومترجمو القرآن الاوربيون

ونحن نشعر بالشكر الذي يدينه كل باحث لتاريخ القرآن الكريم تجاه الشيخ أبي عبدالله الزنجاني لكتابه هذا الذي لا يستغني عنه الباحثون في هذا المضمار

جولاي / ١٩٣٥م / 1

عبد الحميد يونس أحمد الشننناوي عباس محمود إبراهيم زكي خورشيد لجنة الترجمة لدائرة المعارف الاسلامية

وللسبب الذي ذكرنا انتخب الزنجاني عضواً في المجتمع العلمي العربي في دمشق والسبب في كل هذا التكريم للزنجاني لما جاء (1) في الفصول السبعة الآتية من الباب الثاني من كتابه

(الفصل الأول: القرآن في عهد أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما

(الفصل الثاني: القرآن في عهد عثمان (رض

(الفصل الثالث: في ترتيب السور في مصحف علي (ع

الفصل الرابع: ترتيب سور القرآن في مصحف أبي بن كعب

(الفصل الخامس: ترتيب سور القرآن في مصحف عبدالله بن مسعود (رض

(الفصل السادس: ترتيب السور في مصحف عبدالله بن عباس (رض

(الفصل السابع: ترتيب السور في مصحف الامام أبي عبدالله الصادق (ع

(الفصل الاوّل القرآن في عهد أبي بكر وعمر (رض))

ولمّا توفي رسول الله (ص) ورجعت نفسه الزكية إلى ربها راضية مرضية، وتولى الامر أبو بكر بن أبي قحافة (رض) ظهر مسيلمة باليمامة في السنة الأولى من خلافته، وجهر أبو بكر لقتاله جيشاً يتألف من القرّاء وحفظة القرآن وغيرهم، وفي هذه الحرب التي كان النصر حليف المسلمين، وقتل مسيلمة واشتد القتال في يومها لقرّاء القرآن أحسن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بضرورة جمع في الاتقان عن ابن أبي داود بطريق الحسن أن عمر (رض) سأله عن آية من كتاب الله، فقيل كانت مع فلان، قتل يوم القرآن (2). اليمامة؛ فقال: إنا لله، فأمر بجمع القرآن، فكان أول من جمعه في مصحف

روى البخاري بإسناده عن عبيد بن السباق أنّ زيد بن ثابت (رض) قال: أرسل إليّ أبو بكر مقلّ (أي عقيب مقتل) أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر (أي اشتد) يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن وكيف (يستحر القتل بالقرّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل (برواية البخاري هذا والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدي: أفعل (برواية محمد بن إسحاق) ما لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال عمر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ص)، فتتبع: لذلك، ورأيت في الذي رأى عمر. قال زيد قال أبو بكر القرآن فأجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (ص)؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدي للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها (4) واللخاف (3) فتتبع القرآن أجمعه من العسب مع غيره: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص) حتى خاتمة براءة

يظهر من الرواية أن أبا بكر (رض) خشى فأبى من فعل ما لم يفعله رسول الله (ص)، لشدة اتباعهم للنبي (ص)، ثمّ اجتهد عمر (رض) وقال هذا والله خير، أي صلاح للأمة، لأن القرآن هو أساس معالم الدين الاسلامي، وكذلك زيد بن ثابت أبى أن يفعل ما لم يفعله (ص) خشية الابتداع في الدين. كأن ظاهر الرواية أن إنكارهما يرجع إلى جمع القرآن، مع أن القرآن بحسب الروايات والاقوال السابقة كان مجموعاً في حضرة النبي (ص)، ولكن التأمل الصادق - والشواهد - يعطي أن اقتراح عمر جمع القرآن إنما كان لجمعه في الورق، حتى أن الصحابة لشدة احتياطهم وخضوعهم لرسول الله (ص) خافوا أن يكون ذلك من البدع وأجاب الخليفة الثاني أن فيه رضا النبي (ص) وصلاح الأمة

في الاتقان عن مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب، قال: لمّا أصيب المسلمون باليمامة فرغ أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في (ص)، وقال أبو بكر لعمر ولزيد: اعدا (المصحف. ثم أعلن عمر في المدينة بأن يأتي كل من تلقى شيئاً من القرآن من رسول الله (5). على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على كتاب الله فاكتباه

والاقرب إلى الظن أن الشاهدين كانا يشهدان بأن ما أتوا به كان ممّا عرض على النبي (ص) عام وفاته في العرصة الاخيرة، وكتب بين يديه (ص)، ولذلك قال زيد بن ثابت: وجدت آخر سورة براءة مع أبي خزيمة لم أجدها مع غيره. ولولا ذلك لما صح معنى لعدم (ص) وقيل قول أبي خزيمة لأن النبي (ص) جعل شهادته (وجدانهم لهذه الآية، لأن زيدا كان جمع القرآن وحفظه، وأخذه عن النبي شهادة رجلين، وأتى عمر بأية الرجم فلم تكتب لآته كان أتى بها وحده، وكانت حسب بعض الروايات نسخة من القرآن المكتوب في (العسب والحريز والاكشاف في بيت رسول الله (ص)

وكان هذا الجمع عبارة عن جمع الايات المكتوبة في الاكشاف والعسب واللخاف، وينسخها في الاديم وهو الجلد المدبوغ، قال ابن حجر فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الاديم، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله. في رواية عمارة ابن غزوة: إن زيد بن ثابت قال ثمّ عند عمر في حياته. ثمّ عند حفصة بنت عمر

وقال عمر (رض): لا يملين في مصاحفنا إلاّ غلمان من قريش وثقيف، وقال عثمان (رض): اجعلوا المملي من هذيل والكاثب من (6). ثقيف

(الفصل الثاني القرآن في عهد عثمان (رض))

قد سبق أن الصحابة قرأوا بعض كلمات القرآن بألفاظ مختلفة، كانت تدلّ عليّ معنى واحد، كأمض وأسر وعجل وأسرع وآخر وأمهل، وأن عمر قرأ فامضوا إلى ذكر الله. وأنس قرأ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قبلاً. ولم يكن هذا الاختلاف بنظرهم مغيراً لمعنى القرآن، ولذلك قرأ النبي (ص) قراءاتهم على اختلاف ألفاظها، وبعد عهد النبي (ص) أخذ يزيد هذا الاختلاف في عهد أبي بكر، واشتد في عهد عثمان حتى اقتتل المعلمون والعلماء، وتفرق القرّاء والحفاظ في الشام والعراق واليمن وأرمينية وأذربيجان، وزاد هذا الاختلاف بتأثير عوامل تحول اللغة بمجاورة أمم غير عربيّة أو عربية غير مصرية، وأصبح بحيث يخشى من تأثيره، فعند ذلك أحسن الصحابي الجليل بسوء تأثيره إن استمر، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، (7) حذيفة بن اليمان فأعلم عثمان سوء عاقبة الاختلاف في القرآن

، قال: حدثنا إبراهيم، قال: حدثنا ابن شهاب أن أنس بن مالك حدّثه أن حذيفة بن اليمان (8) وفي البخاري ووافقه صاحب الفهرست قدم على عثمان (في الفهرست: وكان بالعراق)، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل

عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد ابن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف؛ وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وبظهر من بعض الاسانيد الموثقة أن عثمان لما (9)وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فأتوا أنزل بلسانهم. أراد نسخ القرآن في المصاحف، جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والانصار

أخرج بن أبي داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلق، قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً في شيء آخره، (11)التي في بيت عمر، فجيء بها، وكان عثمان يتعاهدهم إذا تداوروا (10)من قريش والانصار، فبعثوا إلى الرابعة قال محمد: فظننت إنما كان يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبوه على قوله. وقال ابن حجر: فانفق رأي الصحابة (12)على أن كتبوا ما تحقق أنه قرآن في العرضة الأخيرة، وتركوا ما سوى ذلك

ويدل على قول ابن حجر ذيل حديث البخاري عن خارجة بن زيد بن ثابت، قال: فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع أبي خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها في المصحف. يتراءى أن التحقيق أرشدهم إلى أن الآية مما عرضت على النبي(ص) في العرضة الأخيرة في المصحف، ولما نسخوا الصحف في المصاحف ردها عثمان إلى حفصة ونسخوا أربعة مصاحف وأبقى عنده واحدا منها، مع البصري، وأبا (13)وأرسل عثمان الثلاثة للبصرة والكوفة والشام، وعين زيد بن ثابت أن يقرأ بالمدني، وبعث عامر بن قيس،، والمغيرة بن شهاب مع الشامي؛ وقرأ كل مصر بما في مصحفه(14)عبدالرحمن السلمي مع الكوفي

فالجمع الأول كان جمع الايات حين نزولها في الكتب وأمثالها مما كانت العرب تكتب عليه وعرضها على النبي (ص)، والجمع الثاني في عهد الخليفة أبي بكر كان جمع القرآن بين لوحين ونسخها في قطع الاديم، والجمع الثالث في عهد عثمان (رض) كان جمع المسلمين على قراءة واحدة

ذكر علي بن محمد الطاووس العلوي الفاطمي في كتابه (سعد السعود) نقلاً عن كتاب أبي جعفر محمد بن منصور ورواية محمد بن زيد بن مروان في اختلاف المصاحف أن القرآن جمعه على عهد أبي بكر زيد بن ثابت، وخالفه في ذلك (أبي) وعبدالله بن مسعود (وسالم) مولى أبي حذيفة، ثم عاد عثمان فجمع المصحف برأي مولانا علي بن أبي طالب (ع)، وأخذ عثمان مصاحف أبي وعبدالله وكتب عثمان مصحفاً لنفسه، ومصحفاً لاهل المدينة، ومصحفاً لاهل مكة، (15)بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة فغسلها (كذا ومصحفاً لاهل الكوفة، ومصحفاً لاهل البصرة، ومصحفاً لاهل الشام،) ومصحفاً للشام رآه ابن فضل الله العمري في أواسط القرن الثامن الهجري). يقول في وصف مسجد دمشق: ((وإلى جانبه الايسر المصحف العثماني بخط أمير المؤمنين عثمان بن (16)عفا(رض))) اه

ويظن قويا أن هذا المصحف هو الذي كان موجوداً في دار الكتب في لنين غراد وانتقل الان إلى انكلترا

كتبه علي بن أبي :ه في دار الكتب العلوية في النجف مصحفاً بالخط الكوفي كتب على آخره 1353 ورأيت في شهر ذي الحجة سنة طالب في سنة أربعين من الهجرة، لتشابه أبي وأبو في رسم الخط الكوفي قد يظن من لا خبرة له: أنه: كتب علي بن أبو طالب بالواو.

وفي كلام ابن طاووس ؛ في كتاب سعد السعود أن عثمان عاد وجمع المصحف برأي علي (ع) تأييد لما ذكره الشهرستاني في مقدمة تفسيره برواية سويد بن علقمة قال: سمعت علي بن أبي طالب (ع) يقول: أيها النهاس! الله الله إياكم والغلو في أمر عثمان،

وقولكم حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا من ملا من أصحاب رسول الله (ص). جمعنا وقال: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها: يلقي الرجل الرجل فيقول قراءتي خير من قراءتك، وهذا يجر إلى الكفر، فقلنا بالرأي، قال: أريد أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإتكم إن اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافاً. فقلنا نعم ما رأيت، فأرسل إلى زيد بن ثابت وسعيد بن يكتب أحدهما ويملئ الآخر، فلم يختلفا في شيء إلا في حرف واحد في سورة البقرة فقال أحدهما: العاص قال

(التابوت)، وقال الآخر: (التابوه) واختار قراءة زيد بن ثابت لأنه كتب الوحي)

(الفصل الثالث في ترتيب السور في مصحف علي (ع))

واختارنا ذكر ترتيب السور في مصاحف بعض كبار الصحابة والتابعين عن المدارك المعتمدة القديمة لما له مساس بتاريخ القرآن وفهم ان ترتيبه كان باجتهاد منهم

فقد قال ابن النديم في الفهرست: قال ابن المنادي: حدثني الحسن بن العباس قال: أخبرت عن عبد الرحمن بن أبي حماد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير عن علي (ع) أنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي (ص) فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه، وكان المصحف عند أهل جعفر (رض)، ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلى حمزة الحسني ؛ مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب (ع)،

بتوارثه بنو حسن على مر الزمان، وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف، وسقط ذكر ترتيب السور من أصل النسخة المطبوعة في Brill في الجزء الثاني من تاريخه ص ١٥٢ - ١٥٤ طبع (17) من سنة ١٨٧١ إلى سنة ١٨٧٢ ولكن ذكره اليعقوبي (Leipzig) (ليبسك - سنة ١٨٨٢

وقال وروى بعضهم أن علي بن أبي طالب (ص) كان جمعه (يعني القرآن) لما قبض رسول الله (ص) وأتى به يحمله على جمل فقال: هذا القرآن جمعته وكان قد جزأه سبعة أجزاء

الجزء الاول	الجزء الثاني	الجزء الثالث	الجزء الرابع
البقرة	آل عمران	النساء	المائدة
يوسف	هود	النحل	يونس
العنكبوت	الحج	المؤمنون	مريم
الروم	الحجر	يس	طسم
لقمان	الاحزاب	حمعسق	الشعراء
حم السجدة	الدخان	الواقعة	الزخرف
الذاريات	الرحمن	تبارك .. الملك	الحجرات
هل أتى على	الحاقة	بأيتها المدثر	ق والقرآن المجيد
الانسان
ألم تنزل	سأل سائل	أرأيت	اقتربت الساعة
السجدة	عبس وتولى	تبت	الممتحنة
النازعات	والشمس وضحيها	قل هو الله أحد	والسما والطارق
إذا الشمس كورت	انا انزلناه	والعصر	لااقسم بهذا البلد
إذا الشمس انفطرت	إذا زلزلت	القارعة	الم نشرح لك
إذا السماء انشقت	ويل لكل همزة	والسما ذات البروج	والعاديات
سبح اسم ربك	ألم تر كيف	والتين والزيتون	انا اعطيناك الكوثر
الاعلى
لم يكن	لايلاف قريش	طس	قل ياايها الكافرون
.....	النمل
فذلك جزء البقرة	فذلك جزء آل عمران	فذلك جزء النساء	فذلك جزء المائدة

الجزء الخامس	الجزء السادس	الجزء السابع
الانعام	الاعراف	الانفال
سبحان	ابراهيم	براءة
اقترب	الكهف	طه
الفرقان	النور	الملائكة
موسى	ص	الصفات

فرعون	الزمر	الاحقاف
حم	الشريعة	الفتح
المؤمن	الذين كفروا	الطور
المجادلة	الحديث	النجم
الحشر	المزمل	الصف
الجمعة	لااقسم بيوم القيامة	التغابن
المنافقون	عم يتساءلون	الطلاق
ن والقلم	الغاشية	المطففين
انا ارسلنا نوحا	والفجر	المعوذتين
قل اوحى الي	والليل اذا يغشى
المرسلات	اذا جاء نصر الله
والضحى
الهكم
فذلك جزء الانعام	فذلك جزء الاعراف	فذلك جزء الانفال

(18) الصحابي الجليل المتوفى سنة ٢٠هـ (الفصل الرابع ترتيب سور القرآن في مصحف أبي بن كعب (رض

قال الفضل بن شاذان أخبرنا الثقة من أصحابنا. قال: كان تأليف السور في قراءة أبي بن كعب بالبصرة في قرية: (19) قال ابن النديم يقال لها قرية الانصار على رأس فرسخين عند محمد بن عبد الملك الانصاري أخرج إلينا مصحفا وقال: هو مصحف أبي رويناه عن أبائنا، فنظرت فيه واستخرجت أوائل السور وخواتيم الرسل وعدد الاي. فأوله

١	فاتحة الكتاب	٨	الانفال	١٧	الاحزاب	٢٦	الرعد
٢	البقرة	٩	التوبة	١٨	بني اسرائيل	٢٧	طسم
٣	النساء	١٠	هود	١٩	الزمر	٢٨	القصص
٤	آل عمران	١١	مريم	٢٠	حم تنزيل	٢٩	طس
٥	الانعام	١٢	الشعراء	٢١	طه	٣٠	سليمان
٦	الاعراف	١٣	الحج	٢٢	الانبياء	٣١	الصفات
٧	المائدة	١٤	يوسف	٢٣	النور	٣٢	داود
	الذي التبيسته	١٥	الكهف	٢٤	المؤمنون	٣٣	ص
	يونس *	١٦	النحل	٢٥	حم المؤمن	٣٤	يس

Leipzig هكذا في طبعة *

35	اصحاب الحجر	55	النجم	75	الفجر	92	اللهم اياك نعبد
36	حم عسق	56	ن	76	الملك		واخرها بالكفار

37	الروم	57	الحاقة	77	والليل اذا يغشى		محلقة اللمز
38	الزخرف	58	الحشر	78	اذا السماء	93	اذا زلزلت
39	حم السجدة	59	المتحنة		انفطرت	94	العاديات
40	ابراهيم	60	المرسلات	79	الشمس وضحاها	95	اصحاب الفيل
41	الملائكة	61	عم يتساءلون	80	والسماء ذات	96	التين
42	الفتح	62	الانسان		البروج	97	الكوثر
43	محمد	63	لأقسام	81	الطارق	98	القدر
44	الحديد	64	كورت	82	سبح اسم	99	الكافرون
45	*الظهار	65	النارعات		ربك الاعلى	100	النصر
46	تبارك	66	عبس	83	الغاشية	101	ابي لهب
47	الفرقان	67	المطففين	84	**عبس	102	قريش
48	الم تنزيل	68	اذا السماء انشقت	85	الصف	103	الصمد
49	نوح	69	التين	86	الضحى	104	الفلق
50	الاحقاف	70	اقرا باسم ربك	87	الم نشرح	105	الناس
51	ق	71	الحجرات	88	القارعة		
52	الرحمن	72	المنافقون	89	التكاثر		
53	الواقعة	73	الجمعة	90	الخلع		
54	الجن	74	(النبي ص)	91	الجيد		

الظهار بالطاء المهملة (Leipzig) في طبعة *

ص ٣٧ هكذا وردت العبارة في أصل الكتاب المطبوع (Leipzig الفهرست طبعة) وهي أهل الكتاب لم يكن أول ما كان الذين كفروا ** بمصر. والظاهر انه

اشتباه مطبوعي وان صحيحه هو ((وهي اول لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب)) المصحح

الفصل الخامس ترتيب سور القرآن في مصحف عبدالله بن مسعود (رض) الصحابي الجليل المتوفى سنة

(20) أو ٢٢ هـ 32

عن الفضل بن شاذان أنّه قال: وجدت في مصحف عبدالله بن مسعود تأليف سور القرآن على هذا الترتيب (21) روى ابن النديم

١	نبأ	١٣	الانبياء	٢٥	الفرقان	٣٧	حم الزخرف
٢	النساء	١٤	المؤمنون	٢٦	الحج	٣٨	السجدة
٣	آل عمران	١٥	الشعراء	٢٧	الرعد	٣٩	الاحقاف

٤	الم ص	١٦	الصفات	٢٨	سبأ	٤٠	الجاثية
٥	الانعام	١٧	الاحزاب	٢٩	الملائكة	٤١	الدخان
٦	المائدة	١٨	القصص	٣٠	ابراهيم	٤٢	انا فتحنا
٧	يونس	٢٩	النور	٣١	ص	٤٣	الحديد
٨	براءة	٣٠	الانفال	٣٢	الذين كفروا	٤٤	سبح
٩	النحل	٣١	مريم	٣٣	القمر	٤٥	الحشر
١٠	هود	٣٢	العنكبوت	٣٤	الزمر	٤٦	تنزيل
١١	يوسف	٣٣	الروم	٣٥	الحواميم المسيحات*	٤	السجدة
١٢	بنى اسرائيل	٣٤	يس	٣٦	حم المؤمن	٤٨	ق

٤٩	الطلاق	٦٤	الطور	٨٠	هل أتاك حديث	٩٥	لم يكن الذين
٥٠	الحجرات	٦٥	اقتربت الساعة	٨١	الغاشية		كفروا من
٥١	تبارك الذي	٦٦	الحاقة	٨٢	سبح اسم		اهل الكتاب
	بيده الملك	٦٧	اذا وقعت		ربك الاعلى	٩٦	الشمس وضحيا
٥٢	التغابن	٦٨	ن والقلم	٨٣	والليل اذا يغشى	٩٧	التين
٥٣	المنافقون	٦٩	النازعات	٨٤	الفجر	٩٨	ويل لكل همزة
٥٤	الجمعة	٧٠	سأل سائل	٨٥	البروج	٩٩	الفيل
٥٥	الحواريون	٧١	المدثر	٨٦	انشقت	١٠٠	لايلاف قريش
٥٦	قل اوحى	٧٢	المزمل	٨٧	اقرا باسم ربك	١٠١	التكاثر
٥٧	انا ارسلنا نوحا	٧٣	المطففين	٨٨	لأقسم بهذا البلد	١٠٢	انا انزلناه
٥٨	المجادلة	٧٤	عبس	٨٩	والضحى	١٠٣	والعصر
٥٩	الممتحنة	٧٥	الدهر	٩٠	ألم نشرح	١٠٤	اذا جاء نصر الله
٦٠	ياايها النبي لم تحرم	٧٦	القيامة	٩١	والسماء والطارق	١٠٥	الكوثر
٦١	الرحمن	٧٧	عم يتساءلون	٩٢	والعاديات	١٠٦	الكافرون
٦٢	النجم	٧٨	التكوير	٩٣	أرأيت	١٠٧	المسد
٦٣	الذاريات	٧٩	الانفطار	٩٤	الفارعة	١٠٨	قل هو الله أحر

(22) فذلك مئة سورة وعشر سور . كذا *

.وفي رواية أخرى الطور قبل الذاريات

.قال الفضل بن شاذان: قال ابن سيرين: وكان عبدالله بن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه، ولا فاتحة الكتاب

(23). (وروى الفضل أيضا بإسناده عن الاعمش، قال: في قراءة عبدالله (حمسق

قال محمد بن إسحاق: رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها أنها مصحف ابن مسعود ليس فيها مصحفان متفقان وأكثرها في رق كثير النسخ، وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو مئتي سنة فيه فاتحة الكتاب؛ والفضل بن شاذان أحد الأئمة في القرآن والروايات

(24). فلذلك ذكرنا ما قاله دون ما شاهدناه - انتهى

(25) 68هـ الصحابي الجليل المتوفى سنة (الفصل السادس ترتيب السور في مصحف عبدالله بن عباس (رض

نجد في التاريخ والحديث للصحابي الجليل ابن عباس (رض) الذي تخصص في تفسير القرآن صلة خاصة بعلي (ع) فما يذكر عنه في

.القرآن له مزية كبيرة

(في كتاب سعد السعود أنه اشتهر بين أهل الاسلام أن ابن عباس كان تلميذ علي (ع) (26) ذكر ابن طاووس

(ع) فأثرنا نقل ترتيب (وذكر محمد بن عمر الرازي في كتاب الاربعة أن ابن عباس رئيس المفسرين كان تلميذ علي بن أبي طالب مصحفه كما ذكره الشهرستاني في مقدمة تفسيره وهو سند أمين

١	اقرأ	٧	تبت يدا	١٣	الرحمن	١٩	الكافرون
٢	ن	٨	كورت	١٤	والعصر	٢٠	الاخلاص
٣	والضحى	٩	الاعلى	١٥	الكوثر	٢١	النجم
٤	المزمل	١٠	والليل	١٦	التكاثر	٢٢	الاعمى
٥	المدثر	١١	والفجر	١٧	الدين	٢٣	القدر
٦	الفاتحة	١٢	ألم نشرح لك	١٨	الفيل	٢٤	والشمس

٢٥	البروج	٤٨	يونس	٧١	المؤمنون	٩٤	الحج
٢٦	التين	٤٩	هود	٧٢	الرعد	٩٥	الحديد
٢٧	قريش	٥٠	يوسف	٧٣	الطور	٩٦	محمد (ص)
٢٨	القارعة	٥١	الحجر	٧٤	الملك	٩٧	الانسان
٢٩	القيامة	٥٢	الانعام	٧٥	الحاقة	٩٨	الطلاق
٣٠	الهمزة	٥٣	الصافات	٧٦	المعارج	٩٩	لم يكن
٣١	والمرسلات	٥٤	لقمان	٧٧	النساء	١٠٠	الجمعة
٣٢	ق	٥٥	سيا	٧٨	والنازعات	١٠١	الم سجدة
٣٣	البلد	٥٦	الزمر	٧٩	انفطرت	١٠٢	المنافقون
٣٤	الطارق	٥٧	المؤمن	٨٠	انشقت	١٠٣	المجادلة

٢٥	القمر	٥٨	حم السجدة	٨١	الروم	١٠٤	الحجرات
٣٦	ص	٥٩	حم عسق	٨٢	العنكبوت	١٠٥	التحریم
٣٧	الاعراف	٦٠	الزخرف	٨٣	المطففون	١٠٦	التغابن
٣٨	الجن	٦١	الدخان	٨٤	البقرة	١٠٧	الصف
٣٩	يس	٦٢	الجاثية	٨٥	الانفال	١٠٨	المائدة
٤٠	الفرقان	٦٣	الاحقاف	٨٦	آل عمران	١٠٩	التوبة
٤١	الملائكة	٦٤	الذاريات	٨٧	الحشر	١١٠	النصر
٤٢	مريم	٦٥	الغاشية	٨٨	الاحزاب	١١١	الواقعة
٤٣	طه	٦٦	الكهف	٨٩	النور	١١٢	والعاديات
٤٤	الشعراء	٦٧	النحل	٩٠	المتحنة	١١٣	الفلق
٤٥	النمل	٦٨	نوح	٩١	الفتح	١١٤	الناس
٤٦	القصص	٦٩	ابراهيم	٩٢	النساء		
٤٧	بني اسرائيل	٧٠	الانبياء	٩٣	اذلزلت		

الفصل السابع ترتيب السور في مصحف الامام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كما ذكره الشهرستاني في مقدمة تفسيره.

١	اقراً	١٧	الكافرون	٣٣	ق	٤٩	بني اسرائيل
٢	ن	١٨	الفيل	٣٤	البلد	٥٠	يونس
٣	المزمل	١٩	الفلق	٣٥	الطارق	٥١	هود
٤	المدثر	٢٠	الناس	٣٦	القمر	٥٢	يوسف
٥	تبت	٢١	الاحلاص	٣٧	ص	٥٣	الحجر
٦	كورت	٢٢	والنجم	٣٨	الاعراف	٥٤	الانعام
٧	الاعلى	٢٣	الاعمى	٣٩	الجن	٥٥	الصفات
٨	والليل	٢٤	القدر	٤٠	يس	٥٦	لقمان
٩	والفجر	٢٥	والشمس	٤١	الفرقان	٥٧	سبأ
١٠	والضحى	٢٦	البروج	٤٢	الملائكة	٥٨	الزمر
١١	الم نشرح	٢٧	والتين	٤٣	مريم	٥٩	المؤمن
١٢	والعصر	٢٨	قريش	٤٤	طه	٦٠	حم السجدة
١٣	والعاديات	٢٩	القارعة	٤٥	الواقعة	٦١	حم عسق
١٤	الكوثر	٣٠	القيامة	٤٦	الشعراء	٦٢	الزخرف
١٥	التكاثر	٣١	الهمزة	٤٧	النمل	٦٣	الدخان
١٦	الدين	٣٢	المرسلات	٤٨	القصص	٦٤	الجاثية

٦٥	الاحقاف	٧٨	المعارج	٩١	النساء	١٠٤	المنافقون
٦٦	الذاريات	٧٩	النبأ	٩٢	اذا زلزلت	١٠٥	المجادلة
٦٧	الغاشية	٨٠	والنازعات	٩٣	الحديد	١٠٦	الحجرات
٦٨	الكهف	٨١	انفطرت	٩٤	محمد (ص)	١٠٧	التحرير
٦٩	النحل	٨٢	انشقت	٩٥	الرعد	١٠٨	الصف
٧٠	نوح	٨٣	الروم	٩٦	الرحمن	١٠٩	الجمعة
٧١	ابراهيم	٨٤	العنكبوت	٩٧	الانسان	١١٠	التغابن
٧٢	الانبياء	٨٥	المطففون	٩٨	الطلاق	١١١	الفتح
٧٣	المؤمنون	٨٦	البقرة	٩٩	لم يكن	١١٢	التوبة
٧٤	الم السجدة	٨٧	الانفال	١٠٠	الحشر	١١٣	المائدة
٧٥	الطور	٨٨	آل عمران	١٠١	النصر		
٧٦	الملك	٨٩	الاحزاب	١٠٢	النور		
٧٧	الحاقة	٩٠	الممتحنة	١٠٣	الحج		

نتيجة دراسة مؤلف الزنجاني

نرى ان سبب الثناء على الزنجاني والتنويه بمؤلفه أنّه كتب فيه

أنّه لما استحر القتل بالقرآن في حرب اليمامة وسأل عمر عن آية ف قيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة وأمر الخليفة أبو بكر زيدا أن يكتب المصحف فجمعها ممّا كان مكتوبا فيه وما شهد عليه شاهدان ووجد آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة فقبلها منه لأن الرسول (ص) جعل شهادته شهادة رجلين

ولمّا كان الصحابة يقرأون القرآن بألفاظ مختلفة مثل امض واسرع ممّا لا يغير المعنى اشتد اختلافهم حولها على عهد عثمان فأخذ المصحف من أم المؤمنين حفصة ونسخ عليها نسخا ووزعها على البلاد الاسلامية وجمع المصاحف التي كانت عند الصحابة وغسلها

ثمّ نقل المؤلف في جداول ما روي من ترتيب السور في مصاحف الصحابة وظهر منه ان عدد السور كان

أ - خمس ومائة سورة في مصحف أبيّ

ب - عشر ومائة سورة في مصحف ابن مسعود ولم يكتب في مصحفه الحمد والمعوذتين وإنّ زاد في مصحفه سورة (لم يكن الذين (...كفروا من أهل الكتاب

ج - أربع عشرة ومائة سورة في مصحف ابن عباس

د - ثلاث عشرة ومائة سورة في مصحف الامام جعفر الصادق (ع) ولم يكتب سورة الحمد

وانتخب الزنجاني عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق كما انتخب عضوا فيه أمثال

(من المستشرقين الخطرين (ت: ١٩٦٢ م Masignon Louis لويس ماسينيون

وهو ابن حزقيال الانجليزي البروتستانتي متعصب ضد الاسلام (ت: Margoliouth Samuel Davide ودافيد صموئيل مرجليوث (١٩٤٠ م

(ت: ١٩٥٦م) Brocklmann Carl وكارل بروكلمان

(ت: ١٩٥٥م) Evariste Pravenal وايفارست ليفي بروفنسال

(ت: ١٩٥٣م) Zettersteen Vilhelm Karl وكارل فلهلم سترستين

(27) (ت: ١٩٣٢م) Buhi Frantz (وفرانسس بول (بوهر

وأمثالهم من المستشرقين والشرقيين الذين كان في بحوثهم تهديم لجانب من جوانب الاسلام

١ رجعتا إلى ط. طهران سنة ١٤٠٤ هـ ص ٦٧ - ٨٦.

٢ في قطع الجلد المدبوغ.

٣ جمع عسيب وهو جريد من النخل (لسان العرب).

٤ - جمع لخفة وهي حجارة بيض رفاق (صحاح).

٥ هذه الرواية أخرجا ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة.

٦ المزهر ج ١ ص ١٣٧.

٧ وهو حذيفة بن حسل بن جابر صاحب رسول الله (ص)، وكان فتح همدان والري والدينور بيده. توفي بعد قتل عثمان بأربعين ليلة في سنة ٥٣٦هـ.

٨ قال في الفهرست في نقل هذا الحديث وروى الثقة... الخ ص ٣٧ (طبع مصر).

٩ وهذا أيضا يدل على الراجح في معنى الاحرف السبعة من أن الاختلاف كان في قراءة الكلمات بألفاظ مختلفة تدل على معنى واحد.

١٠ فتح العطار ربعتة وهي جونة الطيب وبها سميت ربعة المصحف (اساس البلاغة للزمخشري).

١١ داورت الأمور طلبت وجوه مأتاها (أساس البلاغة).

١٢ ما كان بغير لغة قريش على الاظهر.

١٣ هو أبو بردة عامر بن قيس الاشعري أخو أبي موسى الاشعري على ما دلنا الفحص.

١٤ اسمه عبدالله بن حبيب بن ربيعة من القراء، سمع عن عثمان (رض). (تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٥ ص ١٨٥).

١٥ في بعض النصوص أنه أحرقها.

١٦ في كتابه مسالك الابصار ج ١ ص ١٩٥ (طبع مصر).

١٧ وهو أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي، يؤخذ من سياق كتابه أنه توفي سنة ٢٨٧هـ. وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبي، نشره المستشرق (هوسما) في ليدن.

١٨ الاصابة ج ١ ص ١٦.

١٩ الفهرست ص ٤٠ (طبع مصر). ٢ - هكذا في طبعة (Leipzig)

٢٠ الاصابة ج ٣ ص ١٣٩.

٢١ الفهرست ص ٣٩ طبع مصر. ٣ كذا.

٢٢ مع الحواميم المسيحات.

٢٣ بلا حرف عين.

٢٤ الفهرست طبعة مصر ص ٤٠.

٢٥ الاصابة ج ١ ص ٩.

٢٦ هو علي بن موسى بن جعفر الشهير بابن طاووس من أعظم علماء الشيعة ورجالهم ولد سنة ٥٨٩هـ وتوفي سنة ٦٦٤هـ.

٢٧ راجع بحث (دائرة المعارف الاسلامية، هوية وخلفية أبرز كتابها) من كتاب: ((الاسلام وشبهات المستشرقين)) لفضيلة الشيخ كاظم فؤاد المقدادي، نشر المجمع العالمي لاهل البيت (ع) ط. سنة ١٤١٦هـ وهو كتاب جيد في موضوعه.

ثانيا - المستشرق هنري ماسيه

قال في كتابه الاسلام(٢٨):

تثبت نص القرآن - عند وفاة محمد لم يكن هناك أية مجموعة للنصوص القرآنية قررت بشكل نهائي. وما من شك في ان عددا من مجموعة الوحي الاول لم تكن قد حفظت؛ ولكن شذرات هامة كانت قد سجلت كتابة على عظام مسطحة، وأوراق نخيل أو حجارة. وبسبب الاهمية التجارية للمدن المقدسة كان عدد من سكانها يعرفون القراءة والكتابة دون شك، وتسرد التقاليد أسماء الاشخاص الذين قاموا بوظيفة الكتابة للنبي: أبي بن كعب، وعبدالله بن أبي سرح، وزيد بن ثابت بشكل خاص.

ويعود فضل جمع هذه الشذرات المبعثرة للمرة الأولى إلى أبي بكر خليفة محمد، أو إلى عمر الذي أشار عليه بذلك. وفي السنة الحادية عشرة والثانية عشرة للهجرة فإن عددا من الناس الذين كانوا يعرفون الآيات القرآنية غيبا قد ماتوا في الحرب ضد النبي الكاذب مسيلم. وقد خاف عمر حينذاك أن يختفي النص المقدس بكامله فحمل أبا بكر على جمع الوحي. وتردد أبو بكر أولا في أن يقوم بعمل لم يحدثه النبي عنه، ولكنه امتثل ودعا الفتى زيد بن ثابت، وهذا جمع بدوره كل ما وجدته مكتوبا على مختلف المواد وكل ما احتفظ به رفاق النبي في ذكراهم، ثم صنف هذه الشذرات ونسخها في صحف وأعطاه لابي بكر.

وهذا الجمع الاول لمخطوط القرآن لم يكن ذا صفة رسمية بل كان فقط مشروعا خاصا من أبي بكر وعمر، ولكنه اكتسب أهمية كبرى بعد بضع سنوات وذلك عند تثبيت النص القانوني للقرآن في أيام الخليفة عثمان.

وبعد وفاة أبي بكر أصبحت هذه المخطوطات الأولى التي قام بها زيد في حوزة الخليفة عمر الذي عهد بها إلى ابنته حفصة، أرملة النبي؛ وهذا العمل سيؤكد عند الحاجة الصفة النافعة لهذا الجمع الاول للقرآن. ولكن من المقبول به ان هناك مجالا للتمييز بين جمع المواد التي تؤلف الصحف وبين الكتابة الحقيقية المنسوبة إلى زيد - الكتابة المرتكزة على الصحف - وفي هذه الحالة فإن هذه الصحف، وقد انتفع بها، فقدت أهميتها وأودعت لدى حفصة أرملة النبي كتذكارات بسيطة.

وفضلا عن ذلك فإن كتابة زيد هذه لم تكن وحيدة؛ فقد عزيت بعض الكتابات الخاصة إلى أربعة من رفاق محمد هم: أبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، والمقداد بن عمرو. وهذه الكتابات كانت تمثل اختلافات في التفصيل لا نرى من لزوم لذكرها. أما ما يهمنا فهو ان هذه الاختلافات تولد منها انقسامات بين المؤمنين. فقد تبنى أهالي دمشق أولى هذه الكتابات، وتبنى الثانية أهالي الكوفة، والثالثة أهالي البصرة، والرابعة أهالي حمص. وهكذا أصبحت المنازعات الخطرة تهدد الاسلام. وقول التقاليد ان القائد حذيفة أشار على الخليفة عثمان (نحو عام ٦٥٠م) أن يقرر نصا نهائيا للقرآن. وهكذا دعا عثمان زيد بن ثابت كاتب المخطوط الاول وضم إليه بعض القرشيين كمساعدين.

ويمكن الافتراض أنه كان لعثمان هدف سياسي بعمله هذا يعادل الهدف الديني. فقد وصل إلى الخلافة بجهد، وكان ان عزز مركزه بإقراره نصا لا يتغير للكتاب المقدس. وقد صنع منه عدة نسخ حفظت واحدة منها في المدينة وأصبحت النسخة النموذجية ((الامام))، وأرسلت النسخ الأخرى إلى الكوفة والبصرة ودمشق - إلى المدن التي توجد فيها حاميات أو التي يتمسك أهلها بواحدة من النسخ المتباينة التي أتلفت على الاثر. وتؤكد التقاليد ان عثمان كتب بيده إحدى هذه النسخ - وفي هذه الحالة تكون هذه النسخة هي نسخة المدينة، ولكن الراجح هو انه ترك هذا الامر لزيد.

وهذا القرآن الرسمي يضم، وفقا للتقليد، سورتين أقل من مخطوط أبي، وسورتين أكثر من مخطوط ابن مسعود. وعدا ذلك فهناك بعض الفروق في الاملاء والكلمات تفصل بين النسخ.

ولكن سؤالا أكثر أهمية يفرض نفسه: هل تحتوي نسخة عثمان على مقاطع مختلفة؟

لقد رفض الخوارج مثلا السورة الثانية عشرة، معلنين ان اللهجة الغرامية لقصة يوسف والمرأة المصرية تجعلها متنافرة مع كتاب مقدس! ويعتقدون بالتأكيد ان وحيا من هذا النوع لا يأتي من الله. ولكن مع ان قسما من السورة فقط قد خصص لهذه القصة فان التقليد يؤكد انها موجودة في أقدم النسخ الخاصة؟ يضاف إلى ذلك ان نولدكه يلاحظ بحق انها تتلاءم مع بقية القرآن من ناحية اللغة والنسق الانشائي.

ومن ناحية أخرى فان الشيعيين يؤكدون ان المقاطع التي تتعلق بعلي وعائلته قد حذفت بأمر عثمان. ويستندون في ذلك إلى عدم تلاحم بعض المقاطع، ويعتبرون ان النص الاصلي قد انتقل سرا من كل إمام إلى خلفه، وسيظهر في النهاية عند ظهور الامام المختفي.

وما من شك - ويجب تكرار ذلك - في ان القرآن كما وصل إلينا لا يتضمن الوحي كله؛ ومقابل ذلك فقد ظهرت له بعض الاضافات التفسيرية والتذييلات (التي لا يستنتج منها شيء)، وكذلك تغيير مكان بعض الجمل. ولكن الامر لا يتعلق أبدا بتحريفات يعترض عليها المؤمنون. والخلاصة ان أقدم المؤرخين قد صمتوا حول هذه النقطة.

وهناك تسع وعشرون سورة تنتمي كلها تقريبا إلى العصر الذي سبق الهجرة مباشرة، وتبتدئ بحروف مفردة لا تزال تحير مفسري القرآن مسلمين وغيرهم. فالعلماء المسلمون بعد ان بحثوا لها عن إجازات وحدوا فيها لغزا لا يعرفه إلا الله وحده.

وعاد بعض المستشرقين إلى فكرة الاجازات هذه. وأراد آخرون أن يجدوا فيها الحروف الأولى لاسماء المالكين الأول للنسخ التي كتبها زيد. أما عناوين السور فقد أعطيت لها في ما بعد، وكذلك التفسير إلى آيات فاتة تقرر بعد ذلك.

ولا يجب الاعتقاد ان كتابة القرآن التي تمت بأمر الخليفة عثمان قد ظلت دون تغيير. وهذه التغييرات تعود إلى ثلاثة أسباب رئيسية: الأخطاء التي ارتكبها الناسخون، ودروس النص المقدس القديمة التي احتفظ بها القراء والمرتلون المحترفون في ذاكرتهم رغم كل شيء، وعدم كفاية ووضوح الكتابة العربية التي تختلط فيها بعض الحروف بسهولة، والتي تخلو من أي حرف صوتي موجز (الامر الذي يمنع معرفة الفعل مثلا إذا كان للمعلوم أم للمجهول). وزيادة على ذلك فان الامويين القليلي الاهتمام بهذه القضايا الدينية لم يعملوا على حذف مصادر الاختلاف هذه. وقد أصبحت هذه الاختلافات بالتدريج مصدر قلق، وانتهوا في القرن العاشر الميلادي، وبعد شيء من التردد، إلى أن يضعوا نهائيا أساس النص الرسمي مستندا إلى حكم سبعة علماء مشهورين أضيف إلى كل منهم اثنان من القراء المجربين. وهذا اختيار تحكمي إلا أنه أوقف المجادلات. وفي القرن الحادي عشر اعترف بحكمهم هذا تدريجيا. وقد بقي اثنان قيد الاستعمال من هذه القراءات السبع، واحدة خاصة بمصر والأخرى بأفريقية الشمالية.

ومن ناحية أخرى فان الكتابة قد تحسنت في النصف الثاني من القرن الثامن وذلك بادخال اشارات صوتية كانت في أول أمرها نقاطا ثم خطوطا تمنع كل خطأ في القراءة.

محتوى وتاريخ القرآن:

من المعلوم ان ترتيب السور مؤسس بكل بساطة وفقا لطول كل سورة. والسور الاكثر قصرا (وهي الاقدم) موجودة في نهاية القرآن. ولم يستطع زيد ورفاقه أن يرتبوا القرآن على أساس معنى الايات لان صفة الوحي المتقطعة تعترض ذلك. ولم يستطيعوا التفكير بالترتيب التاريخي لان الوقت كان متأخرا لاثبات هذا الترتيب. وعلى كل حال فإن الترتيب النازل وفقا لطول السور فيه أمران شاذان: فمن ناحية أولى نرى السورتين الاخيرتين (رقم ١١٣ و ١١٤) الناقصتين بالتأكيد من قرآن ابن ميسعود) ليستا هما الاكثر قصرا - ومع ذلك فهما تمثلان صفة خاصة جدا لانهما، والحق يقال، قواعد ضد الرقى المؤذية. ومن ناحية أخرى فان السورة الأولى (الفاتحة) قد وضعت على رأس الكتاب مع انها لا تعد سوى سبع آيات، وقد كان ذلك دون شك لان لها شكل الصلاة.

وفضلا عن ذلك فانها تنتهي عادة بعد أن ترتل بكلمة ((أمين))، الامر الذي لا يحدث في السور الأخرى؛ وقد أوحى أيضا بوجوب تلاوتها في أغلب الاحيان (القرآن ١٥، ٨٧).

ولكن هذا الترتيب الاصطناعي، الذي بناه زيد ورفاقه لا يستطيع أن يرض النفوس المفكرة.

٢٨ ترجمه بيهج شعبان إلى العربية ونشره عويدات. بيروت وعليه ترخيص ماكس لوكير الفرنسي بترجمته لجميع الناطقين باللغة العربية.

ثالثا - المستشرق اليهودي كولد زبهر

قال في كتابه (تطور العقيدة والشريعة في الاسلام):

(ان رسول الله نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص وبحكم الظروف التي أحاطت به، إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة وإلى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه.

فإذا كان الامر كذلك في عصر النبي (ص) فمن الاولى أن يكون كذلك - بل أكثر من ذلك - عندما تجاوز الاسلام حدود البلاد العربية وتأهب لكي يصير قوة دولية(٢٩).

* * *

أوردنا أمثلة من أقوال المستشرقين الذين قصدوا في ما نشروا الطعن بالاسلام وبرسوله وكتابه، ومن المستشرقين من لم يقصد الطعن في ما نشر غير ان الروايات والاجتهادات اللاتي درسناها في ما سبق أدت بهم أن ينشروا ما نشروا مثل ما جاء في دائرة المعارف الاسلامية كما يأتي:

رابعا - المستشرقون في دائرة المعارف الاسلامية

على الاغلب ان ما تذكره المصادر من ان قراءة ابن مسعود وأبيّ وأبي موسى كانت الغالبة في الكوفة وسوريا والبصرة يقال ان هذه الثلاثة بدأت في عصر الرسول. عبدالله بن مسعود كان خادما للرسول ومرافقا له في معظم الاحداث وأخبر عنه أنه معلم للقرآن.

وبعدها عين في مسؤولية ادارية في الكوفة في عهد عمر. وهنا أصبح مسؤولا عن القرآن والحديث.

ابن مسعود، أخبر عنه أنه رفض اتلاف نسخة القرآن التي لديه أو توقيف دراسته لهذه النسخة في حين ان قرآن عثمان أصبح رسميا وكذلك هنالك أخبار عن بعض المسلمين في الكوفة انهم استمروا في تدريس قرآن ابن مسعود بعد وفاته ولذلك انقسم المسلمون.

أبيّ بن كعب، هو مسلم من أهل المدينة خدم الرسول كسكرتير له والظاهر أنه كان أكثر تخصصا في القرآن من ابن مسعود في عهد الرسول. يقال ان قرآن ابن مسعود كان يختلف عن كتاب عثمان في نقاط عديدة ومهمة، المصادر تؤكد أن كتاب ابن مسعود لا يحتوي على الفاتحة (السورة الأولى).

واختلف في وجود سورة الفاتحة عند ابن مسعود ولقد أخبر ابن النديم أنه رأى عدّة نسخ من قرآن ابن مسعود، واحدة منها كان عمرها ٢٠٠ سنة كانت تحتوي على الفاتحة.

يقال ان ترتيب السور عند كتاب أبيّ يختلف عن نسخة عثمان ونسخة ابن مسعود، وكذلك هناك اختلاف جزئي بينهم في القرآن(٣٠). وجاء في دائرة المعارف الاسلامية ما موجه:

كعب الاحبار: أبو إسحاق بن مانع، يهودي يمني اعتنق الاسلام عام ١٧هـ(الطبري ١ / ٢٥١٤) ويعتبر من أقدم المتخصصين في حقل الاسرائيليات، كلمة جبر أو حبر مشتق من كلمة حابار العبرية وهي كنية يكنى بها الربايعي أو الرباني، كما هو معهود إلى اليوم بين علماء اليهود في بابل.

لأيعرف الكثير عن هذا الرجل الذي قدم إلى المدينة حين خلافة عمر بن الخطاب وصاحب الخليفة إلى اورشليم عام ١٥هـ(الطبري ١ / ٢٤٠٨) وبعد اسلامه أصبح من المقربين للخليفة وأصبح بعد ذلك من خواص الخليفة عثمان وتنازع أبوذر معه في مجلس عثمان (الطبري ١ / ٢٩٤٦ - ٢٩٤٧). وبعدها حاول معاوية أن يتخذه كمشاور له في دمشق.

كان يشتهر بالممامه التام بالتوراة والتقاليد الاجتماعية لجنوب الجزيرة العربية وكان ذا سياسة ودهاء (تهذيب النووي / ٥٢٢)، ويعتبر كعب مصدرا لاحاديث تخص عمر بن الخطاب، وبتهم بإدخال أفكار يهودية في الاسلام. ورويت عنه أحاديث وروايات كثيرة منها: ما تخص قصص الانبياء (ع) كقصة: ذي الكفل (بروكلمان ١٠١: ١٠١ ط. بولاق ١٢٨٣) أو يوسف (ع) (٣١).

* * *

بعد هذه الجولة الطويلة في دراسة أعمال المستشرقين وأهدافهم في الاستشراق نوجزها بإذنه تعالى في ما يأتي:

٢٩ العقيدة والشريعة في الاسلام - المستشرق اجناس كولد زيهير، تعريب د. محمد يوسف، د. علي حسن عبدالقادر والاستاذ عبدالعزيز عبدالحق. الطبعة الثانية، مصر، بحث(ص) والاسلام ص ٤١.

خلاصة البحث الثامن:

(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ). (التَّحْلِ / ١٠١ - ١٠٥)

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ).

(فَصَلَّتْ / ٢٦)

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمَلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا).

(الفرقان / ٣٢)

وجدنا المسيحي الشرقي يوحنا الدمشقي الذي كان يعيش في كنف البلاط الاموي أول من تصدى هو وخليفته أبو قرة للاسلام والقرآن ونشر الجدل البيزنطي الذي كان يتقنه المسيحيون المتأثرون بالفلسفة اليونانية مثل: كلام الله هل مخلوق أم غير مخلوق؟

والذي انتشر في العصر العباسي في المجتمع الاسلامي وأدى إلى حبس وقتل علماء من المسلمين وكان أول من طعن بالقرآن والرسول (ص) في قصة زيد وزينب. وقال: ان المفاهيم القرآنية منقولة عن التوراة والانجيل وأخذ منه بعد ذلك مسيحيون بيزنطيون ثم الغربيون الذين أدركوا قوة الاسلام في الحروب الصليبية واتجهوا لاقامة حرب فكرية ضد الاسلام وكتابه القرآن كان في مقدمتهم بطرس الكلوني في سنوات (١٠٩٤ - ١١٥٦ م) والذي أقام الحرب الفكرية بترجمة الكتب الإسلامية وفي مقدمتها ترجمة القرآن من العربية إلى اللاتينية محرقة ومشوهة وبعيدة عن الاصل العربي بما افتروا به على كتاب الله الكريم، وقد كتب أحد المترجمين يصف ترجمته ويقول:

(لقد كشفت بيدي قانون المدعو محمد ويسرت فهمه...).

(ويجب أن يشكر - بطرس الكلوني - لتعرية مبادئ الاسلام للضوء بعدما سمح الدارسون في الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينشر لمدة خمسمائة وسبعة وثلاثين عاما وقد وضحت في ترجمتي في أي مستنقع فاشل يعيش مذهب السراسيين المسلمين - متمثلا في عملي جنديا من المشاة يشق الطريق لغيره، لقد فشلت الدخان الذي أطلقه محمد).

(لعلك - الخطاب لبطرس - تطفئه بنفحاتك).

وكانت روح الاستهزاء والسخرية ظاهرة في كتاباته وترجمته للقرآن الكريم لاسيما في تسميته للسور وصرح أنه تصرف بحرية في ترجمة النصّ وزاد عدد السور في ترجمته أكثر مما في القرآن الكريم.

ومن أمثال هذه الترجمة اللاتينية ترجم إلى ٢١ لغة أوروبية وعندما انتشرت الطباعة جاء في مقدمة المترجم في نسخة امستردام بالكلمات الشهادتان هكذا: رسول الله لا إله إلا الله محمد

ومهما كان السبب استهزاء أو عدم فهم تكون النتيجة ان المترجمين الغربيين كانوا يحرقون ترجمة القرآن الكريم وغيره من الكتب الإسلامية كتجريفهم هذا لكتابة الشهاداتين ، وانتشرت هذه الترجمات في بلاد الغرب بعد انتشار الطباعة وأصبح بمتناول يد عامة الغربيين بعد أن كان ميسورا للقساوسة والرهبان وامتد هذا النوع من العدوان على القرآن الكريم إلى مراودة الشرقيين مع الغربيين وتعريف بعضهم بعض الآخر، وكان لابد للمستشرقين من تغيير سلاحهم في حربهم الفكرية للقرآن الكريم ووجدوا ضالتهم المنشودة في الروايات التي درسناها في بحوث هذا الكتاب والاجتهادات الخاطئة التي استندت إلى تلك الروايات فقاموا بتسليط الضوء على تلك الروايات والاجتهادات أينما كانت وحققوا مصادر المخطوط منها وطبعوها ونشروها والمطبوع منها وأشادوا بذكر مؤلفيها وأثنوا عليهم وشاء الله تعالى أن تدرس تلك الروايات والاجتهادات في مجلدات هذا الكتاب وصدق الله العظيم حيث يقول: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

